



## ضياء الفرقان في قسير القرآن

جلد۳

سرشناسه : نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ ـ

عنوان و نام پدیدآور : ضیاء الفرقان فی تفسیرالقرآن / لمؤلفه محمدتقی نقوی قائنی.

مشخصات نشر : تهران: قائن، ۱۳۹۵.

مشخصات ظاهری : ۱۸ج.

شابک : دوره 7-24-8981-964 ؛ ج. ۳: 8-27-8981-964-978

وضعیت فهرست نویسی : فییا.

و صعیت فهرست نویسی : فیپا.

یادداشت : عربی.

موضوع : تفاسير شيعه \_\_قرن ١٤.

ورضوع - - Shiite hermeneutics - - 20th century : موضوع

ردهبندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : ۴۴۰۴۹۵۲

#### ضياء الفرقان في تفسير القرآن ـ مجلد الثالث

المؤلف: محمد تقى نقوى قائني

الكمية: ١٠٠٠

الطبعة: الاوّل

تاريخ الطبع: ١٣٩۶ ش. - ١٤٣٨ ق.

تنسيق الصفحات: محسن نقوى

ليتوغرافي: لوح محفوظ

المطبعة: گو هر انديشه

انتشارات: قائن

تلفن: ۹۱۲۳۱۷۳۵۵۰

مركز التوزيع: تهران - شارع انقلاب - بازارچه كتاب - رقم ١٠ - دارالكتب الاسلامية



شابک: ۸ - ۲۷ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸ شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

<b>y</b>	الجزء الثالث
٩	سورة البقرة
١٨٣	سورة آل عمران
444	الفهرست

# الجزء

الثالث

تِلْكَ الرُّسُل فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ مِّنْهُمْ مِّنْ كَلَّمَ اللهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَٰاتَيْنَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتُ وَايَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ الْبَنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتُ وَايَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ الله مَااقَّتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جُآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مِّنْ امَنَ جَاءَتْهُمْ مِّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ الله مَااقْتَتَلُوا وَلٰكِنَ الله مَااقْتَتَلُوا وَلٰكِنَ الله مَااقْتَتَلُوا وَلٰكِنَ الله مَا الله مَا يُريد (٢٥٣)

## ⊳ اللّغة

يِّلْكَ الرُّسُل بفتح الراء و سكون السين و هو الإنبعاث على التَوْدة يقال ناقة مشتق من الرّسُل بفتح الراء و سكون السين و هو الإنبعاث على التَوْدة يقال ناقة رَسِلة، أي سَهلة السَّير وابل مراسيل، مُنبعثة إنبعاثاً سَهلاً و منه الرّسول المنبَعث و تصوّر منه تارة الرّفق فقيل على رسِلك اذا أمرته بالرّفق و تارة الإنبعاث فإشتق منه الرّسول و الرّسول يقال تارة الاتعول المتحمّل كقوله، ألا أبلغ أبا حفص رسُولاً، و تارة لمُتحمّل القول و الرّسالة و الرّسول يقال للواحد والجمع، أمّا الواحد كقوله تعالى: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (۱) و أمّا الجمع كقوله تعالى: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (۱) و أمّا الجمع كقوله تعالى: القالمين و جمعه الرّسُل بضمّتين و الرّسُل بضمّ الرّسُل بضمّتين و الرّسُل بضمّ الرّسُل على القرأن ثمّ أنّ الرّسل توادة يواد بها المُلائكة و تارة يراد بها الأنبياء فَمن الملائكة قوله أنّه لقول رسول تارة يراد بها المُلائكة و تارة يراد بها الأنبياء فَمن الملائكة قوله أنّه لقول رسول

كريم و هو جبرئيل و قوله إنّا رُسُل ربّك، في قصة لوط وهكذا ومن الأنبياء قوله تعالىٰ: وَ مَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ.

فَضَّلْنا الفضل الزّيادة عن الإقتصار.

عيسَى: بكسر العين إسمّ علم و اذا جعل عرّبياً أمكن أن يكون من قولهم، بعيرٌ أعيس و ناقةً عَيساء و جمعها، عِيس و هي إبلّ بيضٌ يعتري بياضها ظلمة أو من العيس و هو ماء الفَحل قاله الرّاغب في المفردات.

أَيَّدُنْاهُ: التّأييد التّقوية أي قَوَّيناه برُوح القُدس.

بِرُوحِ الْقُدُسِ: بضمّ القاف والدّال يعني به جبرئيل من حيث أنّـه يـنزل بالقُدس من الله أي بما يطهّر به نفوسنا من القرأن والحكمة والفيض الإلٰهي و ذلك لأنّ القُدس الطّهارة و التقدّيس التطهّير و منه البيت المقدّس أي المُطّهر من النّجاسة أي الشِّرك وكذلك الأرض المقدّسة.

مِنْ كَفَرَ: الكُفر في اللّغة ستر الشّئ و وصف اللّيل بالكافر لستره الأشخاص، والكافر يطلق على من يجحد الوّحدانية أو النبوّة أو الشّريعة أو جميعها.

## ⊳ الإعراب.

تِلْكَ الْأُسُل مبتدأ و خَبر فَضَّلْنا حال من الرُّسُل ويجوز أن يكون الرُّسل نعتاً أو عطف بيان و فضَّلنا الخبر مِتنهُمْ مِنْ كَلُّمَ اللَّهُ يجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له ويجوز أن يكون بَدلاً من موضع، فضَّلنا، ويقرأ، كلُّم اللَّه بالنَّصب و جزء ٣ ﴾ يقرأ كَلُّمَ اللَّهُ، دَرَجاتٍ حال من بعضهم أي ذا دَرجات وقيل، درجات، مصدر في موضع الحال و قيل إنتصابه علىٰ المصدر لأنّ الدّرجة بمعنىٰ الرّفعة فكأنّه قال ورفعنا بعضهم رفعات و قيل أنّ التّقدير، علىٰ درجات، أو في درجات، أو الىٰ درجات، فلمّا حذف حرفُ الجرّ وصل الفعل بنفسه مِّنْ بَعْدِ مَا جُاءَتُّهُمُ يجور أن يكون بَدلاً من، بعدهم، بإعادة حرف الجرّ ويجوز أن تكون من الثّانية،

تتعلّق، بإقتل والضّمير الأوّل يرجع الى الرُّسل وفي جاءتهم، الى الأُمم وَلْكِنِ استدراك لِما دَلّ الكلام عليه لأنّ إقتتالهم كان عن إختلافهم ثمّ بيّن الإختلاف بقوله: فَمِنْهُمْ مِنْ أَمَنَ وَمِنْهُمْ مِنْ كَفَرَ والتقدير فاقتتلُوا وَلْكِنَّ اللّهَ يَمَفْعَلُ مَا يُربِدُ إستدراك على المعنى أيضاً لأنّ المعنى، ولو شاء الله لمنعهم، ولكنّ الله يفعل ما يريد و قد أراد أن لا يمنعهم أو أراد إختلافهم وإقتتالهم.

### ⊳ التّفسير

تِلْكَ الرُُّسُل فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ

قيل تِلك، بمعنى أولئك لأنّه أراد به الإشارة الى الجماعة أي جماعة المرسلين التّي ذكرت قصصها في السّورة أو التّي ثبت علمها عند رسول اللّه و المراد بالرُّسل في الآية الأنبياء الّذين أرّسَلهم اللّه لارشاد خلقه من آدم أبو البشر الى خاتم المرسلين كما حكى اللّه تعالى بقوله قال إنّا رسول ربّ العالمين و الفرق بين الرّسول والنّبي على ما قيل من وجوه:

أحدها: أنّ الرَّسول هو المخبر عن الله بغير واسطة أحدٍ من البشر و له شريعة مبتدءة كآدم صّفي أو ناسخة كمحمّد عَلَيْظِهُ والنّبي لا شريعة له.

ثانيها: أنّ النّبي هو الّذي يرى في منامه ويسمع الصّوت ولا يعاين المَلك، والرّسول يرى في منامه ويَسمع الصّوت ويعاين المَلك.

ثالثها: أنّ الرّسول قد يكون من الملائكة بخلاف النّبي فأنّ المَلك لا يكون نبّياً و على هذا فَبين الرّسول والنّبي عموم و خصوص مطلق فكلّ رسول نبّي و لا عكس اذ بعض الأنبياء رسول مثل موسى و عيسى و محمّد و غيرهم و بعضهم ليس برسولٍ مثل يونس و هود و شعيب و أمثالهم و جميع الأنبياء والمرسلين على ما ورد في الأحاديث مائة ألف و عشرون ألفاً، والمرسلون منهم ثلاث مائة و ثلاثة عشر والباقي أنبياء و في حديث الصّادق عليه الأنبياء

ضياء الفرقان في تفسير القرآن وي. و المرسلون على أربع طبقات منبئ في نفسه لا يعدُو غيرها و نبّي يرىٰ في المنام و يسمع الصّوت و يعاين المَلك وقد أرسل الي طائفة أو أكثر كيُونس التِّكْةِ: قال تعالىٰ: وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ (١).

ثلاثين ألفاً والّذي يرىٰ في منامه ويسمع الصّوت ويُعاين في اليقظة و هو إمام مثل أُولو العَزم من الرُّسل وقد كان إبراهيم نَبّياً وليس بامام حتّى: قال تعالىٰ: إِنِّى جُاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٢).

اذا عرفت معنىٰ الرّسول وعلمت أنّه أفَضل من النّبي الذّي ليس برسولٍ و أنّ المُرسلين ثلاث مائة و ثلاثة عشر فأعلم أنّ الآية تدّل على أنّ الله تعالى فَضَّل بعض المُرسلين على بعضٍ وإختلفت أراء المفسّرين في تعيين الفضيلة بعد اتَّفاقهم على وجودها فيهم فقال بعض المفسّرين أراد اللّه تعالى التَّفضيل في الأخرة لتفاضلهم في الأعمال و تَحمُّل الأثقال و قيل التّفضيل بالشّرائع فمنهم من شرع ومنهم من لَم يَشرع، و قال بعض أخر التَّفضيل في الدّنيا و المراد به ما خصّ كلّ واحدٍ منهم بالمنازل الجليلة نحو كـلامه لمـوسىٰ و كارساله محمّد عَلَيْكِاللهُ الى الكافّة من الجنّ و الإنس ثمّ أنّهم إتّـفقوا عـلىٰ أنّ محمّداً عَلَيْظِهُ أفضل من جميع الأنبياء والمُرسلين ولم يختلف فيه أحد من ذوي العقول السّليمة لقوله عَيَّكِاللَّهُ أنّا سيّد ولد آدم و لا فخر وقوله عَيَّكِاللَّهُ أنّ آدم و من دونه تحت لوائي يوم القيامة و قبل الخوض في المقصود لابدّ لنا من التكلُّم في الفضيلة والمراد بها في الآية فنقول الفضل في الأصل الزّيادة عن جزء ٣ الإقتصار و ذلك على ضربين محمود، ومذموم فالفضل المحمود كفضل العلم و الحِلم و الشّجاعة و السّخاوة و الأمانة و أمثالها علىٰ أضدادها.

و المذموم، كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر إستعمالاً منه في المذموم كما أنّ اللمذموم بالعكس ثـمّ أنّ الفَضل اذا أستعمل لزيادة أحَد الشّيئين على الأخر فعلى أقسام ثلاثة:

أحدها: من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النّبات.

ثانيها: من حيث النّوع كفضل الإنسان على الحّيوان وعلى هذا النّحو قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنتِ أَدَمَ (١).

ثالثها: من حيث الذّات كفّضل رجلٍ على أخر اذا عرفت هذا فأعلم أنّ الأوّلين منها أعني الفضل من حيث الجنس ومن حيث النّوع جوهرّيان لا سبيل للنّاقص فيهما أن يزيل نقصه و أن يستفيد الفّضل كالفرس و الحمار لا يمكنهما أن يكتسبا الفّضيلة التّى خُصّ بها الإنسان.

أمّا القسم الثّالث: فقد يكون عرّضياً فيُوجد السّبيل الى إكتسابه و من هذا النّوع التّفضيل المذكور في الأية:

قال اللّه تعالى: وَ ٱللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلرِّرْقِ (٢). قال اللّه تعالى: مَا فَضَّلَ ٱللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ (٣).

اذا أحطت بما تلوناه عليك من أقسام الفَضل فقد علمت أنّ التَفضيل في قوله: فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ليس من قسم الأوّل أعني به التّفضيل بحسب الجنس و ذلك لأنّ الجنس في جميع الأنبياء واحد فأنّ الإنسان حيوان ناطق، و الحيّوانية جنس لجميع أفراد الإنسان بمعنىٰ أنّه يصدق علىٰ الجميع علىٰ سبيل التّواطوء و لا سبيل للتّشكيك فيها لعدم التّشكيك في الماهية والىٰ هذا المعنىٰ أشير بقوله تعالىٰ: قُلْ أَنَا بَشَرَ مِثْلَكُم و هو واضح لا خفاء فيه عند التّأمل و أمّا القسمان الأخيران و هما التّفضيل النّوعي والذّاتي، فالأمر يدور مدارهما، فيمكن أن يقال أنّ المراد بالتّفضيل في الآية التّفضيل النّوعي و هو يتم بناءٌ علىٰ القول بأنّ المرسلين مثلاً نوعٌ والنّبيين نوع أخر فيقال أنّ هذا النّوع

١- الاسراء= ٧٠

منهم أعنى به المرسلين أفضل من النّوع الأخر و هم غير المرسلين و معلوم أنّ المفضّل هو الله تعالىٰ فصّح أن يقال: تِلْكَ الرُّسُل فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْض أو يقال أنَّ بعض المُرسلين أفضل من بعضٍ أخر كصاحب الشّريعة من غيره، و يمكن أن يقال بأنَّ التَّفضيل في الآية تَفضيل الذَّاتي كتَفضيل رجل علىٰ أخر بعلمه و زهده و حِلمه وأمثال ذلك و عليه فالمراد به في الآية هو وجود بعض الصّفات و الفضائل في بعض المرسلين أكمل و أتّم منه في بعض أخر و هذا هو الوجه في المقام و ذلك لأنّ دخول التّفضيل في المقام في التّفضيل النّوعي بعيد غاية البعد لأنّ النّوع في الكلّ واحد و أن شئت قلت الحيّوانية جنسِ و الإنسانية نوع فكما أنّ الجنس في أولاد آدم واحد كذلك النّوع أعني بــه الإنسانية وقد ثبت عدم التّشكيك فيها أيضاً ولذلك قالوا الإنسان كلّي متواطئً لصدقه علىٰ أفراد نوعه بالسّوية فلا يمكن القول بأنّ زيداً مثلاً أفضل من عمرو من حيث كونه إنساناً نعم يقال أنّه أفضل منه من حيث كونه عالماً أو شجاعاً أو غير ذلك من الصّفات ومن المعلوم أنّ الصّفات في الإنسان زائدة علىٰ ذاته فتُبُوت الفضيلة في الصّفة لا يستدعي بثوبتها في الذّات واذا إنتفت الفضيلة النّوعية تبقى الذّاتية وهو المطلوب.

إن قلت هذا الّذي ذكرت من قبيل الكّر على مافر و ذلك لأنّك نفيت الفضيلة الذَّاتية في النَّوع فكيف تقول به الأن، قلت أنَّما نفيت الفضيلة النَّوعية بمعنىٰ إنسانِ أخر من حيث كونه إنساناً مع قطع النَّظر عن صفاته، والأن نثبت جزء٣ ل الفضيلة باعتبار الصُّفة لا بإعتبار الذَّات و أنَّما عبرنا عنه بالفضيلة الذَّاتية بمعنى سراية الصّفة الى الذّات بإعتبار أنّها قائمة به ففي الحقيقة ما نحن فيه من الفضيلة الوّصفية لا الذّاتية وأنّما أطلّقناها على الذّات مجازاً بعلاقة الحال والمحلّ أو بعلاقة المجاورة و لذلك نقول فضل العالم علىٰ الجاهل ليس بإعتبار الذَّات بل بإعتبار العلم وأن شئت قلت المراد بالفضيلة الذَّاتية الفضيلة

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 🕏

الثَّابِتة لذات الوصف لا لِذات الموصوف مع قطع النَّظر عن الوصف فأفهم و تأمّل فيه فقوله تعالى: فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ معناه فَضَلنا بعضهم علىٰ بعض بالصّفات الموجودة فيه مثل العلم والقُدرة و الحِلم و غيرها ولاشكّ أنَّهم مختلفون من هذه الجهات كمَّا وكيفاً وهذا هو الأصل و الأساس في هذا المضمار فأنّ الإفاضات على أساس القابليات إمّا سعة دائرة الرّسالة أو أنّ بعضهم صاحب شريعة دون بعض، وأمثال ذلك من الأمور التي تمسكوا بها في إثبات الفضيلة في كتبهم و تفاسيرهم و فضّلوا الكلام فيها فكلّها من فروع ما جعلناه أصلاً في المقام وهو الإتصاف بالكمالات و الفضائل النّفسانية من المعرفة والعلم والحِلم والهمّة والشّجاعة وأمثالها من الصّفات التّي تحكي عن إستعداد الموصوف و لياقته و قابليته اذ لولم يكن الإنسان مستّعداً قابلاً لأن يكون صاحب شريعةٍ مثلاً كيف يصل الي هذا المقام بل كيف يُكلِّفه اللَّه بذلك أليس هذا من التَّكليف بما لا يطاق الَّذي إستَّقل العقل بقبحه و قد قال اللَّه تعالىٰ:لايُكلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا (١) فاذا قلنا أنّ محمّداً عَيَّكِاللهُ أفضل الأنبياء و المرسلين لأنَّه بَعث الي كافَّة الخلق من الجنِّ والإنس، فلقائل أن يقول لم بعث نبّى الإسلام الي كافّة الخلق ولم يُبعث غيره اليها فلابدّ لنا من الجواب بأنّه كان قابلاً لهذا المنصب من حيث إتّصافه بما لم يتّصف به غيره والي هذعه الدّقيقة أشار عَيْنِهِ اللهِ بقوله حيث قال لو أدركني أخى موسىٰ مـا وسـعه إلا إتّـباعي، و لذلك قال أنا سيّد وُلد آدم و لا فَخر و قال أنّ آدم و من دونه تحت لوائي غداً يوم القيامة، اذ هو عَلَيْظِهُ أَعَرَفهم باللَّه و أعقلهم و أعلمهم و أتقاهم الىٰ غير ذلك.

أن قلت ألستم تقولون أنّ النّبي يكون إنساناً كاملاً و معنى الكمال كونه واجداً للصّفات الكماليّة من العلم والقُدرة وغيرهما بحيث لا يُوجد إنسان

أفضل و أكمل منه فقولكم بالتّفضيل ينافى ذلك ضرورة أنّ المفضّل أفضل و أكمل من المُفضّل عليه فالجواب عنه أمّا أوّلاً فبأنّ النّبي لابدّ من أن يكون أفضل أهل زمانه هذا اذاكان مُرسلاً وكان مع ذلك صاحب شريعة و أمّا من لم يكن كذلك فلا يكون أفضل و أعلم أهل زمانه أيضاً اذ يمكن أن يكون في زمانه رسولاً أعلم و أفَضل منه كما ترىٰ في لوط النّبي و إبراهيم الخليل فأنّهما كانا في زمانِ واحد و معلوم أنّ الخليل كان أفضل منه إماماً له نعم النّبي المُرسل يكون أفضل وأعلم أهل زمانه و هذا لاينافي كونه مفضولاً بالنّسبة الي من قبله أو من بعده ألا ترى أنّ عيسىٰ بن مريم كان نبّياً مُرسلاً و هو مع ذلك كان صاحب شريعة أيضاً ولاشكّ لأحدٍ في أفضّليته علىٰ أهل زمانه كائناً منكان و أمًا بالنّسبة الى غير زمانه فلا لأنّ نبّينا كان أفضل منه قطعاً و هكذا في سائر الأنبياء.

و ثانياً، أنَّ الكمال في الإنسان مُقولٌ بالتِّشكيك يتفاوت بالشِّدة والضَّعف و الكمال و النّقص و عليه فلا منافاة بين أن يكون الإنسان كاملاً اذا قُيس الى ا نفسه أو من دونه و لا يكون كاملاً بالنسبة الى من هو أكمل منه فأن الكمال المطلق لا يوجد في غير الله تبارك وتعالىٰ هذا تمام الكلام في أصل الفضيلة بقيٰ في المقام شئ أخر و هو أنّ هذه الفَضيلة الثّابتة لبعضهم علىٰ بعضٍ أخر هل هو إفاضة من الله تعالى أو من أنّها من قبل أنفسهم و بعبارةٍ أُخرىٰ هي إفاضّية محضته أوكسبيّة عوالَّذِّي يظهر من ظاهر الآية هو الأوّل و هو أنّها من جزء ٣ ا إفاضات الله تعالىٰ كما قال: فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ حَيثَ نسب الفضيلة الىٰ نفسه وبه قال بعض المحقّقين من العامّة والخاصّة، وقيل أنّها كسبّية و أنّما نسبها الله تعالى الى نفسه لأنه كان يوفقهم على هذا التّكسُب و إستدّلوا على المدّعيٰ بأنّه لو لم يكن الفضيلة كسبّية لا دليل لنا علىٰ تفضيلهم علىٰ الملائكة و للبحث فيه مقام أخر سيجئ إن شاء الله تعالىٰ.

كلمة، من، في قوله: مِّنْهُمْ، للتّبعيض أي بعضهم من كلَّم اللّه والمراد بـه موسىٰ بن عمران للتَّالِإِ:

قال الله تعالى: إِنِّى أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى اَلتَّاسِ بِرِسْالاتى وَ بِكَلاْمى (¹¹). قال الله تعالى: وَ كَلَّمَ اَللَّهُ مُوسْى تَكْليمًا (²٬).

و قوله: وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ قيلُ المراد به (و منهم نبينا عَلَيْوَالُهُ حيث رفعه اللّه على كلّ الأنبياء بدرَجات نُقل هذا القول عن ابن عبّاس و مجاهد و الشّعبي و أمثالهم و تبعهم على ذلك أكثر المفسّرين من المتأخّرين كالطّبري و القُرطبي و الزّمخشري و البيضاوي و الرّازي و غيرهم بل لم نجد في تفاسيرهم مخالفاً لهذا القول وبه قال الطّبرسي في المجمع و الفيض في الصّافي والشّيخ في التّبيان والحاصل أنّ قاطبة المفسّرين من العامة و الخاصة إختاروا هذا القول فلبحث في مقامين:

أحدهما: قوله وكَلَّم و مِّنْهُمْ مِّنْ كَلَّمَ اللَّهُ.

الثَّانى: قوله وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ.

أَمَا البحث في القمام الأوّل: فنقول قوله: مِّنْهُمْ مِّنْ كَلَّمَ اللّهُ أي من كَلَّمه اللّه هو موسى والدّليل عليه:

قال الله تعالى: وَ كَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَى تَكْليمًا (٣)

قال الله تعالى: وَ لَمَّا جْآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ (٢٠).

ثمّ أنّهم إختلفوا في معنىٰ الكلام في حقّه تعالىٰ بعد إتّفاقهم علىٰ أنّه تعالىٰ متكلّم، والفرق بين الكلام و التكلّم هو أنّ التكلّم أثر الكلام قال بعض المحققين الكلام جنسٌ لما يتكلّم به قليلاً كان أو كثيراً فالكلام هو اللّفظ الدّال

رقان في تفسير القرآن كم بم المجلد الثالة

١- الأعراف=١٤۴.

۲- النّساء=۱۶۴.

٣- النّساء=١٥٤.

علىٰ المعنىٰ و التكلُّم في اللُّغة مصدر قولك تكلُّمتُ بكذا وهو حدوث فعل أثر الكلام اذا عرفت هذا فنقول لا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ متكلّمٌ و اذا كان متكلّماً فله كلام لا محالة لما قلنا أنّ التكلّم أثَر الكلام و قد وَرد في الشّرع نسبة الكلام و التكلُّم اليه تعالىٰ فتارةً يقال هذا كلام الله مثلاً وتارةً يـقال كـلُّم اللَّـه مـوسىٰ تكليماً فعلىٰ الأوّل نثبت له الكلام و علىٰ الثّاني نقول أنّه متكلّم اذ لولا أنّـه متكلِّمٌ فكيف كلُّم اللَّه موسىٰ تكليماً ثمَّ أنَّهم إختلفوا في معنى الكلام في حقَّه فعند المعتزلة أنّه تعالىٰ أوجد حروفاً و أصواتاً في الأجسام دالّة علىٰ المراد و قالت الأشاعرة أنّ الكلام في حقّه تعالىٰ معناه أنّه قائم بذاته يعني غير العلم و الإرادة و غيرهما من الصّفات، تدّل عليها العبارات وهو الكلام النّفسي وهو عندهم واحد ليس بأمرٍ و لا نهى ولا غير ذلك من أساليب الكلام والحقّ عندنا هو الأوّل أي أنّه أوجَد أصواتاً وحروفاً في الأجسام وأنّما قالوا ذلك لكونه تعالىٰ منزّهاً عن الجسم والجسمانيّات فلا يتكلّم بسبب الألة لكونه غنياً عنها في جميع أفعاله فالتكلُّم فيه تعالىٰ أنَّما يتَّوقف علىٰ القُدرة فقط وهي موجودة فيه عامّة لجميع الممكنات و من المعلوم أنّ فعل الكلام بدون الألة من الممكنات فعمومية القدرة تدل على مقدورية الكلام بالمعنى المتقدم أعنى به إيجاد الحروف والأصوات في الأجسام لا علىٰ ثبوته في حقّه وأنّما النّبوت يستفاد من الشّرع والحاصل أنّ الأدلة العقلّية لا تُثبت أنّه تعالىٰ متكلّم بل تثبت أنَّه مقدورٌ له تعالىٰ لعموم قُدرته فقول المحقِّق الطَّوسي مَثِّئُ في التَّجريد، و جزء ٧ عموم قدرته يدّل علىٰ ثبُوت الكلام لا يخلو عن مسامحة نعم عموم القُدرة بضميمة النَّقل من الأيات والأخبار يدُّل على ثبوته في حقَّه وكيف كان لا شكَّ لأحدٍ من المسلمين في ثبوته فيه تعالىٰ و بـذلك ظهر لك أنّ كـلامه تـعالىٰ حادث ليس بقديم ولتفصيل الكلام فيه موضع أخر، ثمّ أنّ قوله و منهم من كلُّم اللَّه، يدَّل علىٰ أنَّ موسىٰ عَلَيْكِ قد كَلُّم اللَّه معه بدليل سائر الأيات و أمَّا

هذه الأية فلا دلالة فيها عليه فضلاً عن إختصاص التكلّم به، بل قوله، منهم، حيث أتى ، بلفظة ، من، التّي تفيد التّبعيض يدّل على أنّ موسى كان منهم لا أنّه مختّصٌ به.

المقام الثاني: قوله و رَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجْاتٍ قالوا المراد بهذا البعض هو نبينا محمّد عَلَيْظِهُ حيث أنّه عَلَيْظِهُ كان أفضل الأنبياء و أكملهم وأشرفهم وعليه إتّفاق المفسّرين من العّامة والخاصّة فيما نعلم.

و لقائل أن يقول، أمّا كون الرّسول عَلَيْكِاللَّهُ كذلك فلاكلام لنا ولا لأحدٍ من المسلمين فيه وأمّا أنّ المراد من قوله ورفع بعضهم درجات، هو الرّسول عَلَيْكِاللهُ فلا دليل عليه و على المدّعي الإثبات بل الحقّ أنّ الآية بصدد بيان مراتب الفضيلة في المرسلين و أنّهم ليسُوا علىٰ حَدٍ سواءٍ في مراتب الفضل فـقال منهم من كلّم اللّه كموسى إبن عمرن و غيره و يرفع بعضهم درجات أي و منهم من كان كذلك مثل أنَّ اللَّه تعالىٰ إتَّخذ إبراهـيم عَلَيُّكُ خليلاً وجـمع لداوود الملك و النبوّة و سخّر لسليمان الإنس والجنّ والطّير والرّيح و امثال ذلك ممّا خصّ اللّه بعض أنبيائه به دون بعض و هو يدّل عـلىٰ رفـعة شأنـهم و عـظم قدرهم عنده و لا يبعد أن يكون الرّسول أيضاً منهم بل هـو أرفـعهم شأنـاً و أعظمهم قدراً وأمّا أنّ المراد من هذا الكلام بنبّينا عَيَٰكِاللهُ فيحتاج الىٰ دليل بل سياق الكلام يأباه لأنّ الغرض من الآية بيان مراتب الفضل في الرّسل للنبي عَيْنِينَهُ ولذلك قال تعالىٰ تلك الرَّسُل أي تلك الرَّسل في القرون الماضية كانوا كذلك، وقد قالوا أنَّ، تلك، بمعنىٰ أولئك، فيكيف يكون المخاطب داخلاً فيه والله تعالىٰ أعلم بمراده.

وَاتَيْنَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتُ وَآيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ البيّنات جمع البيّنة وهي الدّلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة و سُمّي الشاهدان بيّنة لقوله عليها البيّنة على المُدّعى واليمين على من أنكر:

قال الله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه (١). قال الله تعالى: جآءَتْهُمْرُسُلُنا بالْبَيّناتِ.

و بيّنات عيسيٰ هي إحياء الموتيٰ وإبراء الاكمه و الابرص و خلق الطّير من الطّين و غير ذلك ممّا سيأتي الإشارة اليه في تفسير الأيات في المستقبل إن شاء الله تعالىٰ.

و أمّا روح القُدس فالمراد به جبرائيل عَلْيُّلْا وإختلفوا في سبب تسميته به فقال قوم سمّى به لأنه يحيى بما يأتى من البيّنات الأديان كما تحيى الارواح بالأبدان و قال الآخرون سُمّي بالرّوح لأنّ الغالب عليه الرّوحانية وكذلك سائر الملائكة و أنّما خصّ بهذا الإسم تشريفاً له.

ثالثها: أنَّه سُمَّى به و أضيف الى القُدس لأنَّه كان تبكوين اللَّه أيَّاه روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده.

رابعها: أنَّ المراد بروح القُدس الإنجيل كما سُمَّى القرآن روحاً فـى قـوله تعالىٰ وكذلك أوحينا اليك رُوحاً من أمرنا فكذلك سُمّى الإنجيل روحاً.

خامسها: أنّ الرّوح الّذي هو إسم كان عيسىٰ يُحيى به الموتىٰ.

سادسها: هو الرّوح الّذي نفخ فيه فأضافه الي نفسه تشريفاً كما قال بيت اللّه و ناقة الله، قال الطّبرسي بعد نقله الأقوال المذكورة أقوىٰ الأقوال والوجوه قوله من قال هو جبرائيل و اذا قيل لم خصّ عيسى من بين الأنبياء بأنّه مؤيّد بجبرائيل وكلّ نبّى مؤيّد به يقال له أنّما خصّ بذلك لثبُوت إختصاصه به من صِغره الى كبره فكان يسير مَعه حيث سار وكان تمثُّل لمريم عند حملها به و جزء ٣ ﴾ بشَّرها به و نفخ فيها و أمَّا القُدس فقيل معناه الطَّهر و قيل معناه البركة و قيل غير ذالك من الوجوه.

وَلَوْ شٰآءَ اللَّهُ مَااقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ ما جآءَ تْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

الضّمير في قوله: مِنْ بَعْدِهِمْ، يرجع الى الرّسل أي من بعد الرّسل قيل في معناه أي ولو شاء الله لم يقتتل الَّذين من بعد الأنبياء بأن يُلجئهم الى الإيمان و يمنعهم عن الكفر إلاَّ أنَّه تعالىٰ لم يلجئهم اليٰ ذلك لأنَّ التكلِّيف لا يحسن مع الضرّورة و الإلجاء و الجزاء لا يحسن إلاّ مع التّخلية والإختيار، و قيل معناه، لو شاء الله ما أمرهم بالقتال: مِّنْ بَعْدِ ما جْآءَتْهُمُ الْبَيِّتْاتُ لأنّ الحجّة قد تمّت بالبعث و المقصود قد حصل بإيمان من آمنَ من قبل القتال، هذا و قال الطّبري في تفسيره يعني تعالىٰ ذكره بذلك ولكن إختلف هؤلاء الّذين من بعد الرّسل لما لم يشاء الله منهم أن لا يقتّلوا، فأقتتلوا من بعد ما جائتهم البّينات من عند ربّهم بتحريم الإقتتال والإختلاف وبعد ثبوت الحجّة عليهم بوحدانيّة اللّه و رسالته رُسله و وحي كتابه فكفر باللّه وبآياته بعضهم و آمن بـذلك بـعضهم فأخبر تعالىٰ أنّهم أتوا ما أتوا من الكّفر والمعاصى بعد علمهم بِقيام الحجّة عليهم بأنّهم علىٰ خطأ تعمّداً منهم لِلكفر باللّه وآياته ثمّ قال ولو شاء اللّه ما أقتتلوا أي ولو أراد الله أن يحجزهُم بعصمته و توفيقه إيّاهم عن معصيته انّ يقتتلوا ما أقتتلوا و لا إختلفوا و لكِّن اللَّه يفعل ما يريد بأن يُوفِّق هذا لِطاعته، والإيمان به فيؤمن به و يطيعه و يخذل هذا فَيكفُر به و يعصيه إنتهيٰ ما ذكره.

وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مِّنْ ٰامَنَ وَمِنْهِمْ مِّنْ كَفَرَ وَلَوْ شٰآءَ اللّٰهُ مَااقْــتَتَلُوا وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُريدُ

أي أنّ مَنشأ القتال بينهم بعد الأنبياء هو إختلافهم في دينهم فَمنهم من آمن بِالرّسول، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله ما أقتتلوا أي ما أختلَفوا فما إقتتلوا و لكن الله يفعل ما يُريد.

أقول ما ذكروه في تفسير كلامه تعالىٰ لا يناسبه اذ لا يخلو من شائبة الجبر خصوصاً ما ذكره الطّبري لأنّ ظاهر كلامه أنّ الإقتتال فيهم كان بمشيّئته و ارادته ولو لم يشاء لم يكن والحقّ أنّ المستفاد من الآية هو أنّ منشأ الإقتتال فيهم

ئياء القرقان في تفسير القرآن كمسيم كالم

الإختلاف و تشّتت الأراء وعدم متابعتهم الحقّ فلو كانت الأمّة بعد النّبي مُتّفقة على متابعة أحكام الدّين التّي جاء بها النّبي لأمر دينهم و دنياهم لماكان بينهم إختلاف و اذا لم يكن إختلاف لم يكن إقتتال و لكن وقع الإختلاف فإقتتلوا و هذه السّببية و المسببّيته من سنّة الإيجاد في عالم الطّبيعة فقوله: وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُوا وتوضيح ذلك إجمالاً هو أنّ في المسبئة قولين:

أحدهما: أنّها و الإرادة بمعنى واحد و ذلك قول أكثر المتكلّمين حيث قالوا المشيئة كالإرادة سواء و الإختلاف في اللّفظ.

ثانيها: أنّ الفرق بينهما بأنّ المّشيئة في الأصل إيجاد الشّئ و إصابته فالمّشيئة من الله الإيجاد و من النّاس الإصابة اذا عرفت هذا فنقول أمّا على القول الأوّل أعني به وحدة المّشيئة و الإرادة فالمعنى لو أراد اللّه تكويناً عدم الإختلاف و الإقتتال ما إقتتلوا و ذلك لأنّ اللّه تعالى كان قادراً على إيجاد الإنسان خالياً عن الإختلاف و الإقتتال كما في إيجاد الملائكة ولكنّه لم يرد هذا بل خلق الإنسان قادراً على الإختلاف الموجب للقتال.

و أمّا على القول الثّاني فالمعنى في ولو شاء الله، لو أوجده الله و هو يرجع الى المعنى الأوّل و محصّل الكلام أنّ الله تعالى لم يرد إيجاد البشر في عالم التّكوين غير قادرٍ على الإختلاف و القتال ولو شاء كذلك لفعل، و أمّا بحسب التّشريع فلم يرد الإختلاف والقتال قطعاً و لذلك أمرنا بالوحدة:

قال الله تعالى: وَ اَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَ لا تَفَرَّقُوا (١). قال الله تعالى: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي اَلْأَرْضِ فَكَأَنّمًا قَتَلَ النّاسَ جَمِيعًا (٢). و سيأتى الكلام في هذه الأمور بوجه أبسط. يٰآ آيُّهَا الَّذِينَ ٰامَنُواۤ اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاتِىَ يَوْمُ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُـلَّةٌ وَلَا شَـفَاعَةٌ وّالْكَافِروُنَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٢)

#### ⊳ اللّغة

أَنْفِقُوا: الإنفاق معلوم يقال أنْفَق الشَّيِّ مضىٰ و نَفِد.

دَرَقْنا كُمُ: الرّزق تارة يقال للعطاء الجاري دنّيوياً كان أم أُخرَوياً وتارةً أُخرىٰ يقال للنّصيب، ولما يَصل الى الجوف ويتّغذى به و هو لا يختّص بالمال و لذلك يقال رُزقت علماً.

لَا بِيَنْعٌ فِيهِ: البِّيعِ إعطاء النُّمن وأخذ النُّمن و الشِّراء بالعكس.

وَلَا خُلَّةٌ: الخُلّة بضمّ الخاء مودّة متناهية في الإخلاص وصداقة قد تخلّلت القلب و صارت خلاله أي باطنه والمعنىٰ لا بَيع فيه و لا خلال أي لا مخالّة و لا مصادقة.

وَلَا شَفْاعَةٌ: الشَّفاعَة من الشَّفِع وهو ضمّ الشَّئِ الى مثله فالشّفاعة الإنضمام الى أخر ناصراً له وسائلاً عنه فأكثر ما يُستعمل في إنضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة الى من هو أدنى.

## ♦ الإعراب

أَنْفِقُوا مفعوله محذوف أي شيئاً مِمُّا ما، بمعنىٰ الذّي والعائد محذوف أي رَزقناكمُوه لا بَيْعٌ فِيهِ في موضع رفع صفة ليوم وَلا خُلَّةً أي فيه وَلا شَفْاعَةً أي فيه.

## ⊳ التّفسير

الخطاب في الآية للمؤمنين يأمرهم اللّه بـالإنفاق مـمّا رزقهم والإنـفاق المأمور به على وجه الفَرض هو الزّكاة و غيرها و قال ابن جريح يدخل في

الخطاب الزّكاة والتّطوع و قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَاتِيَ يَوْمٌ الى قوله: شَفْاعَةٌ فيه إشارة الىٰ عِظم أهوال يوم القيامة و شدائدها فأنّ المراد باليوم الذّى لا **بَيْعٌ**ُ فِيهِ وَلا خُلَّةً وَلا شَفاعَةٌ يوم القيامة فقوله: لا بَيْعٌ فِيهِ معناه لا يمكن في القيامة إبتياع حسنة و قوله: وَلا خُلَّةٌ أي لا يمكن إستجلاب الحَسنة بالمَوّدة و ذلك إشارة الى قوله: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (١) و قوله: لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وأمّا قوله وَلا شَفّاعَةٌ لهم في هذا المورد خاصّة أو المعنىٰ لا شفاعة في بعض الموارد ومنه هذا و أنَّما قلنا ذلك لأنَّ أصل الشَّفاعة في القيامة لا يقبل الإنكار إلاَّ أنَّها مقيّدة ببَعض القُيود والشّرائط و سيجئ الكلام فيها عند قوله: مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَع عِنْدَهُ إِلاَّ بِأَذْنِهِ مِفصَّلاً فسلب الخاصِّ لا يوجب سلب العامّ، و أمَّا قوله: وَالْكَافِرِوُنَ هُمُ الظَّالِمُونَ فالظَّاهر هو أنَّ المراد بالكافر في المقام السّاتر للحقّ فهو من قبيل:

قوله: وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ (٢).

و يحتمل أن يكون المراد بالكفر كفران النّعمة نحو قوله أنّ الإنسان لكفور:

و قوله: وَ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ الَّىٰ قوله: وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيًّ عَن ٱلْعَالَمِينَ (٣).

و امثال ذلك من معانى الكُفر و ليس المراد بــه الكـفر بــمعنى الشّــرك و الإرتداد ضرورة من لا ينفق و لو كان الإنفاق واجباً مثل الزّكاة، لا يعدّ من جزء ٧ الكافرين بالمعنى لا مصطلح أعنى به الشّرك مثلاً اذا لم ينكر شيئاً من الضرّوريات نعم في هذه الصّورة فهو كافر خارج عن الإسلام والأيـة ليست بصدد بيان الكُفر بهذا المعنىٰ وهو واضح و المراد بالظّلم هنا ظلمه علىٰ نفسه

٧- النور = ٥٥

١ - النجم = ٣٢

أو علىٰ غيره أن ضيع حقّه و قال بعض المفسّرين أنّما ذمّ اللّه تعالىٰ الكـافر بالظّلم و أن كان الكفر أعظم منه لأمرين:

أحدهما: للدّلالة على أنّ الكافر قد ضرّ نفسه بالخلود في النّار فقد ظلم

ثانيهما: أنّه لمّا نفي البيع في ذلك اليوم والخلّة و الشّفاعة قال وليس ذلك مِنّا بل الكافرون هم الظّالمون لأنّهم عملوا ما إستّحقوا به حرمان التّواب قال بعض المحقّقين أنّ اللّه تعالىٰ حتَّ المؤمنين في هذه الآية و أمثالها علىٰ الإنفاق ممّا رزقهم من النّعماء النّفسية والبدنيّة الجارّحية و أن كان الظّاهر في التّعارف إنفاق المال و لكن قد يراد به بذل النّفس والبدن في مجاهدة العدّو والهوىٰ و سائر العبادات و لمّا كانت الدّنيا دار إكتساب و إبتلاء والأخرة دار ثوابٍ وجزاء بيّن أنّه لا سبيل للإسان الى تحصيل ما ينتفع به في الأخرة فابتلىٰ بذكر هذه الثّلاثة لأنّها أسباب إجتلاب المنافع المفيضة اليها.

أحدها: المعاوضة و أعظمها المبايعة.

الثّاني: ما تناوله بالمّودة و هو المّسمىٰ بالصّلات والهدايا.

الثالث: ما يصل اليه بمعاونة الغير و ذلك هو الشفاعة و لما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثاً، عدالة بين الإنسان و نفسه و عدالة بينه و بين الناس و عدالة بينه و بين الله فكذلك الظلم له مراتب ثلاث ظلم الإنسان على نفسه و ظلمه على غيره و ظلمه على الله وهو الشرك به، و أعظم العدالة ما بين العبد و بين الله هو الإيمان و أعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر و لذلك قال و الكافرون هم الظالمون، أي هم المُستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم بلا مشوبة فليسارع العبد الى تقوية الإيمان بالإنفاق و الإحسان انتهى ما ذكره.

نياء الفرقان في تفسير القرآن كريج المجلد الثال

اللَّهُ لَا إِلَٰهِ اللَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و لاتَأَخُذُهُ سِنَةٍ وَلا نَوْمُ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِـي الْأَرْض مَنْ ذَاالَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهَ اللَّا بِاذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ آيْديهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحيطُونَ بِشَيِّ مِّنْ عِلْمِهَ إِلاَّ بَمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِّي الْعَظيمُ (٢٥٥)

## ∕> اللّغة

اللَّهُ: علمٌ على الأصّح للذَّات الواجب الوجود المُستجمع لجميع الصّفات الكمالّية ويعبّر عنه بإسم الجلالة وقد مضي البحث فيه في أوائل الفاتحة بما لا مزيد عليه و بيّنا هناك مأخذ إشتقاقه.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ: وهما أيضاً إسمان له تعالىٰ ياحَى ويا قُيّوم، فالحيّ إشارة الىٰ حياته تعالىٰ و القيّوم أي القائم الحافظ لكلّ شيّ والمعطي له ما به قوامه. سِنَةٍ وَلا نَوْمٌ: السِّنة بكسر السّين قيل هي النّعاسِّ وهو ماكان في العين فاذا صار في القلب صار نوماً و قيل السِّنة من الرأس والنِّعاس في العين و النَّوم في القلب و قال ابن زيد أبو سنان الّذي يقوم من النّوم و هو لا يعقل، والأصل في سِنة و سَنَة حذفت الواوكما حذفت من سين و قال الرّاغب في المفردات الموسن و السنّة الغفلة والغفوة قال: لا تَأْخُذُهُ سِنَةٍ وَلا نَوْمٌ و قال بعض أهل جزء ٣ اللُّغة، السِنَّة فتورّ يتقدّم النّوم، هو في سنة أي غفلةٍ، و السنة مصدر قلّة النّوم، النّعاس و أمّا النّوم فهو معلوم قيل في بيان ماهيّته أنّه إسترخاء أعصاب الدّماغ برطوبات البخار الصّاعد اليه و قيل هو أن يتوّفيٰ اللّه النَّفس من غير موتٍ.

كَوْسِيُّهُ: الكُرسي في تعارف العامّة إسمّ لما يقعد عليه و هو في الأصل منسوبٌ الى الكرسي أي المجتمع ومنه الكُرّ اسة لِلمتّكرس من الاوراق.

نياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🏅

وَلَا يَوُدُهُ أَي لا يثقله وأصلهُ من الأوَد، أَدّ، فيؤد أوداً، و أياداً، اذا أثقَله. الْعَلِّى الْعَظِيمُ العلّي بفتح العين وكسر اللاّم هو الرّفيع القدر مأخوذ من على، وصف الله تعالى به فمعناه، يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين.

الْعَظيمُ: بفتح العين ضدّ الصَّغير يقال عظم عظماً و عظامة فهو عظيم.

## ⊳ الإعراب

الله لا إله الآهو مبتدأ و خبر الْحَىُّ الْقَيُّومُ يجوز أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون خبراً ثانياً وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو، و أن يكون مبتدأ و الخبر، لا تأخذه، و أن يكون بدلاً من هو، أو مِن لا إله، والقيّوم، فيعول، من قام يقوم فلّما اجتمعت الواو والياء و سبقت الأولى بالسّكون قلبت الواو ياء و أدغمتا لاتّأخُذُهُ يجوز أن يكون مستأنفاً و أن يكون له موضع وفيه وجوه. أحدها: أن يكون خبراً أخر لِلّه، أو خبراً للحيّ أو أن يكون في موضع الحال من الضّمير في القيّوم أي يقوم بأمر الخلق غير غافل سِنةٍ أصلها، وسِنة، والفعل منه، وسَن يسن مثل، وَعَد يَعُد فلمّا حذفت الواو في الفعل حُذفت في المصدر وَلا نَوْمُ قيل، لا زائدة للتوكيد و فائدتها أنها لو حذفت لاحتمل الكلام أن يكون لا تأخذه سنة و لا نوم في حالة واحدة فاذا قال، ولا نومٌ نفاهما على كلّ حال له ما في السّموات يجوز أن يكون خبراً أخر لما تقّدم و أن يكون مستأنفاً.

## ⊳ التّفسير

الله لا إله إلا هُو الْحَقُ الْقَيُّومُ يعني الذَات المستجمعة لجميع الكمالات والخيرات لأنّه تعالىٰ لمّاكان صرف الكمال و محض الخير فلوكان فاقداً لكمال وخير من حيث هماكمال وخير لتركب ذاته من الكمال و الخير وفقدهما فتحقّق فيه شيٍّ و شيٍّ و هذا خلفٌ و السّر فيه هو أنّه تعالىٰ بسيط

الحقيقة و صرف الكمال و لا ميز في صرف الشِّئ اذ الشِّئ لا يتثَّني و لا يتكرّر بنفسه كما قال الحكماء صرف الوجود الذِّي لا اتمَّ منه كلَّما فرضت له ثانياً فهو هو لا غيره لأ الله الآالله كلمة، لالنفي الجنس، وإله، إسمّ لكلّ معبودٍ لهم لأنّه مشتق من، أَلَه بمعنى عبد و قيل من ألِه بكسر اللَّام بمعنىٰ تحيَّر فقوله لا إلَّه نفي لجنس المعبود أي لا مَعبود، إلا الله إلاّ لذّات الواجب الوجود و قيل أصل، الله، إله، فحذفت همزته وأُدخل عليه الألف و اللام فَخصّ بـالباريّ تعالىٰ وكيفكان ففي قوله تعالىٰ: لا اللهِ اللَّا هُوَ نفي الألهة بالكلِّية في قوله: لا إِلَّهُ و إثبات الألوهيّة للذّات الواجب في قوله: إلاّ هُوَ و مرجع الضّمير، اللّه أي لا إله إلاَّ اللَّه، في صدر الكلام كما هو الظَّاهر لأهل الظَّاهر من المفسّرين و أمَّا أن قلنا أنّ هذه الكلمة إشارة الى مقام الهُوّية المحضة والغَيب المطلق الّذي هو خال عن جميع التّعينات و الصّفات و الأسماء بحيث لا يمكن التّعبير منه إلاّ بكلمة هو، فالمعنىٰ نفى المَعبّودية عن كلّ ما سواه وإثباتها لمقام الهُوّية المحضة أي لا معبود إلا هو، و الى هذا المقام أشار الله تعالىٰ في سورة الإخلاص بقوله: قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدُ فقدّ م مقام الهُوّية على مقام الإسم الدّال على ا المُسمّىٰ وسيأتي الكلام في هذه الدّقيقة هناك إن شاء الله تعالىٰ و مـلّخص الكلام في المقام هو أنَّه علىٰ التفسّير الظَّاهر المشهور يرجع الكلام اليٰ لا اله إلاَّ اللّه كما مرّ و على الثّاني يرجع الىٰ لا إله إلاّ هو أي لا إله إلاّ ذاته المُجّرد عن الأسماء و الصّفات و الفرق بين المقامين مشكل للعوام (الحَيّ القَيّوم) قال جزء٣﴾ الشّيخ في التّبيان، والحَيّ هو من كان علىٰ صفةٍ لا يستحيل مَعها كونه عالماً قادراً و أن شئت قلت هو من كان على صفةٍ يجب لأجلها أن يدرك المدركات اذا وجدت و القَيُّوم قيل في معناه أربعة أقوال:

أحدها: قال الحَسَن أنَّه القائم علىٰ كلِّ نفس بماكسبت حتَّىٰ يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفيٰ عليه شئ منه.

الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🔭 🗲 ال

الثّاني: قال سعيد بن جبير أنّ معناه الدّائم الوجود.

الثّالث: قال قتادة معناه القائم بتدبير خلقه.

الزابع: قال قوم أنّ معناه العالم بالأمور من قولهم فلان قيّوم هذا الكتاب أي عالم به انتهى .

ما ذكره و قال الطّبرسي في الحَىّ كما قال الشّيخ مَثِنَّ و قد بيّناه و في القيّوم، القائم بتدبير خلقه من أنشأئهم ابتداء وإيصال أرزاقهم اليهم نقله من قتادة ثمّ ذكر سائر الأقوال المذكورة و الحاصل أنّه لم يأت بشيّ جديد في تفسيرهما غير ما نقلناه عن التّبيان، و قال القُرطبي من العامّة، الحّيّ إسمّ من أسماءه الحُسنىٰ يُسمّىٰ به ويقال أنّه إسم اللّه تعالىٰ الأعظم، ثمّ نقل عن الطّبري أنّه قال يقال حَيّ قيّوم كما وصف ويسلّم ذلك دون أن يُنظر فيه، ثمّ قال القُرطبي وقيل سمّىٰ نفسه حيّاً لصرفه الأمور مصاريفها و تقدّيره الأشياء مقاديرها، و فقل عن قتادة أنّه قال الحَيّ، الذي لا يموت و من السّدي، الحَيّ الباقي انتهىٰ. وقال في الكشّاف، الحَيّ، الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو علىٰ وقال في الكشّاف، الحَيّ، الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو علىٰ

وقال في الكشّاف، الحَيّ، الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على إصطلاح المتكلّمين الذّي يصّح أن يعلم و يقدر، والقيّوم الدّائم القيام بتدبير الخلق و حفظه انتهى.

و قال البيضاوي، الحَيِّ الذِّي يصّح أن يعلم ويقدر وكلِّ ما يصّح له فـهو واجب لايزول لإمتناعه عن القّوة والإمكان، والقيّوم الدَّائم القيام بتدبير الخلق انتهىٰ.

أقول هذه الأقوال هي رؤوس كلماتهم في تفسير هذين اللفظين وأنّما نقلنا اقوالهم ليكون النّاظر فيها على بصيرةٍ فيما نذكره فنقول:

أنّ الحياة تستعمل علىٰ وجوهٍ:

الأوّل: للقوّة النّامية الموجودة في النّبات والحيوان و منه قيل نباتٌ حَيّ و حيوان حيّ واليه الإشارة:

جزء٣)

```
قال الله تعالى: إعْلَمُوٓا أَنَّ ٱلله يُحْى ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها (١)
                    قال الله تعالى: وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا (٢).
```

قال الله تعالى: و جَعَلْنا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيّ (٣).

الثّاني: للقوّة الحسّاسة وبه سُمّى الحيوان حيواناً:

قال اللّه تعالى: وَ مَا يَسْتُوى الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمُواٰتُ<sup>(۴)</sup>.

قال الله تعالىٰ: أَلَمْ نَجْعَل ٱلأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءً وَ أَمُواتًا (<sup>(۵)</sup>.

قال الله تعالى: إنَّ الَّذِيِّ أَحْيَاهَا لَمُحْي ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَمَيْءٍ

فَقُولُه: أحياها إشارة الى القُّوة النَّامية وقوله لمُحى الموتى إشارة الى القُّوة الحسّاسة.

الثّالث: للقوّة العاقلة العاملة ومنه:

قال الله تعالى: أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ<sup>(٧)</sup>

و قول الشّاعر:

وقد ناديتَ لو أسمعتَ حيّاً ولكن لا حياة لِمن تُسنادى الرّابع: عبارةٌ عن إرتفاع الضَّم واليه أشار الشّاعر بقوله:

كيس من مات فإستراح بميتٍ أندما الميت مَسيّتُ الأحياء وقال الله تعالىٰ: وَ لا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ ٱللهِ أَمْواٰتًا بَلْ أَحْيآءُ عِنْدَ  $_{f c}$ رَبّهمْ يُرْزَقُونَ $^{(\wedge)}$ .

أي هم متلذّذون لما روي في أخبار كثيرة في أرواح الشّهدا.

الخامس: الحياة الأخرّوية الأبدّية و ذلك يتوصّل اليه بالحياة الّتي هي العقل والعلم:

٧-ق = ١١

١- الحديد = ١٧

٢٢ = الفاطر = ٢٢ ٣- الانساء = ٣٠

۵- المرسلات = ۲۵/۲۶

٧- الانعام = ١٢٢

ع- الفصلت =٣٩

٨- آل عمران = ١٤٩

نياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَلَيْ ﴾ العجلا

قال اللّه تعالى: أَسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْييكُمْ (١). قال اللّه تعالى: فا لَيْتَنَى قَدَّمْتُ لِحَيْاتِي (٢). يعني بها الحياة الأُخرَوية الدّائمة.

السادس: الحياة التّي يوصف بها الباريّ تعالى وهذه هي المراد في المقام إختلفوا في المراد بها فيه تعالىٰ بعد إتَّفاقهم علىٰ أصل وجودها وثبوتها في حقِّه فقال جمهور المتكلِّمين أنَّها صفة توجب صحّة العلم و القُدرة قال العلاَّمة الحلِّي تَنْيُّنُّ في شرح التَّجريد عند قول المَصنف وكلُّ قادرِ عالم حَيّ بالضّرورة، ما هذا لفظه إتّفق النّاس علىٰ أنّه تعالىٰ حَىّ وإختلفوا في تفسّيره فقال قوم أنّه عبارة عن كونه تعالىٰ لا يستحيل أن يقدر و يعلم و قال أخرون أنّه من كان على صفة لا جلها يصّح أن يعلم ويقدر ثمّ قال مَنْ إِنَّ والتحقّيق أنّ صفاته تعالىٰ أن قلنا بزيادتها علىٰ ذاته فالحياة صفة ثبُوتية زائدة عـلىٰ الذَّات و إلاَّ فالمرجع بها الى صفة سلبّية و هو الحقّ و قد بَيّنا أنّه تعالىٰ عالمٌ قادرٌ فيكون بالضّرورة حيّاً لأنّ ثبوت الصّفة فـرع عـدم إسـتعالتها انـتهيٰ مـاذكـره و قـال القوشجي في شرحه عند كلام المصنّف إتّفق جمهور العقلاء على أنّه تعالىٰ حَيّ وإختلفوا في معنىٰ الحياة فقال جمهور المتّكلمين أنّها صفة توجب صحّة العلم والقدرة الحكماء و أبو الحسين البصري من المعتزلة أنّها كونه بحيث يصّح أن يعلم و يقدر انتهيٰ.

أقول ما نسبه القوشجي الى الحكماء ليس بصحيح و ذلك الأنهم يقولون الحَيّ هو الدَّراك الفَعال و الحَيّ هو الدَّراك الفَعال و هذان الوصفان له تعالى بذاته ومعنى قولى بذاته أنّ وجوده تعالى حياته فأنّ وجوده تعالى هيئ.

قال بعض الفلاسفة بعد نقله ما نقلناه عنه ما هذا لفظه، و محصول كلامه أنّه

تعالىٰ حيّ بذاته بمعنىٰ أنّ وجوده الّذي هو عين ذاته مصدر لأثر الإدراك و أفعال الحياة فيصدّق علىٰ ذاته بحيث يَصدر عنه أفعال الحياة و آثار الإدراك إنتهي.

و قال الصّدر الشيرازي في الأسفار ما حاصله أنّ الحياة الّتي تكون عندنا في هذا العالم تتّم بإدراكٍ و فعل و الإدراك في حقّ أكثر الحيوانات لا يكون غير الإحساس كما أنّ الفعل لا يكون إلاّ التحرّيك المكاني المنبعث عن الشّوق و حَيثُ أَنَّ هذين الأثرين مُنبعثان عن قُوتِّين مُختلفتين أحديهما مدركة و الأخرىٰ مُحركة فلاجَرم من كان إدراكه أشرف من إحساسه كالتّعقل و نحوه و كان فعله أرفع من مُباشرة التّحريك كالإبداع و شبهه، يكون أوليٰ بإطلاق إسم الحياة عليه و ذلك لأنَّ، من كان مبدأ ادراكه بعينه هو نفس مبدأ فعله من غير تغاير أيضاً أحّق بهذا الإسم لبرائته عن التّركيب إذا التّركيب مستلزم للإمكان و الأفتقار لإحتياج المركّب في قوام وجوده اليٰ غيره و الإمكان ضربٌ من العدم المقابل للوجود والموت المقابل للحياة والدّثور المقابل للبقاء فالحقّ الحقيقي ما لا يكون فيه تركيب أصلاً، إذا عرفت هذه المقدمة فنقول لاشك في انّ واجب واجب الوجود بسيط الحقيقة أحدى الذّات و الصّفة فردّانى القوّة والقُدرة وأنَّ نفس تعقَّله للأشياء هو نفس صدورها عنه وأنَّ معنيٰ واحداً بسيطاً منه عقل لِلكلِّ ومَنشأ لِلكلِّ فهو أحقّ و أليق بإسم الحياة من جميع الأحياء كيف و هو مُحيى الأشياء ومُعطى الوجود وكمال الوجود كالعلم و جزء٣﴾ القُدّرة لكلّ ذي وجودٍ وعلم وقُدرةِ انتهىٰ ملّخصاً.

أقول الحقّ أنّ الواجب تعالى صرف النّور و محض الوجود و قد ثبت في موضعه أنّه عالم بالأشياء قادر عليها و قد ثبت أيضاً أنّ علمه بها حُضوّري بمعنىٰ حضور الأشياء عنده لا حصولًى كسبى كما هو في حقّنا كذلك فحينئذٍ علمه بها و قدرته عليها لا يتّم إلاّ بعد كونه حيّاً و هو واضح و صورة القياس

هكذا، و قد تُبت أنّه تعالىٰ عالمٌ قادر، وكلّ من هو كذلك فهو حيٌّ فاللّه تعالىٰ حيٌّ و هو المطلوب.

ثانياً: أنّه تعالىٰ مُحى الموجودات و موجدها، وكلّ من كان كذلك فهو حَيِّ الأنّ مُعطى الشئ لا يكون فاقداً له فهو حَيِّ .

ثالثاً: قد ثبت أنّ الممكن يحتاج في بقائه الى المؤثر كما أنّه يحتاج اليه في حُدوثه ومن المعلوم أنّ المؤثر المعدوم لا أثّر له فالمؤثر موجود المطلوب.

هذا كلّه من طريق العقل وأمّا النّقل أعني به الأيات والأخبار الدّالة علىٰ كونه تعالىٰ حَيّاً فلانحتاج الىٰ ذكرها.

و أمّا القيّوم فقد عرفت ممّا سبق أنّ المفسّرين فسّروه بأنّه قائم بذاته و مدبّر لخلقه، والحقّ في معناه هو أنّه القائم بذاته و ما سواه قائم به كما قيل بالفارسيّة:

زير نشين عَلَمت كاننات ما بيتو قائم چه تو قائم بذات فيصير المعنىٰ أنّه الحّي القائم بالذّات والحافظ لغيره بقيامه به بمعنىٰ أنّ ما سواه كائناً من كان لا قوام له بذاته وهذا هو معنىٰ الفقر الذّاتي الثابت لجميع الممكنات المشار اليه في قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرْآءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُو النّفينُ الْمُعَنِيُّ الْمُعَمِدُ (١) قال رسول الله الفقر سواد الوَجه في الدّارين كما قيل: سيه روني زمُمكن در دو عالم جددا هركز نشد والله أعلم هذا ما فهمنا من الآية الشّريفة، وكم ترك الأوائل للاواخر:

لاَتَأَخُذُهُ سِنَةِ وَلا نَوْمٌ نهى الله تعالى في هذا الكلام السِنّة و النّوم عن ذاته و قد قلنا أنّ السِنّة بكسر السّين النّعاس و هو النّوم الخفيف أو مقدمة النّوم أو ما شئت فسمّه و أمّا النّوم فقيل أنّه إسترخاء أعصاب الدّماغ برطوبات البخار

الصَّاعد اليه واللَّه تعالىٰ مُنزَّةٌ عن السِّنة والنَّوم و ذلك لأنَّه من لوازم الأجسام التي لها أرواح البُخاريّة كالحيوان والإنسان وحيث قد ثبت أنّه تعالى منزّه عن الجسم و الجسمانيّات فلا يتّصف بهذه الأوصاف الّتي هي من شؤن المرّكبات هذا أولاً.

ثانياً: أنَّ النَّوم والشُّهو و الغفلة و امثال ذلك أمَّا أن تكون عبارات عـن عـدم العلم أو عبارة عن أضداد العلم و علىٰ التّقديرين فجواز طريانها فيه يقتضي جواز زوال العلم عنه تعالى ولوكان كذلك لكانت ذاته بحيث يصّح أن يكون عالماً و يصّح أن لا يكون عالماً فحينئِذ يفتقر حصول صفة العلم له الي الفاعل و الكلام فيه كما في الأوّل فيتسلسل و التّسلسل محال فلابدّ و أن ينتهي الين من يكون علمه صفة واجبة الثّبوت ممتنعة الزّوال و اذا كان كذلك فالنوّم و أمثاله من الغفلة والسّهو و السّنة عليه محال و هو المطلوب.

أن قلت إذا كانت السّنة ما يتقدّم من الفُتور الّذي يسمى النّعاس أو هي مقدّمة النّوم و امثال ذلك من التّعابير فذكرها في الآية مُستغن عن ذكر النّوم ضرورة من لا تأخذه سِنة لا يأخذه، نومٌ بطريق أولىٰ فكان ذكر النّوم بعدها تكريراً لا فائدة فيه، قلنا في الجواب هبّ أنّ الأمر ليس كما توهّمت و ذلك لأنّ تقدير الآية لا تأخذه سِنة فضلاً عن أن يأخذه النّوم والسِّر العقلي في إستحالتهما فيه تعالىٰ هو أنَّ النَّوم يوجب الغفلة خفيفاً كان مثل النَّعاس أو ثقيلاً مثل النَّوم فأنَّ النَّائم جزء ٣ ﴾ غافل و الغفلة توجب قطع الفيض عن المُفيض علىٰ المُستفيض وقطع الفّيض من الفّياض يوجب إمحاء المستفيض عن صفحة الوجود لأنّ المراد بالفيض في المقام إفاضة الوجود آناً فآناً ومن المعلوم أنّ قطعها يوجب عَدَمه و هو كما ترى فالنّوم وأشباهه ممّا يوجب الغفلة في حقّه محال مضافاً الى أنّه من شؤن الجسم و هو تعالىٰ مُنزّه عنه كما مرّ أنفا.

لّهُ مَا فِي السَّمَوٰاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اللّم في قوله: لَه لِلملك أي أنّه تعالىٰ مالك السّمُوات والأرض و اذا كان مالكاً لهما فهو مالك لِما فيهما من الموجودات بطريق أولَىٰ فلا شئ في عالم الوجود إلا و هو تعالىٰ مالكه والدّليل عليه من العقل هو أنّه تعالىٰ خالق السّمُوات والأرض و ما فيهماكان خالقاً موجوداً لهما فهو مالك لهما حقيقة و هو المطلوب.

ثمّ أنّ المالكية على ضربين حقيقية، وإعتبّارية فالحقيّقية عبارة عن المُلك الذي يكون للمالك بنفس ذاته، والإعتبارية عبارة عمّا لا يكون كذلك بل كان حاصلاً له بسبب الغير وإعطاءه إيّاه.

أو نقول الحقيقته عبارة عن المُلك الذي يكون ثابتاً للمالك دائماً بحيث لا يقدر على ازالته منه و الإعتبارية ما لا يكون كذلك و على كلا التقديرين فهو تعالى مالك لهما حقيقة فمن حيث أنّه خالق موجد لما سواه فهو مالك له بنفس ذاته و من حيث أنّ الملك ثابت له ولا يمكن لأحد أخذه منه و ازالته عنه فهو مالك حقّاً، و عليه فلا مُلك لأحد سواه في الحقيقة و أنّما هو بإعطاء الغير إيّاه و هو مع ذلك لا دوام له فما وسى اللّه تعالىٰ لا يكون مالكاً لشي إلا بالإعتبار:

قال الله تعالىٰ: ماعِنْدُكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدُاللَّهِ بَاقِ(١)

قال اللّه تعالىٰ: قُلِ ٱللّٰهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ثُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشْآءُ (٢)

قال الله تعالى: لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَ لاضَرَّا(٣)

قال الله تعالى: أمْ مَنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ (٢)

قال الله تعالى: قُلْ لآ أَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعًا وَ لا ضَرًّا (٥) و أمثالها كثيرة.



۲- آل عمران = ۲۶

۴- يونس = ٣٢

١ - النحل = ٩٤

٣- الرعد = ١۶

۵- الاعراف = ۱۸۸

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريم المجلد

ففي هذه الأيات سَلَب اللّه تعالىٰ المُلك عن غيره و لازم ذلك إثباته له فأن العبد و ما في يده كان لمولاه وهذا النّفي يرجع الىٰ ما ذكرناه أي أنّكم لا تملكون شيئاً حقيقية وأنّما هو منسوب اليكم بحسب الإعتبار وأن شئت قلت المُلك له تعالىٰ والمِلك لنا فأن كلّ مُلك مِلك وليس كلّ مِلك مُلك مُلك مُلك المُلك بضم الميم حقيقي و بكسر الميم إعتباري و لذلك قال تعالىٰ: لِمن الْمئلك بضم الميم كما في اليوم ولم يقل لمن الملك فإذا كان اللّه تعالىٰ مالِك المُلك بضم الميم كما في قوله تعالىٰ: قُل اللّهُم مُالِك المُلك فهو تعالىٰ مالِك المملك بطريق أولىٰ فهو مالك الكلّ لأنّه خالق الكلّ وهو واضح وأنّما قال، له ما في السّموات وما في الأرض، ولم يقل له من في السّموات و من في الأرض، لأنّ، كلمة، من، تشمل ذوي العقول و غير ذوي العقول ذوي العقول و غير ذوي العقول فالمعنىٰ أنّهما و ما فيهما من الموجودات له تعالىٰ حقّاً لا إعتباراً و هو كذلك عقلاً و نقلاً.

مَنْ ذَاللَّه مِيشْفَعُ عِنْدَهَ اللَّه بِإِذْنِهِ أي من ذا الّذي يَشَفع لغيره عند اللّه إلاّ بأذن الله ويفسر هذه الأية:

قال اللّه تعالىٰ: لا تَنْفَعُ اَلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمَٰنُ (١).

قال الله تعالى: لا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْدًا (٢).

قال الله تعالى: و لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضْى (٣) و أمثالها كثيرة.

قد قلنا في تفسير اللّغات أنّ الشّفاعة مِن الشّفع و هو في الأصل ضمّ الشّئ جزء ٣ الى مثله ويقال للمشفّوع شَفع قال الرّاغب الشّفاعة الإنضمام الى أخر ناصراً له و سائلاً عنه و أكثر ما يستعمل في إنضمام من هو أعَلىٰ حرمةً و مرتبةً الىٰ من على أَذَىٰ و منه الشّفاعة في القيامة انتهىٰ.

۲- مريم = ۸۷

۱-طه = ۱۰۹

فعن النّوري في شرح صحيح المُسلم أنّه قال، قال القاضي عياض مَذهب أهل السنّة جواز الشّفاعة عقلاً و وجوبها سمعاً بصريح الأيات و بخبر الصّادق عَيَّكِاللهُ و قد جاءت الأثار التّي بلغت بمجموعها التّواتر بصّحة الشّفاعة في الأخرة لمُذنبي المؤمنين وأجَمع السّلف الصّالح و مَن بعدهم أهل السُنة عليها و منعت الخوارج و بعض المعتزلة منها و تعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النّار و احتّجوا بقوله تعالىٰ: فَما تَنْفَعُهُمْ شَعَفَاعَةُ الشّافِعينَ (۱) و أمثاله و هي الكفّار و أمّا تأويلهم أحاديث الشّفاعة بكونها زيادة في الدّرجات فباطل و ألفاظ الأحاديث في الكتاب و غيره صريحة في بطلان مذهبهم و اخراج من إستوجب النّار ثمّ قال لكنّ الشّفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختّصة بنّبينا عَلَيْظِهُ و هو الإزاحة من هول الموقف و تعجيل الحساب.

الثّانية: في إدخال قوم الجنّة بغير حساب و هذه أيضاً وردت لنبّينا عَلَيْظِاللهُ. الثّالثة: الشّفاعة لقوم استوجبوا النّار فيشفع فيهم نبّينا عَلَيْظِاللهُ ومَن يشاء اللّه. الزّابعة: فيمن دخل النّار من المؤمنين و قد جاءت الأحاديث بإخراجهم منها بشاعة نبّينا عَلَيْظِاللهُ و الملائكة و أخوانهم من المؤمنين ثمّ يخرج اللّه تعالىٰ منها بشاعة نبّينا عَلَيْظِاللهُ و الملائكة و أخوانهم من المؤمنين ثمّ يخرج اللّه تعالىٰ



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

جزء٣

كلّ من قال لا إله إلاّ اللّه كما جاء في الحديث لا يبقىٰ فيها إلاّ الكافرون.

الخامسة: الشّفاعة في زيادة الدّرجات في الجنّة لأهلها و هذه لا ينكرها المعتزلة و لا ينكرون أيضاً شفاعة الحشر الأُولىٰ انتهىٰ.

و قال العلامة الحلّي مَنْ فَي شرح قول المُصّنف في التّجريد (و الاجماع على الشّفاعة فقيل لزيادة المنافع و لا يبطل منّا في حقّه) ما لفظه، إنَّفقت العُلماء على ثبوت الشّفاعة للنّبي عَيَّلِالله ويدّل عليه قوله تعالى: عَسْتَ أَنْ يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (١) وقيل أنّه الشّفاعة وإختلفوا فقالت الوعيدية أنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المُستحقين للنّواب و ذهبت التّفضيلية الى أنّ الشّفاعة للفساق من هذه الأمّة في إسقاط عقابهم و هو الحقّ و أبطل المصنف عَلَيْ الأول بأنّ الشّفاعة لو كانت لزيادة المنافع لا غير لكنّا شافعين للنّبي عَلَيْ اللّه على من اللّه تعالى عُلُو الدّرجات والتالي باطل قطعاً لأنّ الشّافع أعلى من المشفوع فيه مثله انتهى.

ثمّ أنّهم أي الوّعيدية إستّدلوا على مذهبهم و هو أنّ الشّفاعة أنّما هي في زيادة المنافع بوجُوو:

الأوّل: قوله تعالىٰ: ما لِلظّٰالِمِينَ مِنْ حَميمٍ وَ لا شَفيعٍ يُطاعُ (٢) تقرير الإستّدلال أنّ اللّه تعالىٰ نفىٰ قبول الشّفاعة في حقّ الظّالمين والفاسق ظالم فالشّفاعة في حقّه منتفية و هو المطلوب.

و أُجيب عنه بأنّه تعالىٰ نفى الشّفيع المطاع ونحن أيضاً نقول به لأنّه ليس في الأخرة شفيع يطاع لأنّ المطاع فوق المطيع و اللّه تعالىٰ فوق كلّ موجود و لا أحد فوقه و لا يلزم من نفي الشّفيع المطاع نفي الشّفيع المجاب وكلامنا فيه. ثانياً: لم لا يجوز أن يكون المراد بالظّالمين هنا الكفّار جمعاً بين الأدلّة.

الثَّالَث: قوله تعالىٰ: وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ (٢)

قال الله تعالىٰ: يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا(٣)

قال اللّه تعالىٰ: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَنَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ (٢)

والجواب عن هذه الأيات كلِّها أنَّها مختصَّة بالكفَّار جمعاً بين الأدَّلة.

الرّابع: قوله تعالى: و لا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ٱرْتَضَى (٥) نفى شفاعة الملائكة عن غير المرّضي لِلّه تعالى و الفاسق غير مرتضى والجواب أنّا لا نسلم أنّ الفاسق غير مرتضى لِلّه في إيمانه فَنَبت و تحقّق أنّ الشّفاعة ثابتة للنّبي عَلَيْكِالله أو كلّ من أذن اللّه له الشّفاعة في حقّ الفساق وأهل الكبائر من الأُمّة و لا مانع منها نقلاً بل الأيات تُؤيّدها.

و قوله عَيَّاللهُ إِدَّحْرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي حديث مشهور بين العامّة والخاصّة.

ثمّ إعلم أنّ المفسّرين من أهل السُنة أمثال الطبّري و السّيوطي والرّازي و القُرطبي و البيضاوي و صاحب الكشّاف و غيرهم مع أنّهم من أعاظم علماؤهم بالإتفاق لم يتكلموا في الشّفاعة إلاّ على سبيل الإشارة عجيبٌ و أمّا في مذهب أهل البيت فقد وردت أخبار كثيرة في جوازها و وقوعها و نحن نشير الى شطر منها تيمّناً و تبرّكاً فنقول:

روى في البحار بأسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله عَيَّ الله عَيَّ الله عَيَّ الله عَيَّ الله عَيَّ الله لكلّ نبّي دعوة قد دَعى بها وسأل سؤالاً و قد أخبأتُ دَعوتي لشفاعتي لأُمّتي يوم القيامة انتهى.

<sup>،</sup> نصير القرآن \كينكم المجلداً

٢- البقرة = ١٢٣

۴- المدثر = ۴۸

١ - البقرة = ٢٧٠
 ٣ - البقرة = ٤٨

۵- الانساء = ۲۸

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمسيم الم

و أيضاً بأسناده قال رسول الله عَلَيْ الله عَرَاللهُ: ثلاثة بشفعُون الى الله عز وجلّ فَيشفعون، الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشّهداء انتهى.

و عن الأربع مائة قال أمير المؤمنين عليه الاتعنونا في الطّلب والشّفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم و قال عليه لل الشفاعة و لأهل موّدتنا شفاعة انتهى.

و بأسناده عن الرّضا عليه عن أبيه عن أباءه عن أمير المؤمنين عليه قال: قال رسول الله عَلَيْهِ من لَم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي و من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثمّ قال عَلَيْهِ أَنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي فأمّا المُحسنون فما عليهم من سبيل قال الرّواي فقلتُ للرّضا عليه عني قول الله عزّ وجلّ: ولا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ أَرْتَضَى قال عليه لا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ أَرْتَضَى قال عليه لا يَشْفَعُونَ إلّا لِمَنِ أَرْتَضَى قال عليه لله دينه انتهي.

و بأسناده عن أبي عبد الله الصّادق قال عليه إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجُّون الى ربّهم و يقولون يا ربّ أكشف عنّا هذه الظّلمة قال عليه فيقبل قوم يمشي النّور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله فيُجيئهم النّداء من عند الله ما هؤلاء بأنبياء فيقول أهل الجمع فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النّداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة فيقول أهل الجمع هؤلاء شهداء فيجيبهم النّداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة فيقول أهل الجمع هؤلاء شهداء فيجيبهم النّداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء فيقولون من هم فيجيبهم النّداء يأهل الجمع سَلُوهُم من أنتم فيقولون نحن ذرّية محمّد رسول يأهل الجمع سَلُوهُم من أنتم فيقولون نحن ذرّية محمّد رسول الله عَنْ أولاد علي ولي الله نحن المخصوصُون بكرامة الله نحن الآمنون المُطمئنون فيُجيبهم النّداء من عند الله عز وجلّ نخن الأمنون المُطمئنون فيُجيبهم النّداء من عند الله عز وجلّ إشفعوا في مُحبيكم و أهل مُودّتكم و شيعتكم فيشفعون إنتهي (1)

ئىياء الفرقان فى تفسير القرآن 🗸 💃

أقرل و يظهر من هذا الحديث أنّ الشفاعة يوم القيامة لا تختّص بالرّسول عَلَيْكِاللهُ كما زعم أهل السّنة بل هي ثابتة في ذريته أيضاً بل يظهر من الأخبار ثبوتها في حقّ الشّيعة أيضاً.

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد الله على قال: شيعتنا من نور الله خلقوا واليه يَعوذُون والله أنكم لمُلحَقون بنا يوم القيامة وإنّا لِنشفع و يشفعُون وما من رجلٍ منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنّة عن يمينه فيدخل أحبّائه الجنّة وأعدائه النّار إنتهى (١).

و بأسناده عن الصّادق علي الله قال: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا، المِعراج والمسائلة في القبر، والشّفاعة إنتهي.

و بأسناده عن معاوية بن وهب قال: سئلتُ أبا عبد الله عن قول الله تبارك وتعالى: لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قَالَ صَوابًا قال عليه الله نحن والله المأذون لهم في ذلك والقائلون صواباً قل جعلتُ فداك و ما تقولون إذا كَلمتُم قال عليه لله على نبيّنا ونشفع لشيعتنا فلا يردّنا ربّنا إنتهى.

و بهذا الأسناد قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه و قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم، قال عليه: نحن أولئك الشّافعون، و بأسناده عنه عليه في قول الله فما لنا من شافعين و لا صديق حميم، قال عليه الشّافعون الأئمة والصّديق من المؤمنين إنتهى. و بأسناده عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه أنّ لرسول الله عَيَيْلُهُ شفاعة في أُمّته إنتهى.

و بأسناده عنه علي قال: للنبي شفاعة في أُمتّه ولنا شفاعة في شيعتنا و لشيعتنا شفاعة لأهل بيتهم إنتهي.

و من طريق العّامة عن أبي هُريرة قال: قال النّبي عَيَّالِللهُ الشّفعاء خمسة، القرآن و الرَّحم و الأمانة و نبّيكم و أهل بيت نبّيكم إنتهىٰ. و بأسناده عن الرّضا عليه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه قال: قال رسول الله عَيَّالهُ إذا كان يوم القيامة ولّينا حساب شيعتنا فَمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجلّ حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمة فيما بينه و بين النّاس استوجبناها فوجبت لنا ومن كانت مظلمة فيما بينه و بين النّاس استوجبناها فوجبت لنا ومن

أقول الأحاديث الواردة في الباب كثيرة جدّاً فَمن أراد الإطّلاع على أكثر ممّا نقلناه فَعليه بمراجعة البحار باب الشّفاعة وغيرها من الكتب المفّصلة وأنّما أطلنا الكلام في الشّفاعة ونقلنا الأخبار فيها أكثر من سائر المفسّرين لندخل في زمرة المَشفوعين لهم يوم القيامة إن شاء اللّه تعالىٰ آمين ياربّ العالمين.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ آيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحيطُونَ بِشَيٍّ مِّنْ عِلْمِهَ اللّٰ بَـمَا شَآءَ.

الضّمير في قوله: أيْديهِم وما خَلفهم قيل أنّهما عائدان على كلّ مَن يعقل مِمّن تَضمنه قوله: لله في السَّمْواتِ وَ الْأَرْضِ و قيل المراد بقوله: ما بَيْنَ اَيْديهِم الدّنيا ويقوله: وَمَا خَلْفَهُم الأخرة، و قيل المراد أنّه تعالى يعلم ماكان قبلهم ممّا مضى، وما يكون بعدهم ممّا يأتي وأمّا قوله: وَلا يُحيطُونَ بِشَيْ قِبْلهم ممّا مضى، وما يكون بعدهم ممّا يأتي وأمّا قوله: وَلا يُحيطُونَ بِشَيْ مِنْ عِلْمِهَ إلا بَمَا شَآءَقالوا أي من معلوماته تعالى و عليه فيصير المعنى، لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه هكذا قالوا في تفسير كلامه تعالى والّذي يُقوي في نفسي في تفسير كلامه تعالى هو أنّ الآية بصدد بيان دقيقة خفية وهي أنّ أصل العلم منه تعالى مثل الوجود فكلّما علمه النّاس أو يعلمه هو من

اء الغرقان في تفسير القرآن كريج العجلد الثا

إفاضات علمه وحيث أنّ الخالق لمكان خالقيته وعلّيته محيطً على المخلوق كما هو شأن العلّة فلا جرم يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم، وأمّا المخلوق حيث صار مُحاطاً فلا يكون مُحيطاً قطعاً و اذا لم يكن مُحيطاً بخالقه و موجده فلا يعلم من علمه إلاّ بما شاء أي إلاّ بما أعطاه منه وكيف كان ففيه دلالة على عجز المخلوق و ضعفه و جهله و سيأتي الكلام في أمثال هذه المسائل في تضاعيف الكتاب قال اللّه تعالى: وَ مَا أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلْيلًا (١).

وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا وَهُوَ الْعَلِّى الْعَظيمُ.

قد مَرَ منا في شرح اللّغات أنّ الكُرّسي في تعارف العامّة إسمّ لِما يُقعد عليه قال اللّه تعالى: وَ أَلْقَيْنا عَلَى كُرْسِيِهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٢) و هو في الأصل منسوب الى الكُرسي أي المُجتَمع وحيث أنّ الكُرسي بمعناه المتعارف يقال لما يُقعد عليه وكلّ قاعد جسم فيلزم أن يكون اللّه جسماً و هو منزّه عنه لا جرم حملوا الكُرّسي في الآية و أمثالها على معنى أخر و قد قيل فيه وجوه:

فقد روي عن ابن عبّاس أنّ الكُرّسي العلم أي وسَع علمه السّموات و الأرض أي أنّه تعالىٰ عالم بهما و ما فيهما، و قيل المراد به الملك أي وسَع مُلكه السّموات والأرض بمعنىٰ أنّه تعالىٰ مالك السّموات والأرض، و قيل هو إسمّ للفلك المحيط بالأفلاك و يعبّر عنه بفلك الأفلاك و قيل المراد به قدرة اللّه أي أنّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيُ و قدرته تتعلق بالممكنات و عليه فالمعنىٰ وسِع قدرته السّموات و الأرض، و قيل الكُرسي هو العرش، و قيل هو سرير ون العرش، و قيل الكرسي عن أبي مالك أنّه قال دون العرش، و قيل الكرسي، أصل مُلكه و روي القُرطبي عن أبي مالك أنّه قال أنّ الصّخرة التي عليها الأرض السّابغة و منتهى الخُلق علىٰ أرجانها عليها أربعة من الملائكة لكلّ واحدٍ منهم أربعة وجوه، وجه إنسانٍ، و وجه ثور و وجه نسرٍ من الملائكة لكلّ واحدٍ منهم أربعة وجوه، وجه إنسانٍ، و وجه ثور و وجه نسرٍ

و الكُرسّي تحت العرش والله واضع كرسّيه فوق العَرش قال البهيقي في هذا إشارة الى كرسييّن أحدّهما تحت الأرض و الآخر موضوع على العرش و نقل عن أبي موسى الأشعري أنّه قال الكُرسّي موضع القدمين وله إطيط كأطيط الرّحل و الأقوال فيه كثيرة والمعتمد منها ما يؤيّده الخبر الصّحيح إذ لا مجال لإستنباطات العقول و الأوهام في أمثال هذه الموارد فأنّ العقل لا حكم له في ما وراء المحسوسات و ما نحن فيه من هذا القبيل فنقول.

قال الصّدوق مَنْ فَي العقائد، إعتقادنا في الكرسّي أنّه وعاء جميع الخلق من العرش والسّموات والأرض و كلّ شيٍّ خلق اللّه تعالى في الكرسّي وفي وجهٍ آخر الكرسّي هو العِلم.

و قد سُئل الصّادق عليه عن قول الله عز وجل وسِع كُرْسِيُّهُ السَّمُوٰاتِ وَالْأَرْضَ قال عليه علمه إنتهى (١).

و بأسناده عن زُرارة قال: سئلتُ أبا عبد الله عليه عن قول الله عزّ وجلّ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ الى قوله و العرش و كلّ شئ في الكرسّي إنتهى (٢).

و بأسناده عن الفضيل قال: سئلتُ أبا عبد الله عليه عن قول الله عزّ وجلّ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوٰاتِ وَالْأَرْضَ قال عليهِ: يا فضيل السّموات والأرض شئ في الكرسّي إنتهىٰ (٣).

و بأسناده عنه عليه عليه في قول الله عزّ وجلّ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوٰاتِ وَالْأَرْضَ فقال عليه الكرّسي والأرض و ما بينهما في الكرّسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره انتهىٰ(۴).

و أنت ترىٰ أنّ هذه الأخبار قد دلّت علىٰ وجود الكُرّسي له تعالىٰ بعد ما

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم الحجلد ا

۲-ص ۹۷.

۱- بحار الأنوارج ۱۴ ص ۹۳. ۳-ص ۹۸.

۴ - ص ۹۸.

أثبته في كتابه فوجب لنا الإعتقاد به وأمّا حقيقة الكرّسي والعرش وما شابه هما فلا نعلمها وكم له من نظير في العالم.

و أمّا قوله وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُو الْعَلِّي الْعَظيمُ فهو إشارة الى كمال قدرته تعالى وأنّ حِفظهما لا يثقل عليه، يقال أدّه يؤدّه اذا أثقله وأجَهَده وكيف يثقل و يشقّ عليه تعالى حفظ السّموات والأرض و هو العلّي أي أنّه رفيع المنزلة والقدر، والعظيم الذي هو أعظم من كلّ شيّ و من كان كذلك فلا يثقل عليه شي والمراد بحِفظهما حفظهما من الأفات و الدّثور الى أن شاء الله تعالى و ذلك لأنّ الله تعالى خالقهما وخالق كلّ شيّ وكلّ ما سواه قائم به كما مرّ في الكلام في معنى القيّوم فتخصيصهما بالذّكر لأنّ حِفظهما يوجب حفظ ما فيهما من الموجودات العلّوية والسّفلية ومن المعلوم إنطوائهما لكلّ المخلوقات فاذا كان حفظهما لا يثقل عليه فحفظ ما فيهما بطريق أولى.



لأَاكْرُاهَ فِي الدِّبِنِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ يَكْفُرْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوةَ قِ الْسُوثُقٰي لاَنْفِضامَ لَها وَالله سَميع عَليم (۲۵۶)

## √ اللَّغة

لأُ اكْراه : الإكراه مصدر يقال أكره يكره إكراهاً وهو مأخوذ من الكُره أو الكره بمعنى المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمل عليه بإكراه و قيل هذا معنى بفتح الكاف و امّا الكُره بضمّ الكاف فهو ما يناله الإنسان من ذاته و هو يَعافه و ذلك على ضربين أحدهما ما يعاف من حيث الطّبع والثّاني ما يعاف من حيث العقل أو الشّرع و لهذا يصّح أن يقال في الشّئ الواحد أنّي يعاف من حيث أريده وأكرهه بمعنى أنّي أريده طبعاً وأكرهه عقلاً أو شرعاً أو بالعكس فقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ (١) أي تكرهُونه من حيث الطّبع.

الرُّشْدُ، الرَشِّد خلاف الغَّي يستعمل إستعمال الهداية يقال رَشَد يَرشُد بضمّ الشّين و رَشَد يَرشد بفتحها و قال بعضهم الرَشّد بفتح الشّين أخصّ من الرّشد بضمّها وذلك لأنّ الرُشّد يقال في الأُمور الدّنيوية والأخرّوية والرّشد بفتح الشّين يقال في الأُمور الأخرّوية لا غير:

قال اللّه تعالىٰ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٓ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا<sup>(٢)</sup> قال اللّه تعالىٰ: لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذا رَشَدًا<sup>(٣)</sup>.

بِالطَّاغُوتِ، الطَّاغوت عبارة عن كلِّ مُتَّعدٍ وكلِّ معبودٍ دون الله ويستعمل في الواحد والجمع.

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم مجلا الثال

٧- لکهف = ۶۶

١- البقرة= ٢١٤

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، العُروة بضم العين من عَرا يَعرُو عَرواً ما يوثق به جمعها عُرىٰ كالحبل و أمثاله والوُثقىٰ، بضم الواو تأنيث الأوثق فالعروة الوثقىٰ الحبل الوثيق المحكم المأمون إنفصامها.

لأَنْفِصامَ لَهَا الإنفصام الإنقطاع يقال، تَفصّم وانفصَم أي إنقطع وإنكسر.

### ⊳ الإعراب.

مِنَ الْغَيِّ في موضع نصب على أنّه مفعول بِالطَّاعُوتِ، الطَّاعُوت مصدر في الأصل مثل الملكوت والرَّهبوت و الجبروت و أمثالها و هو يذّكر ويؤنّث و يستعمل بلفظ واحد في الجمع و التّوحيد والتّذكير والتّأنيث لآنفضام لَها في موضع نصب على الحال من العروة و يجوز أن يكون حالاً من الضمير في الوقتي المحال من العروة و يجوز أن يكون حالاً من الضمير في الوقتي الوقتي المحال من العروة و يجوز أن يكون حالاً من الضمير في الوقتي الوق

## ⊳ التّفسير

إختلف المفسرون في سبب نزول الآية على أقوال:

الأوّل: أنّها نزلت في أهل الكتاب خاصة و أنّهم لا يكرهون على الإسلام اذا أدّوا الجزية و امّا الذّين يُكرهون فهم أهل الأوثان اذ لا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزل فيهم، يا أيّها النّبي جاهد الكفّار والمنافقين، الآية ذهب الى هذا القول الشّعبى و قتادة و الحسن و الضّحاك.

الثانى: ما رُوي عن ابن عبّاس قال نزلت هذه في الأنصار كانت تكون المرأة مقلاتاً فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن تهوّده فلمّا أجليت بنو النّضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل اللّه لا أركراة فيى الدّين.

الثّالث: ما نقل عن سعيد بن جبير و الشّعبي و مجاهد أنّهم قالوا أنّما فعلنا ما فعلنا و نحن نرى أنّ دينهم أفضل ممّا نحن عليه و امّا اذا جاء الله بالإسلام



--- --- --- الله الأية، المراكز المراكز المركز الم

دخل في الإسلام إلا أنّهم قالواكان سبب كونهم في بني النّضير الإسترضاع. الوّابع: قال السّدي نزلت الآية في رجلٍ من الأنصار يقال له أبو حصين كان له إبنان فقدم تجّارٌ من الشّام الى المدينة يحملون الزّيت فلمّا أرادوا الخروج أتاهم إبنا الحصين فدعوهما الى النّصرانية فتنصّر ومضيا معهم الى الشّام فأتى أبوهما رسول اللّه عَيَّمِ أَلَّهُ مشتكياً أمرهما ورغب في أن يبعث رسول اللّه عَيَّمِ أَلَهُ من يردّهما فنزلت، الأَاكْرُاه في الدّين ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب وقال، أبعدهما الله هُما أوّل من كفر، فوجد أبو الحصين في نفسه على النّبي عَيَّمُ الله عَين له يبعث في طلبهما فأنزل الله عزّ وجلّ فلا وَرَبِكُ لا يُؤمِنُونَ كُمُ مُعْوَلً في الدّين، فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة انتهى.

أقول والصّحيح في سبب نزول قوله تعالىٰ: فَلاْ وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ هو حديث الزّبير مع جاره الإنصاري في السّقي علىٰ ما يأتي في سورة النّساء بيانه قاله القُرطبي بعد نقله ما نقلناه عن السّدي.

الخامس والسادس: أنّها وردت في السّبي متىٰ كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا اذا كانوا كباراً، و امّا اذا كانوا مجوساً صغاراً أو كباراً أو وثّنيين فأنّهم يجبرون على الإسلام لأنّ من سباهم لا ينتفع بهم مع كونهم وثنّيين فهذه هي الأقوال التّي عثرنا عليها في سبب نزولها والله أعلم ولنرجع الى تفسيرفنقول لأ إكراه في قبوله والمراد به الإسلام أي ليس لأحدٍ أن يجبر غيره على الإسلام والحقّ أنّ الآية غير منسوخة، والحكم ثابت في زماننا هذا أيضاً والوجه فيه هو أنّ الإنسان فاعلّ مختار في عباداته فكما أنّه لا يجبر على الصّوم والصّلاة و غيرهما من الأحكام لا يجبر على أصل الدّين لئلا يلزم

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم بم العجلد النا

نياء الفرقان في نفسير القرآن كمسيم ال

منه زيادة الفرع على الأصل فلو كان في قبول الدّين مجبوراً كان في الصّلاة والصّوم وغيرهما من الأحكام أيضاً مجبوراً واذليس فليس والدّليل علىٰ عدم الإكراه عقلاً هو أنَّ اللَّه تعالىٰ كان قادراً علىٰ أن يخلق الإنسان غير قادر علىٰ المعصية ولم يخلقه كذلك بل خلقه قادراً عليها ثمَّ أمره بتركها إختياراً منه من غير إجبار و لا إكراه لأنَّ العبادة اذا صدرت من العبد لا عن إختيار لا قيمة لها لأنّه كان مجبوراً عليها ولذلك رُجّحت عبادة الإنسان على غيره حتّىٰ الملائكة فَيلزم منه أن لا يكون الإنسان مجبوراً في دينه لكونه منافياً لِلغرض هذا أُوِّلاً ،ثانياً فلأنَّ الإكراه منه تعالىٰ في أمر الدِّين ينافي عدله و ذلك لأنَّ العدل عبارة عن وضع الشِّئ في محلِّه ومن المعلوم أنَّ جعل التَّكليف على أساس الجبر و الإكراه ليس من العدل بشئ ولأجل ذلك أردَف كلامه هذا بقوله: قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ الغيِّ، ضرورة لو لم يكن الإنسان مختاراً في دينه لم يكن لهذا الكلام معنىٰ لأنّه كان علىٰ الرشّد حسب الفرض دائماً فقوله هـذا يدُّل علىٰ بيان طريقي السّعادة والضّلالة بسبب الدِّين وفيه إشّارة الي أنّ الدّين شأنه هكذا وماكان كذلك لا إجبار فيه ولا إكراه والأيات بهذه المضامين كثيرة:

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا <sup>(١)</sup>

قال الله تعالىٰ: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ (٢).

و أمثال ذلك من الأيات الّتي دلّت بمفاهيمها على وجود الإختيار في قبول الّدين وعدم الإكراه فيه و قد مرّ في شرح اللّغات مَعنى الرّشد والغَيّ وأنّها كنايتان عن الهداية والضّلالة ثمّ أوضح اللّه ذلك

فَمَنْ يَكُفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِـالْعُرْوَةِ الْــوُثْقَى لاَنْفِصٰامَ لَهَا وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ وفيه إشارات. الأوّل: أنّ الدّين الصّحيح لا يحصل لأحدٍ إلاّ بالكفر بالطّاغوت والمراد بالطّاغوت الباطل والمراد بالطّاغوت الشّيطان من الجنّ والإنس وأن شئت قلت مطلق الباطل والمراد بالكفر به الإعراض عنه من جميع الوجوه وبالجملة نفى الباطل.

الثانية: الإيمان بالله بمعنى الإقرار باللسان والإعتقاد بالقلب، والعَمل بالجوارح و الأركان و أنّما قدّم النّفي أعني به الكفر بالطّاغوت على الإثبات أعني به الإيمان لأنّ النّفي عدم والإثبات وجود والعدم مقدّم على الوجود لأنّ الوجود في المحدّثات مسبوق به ألا ترى أنّهم يقولون الممكن محفوف بالعدمين عدم سابق وعدم لاحق ومن المعلوم أنّ الدّين حادث لا قديم فهو مسبوق بالعدم ولأجل هذه الدّقيقة إفادات كلمة لأ إله الآالله، التّوحيد لكونها مشتملة على النّفي والإثبات فقولنا، لا إله، نفيّ لجميع المعبودين وقولنا إلا الله، إثبات المعبودية للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصّفات الكمّالية المعبّر عنه بكلمة، الله، فالموّحد ينفي الإلهة أوّلاً ويثبت الألوهية لِله ثانياً وما نحن فيه من هذا القبيل فقوله فمن يكفر بالطّاغوت بمنزلة النّفي وقوله يؤمن باللّه بمنزلة الإثبات.

الثالثة: قوله: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَي إذا كان إيمان المؤمن بعد الكفر بالطّاغوت فهو بمنزلة العروة الوثّقى من حيث الإستحكام و امّا إذا لم يكن الإيمان كذلك فليس كذلك كالّذي آمن باللّسان وحده أو بالقلب كذلك. الزابعة: قوله: لاَنْفِصام لَهُا الإنفصام الإنقطاع والتّعبير بالإنفصام لِلدّلالة على أنّ هذا الإيمان لا يقبل القطع والزّوال وأنّما قلنا ذلك لأنّ الإنقطاع بمعنى قبول القطع لا مطلق القطع كما هو مفاد باب الإنفعال وهذا الكلام بحسب المفهوم يدّل على أنّ الإيمان إذا لم يحصل من هذا الطّريق الذي مرّ ذكره فهو يقبل القطع والزّوال و هو الذي عبر عنه بالإيمان المستودع.

اء الفرقان في تفسير القرآن كم مجلا العالد

الخامسة: قوله: وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلَيمٌ أَي أَنّه تعالىٰ سميعٌ بما تقولون، وأنّه عليمٌ بما تضمرون و تعملون فلا يخفىٰ عليه شئ من أقوالكم وأعمالكم، وضمائركم وهو واضح.

#### تنبيهُ:

إعلم أنّهم إختلفوا في معنى المراد بالعروة الوثقى، على أقوال. أحدها: أنّ المراد بها الإيمان.

ثانيها: أنّ المراد بها الإسلام.

ثالثها: أنَّ المراد بها، كلمة التَّوحيد.

رابعها: دين الحقّ، و امثال ذلك من الأقوال الّتي لا طائل تحتها، والحقّ عندنا أنّ المراد بها ولاية أمير المؤمنين عليُّ إلى والأنّمة من بعده و يدّل عليه ما رواه العّامة والخّاصة.

#### فمن العّامة.

ما رواه أبو المؤيّد موفّق بن أحمد من أعيان علماء العّامة بأسناده عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى قال: قال رسول الله عَيَّا اللهُ عَلَيْ عليه السّلام أنتَ العُروة الوُثقىٰ انتهىٰ.

ما رواه أبو الحَسن الفقيه محمّد بن علّي بن شاذان في المناقب الميائة من طريق العّامة بحذف الأسناد عن إبن عبّاس قال: سمعت رسول الله يقول معاشر النّاس إعلموا أنّ لِلّه تعالىٰ باباً مَن دَخَله آمَن من النّار ومِن الفَزَع الأكبَر فقام اليه أبو سعيد الخُدري فقال: يا رسُول الله إهدِنا الىٰ هذا الباب حتّىٰ نعرفه قال عَيَّا اللهُ على بن أبى طالب سيد الوصيين وأمير المؤمنين وأخو رسول ربّ العالمين وخليفة الله على النّاس أجمعين معاشر النّاس مَن أحبّ أن العالمين وخليفة الله على النّاس أجمعين معاشر النّاس مَن أحبّ أن يتمسك بالعُروة الوُثقىٰ الّتي لا إنفصام لها فلَيتّمسك بولاية على بن أبي طالب فأنّ ولايته ولايتي و طاعته طاعتي الحديث.



ما رواه إبن شاذان من طريق العّامة بحذف الأسناد عن الرّضا علطُّهُ عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسُول الله عَلَيْظَهُ ستكون بعدى فتنة مظلمة النّاجي منها من تمسّك بالعُروة الوُّثقيٰ قيل يا رسُول الله وما العُروة الوُثقىٰ قال ولاية سيّد الوصيّين قيل يا رسُول الله ومَن سبيّد الوَصبيّين قال عَيَيْشُ أمير المؤمنين قيل يا رسُول اللّه وَمَن أمير المؤمنين قال عَيْرُاللهُ مَولىٰ المسلمين وإمامهم بعدي قيل يا رسُول الله وَمَن مَولىٰ المسلمين وإمامهم بعدك قال أخى على بن أبى طالب انتهيٰ.

وأمّا من طريق الخّاصة.

ما رواه إبن بابوية في معانى الأخبار بأسناده عن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسُولَ اللّه عَلَيْكُ مَن أُحبّ أن يتّمسَك بالعُروة الوُّثقىٰ الَّتى لا إنفصام لها فليتَّمَسك بولاية أخى و وصيتى علَّى بن أبى طالب عليَّا إِ فَأَنَّه لا يَهلَك من أحَبِّه و تولاَّه ولاَّ ينجُو من أَبغَضُه و عاداه انتهیٰ.

ما رواه إبن بابويه بأسناده قال: قال رسُول الله عَلَيْنَ الْأَمَّمة من وُلد الحسين، من أطاعَهم فقد أطاع الله وَمن عصاهم فَقد عَصى الله هم العُروة الوُثقىٰ وهُم الوسيلة الى الله تعالىٰ.

ما رواه أيضاً بأسناده قال: رسُول الله عَيْظِيُّهُ مَن أَحَبّ أَن يستَمسك بالعُروة الوُثقىٰ فليتمسك بُحبّ علّى بن أبى طالب انتهىٰ.

مارواه في بصائر الدّرجات بأسناده عن أبّى عبد الله عليَّ إلَّ قال: في خطبةٍ طويلة له، مَضى رسول الله عَلَيْ الله وخلَّف في أمتّه كتاب الله و وصيّه علّى بن أبى طالب أمير المؤمنين وإمام المتّقين وحَبل الله المتين وعُروته الوُثقىٰ التّىٰ لا إنفصام لها الحديث(١٠).



ضياء القرقان في تفسير القرآن كركمكم العجا

ما رواه في الماقب بأسناده عن النّبي عَيَّا أَنّه سأل إعرّابي عن هذه الأية فأخذ رسول اللّه عَيَّا أَنّهُ يَده فَوضَعها على كتف علّي فقال: يا إعرابي هذا حَبل الله فإعتصم به فَدار الإعرابي من خلف علّي والتَزَمه ثمّ قال اللّهم أنّي أشهدك أنّي إعتصمتُ بحبلك فقال رسول الله عَيَّا أَنّهُ من سَرَّه أن ينظر الى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظر الى هذا انتهى.

ما رواه عن سفيان بن عينية عن الزّهري عن أنس بن مالك في قوله تعالى: وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَةُ إِلَى اَللهِ (۱) قال: نزل في علّي وكان أوّل مَن أَخَلَص وَجهه لِلّه و هو مُحسنُ أي مؤمن مطيع فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى قول لا إله إلاّ الله وَ إِلَى اللهِ عاقبَهُ الْأُمُورِ والله ما قتل علّي بن أبي طالب إلاّ عليها، و روي فقد إستمسك بالعُروة الوُثقى يعنى ولاية على عليها،

ما رواه عن الرَّضا عليَّلا قال: قال النبي عَلَيْلاً من أحَب أن تتَمسك بالعُروة الوُثقىٰ فليتمسك بُحبّ علي بن أبي طالب انتهىٰ والأحاديث كثيرة (٢).

أقول والى هذا المعنى أشار الحميري بقوله:

ب فروة العرش موصولاً بها سبباً سدة العراج اليه العقد والكربا أن لا يكون غداً في حال من عَطَبا

فـطُوبيٰ وطـوبيٰ مـن تَـمسك بـالحَبل

إنسا وجدنا له فسيما أنسخبره حسبلاً مستيناً بكسفيه له طُسرقُ مَسن يعتصم بالقوى من حَبله فله و قال العوني:

أمامي حَالِ الله عُروة حقّه وقال ابن حماد: يفرط فيه الخاسر العَمَه الفَضل

وأن أكثرت فيه الغواة ملالها يداه بها لم يخش فَطّ إنفِصامها

هـو الغـروة الوُثقىٰ هو الجَنب أنّما و أيضاً قال:

عَـــلَيُ عَـــلَيُ القــدر عــند مــليكه وعُــروته الوُثــقىٰ الثني مَـن تَـمّسكت

ياء القرقان في تفسير القرآن كريم الدجلد الثالث

الله ولِيُّ الَّذِينَ امْنُوا يُخْرِجُهُمْ مِن الظُّلُمَاتِ اللهُ وَلِيُّ النَّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيْاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ الَّي الظُّلُمَات أُولٰئِكَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ الَّي الظُّلُمات أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ (۲۵۷)

### ⊳ اللَّغة

وَلِيُّ: الولاية بفتح الواو وكسرها تَوَّلَىٰ الأمر. النُّور: في اللّغة الضَّوء المنتشر الّذي يعين علىٰ الإبصار. الظَّلُمَاتِ: جمع الظّلمة وهي ضدّ النُّور.

## ⊳ الإعراب

اَللّهُ مبتداً وَلِي اللّهَ مبتداً وَلِي اللّهُ مبتداً الله مبتداً الله مبتداً الله مبتداً ثان الطّاغُوتُ حبر الثّاني والنّاني وخبره، خبر الأوّل يُحذّرِجُونَهُم مستأنف لا موضع له ويجوز أن يكون حالاً والعامل فيه معنى الطّاغوت يُخرجهم يجوز أن يكون حالاً من الضّمير في وَلَى.

## ⊳ التّفسير

لمّا أفاد اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة أنّ الكافر بـالطّاغوت المـؤمن بـاللّه مُستَمسك بالعُروة الوُثقىٰ الآية أفاد في المقام انّ اللّه تعالىٰ ولّي الّذين آمنوا أي أنّه تعالىٰ مُتّولي أُمورهم في الدّنيا والأخرة:

الكَّهُ وَلِيُّ الَّذَيِنَ ٰامَنُوا وفى قوله يُخْرِجُهُمْ مِن الظُّلُمَاتِ الِكَ النُّور إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: أنّ الإيمان عبارة عن الخروج من الظّلمات الى النُّور والمخرج أنّما هو الله تعالىٰ لا غيره.

ثانيهما: أنّ الإيمان نوركما أنّ الكفر ظلمات و عليه فالإخراج من الظّلمات الى النُّور معناه الإخراج من الكفر الى الإيمان وأنّما عبّر عن الكفر بالظّلمات وعن الإيمان بالنُّور لأنّ النُّور ظاهر بالذّات و مظهرٌ للغير و ضدّه الظّلمة والإيمان أيضاً ظاهر بالذّات ومظهر للغير أمّا الأوّل فظاهر و امّا الثّاني وهوكونه مُظهراً للغير فلأنّ الإهتداء به و لذلك قال اللّه تعالى:

وَاللَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيْاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ الِي الظُّلُمات أي أنّ الشّياطين أولياء الكفّار ومن المعلوم أنّ شأن الشّيطان ليس إلا الإخراج من النُّور الى الظّلمة أي من الإيمان الى الكفر ومن كان كذلك ينبغي طرده ولمنه ولأجل هذا نهانا الله تعالى عن متابعته في كثير من الأيات:

قال الله تعالى: وَ مَنْ يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۖ اللَّه تعالى:

قال الله تعالى: وَ يُرِيدُ اَلشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاًلاً بَعيدًا (٢).

قال الله تعالى: و مَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِنَ خُسْرانًا مُبِينًا (٣). خُسْرانًا مُبِينًا (٣).

أي **أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ أُ**ولئك الذِّين أولياءهم الطّاغوت، أصحاب النّار هُم فيها، أي في النّار، خالدُون.

الفوقان في تفسير القرآن كرمج المجلد ال

٢- النّساء=٠٥.

١- النّساء=٣٠.

الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي خَاجَّ إِبْرَاهِيمَ في رَبِّهِ أَنْ اتْاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّى اللّذِي يُحْيي اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْراهِيمَ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَعْرِبِ فَجُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۲۵۸)

### ∕> اللّغة

حاجَّ: المحاجّة أن يطلب كل واحدٍ أن يرّد الأخر عن حجّته ومحجّته. فَبُهتَ: البهت التَّحير، الدَّهشة و باقى اللَّغات واضح.

# ⊳ الإعراب

أَنْ التَّاهُ اللهُ في موضع نصبٍ عند سيبويه وجَرَ عند الخليل، لأنَ تقديره لأن أتاه الله فهو مفعول لأجله والعامل فيه، حاجّ، و الهاء ضمير إبراهيم أو ضمير الذي، و اذ، يجوز أن تكون ظرفاً لحاجّ، و أن تكون ظرفاً لأتاه أنّا أحيى الإسم الهمزة و النون و أنّما زيدت الألف عليها في الوقف لبيان حركة النون و لذلك اذا وصلته بما بعده حذفت الألف مِنَ الْمَشْرِقِ ومِنَ الْمَغْرِبِ متّعلقان بالفعل أعنى يأتى.

## ⊳ التّفسير

أشار الله تعالىٰ في هذه الآية الىٰ قصّة إبراهيم الخليل ونمرود ومحاجّته إيّاه أمّا أصل القصّة فسيأتي الكلام فيه و امّا الذّي أُشير اليه في هذه فحاصله أنّ إبراهيم لمّا خرج من النّار أدخلوه علىٰ الملك و لم يكن قبل ذلك دخل عليه



فكَّلمه الملك و قال له من رَبِّك قال: رَبِّي ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُميتُ قال نمرود و أنًا أُحْيِي وَأُميتُ إستحيى من أردتُ قتله فيكون ذلك منّى إحياء له و أقتل أخر فيكون ذلك منّي إماتة و قيل دعيٰ برجلين فقتل أحدهما و ترك الأخر ثمّ قال أحييتُ الأوّل وأفنيتُ النّاني فقال له إبراهيم أنّ ربّي يأتي بالشّمس من مشرقها فأت بها أن كنت صادقاً من مغربها فبهت الذّي كَفر و هو نمرود يعني إنقطع وبطلت حجّته قال اللّه تعالىٰ:وَاللهُ لاٰيَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـالِمينَ أي لا يوفقهم علىٰ التّوبة ما داموا علىٰ ظلمهم بـاقين لا أنّ اللُّـه لا يــهديهم أي لا يرشدهم الى الحقّ و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ بعث إبراهيم عَلْيَكْ إِ وهكذاكلّ نبّي في زمانه لإرشاد الخلق ونمرود أيضاً كان من النّاس ولكنّه أبي و إستكبر فلا جرم كان من المعاندين.

و قد رُوي عن بعض القّراء أنّه قرأ، فبهت الّذي كفر، أي فبهت إبراهيم الّذي كفر وهو نمرود ولكن هذا القول ضعيف والمشهور الأوّل ثمّ أنّ نمرود بضمّ النّون و بالذّال المعجمة قيل في نسبه هو نمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النّار والبعوضة هذا قول ابن عبّاس و مجاهد و قتادة و الرّبيع و السّدي و ابن إسحاق و غيرهم وكان إهلاكه لمّا قصد المحاربة بأن فتح الله عليه باباً من البعوض فستروا عين الشّمس و أكلوا عسكره ولم يتركوا إلاّ العظام ودخلت واحدة منها دماغه فأكلته حتّىٰ صارت مثل الفأرة فكان أعزّ النَّاس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك فبقى في البلاء جزء ٣ ﴾ أربعين يوماً و هو علىٰ ما قيل اوّل من تجبَّر و هو صاحب الصَّرح ببابل و قيل أنَّه ملِك الدُّنيا بأجمعها و هو أحد الكافرين والاخر بُخت النَصر، و قال بعض المؤرّخين أنّ الذِّي حاجّ إبراهيم هو نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام، عن السّهيلي هو، إبن كوش بن كنعان بن حام بن نؤح قال و كان ملكاً علىٰ السّواد ملكّه الضّحاك بالّذي يعرف بالإزدهاق وإسمه بيوراب

بن آندراست وكان ملك الأقاليم كلّها و هو الّذي قتله أفريدون بن أشفيان وكان الضّحاك طاغياً جبّاراً ودام ملكه ألف عام على ما قيل و هو أوّل من صلب و أوّل من قطع الأيدي والأرجل هذا ما قالوه في نسبه و امّا قصّة المحّاجة ففيه نقلان.

أحدهما: أنّهم خرجوا الى عيد لهم فدخل إبراهيم على أصنامهم فكسرها فلّما رجعوا قال لهم أتعبدون ما تنحتون فقالوا له، فمن تعبد قال أَعبُد ربّي الّذى يحيى ويميت.

ثانيهما: أنَّ نمرودكان يحتكر الطَّعام فكانوا إذا أحتاجوا الى الطَّعام يشترونه منه فإذا دخلوا عليه سَجدوا له فَدخل إبراهيم فلم يسجد له فقال مالك لا تسجد لي قال أنا لا أُسجد إلا لربّي فقال له نمرود، مَن ربّك قال إبراهيم ربّي الذي يحيى ويميت ألخ.

أقول و سيأتي الكلام في نَسَب إبراهيم و ما جرى عليه مفّصلاً إن شاء الله تعالىٰ.



اَوْ كَالَّذَى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَ هِمَى خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُروتِها عُروشِها قَالَ انّىٰ يُحْيى هٰذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَامَاتَهُ اللهُ مِائَةُ عَامٍ ثُمَّ بَعْتَه قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً اَوْ بَعْضَ يَوْم قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامِ فَانْظُرْ اللّىٰ طَعَامِكَ وَشَرّابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَانْظُرُ اللّىٰ حِمَارِكَ وَلِنْجْعَلَكَ ايَةً لِّلنّاسِ وَانْظِرْ اللّىٰ الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِرُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِرُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا اللهِ قَلْم اللهِ عَلَىٰ كُلّ شَعْنَ لَه قَالَ الله عَلَىٰ كُلّ شَعْ قَديرٌ (٢٥٩)

## ⊳ اللّغة

مَرَّ: المُرور المُضِّي والإجتياز بالشِّي.

عَلَىٰ قَرْيَةٍ: القَرية بفتح القاف إسم للموضع الّذي يجتمع فيه النّاس وللنّاس جميعاً و يستعمل في كلّ واحدٍ منها.

خاويةٌ: خوت الدَّار فهي خاوية تخوى خَواءً، إذ أباد أَهلَها بخلّوها منهم، لأنّها من الخواء وهي الفرصة بين الشّيئين بخلّو ما بينهما.

عُروُشِها: جمع عرش، والعرش البيت، أي بيوتها.

كُمْ يَتَسَنَّهُ: قيل أَنّه مأخوذ من السنّة، والأصل فيه على قولهم سانيته مساناة إذا جزع الله الله الله الله الله الله وسنهات والهاء أصلّية مجزومة، بلم على القول، الأوّل فأنّها لِلسّكت حبّى بها بعد الوقف وكيف كان فمعناه لم تغيره السّنون.

نُنْشِرُها: أهل النَشُوز الإرتفاع فمنه النّشز، المرتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة رفعها عن طاعة زوجها.

نَكْسُوها: أي نغطّيها باللّحم كما نغطّي باللّباس.

مياء الفرقان في تفسير القرآن كمياء المرقان في تفسير القرآن كمياء المرقان في تفسير القرآن

### ♦ الإعراب

أَوْ كَالَّذِي في الكاف وجهان:

أحدهما: أنّها زائدة والتّقدير ألم تَر اليٰ الّذي حاجّ أو الّذي مَرّ علىٰ قرية فهو مثل قوله، ليس كمِثله شي.

ثانيهما: أنَّها غير زائِدة وموضعها نَصب والتَّقدير أَو رأيت مثل الَّذي ودَّل علىٰ المحذوف قوله: ألَّم تَر اليٰ الَّذي حاجِّ وأُو، لِلتَّفضيل أو لِلتَّخيير في التّعجب بحال أيّ القبيلتين تاءِ وأصل القرية من قريتُ الماء إذا جمعته وَّ هِيَ خاوية في موضع جرِّ صفة لِقرية عَلَىٰ عُروُشِها يتَّعلق بخاوية و قيل هو بدل من القرية تقديره، مَرَّ عليٰ قرية عليٰ عُروشها أي مرّ عليٰ عروش القرية فيجُوز على هذا أن يكون صفة لقرية لا بَدلاً، تقديره، على قرية ساقطة على عرُوشها فعلىٰ هذا يجوز أن يكون وَّ هِيَ خَاوِيَةٌ، خالاً من العُروش، أو من القرية أو من هاء، المضاف اليه و العامل معنى الإضافة و هو ضعيف مع جوازه أنَّىٰ فـى موضع نصب بيحيي و هي بمعني، متي، فعلي هذا يكون ظرفاً ويجوز أن يكون بمعنى كيف فيكون موضعها حالاً من هذه مِأنَّةُ عام ظرفٌ لإماتة علىٰ المعنىٰ لأنَّ المعنىٰ البثه مَيثا مائة عام، أو ظرفٌ لفعل محدُّوف تقديره فأماته فَلبث مائة عام كَم ظرف لِلَبث لَمْ يَتَسَنَّهُ الهاء زائدة في الوقف و قد مرّ في شرح اللّغات الكلام فيه وَلِنْجْعَلَكَ معطوف علىٰ فعل محذوف تقديره أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك الآية و قيل الواو زائدة كَيْفَ نُنْشِرُها في مـوضع الحال من العظام والعامل في كيف، ننشزها ولا يجوز أن تعمل فيها، أنظر، لأنّ إستفهام لا يعمل فيه ما قبله لُحْماًمفعول ثان والباقي واضح لا خفاء فيه.

## ⊳ التّفسير

أَوْ كَالَّذَى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُـروُشِها. أو للعطف والتقدير عند الكسائي والفراء هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربّه أو كالذي

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ \* حَلَّمُ ﴾ العجلد

مَرّ علىٰ قرية ونقل عن المبرد أنّ المعنىٰ، ألّم تَرَ اليٰ الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، أَلَم تَرَ مَن هو كالَّذي مَرَّ علىٰ قرية، فأضمر في الكلام من هو، و عن أبي سفيان بن حصين أنّه قرأ، أَوْ كَالَّذي مَرَّ بفتح الواو هي واو العطف دخل عليها ألف الإستفهام الذّي معناه التّقرير ثمّ أنّهم إختلفوا في أنّ المراد بالّذي مَرَّ علىٰ قرية، مَن هو، فَنُقل عن ابن عبّاس وقتادة والرّبيع وعكرمة والضّحاك وغيرهم أنَّ الَّذِي مَرَّ علىٰ القرية هو، عُزير، و قال وَهب وغيره، هو أرميا وكان نبّياً، و قال إبن إسحاق، أرمياء هو الخِضر، و قيل أنّه رجل من بني إسرائيل غير مُسمّىٰ ونقل عن النّقاش أنّه قال هو غلام لُوط، وعن السّهيلي عن القُتبي هو شعياء في أحد قوليه، والقرية المذكورة في الآية هي بيت المقدس قالوا وكان مُقبلاً من مِصر والأقوال كثيرة نقلها القُرطبي في تفسيره وكيف كان لاشكُ لنا في أصل القضّية وأنّه مَرَّ رجل علىٰ قرية و ﴿ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُروُشِهَا أي خالية و قيل ساقطة على أبنيتها وسقُوفها بمعنىٰ أنّ السّقوف سقطت و وقعت البُنيان

قَالَ أَنَّىٰ يُحْيى هٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا أي أنّه قال كيف يُحي الله أهل هذه القرية بعد مَوتهم أوكيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها قيل أنّه قال هذا الكلام على التّعجب و الإنكار و الإرتياب في البعث و قيل ليس كذلك ولكنّه أحبّ أن يريه الله تعالىٰ إحياء الموتىٰ مشاهدةً ليحصل له العلم به ضرورةً كما حصل له العلم دلالةً و ذلك كقول إبراهيم عليُّلاِّ ربِّ أرِنى كيف تُحى الموتىٰ جزء ٣ ﴾ قال أولَم تؤمن قال بلئ و لكن ليّطمئن قلبي، قاله الطّبرسي مَثِّئُ و أنا أقول بين المقامين فرق واضح و ذلك لأنّ كلمة أنّى، موضوعة للبحث عن الحال و المكان ولذلك قيل هي بمعنى، أين، وكيف ، لتّضمنها معناهما قال الله عزّ وجلّ في قصّة زكرّيا ومريم، أنّىٰ لك هذا، أي من أين وكيف و هو سؤال عن حقيقة الأمر و اقعاً علىٰ سبيل الإستفهام، أو التّعجب وهـذا بـخلاف قـول

الخليل، ربّ أرني كيف تُحي المَوتىٰ، لأنّه طلب الرّؤية مشاهدةً و لذلك لم يقل ربّ كيف تُحي الموتىٰ بل قال، أرني كيف تُحي الموتىٰ أي أنّي أعلم بأنّك تُحي المَوتىٰ و لكنّي أُحبّ أن أراه.

فَامَاتَهُ اللهُ مِائَةُ عَام أي مائة سنة ثُمَّ بَعَثَه أي ثَمّ أحياه بعد موته كما كان أولاً قبل موته قال كم لَيثت قال لَيثت يوماً أو بَعْض يَوم إختلف في القائل له، فقيل القائل هو الله تعالى، وقيل سمع هاتفاً من السّماء يقول له ذلك القائل جبرئيل وقيل نبّي من الأنبياء وقيل رجل ممّن شاهده من قومه عند موته وعمر الى حين إحياءه فقال له كم لبثت والأظهر أنّ القائل هو الله تعالى بدليل قوله تعالى بعد ذلك.

وَانْظِرْ اِلِيَ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً، والله أعلم قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمُ أَنَّما قال ذلك لغلبة ظنَّه أنَّه لَبَتْ يوماً أو بعض يوم فـلا يكون كاذباً فيه ومثله قول أصحاب الكهف، قالوا لَبثنا يوماً أو بعض يوم، وأنَّما لَبثوا ثلاث مائة سنة وتسع سنين علىٰ ما يأتى ولم يكونوا كاذبين كأنّهم قالوا الذِّي عندنا وفي ظنّوننا أنّنا لَبثنا يوماً أو بعض يوم قال ابن جريح وقـتادة و الرّبيع أماته اللّه غدُوة يوم ثمّ بُعث قبل الغروب فَظنَ هذا اليوم واحداً فقال لَبثتُ يوماً ثمّ رأىٰ بقيةً من الشّمس فخشيٰ أن يكون كاذباً فقال أو بعض يوم فقيل له بل لَبثت مائة عام ورَأَيٰ من عمارية القرية و أشجارها و مبانيها مادلُّه على ذلك فقيل له فَانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ قيل أن طعامه كان من التّين الّذي كان جمعه من الأشجار في القرية التّي مرَّ عليها،شرابه فكان رکوة من خمر و قیل من عصیر و قیل قلّة ماء هی شرابه و قیل کان زاده تیناً و عصيراً و عنباً و هذه الثلاثة أسرع الأشياء الىٰ الفساد فلمًا بعث وجد العصير حلواً والتّين و العنب كما جنيتا لم يَتَّغيرا وقوله لَمْ يَتَسَنَّهُ أي لَم تُغيّره السّنُون

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كي كالمجلد الثال نقل عن الجوهري أنّه قال سُنون، بضّم السّين والسَّنة واحدة السّنين و في نقصانها قولان:

أحدهما: الواو والأخر الهاء و أصَّلها سَنهة مثل الجَبهة لأنَّه من سَنهت النَّخلة و تَسَنهت اذا أتّت عليها السّنون، و نخلة سنّاه، أي تحمل سنة و لا تحمل أُخرىٰ (وأَنظر اليٰ حمارك) فيه اقوال:

أحدها: معناه وأنظر الي إتّصال عظامه وإحياءه جزاً جزاً ولازم هذا القول هو أنَّ اللَّه تعالى أماتَه ثمَّ أحَياه والقائل ملتزمٌ به.

ثانيها: و أنظر الى حمارك قائماً مربطه لم يُصبه شئ مائة عام وأنّما العظام التّي نظر اليها عظام نفسه بعد أن أحياه اللّه عَينيه و رأسه و سائر جسده ميّت قال و أعمىٰ الله العيون عن أرميا وحماره طول هذه المدّة.

ثالثها: معناه أنظر اليه كيق تفرّق أجزاءه و تَبَّدد عظامه ثمّ أنظر كيف يُحيه الله وأنما قال له ذلك ليستدل به على طول مماته وَانْظِرْ اللَّي الْعِظَّام كَيْفَ نُّنْشِزُها فعلىٰ قراءة الراء المُهملة معناه أنظر اليٰ العظام كيف يُحيها من نشر الله المَوتىٰ بمعنىٰ أنشَرهم فنشروا و قُرأ بالزّاء المعجمة و عليها المصاحف فالمعنىٰ نُحرّكها ونرفع بعضها الىٰ بعضِ للتّركيب ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً أي نكسُو العظام لحماً، و إختلفوا فيه أيضاً فقيل أراد الله عظام حماره و عليه فتقديره وأنظر الي عظام حمارك، وقيل أراد عظامه قالوا أوّل ما أحيا الله منه عَينه وهو مثل عرقى البيض فجعل ينظر الئ العظام البالية المتّفرقة تجتمع اليه والئ جزء ٣ للُّحم الذِّي قد أكلته السّباع الذِّي يأتلف الي العظام من هاهنا ويلتزم ويلتزق بها حتّىٰ قام وقام حماره قاله الطّبرسي قُلِّيُّ في المجمع.

أقول القول الأوّل هو الحقّ وحاصله أنّ اللّه تعالىٰ أُحَييٰ حماره في منظره ليعلم ما يعلم و امّا أنّه تعالى أحَيى عَينيه قبل جَسده لينظر الى العظام البالية الى أخر ما قال فلا يساعده العقل والنّقل اذكيف يعقل خلق العين قبل الجسد

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كا. وإثبات الرّؤية لها وقد ثبت وتحقّق في موضعه أنّ العَين والسّمع و غيرهما من القُوىٰ لا إدراك لها مع قطع النّظر عن وجود النّفس و وجود النفس فرع وجود البّدن و تفصيل الكلام في هذا البحث خارج عن موضوع الكتاب في هذا المقام و لعلّ القائل بهذا القول كان أجنبنا عن درك هذه المسائل العويصة و لذلك لفّق ما لَفّق أعاذنا الله منه.

فَلَمّٰا تَبَيّنَ لَه قَالَ اَعْلَمُ اَنَّ اللّٰه عَلَىٰ كُلِّ شَيْ قَديرٌ أَي فَلَمَا ظَهر له ما ظهر من أنّه مات مائة سنين ثمّ أحياه الله تعالىٰ وكذلك ما رأى في حماره وطعامه وشرابه وتقطّع أوصاله ثمّ إنّصال بعضها الىٰ بعض حتّىٰ رجع الىٰ الحالة التّي كان عليها في أوّل أمره وأنّه لمّا رجع الىٰ وطنه رأىٰ ولد ولده شيوخاً و قد كان خلف أباءهم شباباً الىٰ غير ذلك من الأُمور التّي تغيرت والأحوال التّي تقلّبت، فقال أعلم أنّ اللّه علىٰ كلّ شيْ قدير أي أعلم علماً قطعياً لا شكّ فيه لأنّه حصل لي بالمشاهدة لا بالدّليل والبُرهان ومن المعلوم أنّ العلم الحاصل بالمشاهدة والعيان أقوىٰ من العلم الحاصل بالدّلائل العقلية أو النّقلية لإحتمال وجود الشكّ فيه دونه و لذلك حثّ اللّه تعالىٰ عليه في كثير من الأيات الدّالة علىٰ التّفكر في الأفاق والأنفس كما يأتي البحث فيه في تفسير الأيات إن شاء الله تعالىٰ.

وَّاإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتِيٰ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمُّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَل مِنْهُنَّ جُنْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكيمٌ (٢٤٠)

## اللّغة

المَوْتين: بفتح الميم جمع المَيت بتخفيف الياء و سكونها و امّا الميتّ بكسر الياء المشّدَدة وكذلك، مَيّتة فالجمع مَيّتون ومَيّتات.

تُؤْمِنْ: فعل مضارع وماضيه آمَنَ إيماناً.

لِيُطْمَئُنَّ: الإطّمئنان سكون القلب.

فْصُرْهُنَّ: من صار الشَّئ يُصوره أي قَطعه.

## ⊳ الإعراب

وَّإِذْ قَالَ العامل في، إذ محذوف تقديره أَذكُر، فهو مفعول به لا ظرف كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتي الجملة في موضع نصب، بأرني، أي أرني كيفَ تحيي الموتى فكيفٌ في موضع نصب تُحيي لِيكُمْمَنَنَّ اللام متعلقة بمحذوف تقديره سألتك ليطّمئن مِينَ الطّير صفة لأربعة فَصُرْهُنَّ بضّم الصاد وتخفيف الرّاء و بكسر الصاد جزء٣ ۗ و تخفيفها و لهماً معنيان.

أحدهما: أملهّن، يقال هار يصوره و يصيره إذا أماله فعلىٰ هذا تتّعلق، اليٰ، بالفعل و في الكلام محذوف تقديره أملُّهن إليك ثمَّ قطُّعهن

ثانيهما: قطُّعهن من صار يصور بمعنىٰ قطع فعلىٰ هذا في الكلام محذوف يتّعلق به الى أي فقطّعهن بعد أن تميلّهن إليك مِنْهُنَّ في موضع نصب على ا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ مَنْ } العجلد النا

الحال من، جُزءً، و في الجُزء لغتان ضمّ الزّاي و تسكينها و قد قُرء بهما يَاتْبِنكَ جواب الأمر سَعْياً مصدر في موضع الحال.

### ⊳ التّفسير

قيل في سبب سؤال إبراهيم أن يريه كيف يحيى الموتىٰ ثلاثة أقوال.

أحدها: ما نُقل عن الحَسن وقتادة والضّحاك أنّه رأى جيفةً قد مزّقها السّباع تأكل منها سبّاع البّر وسبّاع الهواء ودّواب البحر فسألَ اللّه تعالىٰ أن يريه كيف يحييها و قد روي هذا القول عن أبى عبد اللّه عليّاً لللهِ.

ثانيها: ما نقل عن إبن إسحاق أنّه قال كان سبب ذلك منازعة نمرود له في الأحياء وتوعد إيّاه بالقتل أن لم يحيي اللّه الميّت بحيث يشاهده و لذلك قال ليطّمئن قلبي الى أنّه لا يقتلني الجبّار.

ثالثها: قال قوم أنّما سأل ذلك لقومه كما سأل مُوسى الرؤّية لقومه، وهنا قول رابع و هو أنّه عليّا إلى سأل الرؤّية في إحياء الموتى لأنّه أحبّ أن يعلم ذلك بالمشاهدة والعيان بعد أن كان عالماً به من جهة الإستدلال و امّا قول من قال أنّه سأل ما سأل لأنّه كان شّاكاً فيه فهو من أضعف الأقوال وأوهنها إذ كيف يُعقل أن يكون مثل إبراهيم عليّا وهو من أعاظم الأنبياء شاكاً في أصل البعث والنّشور و هو من المسائل الأولية التي بُعث النّبي لدعوة الخلق اليه مُضافاً الى أنّ الشكّ في قدرة اللّه على إحياء الموتى كفر لا يجوز على إحياء النّاس فضلاً عن الأنبياء.

رابعاً: كيف يجوز على الله تعالى أن يبعَث الى خلقه من هو جاهل بما يجوز وما لا يجوز عليه.

خامساً: أنّه تعالىٰ لمّا قال له، أو لَم تؤمن، قال إبراهيم بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَتَنَّ قَالِمِهِ بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَتَنَّ قَلْبِي ففيه دلالة علىٰ أنّه عليناً كان عارفاً بذلك مُصدّقاً به وأنّما سأل تخفيف

المِحنَة بمقاساة الشبّهات و دفعها عن النّفس هكذا قال الشّيخ مَثِّئٌ في التّبيان و نقل بعض المُفسّرين من العّامة في المقام قولاً آخر و هو أنّ اللّه تعالىٰ وَعده أن يتّخذه خليلاً فأراد آيةً على ذلك ونقل عن السّدي وإبن جبير أنّهما قالا، أو لَم تؤمن بأنَّك خليلي، قال بَليٰ و لكن ليطَّمئن قلبي بالخلَّة، و قيل دعيٰ أن يريه كيف يحيى الموتىٰ ليعلم هل تستجاب دعوته فقال اللّه أولم تؤمن أنّي أُجيب دُعائك قال بَليٰ، ولكن لِيطّمئن قلبي إنّك تُجيب دعائي، و قال بعض الصّوفية المراد من المَوتيٰ في الآية القلوب المحجوبة عن أنوار المُكاشفات و التّجلي، و الإحياء عبارة عن حصول ذلك التّجلي والأنوار الإلهية فـقوله أرنـي كـيف تُحيى الموتىٰ طلبٌ لذلك التّجلي والمكاشفة فقال، أوَلَم تؤمن، قال بليٰ، أو من به إيمان الغيب و لكن أطلب حصولها ليّطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التّجلي انتهيٰ.

أقول: هذا القول لا يمكن حَمل الآية عليه لأنّه خلاف ظاهر الآيـة بـل و خلاف باطنها، و قيل لم يكن قصد إبراهيم إحياء المَوتىٰ بل كان قصده سماع الكلام بلا واسطة فهذه هي الأقوال التّي عثرنا عليها في كتبهم وتفاسيرهم و أنت ترىٰ أنَّها ممَّا لا يمكن التَّعويل عليها لكونها ضعيفة إلاَّ الرَّابع منها و هو أنّه عليُّلإِ سأل ربّه إحياء المَوتىٰ بالمشاهدة والعيان بعد أن كان عالماً به من جهة الإستدلال و ذلك لأنّه لِمُلْتِلِدِ سأل و قال: رَبِّ أَرِنْي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ و السؤال بكيف، سؤال عن الحالة التّي يكون الشّئ عليها و قيل يُسأل به عمّا جزء ٣ ل يصّح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصّحيح والسّقيم كما قال الشّاعر:

سَهِرُ دائمُ وحُـزنُ طويلُ قيل لي كيف أنت قلتُ عليلُ و لهذا لايصّح أن يقال في اللّه عزّ وجلّ كيفَ، فكلّ ما أخَبر اللّه تعالىٰ بلفظة، كيف، عن نفسه فهو إستخبارٌ على طريق التّنبيه للمخاطب و توبيخاً:

ء الفرقان في تفسير القرآن كريج المجلد

قال الله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ.

قال الله تعالىٰ: كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ.

قال الله تعالى: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدً.

قال الله تعالى: كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ.

اذا عرفت هذا فنقول، قول الخليل كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ليس سؤلاً عن نفس الإحياء بل هو سؤال عن كيفية الإحياء وأنّه على أيّ نحو يكون ألا تَرىٰ أنّه لم يقل ربّ أرني إحياء المَوتىٰ و قال كيف تُحي المَوتىٰ و ذلك لأنّ أصل الإحياء كان عنده عليّ الإحياء من القطّعيات و الم كيّفية الإحياء فهي أمر أخر فالشكّ فيها ليس من الكفر بشي و ذلك لأنّ إحياء اللّه تعالىٰ المَوتىٰ علىٰ أقسام لا يَعلمها إلا هو:

قال الله تعالىٰ: أِعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْى ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا(١).

قال الله تعالى: و أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا (٢).

قال الله تعالىٰ: وَ جَعَلْنا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلُّ شَييْءٍ حَيّ (٣).

و أن شئت تفصيل ذلك فأعلم أنّ الحياة تُستعمل على خمسة أوجه:

الأوّل: لقوّة النّامية الموجودة في النّبات والحيوان و منه قيل نباتٌ حَيّ واليه الإشارة بقوله:

قال اللّه تعالى: إَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

قال الله تعالى: وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا

الثَّاني: للقُّوة الحسّاسة ويه سُمّى الحيوان حيواناً:

قال الله تعالى: و ما يَسْتَوِى ٱلأَحْيَاءُ وَ لَا ٱلأَمْواتُ (\*)

قال الله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءً وَ أَمُواتًا (٥).

١- الحديد ١٤=

۲-ق = ۱۱

٣- الأنبياء = ٣٠ الفاطر = ٢٢

۵- المرسلات = ۲۵/۲۶

الثَّالث: للقُّوة العاملة ومنه.

قال الله تعالى: أو مَنْ كانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ (١) قال الشّاعر:

و قــد نــادَيتُ لَـو أسمَعت حَـيّاً ولكين لا حياة لمن تينادي

الرّابع: إرتفاع الغّم و منه قول الشّاعر:

ليس من مات فإستراح بميت أناما الميت ميت الإحياء

الخامس: الحياة الأخرّوية الأبدّية و ذلك يتّوصل اليه بالحياة التّي هي العقل والعلم:

قال الله تعالى: ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (٢). قال الله تعالى: فا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٣) يعني بها الحياة الأخرّوية الدّائمة.

السّادس: الحياة التّي يُوصف بها البارئ تعالى و هذه هي المراد في المقام إختلفوا في المراد بها فيه تعالىٰ بعد إتّفاقهم علىٰ أصل وجودها وثبوتها في حقّه فقال جمهور المتّكلمين أنّها صفة توجب صحّة العلم والقُدرة قال العلاّمة الحلِّي تَنْيَرُ في شـرح التّـجريد عـند قـول المَـصنف وكـلّ قـادر عـالم حَـيّ بالضّرورة، وزاد بعضهم في المقام فسماً سادساً وعبّر عنه بالحياة التّي يوّصف بها البارئِ فأنَّه اذا قيل فيه تعالىٰ هو حَيِّ فمعناه لا يصَّح عليه المَوت وليس ذلك إلاّ لِلّه تعالىٰ اذا عرفت أقسام الحياة فقد عرفت أقسام المَوت أيضاً فأنّ كلّ قسم من أقسام الحياة يقابله المَوت الّذي هو عدم الحياة فاذا قيل أنّ اللّه جزء ٣ ل تعالىٰ هو المُحي معناه أنّه يُحي الأموات بأقسامها و عليه فَلِلسائل أن يَسأل عن كيَّفية إحياء المَوتىٰ لأنّه لا يعلم أنّ إحياء الإنسان مثلاً بعد مَوته من أيّ قسم منها فَيطلب المعاينة والمشاهدة في الإحياء ليَنتقل من العلم الإستدلالي

٢- الإنفال = ٢٢ ١- الانعام = ١٢٢

البرهاني الى العلم الضّروري العيني وأن شئت قلت ليَنتقل من علم اليقين الى عَين اليَقين وهذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً ونقلاً فَسؤال إبراهيم عليه المَوْتى المَوْتى من هذا القبيل، وفي قوله: أَرنى إشارة الى ما ذكرناه لأنّ المراد بالرّؤية في القمام رؤية العين لا رُؤية القلب كما في قول موسى، رَبّ أَرِنتي أَنْظُو النّيك قال لَنْ تَراني (١) والدّليل على ما ذكرناه من أنّ المراد بهما رؤية البَصَر قوله أنظر اليك، فالخليل طلب من الله تعالى أن يشاهد كيفيّة إحياء الله المَوتى، والكليم طلب النظر اليه على ما سيجي البحث فيه إن شاء الله تعالى ولذلك قال تعالى في جواب الكليم لَنْ تَراني و امّا في جواب الخليل فقال خُذ أربعة من الطّير الآية و هو أي عدّم الرّد على إبراهيم دليل على أنّ السّؤال كان مَتيناً وقع في محلّه.

قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئَنَ قَلْبِي فيه إشارة الىٰ أنّ مراتب اليقين متفاوتة فالمَرتبة الأولىٰ: منه، علم اليقين و هو اليقين الحاصل للإنسان من طريق العلم والإستدلال.

الثانية: عين اليقين و هو اليقين الحاصل بالمعاينة والمُشاهدة بعد حصول العلم الإستدلالي.

القالثة: حقّ اليقين و هو اليقين الحاصل بسبب العلم والمُشاهدة والإدراك بالحِسّ و هو أعلى مراتب اليقين فقوله تعالى: أو لَمْ تُوْمِنْ بقلبك لأنّ الإيمان هو التصديق الذّي مَعه أمَنّ، و قوله: بلى، أي نعم أنّي مؤمن بقلبي أنّك تُحي المَوتى وتبعث من في القبُور، ولكن لِيَطّمئن قلبي، إشارة ما ذكرناه الوصول من مقام علم اليقين بمقام عين اليقين ولا شكّ أنّ العلم الحاصل من الإدراك الحِسّي لا يبقىٰ مَعه شكّ في القلب أصلاً ولأجل ذلك قالوا أنّ العلم الضروري



أقوىٰ من العلم الحصولي الكسّبي والهمزة في قوله، أَوَلَم تُؤمن، تفيد الإثبات أي أنّك قد آمنت لا محالة فَلِم تَسأل ذا فقال بليٰ و لكن لِيَطّمئن قلبي قال الشّاعر:

وأندى العالمين بطون راح

أَلَستُم خير من رَكب المطايا

أي أنّكم كذلك قال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ الَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتَيِنَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّه عَزِيزٌ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتَيِنَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّه عَزِيزٌ حَكيمٌ.

أمّا الطّيور الأربعة فقيل هي الدّيك، والطّاووس، والغراب والحمام و قال ابن عبّاس مكان الغراب، الكركي، ومكان الحمام النَّسر، قَصُرهن أي قَطِعهُن، و قيل أضممّهن وأجمعهن اليك من صاره يُصوره صوراً اذا أماته، و ذلك لأنّ اللّفظ جاء بكلا المعنيين يقال صار الشّئ يُصوره أي قطَّعه و عن أبي الأسود الدّئلي هو بالسّريانية التّقطيع والئ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

بأطراف عيدانٍ شديد سيورها

فَأَدَنت لِي الأسباب حتَّىٰ بلغتُها بنَهضي و قد كاد إرتقاسُ يُصورها

واليٰ المعنيٰ الثّاني أشار الشّاعر بقوله:

فلمّا جذبت الحبل أطَّت نسُوغه

وجاءت فلعة دَهَس صفايا يُصور عنُوقها أحوى زنيم

معناه أنَّ هذه الغَّنم يعطف عُنوقها هذا التّيس الأحوىٰ و قال الأخر:

اللَّـه يـعلم أنَّـا فـي تَـلَّفتنا يوم الفراق الني جيراننا صُور

و قد قُرأ بكسر الصّاد أيضاً والمعنى واحد، قيل أنّ إبراهيم أُمِر بأن يقطعها و يخلط ريشها بدّمها ويجعل على كلّ جبل منهن جزء هذا قول مجاهد وابن زيد وابن جريح وابن إسحاق ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلِ مِنْهُنَّ جُزْءًا إختلفوا في عدد الجبال فقيل أنّ الجبال كانت أربعة، و قيل سبعة، و قيل عشرة، وأنّما قال جزء ولم يقل قسماً أو سَهماً، لأنّ السّهم من الجملة ما إنقسمت عليه وليس

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثال

كذلك الجُزء ألا تَرىٰ أنّ الأثنين سهم من العشرة لأنّها تنقسم عليه وليس كذلك التُلاثة و هو جزء منها لأنّه بعض لها والمراد بقوله: ثُمَّ ادْعُهُنَّ الإشارة اليها لأنّ دعاء الجماد قبيح أي ثمّ أشر اليهنّ يأتينك سَعياً فَفَضل إبراهيم ما أمر به وأجابه الله تعالىٰ بالإحياء فصار قلبه مُطمئناً كما قال عليّا و قوله: وَاعْلَمْ أَنَّ اللّه عَزيزٌ حَكيمٌ أي أنّ اللّه يُقهِر و لا يُقهَر لأنّ العزة حالة مانعة من أن يُغلَب من قولهم أرضٌ عزاز أي صُلبة والذي لا يُغلَب أصلاً هو الله تعالىٰ و لذلك فهو العزيز بقول مطلق قال اللّه تعالىٰ: وَ لِللهِ العزّة وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلمُؤْمِنِينَ (١) ثمّ أنّها أن كانت دائمة فهي الحقيقة وأن كانت زائلة فهي غير حقيقية وحيث أنّ العزة فيه تعالىٰ أزّلي أبدي لا زوال لها أصلاً فهو يوصف بها حقاً وما سواه مجازأأنّه حكيم فقد مرّ معناه غير مرّة وقلنا في معناه أي أنّه ذو حكمة بالغة في أفعاله حكيم الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريقٍ أخر خارق فليس بناء أفعاله علىٰ الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريقٍ أخر خارق للعادات بل لكونه متضمناً لِلحكم والمصالح الخفّية التّي لا يعلمها إلاّ هو.

# تنبية عرفاني:

قال بعض العُرفاء الطّيور الأربعة أربعة معان هي في النّفس في الطّاووس زينة وفي الغراب أمّل، وفي الدّيك شهوة، وفي البّط حرص فأشار الى أنّه ما لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يُحى قلبه بالمشاهدة.

و قال بعض أخر، الطّيور الأربعة هي الصّفات الأربع التّي تولدت من العناصر الأربعة التّي خمّرت طينة الإنسان منها وهي التّراب، والماء، والنّار، و الهواء، فتّولدت من إزدواج كلّ عنصر مع قرينه صفتان فمن التّراب والماء تولد الحرص والبّخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه و من النّار و قرينه الهواء تولد الغضب والشّهوة و هما قرينان يوجدان معاً ولكلّ واحدةٍ من هذه الصّفات زوج خلق منها ليسكن اليها كحوّاء و آدم و يتّولد منها صفات

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثا

أخرىٰ فالحِرص زوجه الحَسد و البُخل زوجه الحقد و الغضب زوجه الكبر و ليس للشّهوة إختصاص بزوج معيّن بل هي كالمعشوقة بين الصّفات فَيتّعلق بها كلُّ صفة و لها منها متُّولداتُ يطول شرحها فهي الأبواب السّبعة للـدّركَّات السّبع من جهنّم يدخل الخلق منها فيها واليها و قد وَرد أنّ لها سبعة أبواب لكلّ باب منها جزءً مقسوم يعني من الخلق فَمن كان الغالب عليه صفة منها فهو يدخل النّار من ذلك الباب فأمَر اللّه خليله بذبح هذه الصّفات و هي الطّيور الأربعة، طاووس، البُخل فلو لم يزّين المال في نظر البخيل كما زيّن الطَّاووس بألوانه ما بَخل به، وغراب الحرص و هو من حرصه أكثر في الكّلب، و ديك الشُّهوة بها معروف، ونَسر الغَضَب و نسبته اليه لتصريفه في الطِّيران فوق الطَّيور و هذه صفة المُغضب فلمّا ذبح الخليل بسكّين الصّدق هذه الطّيور و إنقطعت منه متّولداتها ما بـقَى لهـا بـاب يـدخل مـنه النّار فـلمّا أُلقى فـيها بالمنجنيق قهراً صارت النّار عليه برداً وسلاماً، ثمّ أنّ الإشارة بتّقطيعها بالمبالغة و نتف ريشها و تفريق أجزاءها وتخليط ريشها و دماءها و لُحُومها بَعضها يبَعض إشارةٌ الى مَحو أثار الصّفات الأربعة المذكورة و هَدم قواعدها على ا يَدي إبراهيم بأمر الشّرع،الأمر بتقسيم أجزاءها وجعلها علىٰ كلّ جَبل جُرزً فالجبال الأربعة إشارة الى النّفوس التّي جبّل الإنسان عليها.

أولها: النّفس النّامية وتسمّى النّباتية أيضاً.

ثانيها: النّفس الأمّارة وتسمّى الرّوح الحيواني.

ثالثها: قوّة الشّيطنة وتسمّىٰ الرّوح الطّبيعي.

وابعها: قوّة الملكية وتسمّى بالرّوح الإنساني فطيور الصّفات لِمّا ذبحت وقطّعت وخلطت أجزاء بعضها ببعض و وضع على كلّ جبل روح ونفس وقوّة منها جزء بأمر الشّرع تكون بمثابة أشجارٍ وزُرُوعٍ تجعل عليها التّراب المخلوطة بالزّبل والقاذورات بإستصواب دهقانٌ ذي بصارةٍ في الدّهقنة بمقدار معلوم و

وقت معلوم ثمّ نُسقيها بالماء ليتقوى الزّرع بقوة التّراب والزّبل و تتصرف النّفس النّامية النّباتية في التّراب المخلوط الميتة فيُحيها بأذن اللّه تعالى فأنظر الى أثار رحمة اللّه كيف يُحي الأرض بعد مَوتها، فكذلك الصّفات الأربعة و هي الحرص و البُخل و الشّهوة و الغَضب مهما كانت كلّ واحدة منها على حالها غالبة على الجوهر الرّوحاني تكدر صفاءه و تمنعه من الرّجوع الى مقامه الأصلي و وطنه الحقيقي فاذا كسرت سطوتها و وَهنت قوتها و أُميتَت شعلتها و محيت أثار طباعها بأمر الشّرع وخلطت أجزاؤها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسّمت أربعة أجزاء وجعل كلّ جُزء منها على جَبل قوةٍ أو نفس أو روح فيتقوى كلّ واحدٍ من هؤلاء بتقويتها و يتربى بتربيتها فيتصرف فيها الرّوح الإنساني فيُحميها ويبدل تلك الظّلمات التّي هي من خصائص تلك الصّفات المذمومة بنورٍ هو من خصائص الرّوح الإنساني والملكي فتكون تلك الصّفات ميتة عن أوصافها ميّتة بأخلاق الرّوحانيات انتهى كلامه.

أقول ما ذكروه من التأويل لا بأس به و امّا حمل الآية عليه فلا نقول به و الحقّ أنّ الآية الشّريفة ناظرة الى مسألة المعاد الجسماني و سنتّكلم فيه إن شاء الله تعالى في المستقبل فأنّ المعاد من أعظم المسائل في الإسلام و أصَعَبها.

مَّثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ في سَبيل اللهِ كَمَثَل حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلَّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَّاللِّـهُ يُـضَاعِفُ لِـمَنْ يَّشَاءُ وَاللَّـهُ وَاسِعٌ عَليمٌ (۲۶۱)

## اللّغة

حَبُّةٍ: الحَبُّ والحَبَّة يقال في الحِنطة والشُّعير ونحوهما من المعطُّوفات والحِبّ والحِبّة بكسر الحاء يقال في بذور الرّياحين.

سَنْابِلَ: جمع سُنبلَة نباتٌ طيّب الرّائحة السُّنبُل من الزّرع كالبّر والشّعير ما كان في أعالى سوقه.

يُضْاعِفُ: يقال أضَعفت الشَّئ وضَعّفته وضاعَفته، ضَممتُ اليه مثله فَصاعداً قال بعضهم، ضاعفتُ أبلغ من ضَعّفتُ.

## ⊳ الإعراب

مُّتَّلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ امْوْالَهُمْ في الكلام حذف مضاف تقديره مَثل إنفاق الذِّين يُنفقون، و مَثَل مبتدأ كَمَثَل حَبَّةٍ خَبره أَنْبَتَتْ سَبْعُ سَنْابِلَالجملة في موضع حرِّ صفة لحبَّة فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ مبتدأ وخبر في مَوضع جرّ صفة لسنابلُ و النَّون في سنبلة زائدة وأصله من أسبل و قيل هي أصل، والأصل في جزء ٣ كمائة، مَلَية ثمّ حُذفت اللهم تخفيفاً كما حُذفت لام يد.

# ∕> التّفسير

قيل هذه الآية متّصلة بقوله تعالىٰ من ذا الّذي يُقرض اللّه قَرضاً حَسناً، وقد مَرَّت وما بينهما الإعتراض بالإستدعاء الىٰ الحقّ ممّا أمَر اللّه بالحُجج والعبر

ضياء القرقان في تفسير القرآن \* جياً العجلة التي ذكرها من إحياء المَوتى لإبراهيم و من حاججه للّذي إدّعى أنّه ربّ العباد الى غير ذلك ممّا تقدم ذكره روي القُرطبي عن ابن عُمر أنّه قال لمّا نزلت قال رسول اللّه عَيَّكُولُهُ ياربّ زد أُمّتي فنزلت من ذا الذّي يُقرض اللّه قرضاً حَسناً فيُضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال رسول اللّه ياربّ زد أُمّتي فَنزلت أنّما يُوفي الصّابرون أجرهم بغير حساب، وهذه الآية لفظها بيان مثالٍ لِشَرف النَّفَقة في سبيل اللّه ولِحُسنها وضمَّنها التّحريض علىٰ ذلك.

مَّثَلُ الَّذَيِنَ يُنْفِقُونَ اَمُوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ شَبَه اللّه تعالىٰ الإنفاق في سبيل الله بحَبة انَّبَتَتْ سَبْعَ سَنايلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّاتَةُ حَبَّةٍ فيصير حاصل الضَّرب سَبع مائة وهو من تشبيه المعقول بالمحسُوس فالمُشَبه هو الإنفاق، والمُشَبه به هو الحَبّة التي انَّبَتَتْ سَبْعَ سَنايلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّاتَةُ والمُتصدق الزّارع والصَّدقة بالبذر، والله يُضاعف لمن يشاء، أي أنّ الله تعالىٰ اذا شاء أن يضاعف بأن يُعطى أكثر من سبع مائة فلا مانع منه فأن أزِمة الأمور بيده والأجر يدور مدار الإخلاص في العمل شدّة وضعفاً وكمالاً و نقصاً وفي قوله: وَاللّهُ واسِع عَليمٌ إشارة الىٰ سعة مقدرته و أنه لا يضيق عنه ما شاء من الزّيادة أو أنه واسع الرّحمة لا يضيق عن مضاعفة، عليمٌ، بما كان من النّقة.

و عن تفسير العيّاشي عن المفضل بن محمّد الجُعفي قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله، حَبّة أنْسَبَتْ سَبْعَ سَنْابِلَ قال عليّ الحَبّة فاطمة عليك والسّبع السّنابل سبعة من ولدها سابعها قائمهم قلتُ الحَسن عليه قلل عليه قلل عليه أنّ الحسن إمام من الله مُفترضٌ طاعته ولكن ليس من السّنابل السّبعة أوّلهم الحسين وأخرهم القائم فقلتُ قوله في كلّ سُنبلة مائة حَبّة، فقال عليه إلى يولد الرّجل منهم في الكوفة مائة من صُلبه وليس ذلك إلا هؤلاء السّبعة انتهىٰ.

قال المُحدّث الحرّ العاملي في كتاب إثبات الهداة بعد ذكر الحديث أقول هؤلاء السّبعة من جملة الأثني عشر وليس فيه إشعار بالحصر ولعلّ المراد السّابع من الصّادق عليّ لأنّه عليّ هُو المُتّكلم بهذا الكلام انتهى.

و عن كتاب ثواب الأعمال عن أبي عبد الله عليه قال: اذا أحسن العبد المؤمن ضاعف الله له عمله بكلّ حَسَنةٍ سبع مائة ضُعفٍ و ذلك قوله تعالى: وَّاللّٰهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَّشَاءُ انتهىٰ.

و عن تفسير علّي بن إبراهيم قال أبو عبد الله عليَّ إِ: وَّاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَّشَاءُ لِمن أَنْفَق ماله إبتغاء مَرضات الله انتهىٰ.

أقول في الآية دلالة وافية على كمال التّحريض على الإنفاق الشّامل للواجب والمندُوب فالقول بأنّ المضاعفة في الآية خاصة بالجهاد والإنفاق فيه لا دليل عليه ولا ينافيها ما وَرد في الآية من جاء بالحسَنة فله عَشر أمثالها، وذلك لأنّ العشرة أقلّ الجزاء ثمّ يتّزايد بإختلاف الأحوال و قيل بأنّ العشرة في الطّاعات والمضاعفة في الإنفاق.

ياء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ الدجلد ا

باء الفرقان في تفسير القرآن كمريج المجا

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ لاَيُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذَى لَهُمْ يَحْزَنُونَ (٢٤٢) رَبِّهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٤٢) قَوْكُ مَّغُورَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٤٣) يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بَالْمَنِّ والأَذَىٰ كَاللَّهِ وَالْيَوْمِ يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ فَمَثَلُه كَمَثَلِ صَفْوَانِ عَلْيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ الْالْخِرِ فَمَثَلُه كَمَثَلِ صَفْوَانِ عَلْيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَالِيلُهِ وَالْيَوْمِ وَالِيلُهِ وَالْيَوْمِ وَالِيلُهُ وَالْيَوْمِ وَالِلّهُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْ مِمَا اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٤٢) كَسَبُوا وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٤٢)

## ⊘ اللّغة

لاَيُتْبِعُونَ: بضم الياء مضارع، أتبَع والمصدر منه الإتباع مَنّاً، المَن بفتح المميم وتشديد النون مصدر من قولك مَنَ يَمُنُ مَنّاً وهو في الأصل ما يؤذن به ويقال لِما يُقدر ممنون كما يقال موزُون، والمِنّة النّعمة الثّقيلة ويقال ذلك على وجهد:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال، مَنَّ فلان على فلان اذا أثَقَله بالنَّعمة وعلىٰ ذلك:

قال اللّه تعالى: لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنينَ <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلَى مُوسَى وَ هُرُونَ (٢)

قال الله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ (٣)

۱- اَل عمران = ۱۶۴

٢- الصافات = ١١٤

٣- القصص = ٥

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸

جزء٣'

و أمثالها من الأيات و ذلك على الحقيقة لا يكون إلاّ لِلّه تعالىٰ.

الثّانى: أن يكون ذلك بالقول و ذلك مُستَقبحٌ فيما بين النّاس إلاّ عند كُفران النّعمة ولقُبح ذلك قيل المِنّة تَهدِم الصّنيعَة ولحُسِن ذكرها عند الكفران قيل اذا كفرت النّعمة حَسنت المنّة.

وَلا أَذَى الأذى ما يصل الى الحيوان من الضّرر إمّا في نفسه أو جسمه أو متابعته دُنيّوياً كان أو أُخرّوياً قال تعالى: لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بَالْمَنِّ والأَذَىٰ متابعته دُنيّوياً كان أو أُخرّوياً قال تعالى: لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بَالْمَنِّ والأَذَىٰ والظّاهر أنّه مصدر قولك، أذى وأذاة أُ أُصيب بأذى وقيل الأذىٰ الضّرر البّسير.

صَدَقُرات كُمْ: جمع صَدَقة وهي ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزّكاة لكنّ الصّدقة في الأصل تقال للمتّطوع به و الزّكاة للواجب و قد تطلق الصّدقة على الواجب أيضاً ومنه قوله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوالهِمْ صَدَقَةُ (١) والمراد بها الزّكاة المفروضة.

رِثَاءَ النَّاسِ: الهمزة الأُولىٰ عين الكلمة لأنّه من رأىٰ والأخيرة بَدَلَّ من الياء لوقوعها طرفاً بعد ألفٍ زائدةٍ كالقضاء والدّماء و يجوز أن تُقرأ بالياء فراراً من ثقل الهمزة بعد الكسرة فيقال رياء و قد قرئي به في الأية.

صَفْوَانِ: بفتح الصّاد جمع صَفوانة والأحسن أن يقال هو جنس لا جمع عاد الضّمير اليه بلفظ الأفراد في قوله عليه تراب، و قيل هو مفرد ليس بجمع واحده صَفا، وحُكي بكسر الصّاد وهو أكثر الجمُوع ويُقرأ بفتح الفاء وهو شاذّ.

وَابِل: الْوَبِل و الوابِل المَطر الثّقيل القطار قال الله تعالىٰ: كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصْابَها وابلُ (٢).

صَلْداً: الحجر الصّلب الذّي لا ينبت ومنه قيل رأس صَلد لا يُنبت شعراً وناقة صَلود ومصلاد: قليلة اللّبن، وصَلَد الزّبد لا يخرج ناره.

#### ♦ الإعراب

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمُوْالَهُمْ مُبَتداً لَهُمْ أَجْرُهُمْ خبره و لام الأذىٰ ياء يقال أذىٰ، يأذىٰ، أذىٰ مثل نَصب ينصب نصباً قَوْلٌ مَعْرُوفٌ مبتدا و مَعْفِرَةٌ معطوف عليه خَيرٌ مِّن صَدَقَةٍ خبره ويتُبْعُهَا صفة لِصَدَقة كَاالَّذي يُنْفِقُ الكاف في موضع نصب نعتاً لِمَصدر مَحذُوف رِثَاءَ النَّاسِ مفعول لأجله و يجوز أن يكون مصدراً في موصع الحال أي يُنفق مرائياً فَمَثلُه الفاء لربط الجملة بما قبلها عَلْيهِ تُرَابٌ في موضع جرّ صفة لصَفوان و يجوز الرّفع بالإبتداء فَأَصَابَهُ الفاء عاطفة علىٰ الجّار لأن تقديره إستقر عليه تراب فأصابَه و الألف منقلبة عن واوٍ لأنّه من صاب يصوبُ فَتَرَكَهُ صَلْداً هو مَثَل لا يَقْدِرُونَ مُستأنف لا موضَع له.

#### ⊳ التّفسير

لما ذكر سبحانه الإنفاق وأحواله، والتّحريص عليه أعقب الكلام بذكر النّهي عن إتّباعه بما يُبطله وإن شِئت قلت بعد ذكره الانفاق وأنّه ممدوح عَقبَّه ببيان كيفيّة الإنفاق.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أي يخرجون أَمُواٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أي في طريق طاعته ثُمَّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ مَآ أَنفَقُوا من أموالِهم مَنّاً وَلاَ أَذَى مثل أن يقول ألَم أعطِك كذا ألَم أحسن إليك، ألم أغنِك و امثال ذلك ممّا يدّل علىٰ المِنّة والإيذاء.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ أي لهؤلاء المُعطين أجرهم وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من أحوال يوم القيامة وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ لَفوته ونَقصانه و لذلك قال تعالىٰ قَوْلٌ أحوال يوم القيامة وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ لَفوته ونَقصانه و لذلك قال تعالىٰ قَوْلٌ مَعْفُرَةٌ قيل المغفرة هنا السّتر للخّلة وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الإعرابي و قد سأل قوماً بكلام فصيح فقال له قائل مِمّن الرّجل فقال له اللّهم غفراً، سوء الإكتساب يمنع من الإنتساب وقيل المعنىٰ تجاوزٌ عن السّائل إذا ألح وأغلظ وحَفي خير من التّصدق عليه مع قيل المعنىٰ تجاوزٌ عن السّائل إذا ألح وأغلظ وحَفي خير من التّصدق عليه مع



المنّ والأذيٰ وكيف كان فالقول المعروف و المغفرة خَيْرٌ أي أحسَن وأجمَل مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى بأن تَمُن بها علىٰ السّائل و بعبارةِ أخرىٰ غفران اللّه خير من صَدقتَكم هذه الّتي تَمُنّون بها وَاللّهُ غَنِيٌّ عن صَدقة العباد وأنّما أمَرَ بها لِيُثيبهم عليها حَلِيمٌ فلا يعجل بالعُقوبة علىٰ مَن مَنَّ و أذي و لقبح المَنَّة و الأذى أَكَدُّ كلامه فقال يُأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّه وبرسوله لا تُببطلُوا صَدَقَا تِكُمْ بَالْمَنِّ والأَذَىٰ بأن تَمنُّوا السّائل كَاالَّذي يُنْفِقُ مُالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ أى لا تكونوا كالَّذين ينفقون أموالهم رياءً لا قربةً الى اللَّه وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ و ذلك لأنّ منشأ الريّاء عدم الإيمان أو قلتَّه (فَمَثَلُه) أي مثل المرآئيكَمَثَلِ صَفْوَانِ أي حجرِ أملس عَلْيهِ تُرَابٌ يستره فَأَصَابَهُ وَإبلٌ أي فأصاب الحجر المستور تحت التّراب مطرٌ عظيم القطر شديد الوقع فَتَرَكُّهُ صَلْداً أي حجراً صلباً أملساً شبّه سبحانه فعل المنافق المنّان المؤذي المراّئي بالصَّفا الَّذي أزال المطر ماكان عليه من التّراب فأنّه لا يقدر أحَد على ردّ ذلك التّراب عليه كذلك إذا دفع المنّان صدقة و قربٌ بها المنّ فقد أوقعها علىٰ وجه لا طريق له الى إستدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الّذي لا يستّحق عليه الثُّوابِ فأنَّ وجوه الأفعال تابعة لحدوثها فإذا فات فلاطريق الى تلافيها ولذلك قال: لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَئ مِمَّا كَسَبُوا أي لا يقدر هؤلاء علىٰ نفقتهم ولا علىٰ ثوابها و لا يعلمون أينَّ ثوابها و لا يحصلون منها على شئ كما لا يحصل أحد على التّراب الّذي أذهبه المطرعن الحجر: وَاللَّهُ لا يَسَهْدِي الْقَوْمَ جزء ٣ / الْكَافِرينَ أي أنّه تعالىٰ لا يثيب الكافرين على أعمالهم إذ الكفر محبطٌ له وأنَّما يُثيب المؤمنين الَّذين أوقعوا أعمالهم على الوجوه الَّتي يستحق بها الثُّواب، و قيل معناه، أنَّ اللَّه لا يهديهم الى الجنَّة كما يهدي المؤمنين اليها، و قيل معناه أنّه تعالىٰ لا يعطيهم ما يُعطي المؤمنين في زيادة الألطاف والتّوفيق وأنَّما عبَّر عنهم بالكافرين لأنَّ المنَّ و الأذيٰ من أولىٰ النَّعمة في الحقيقة كفران

النّعمة كما أنّ ترك المنّ والأذى من الشّكر عليها هذا تمام الكلام في تفسير الألفاظ ولنشر الى بعض ما ورد في الباب من الأخبار والآثار.

و عن أبي ذر عن النبي عَلَيْ قال ثلاثة لا يُكلمهم الله المنان، الذي لا يُعطي شيئاً إلا يَمُنَّه، والمُسبل أزراره، والمُنفق سَلعته بالحَلف الفاجر انتهي.

و في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه الله عليه قال رسول عَلَيه أنّ الله تعالى كرّه ستّ خصال و كرهته نلأوصياء من ولدي و أتباعهم من بعدي، العبث في الصّلاة، والرّفث في الصّوم، والمنّ بعد الصدية، الحديث.

و في روايةٍ أخرى عنه عليه المنافية من أسدى الى مؤمنٍ معروفاً ثمّ أذّاه بالكلام أو مَنَّ عليه فقد أبطل صدقته.

و روي في الفقيه عن الوصّاني عن أبي جعفر الحَيِلِ قال الحَيْلِ: فيما ناجى الله موسى أن قال يا موسى أكرم السّائل ببذلٍ يسير أو برد خَميل أنّه يأتيك من ليس بأنس ولا جَانٍ ملائكة من ملائكة الرّحمن يُبلونك فيما خَولتك و يسألونك فيما تَوليتك فأنظر كيف أنت صانع يابن عمران الحديث.

و عن الكافي بأسناده عن أبي جعفر المُنْ أنّه قال: الإبقاء على العَمل أشدٌ من العَمَل قيل له و ما الإبقاء على العَمل قال المُنِيلِ يَصل الرّجل بصلة وينفق نَفقة لِله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثمّ يذكرها فتُمحى فتُكنب له رياءً انتهى.

وأيضاً بأسناده عن أبي عبد الله الطَّلِهِ أنّه قال: كلّ رياءً شرك أنّه من عَمِل للنّاس كان ثوابه على الله النّاس و مَن عَمِل لِلّه كان ثوابه على الله انتهىٰ.

و في حديثٍ آخر من عَمل لغير الله وكله الله الىٰ مَن عَمل له، و فى أُخرىٰ وكله الله الىٰ عَمَله.

و عن أبي عبد الله عليه قال: قال رسول الله عَيْبِالله سيأتي على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم و تُحسن فيه علانيتهم طَمعاً في الدّنيا لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء لا يخافون خوف يَعمّهُم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يُستجاب لهم انتهى.

أقول و نحن في هذا الزّمان كذلك صدق رسول الله والأحاديث الواردة في الباب.

كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولى الدّراية وسيأتي البحث في هذا الموضوع غير مرّةٍ في تفسير الأيات.



وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوٰالَهُمُ ابْتِغْآءَ مَــرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّـنْ أَنْـفُسِهِمْ كَـمَثل جَـنَّةٍ بِـرَبْوَةٍ اَصابَها وابلٌ فَاتَتْ أَكُلَها ضِعْفَينْ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وْابِلُ فَطَّلُ وَّاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٤٥)

#### ا اللغّة

جَنَةٍ: الجنّة البستان وهي قطعة أرضٍ تنبتُ فيها الأشجار حتّىٰ تغطّيها فهي مأخوذة من لفظ الجّن والجّنين لإستتارهم.

بِرَبُوْرٍةِ: الرِّبوة بفتح الرّاء وكسرها وضَّمها المكان المرتفع ومنه دُرِيا، إذا زاد وعلاً قال الله تعالى: إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَراْرٍ وَ مَعينِ (١) و منه الرّبا الزّيادة على رأس

وْ ابلَ : الوَابل المَطر الثّقيل القطر.

أَكُلُّهَا: الأَكُل والأَكَل بسكون الكاف وضَّمها من النَّـمر ما يُـؤكل، الرّزق الواسعيعبر عنه بالنّصيب فيقال فلان ذو أُكُل من الدّنيا أي ذو حظٍّ ونَصيب. فَطُلُّ: الطَّل بفتح النَّاء أضعف المطر و هو ماله أثرٌ قليل ومنه طُلِّ، دم فلان

إذا قلَّ الإعتداد به و يصير أَثَره كأنَّه طَلِّ كما يقال لأثر الدَّار طَلَل، ولشخص الرّجل المُترائي طَلَل.

# ♦ الإعراب

ابْتِغْآءَ مفعول من أجله وَتَنْبِيتاً معطوف عليه و يجوز أن يكونا حالين أي مُبتغين و مُثبتَين مِّنْ أَنْفُسِهِمْ مِن، بمعنىٰ اللاّم أي تَثبيتاً لأنفسهم و يـجوز أن



تكون على أصلها أي تَثبيتاً صادراً من أنفسهم، والتّثبيت مصدر فعل متعّد فعلىٰ الأوّل يكون، من أنفسهم، مفعول المصدر وعلىٰ الثّاني يكون المفعول محذوفاً تقديره ويُثْبَتون أعمالهم بإخلاص النّية أصْابِهَا صفة لِلجنة ويجوز أن تكون في موضع نَصب علىٰ الحال من الجنّة وأن تكون حالاً من الضّمير في الجّار ضِعْفَينْ حال أي مُضاعفاً، فَطَلُّ خبرُ مبتدأ محذوف تقديره، فالّذي يُصيبها طلُّ، أو فالمُصيب لها طلِّ، أو فَمُصيبها و يجوز أن يكون فاعلاً تقديره، فَيُصيبها طُلّ.

# ∕> التّفسير

لمًا ضَرِبِ اللَّه تعالىٰ في الآية السَّابقة مَثَلاً لعمل المُنافق والمنَّان علىٰ ما مرّ شرحه ضَرب في هذه الآية مَثَلاً لِمَن أَنفَق مالَه إبتغاء مَرضات الله أي طلباً لرضاه:

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوٰالَهُمُ ابْتِغْآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ثُم قال وَتَثْبِيتاً مِّت أَنْفُسِهِمْ. أي بقّوة اليقين والبَصيرة في الدّين و قيل أي توطيناً لنفوسهم علىٰ النُّبوت علىٰ طاعة اللَّه، و قيل أي يوطُّنون أنفسهم على حفظ هذه الطَّاعة و ترك ما يفسدها من المّن والأذي، و قيل تَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ عند المؤمنين أنّها صادقة في الإيمان مخلصة فيه، و قيل أنَّ النَّفس لإثبات لها في موقف العَّبودية إلاَّ إذا صارت مقهورة بالريّاضة فإذا بذل ماله وروحه معاً فقد ثبت لِنفسه كلُّها كما إذا بذل مالَه وحده فقد ثبت بعض نفسه فعلىٰ هذا، مِن، للتّبعيض الرّجاج جزء٣ > معناه تصديقاً لِلإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم جازمين بأنَّ اللَّه تعالىٰ لا يضّيع ثوابهم، وعلىٰ هذا القول، مِن، لِلإبتداء وجزمهم بالثّواب هو التّثبيت و قيل أنّه إذا أنفق لأجل عبودّية الحقّ لا لأجل غرض النّفس وحَظَّ من حُظُوظها فهُناك إطّمأن قلبه وأستّقرت نفسه ولم يحصل لِنفسه منازعة مع قلبه فذلك الإستقرار هو التّثبيت و قيل غير ذلك والمعنىٰ واضح.

بياء الفرقان في تفسير القرآن كريج الد

كَمَثلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصْابَهَا وَابِلُ شَبِّه اللَّه تعالىٰ: الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَـهُمُ كذلك بالجنّة و من المعلوم أنّ المنفق لا يشبه الجنّة و لذلك قالوا في بالحذف وتقديره مثل الّذين ينفقون ففي الحقيقة شبّه النّفقة الّتي تزكو بالجّنة الّتي تثمر و الحاصل أنَّ الإنفاق في سبيل الله طلباً لمرضاته يشبه الجنَّة في الشَّمر فحاصل المعنىٰ هو أنّ مثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جَنَّةٍ بِرَبُّوَةٍ، أي في مكانٍ مرتفع و ذلك لأنّ الشّجر فيها أزكي و أحسن ثمراً منها إذا كانت بمكان خفضٍ) و لقائل أن يقول أنّ المكان المرتفع لا يَحسن ريعه لبعده عن الماء ورّبما تضّر به الرّياح كما أنّ الوهاد لكونها مصّب المياه قلّما يحسن ريعها فإذن البستان لا يصلح له إلاّ الأرض المستوية فالمواد بالرّبوة أرضٌ طيبّة حرّة تنتفخ و تربو إذا أنزل عليه المطر فأنَّها إذا كانت علىٰ هذه الصَّفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالىٰ: وَ تَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَتْ و رَبَتْ (١) و ممّا يؤكّد ما ذكرناه أنّ هذا المثل في مقابلة المثل الأوّل فكما أنّ الصَّفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي أن تكون هذه الأرض ىحىت تَربُو وتَنمُو.

فَاتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيِنْ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَّلُ أَي فَاتَت الجنّة أَكُلها أي شمرتها ضعفين و الفرق بين الأكل بِسكون الكاف والأكُل بضمّها هو أنّ الأوّل مصدر و الثّاني أعني مفهوم الكاف هو الطّعام الّذي يؤكل، و المراد بقوله ضعفين، أي مثلين لأنّ ضَعف الشّيُ مثله زائداً عليه و امّا قوله: فَطلٌ فقيل هو اللّين من المطر و إنّما ذكر الطّل هيهنا لتشبيه أضعاف النّفقة به كثرت أو قلّت إذا كان خيرها لا يختلف على حالٍ وإنمّا قيل لما مضى فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا والبِلُ إذا كان خيرها لا يختلف على حالٍ وإنمّا قيل لما مضى فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا والبِلُ فَطَلٌ لأنّ فيه إضمار كان تقديره فأن لم يكن يُصبها وابلٌ، فطلٌ ومثله قد أعتقتُ عَبدَين فأن لم أعتق قال الشّاعر:

إذا مــا أُنــبتنا لم تَـلدني لئـيمةُ ولَم تجدي من أن تقري بها بـدّاً

والمراد أنّها علىٰ جميع الأحوال لا تخلو من أن تثمر قلّ أوكثر وكذلك من أُخرِجَ صدقةً لِوجه الله لا يضيع الله أجره قلّ أوكَثُر و يحتمل أن يمثّل حالهم عند الله بالجنّة على الرّبوة، و نفقتهم القليلة أو الكَثيرة بِالوابل والطَّل فكما أنّ كلّ واحدٍ من المطرين يضعف أكل الجنّة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم و حُسن حالهم.

وَّاللُّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ أي أنّه تعالىٰ بصير بما تعملون من وجوه الإنفاق و كيفيّتها والأمور الباحثة عليها فيجازيكم بحسب نيّاتكم وإخلاصكم.

، القرقان في تفسير القرآن كريم العج

اَيَودُّ اَحَدُّكُمْ اَنْ تَكُونَ لَه جَنَّةٌ مِّنْ تَّخْيلٍ وَّاَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَه فَيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَه ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَاصَابَهَا إعْصَارُ فيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَالِكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶)

## ⊳ اللّغة

جَنَّةً: الجَنَّة البستان و قد مرّ.

مِّنْ نَّخيلٍ: النَّخيل جمع النَخَل و هو معروف و قد يستعمل في الواحــد والجمع يقالُ انتخلتُ الشَّئ أي انتقيته فأخذتُ خياره.

أعْناب: العَنب يقال لثمرة الكرم الواحدة عِنبة و جمعه أعناب.

وَلَه ذُرِّيَةٌ: الذَرِّية أصلها الصغار من الأولاد و أن كان قد يقع على الصّغار و الكبار معا في التّعارف و يستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع و فيها ثلاثة أقوال.

أحدها: أنَّها من ذَرأ الخلق فترك هَمزُه نحو رويَّة و برّية.

**ثانيها**: أنّ أصلها، ذُرّية.

ثالثها: أنّها فعليّة من الذّر نحو قمرية.

ضُعَفْآءُ: جمع ضعيف.

إعْضارٌ: الإعصار ريحٌ تثير الغبار.

# √ الإعراب

مِّنْ نَحْيِلِ صفة لجنّة تَجْري صفة أخرى لها لَه فَيها مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ في الكلام حذف تقديره له فيها رزق من كلّ أنواع الشّمرات وَاصَابَهُ الجملة مال

من، أحد، و، قد، مرادة تقديره و قد أصابه وكه ذُرّيةٌ جملة في موضع الحال من الهاء في أصابه فَأَصْابَهَا معطوف على صفة الجنّة.

## ⊳ التَّفسير

في هذه الآية أيضاً ضرب الله مثلاً في الحسرة بسلب النّعمة فقيل هو مثل للمرائي في النَّفقة لأنَّه ينتفع بها عاجلاً و تنقطع عنه آجلاً في أحوج ما يكون اليه هذا قول السّدي و قال مجاهد هو مثل للمفرط في طاعة الله بملاذ الدّنيا يحصل في الآخرة علىٰ الحسرة العظمي، و قال إبن عبّاس هو مثل للّذي يختم عمله بفساد.

**اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُونَ لَه جَنَّةُ** الوُدْ، الحبّ و الفرق بينهما أنّ المودّة قد تكون بمعنىٰ التّمني نحو قولك، أودّ لو قدم زيد بمعنىٰ أتّـمني لو قـدم و لا يجوز أحبّ لو قدم، والمعنىٰ أيحبّ أحدكم أن تكون له جَنّة أي البستان الكثيرة الشَّجر مِّنْ نَّخيل وَّاعْناب أي أنّ أشجارها من نخيل وأعناب تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْآنْهارُ لَه فيها مِنْ كُلّ الثَّمَراتِ أي في الجنّة من كلّ الثّمرات فالثّمرة طعام النّاس من الشّجر وَأَصَّابَهُ الْكِبَرُ أي لحقه الكِبَر و المراد بـ الشّيخوخة وَلَه ذُرِّيَةٌ ضُعَفْآءُ الذّرية الولد من النّاس و الضّعف نقصان القوّة فَأَصٰابَهٰآ أي فأصاب الجَنّة إعْصالٌ فيهِ نٰارٌ أي أصابها ريحٌ فيه نار فَاحْتَرَقَتْ الجنَّة أي أشجارها كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ و جزء ٣ كم تتَّعطفون بها و ملخصٌ ما يستفاد من الآية هو أنَّ كبر السِّن فِظَّنة شدَّة الحاجة الىٰ الجنَّة الَّتي فيهاكلِّ الثَّمرات مضافاً الى وجود ذِّريةٍ أي أولاد صغار ضعفاء لا يقدرون على الكسب و ترتيب مبادئ المعاش ففي هذه الصّورة لو أصاب الجنّة اعصارٌ أي ريحٌ عاصفة تستدير في الأرض ثمّ تنعكس منها صاعدةٌ الى السّماء على هيئة العمود فيه نارٌ شديدة فإحترقت الجنّة فصارت نعمها الى

الذهاب وأصلها الى الخراب فلا محالة يبقى الرّجل متحيّراً لا يجد ما يعود به عليها ولا قوّة له أن يغرس مثلها و لا خير في ذرّيته من الإعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن أن يُعينوه فهذا كما ترى تمثيل لحال من يفعل الأفعال الحسنة و يضمّ اليها ما يحبطها مثل الرّياء والإيذاء فأنّه لا يبقى له إلاّ الحسرة و الأسف إذا كان يوم القيامة و اشتدّت حاجته اليها و لذلك قال الله تعالى في آخر الأية: كَذَالِكَ يُبيّنُ اللّهُ أي مثل ذلك البيان الواضح فيما مرّ من الجهاد والإنفاق في سبيل الله بداعي التقرب اليه يكفي لكم كي تتفكّروا فيها و تعتبروا بها فيها وتعملوًا بمُوجبها.

تَنبيةً عرفانّي.

قال بعض العرفاء هذه آيات ذكرها الله علىٰ جهة ضرب المثل، للمخلص، و المنافق.

و المنفق في سبيل الله والمُنفق في الباطل هؤلاء لا يحصل لهم الخلف والترف و هؤلاء يحصل لهم السرف والتلف و هؤلاء ضلّ سعيهم و هؤلاء شكر سعيهم و هؤلاء تزكوا أعمالهم و هؤلاء حبطت أعمالهم و خسرت أموالهم و ختمت بالسُّوء أحوالهم و تضاعف عليهم و بالهم و مثل هؤلاء كالذي أنبت زرعاً ذكئ أصله ونما فضله و علافرعه وكثر نفعه، و مثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته و سرقت بضاعته و ضاعت على كبر سنّه غلّته و تواترت من كلّ وجه محنته هل يستويان مثلاً و هل يتقاربان شبهاً انتهى.

قال أبو عبد الله علي الله علي من تصدَّق عليه كان كَمن كان له خَنه كان كَمن كان له جَنّه كثيرة الثّمار و هو شيخ ضعيف له أو لاد ضعفاء فتجيً ريح أو نار فتُحرق ماله كله انتهى.

فلا بدّ لنا من إخلاص الأعمال فأنّ الثّمرات تبتني على الأصول و لذلك قال رسول الله عَيَالِللهُ لمعاذ بن جَبل حين بعثه الى اليَمن،

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم مجمع العجا

أخلص دينك يكفك العمل القليل، و قال عَيَّالِهُ لأبي ذر الغفاري يا أبا ذر جدّد السّفينة فأنّ البحر عميق وأكثر الزّاد فأنّ السّفر بعيد، وأقل من الحمولة فأنّ الطّريق نخوف وأخلِص العَمَل فأنّ النّاقد بصير انتهىٰ.

و المراد بالنّاقد البصير هو اللّه تعالى فأنّه طيب لا يقبل إلاّ الطّيب الخالص عن الشّرك و الرّياء قال اللّه تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لا يُشْرِكُ بِعِبْادَةِ رَبِّةٍ أَحَدًا (١) و في الحديث قال اللّه تعالى، أنّا غنّيّ عن الشّركاء فمن عمل لي و أشرك فيه غيري فأنّي برئ منه، فعليك يا أخي في كلّ عبادة بل في كلّ عمل أن تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرّياء بل مطلق الأرجاس كالحسد و البُخل و أمثالهما و تقرّه على الإخلاص الى أنّ يتّم العمل فأنّ العمل سهل والإخلاص فيه صعبٌ و قد قال اللّه تعالى: إنّها يَتَقَبّلُ ٱللّهُ مِنَ الْمُتّقينَ (٢) والحمد لله ربّ العالمين.

ضياء القرقان في تفسير القرآن كم في المجلد الثالث

ال به يا اَيُّهَا الَّذِينَ المَنُوَا اَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ماكسَبْتُمْ وَمِمُّا اَخْرَجْنا لَكُمْ مِّنَ الْآرْضِ وَلاَ تَسَيَّمَهُوا وَمِمُّا اَخْرَجْنا لَكُمْ مِّنَ الْآرْضِ وَلاَ تَسَيَّمَهُوا الْخَبيثَ مِنْهُ تُسْفَقُونَ وَلَسْتُمْ بِالْحِذْيِهِ اللَّا اَنْ اللَّهَ غَنِيٌّ حَميدٌ (۲۶۷)

#### ⊳ اللّغة

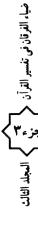
مِنْ طَيِّبَاتِ:الطَّيبات بفتح الطَّاء جمع الطَّيب و هذا من نـوادر الجـمُوع وأصل الطَّيب ما تستَلذه الحواس و ما تستَلذه النَّفس و هو ضدَّ الخَبيث.

وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ: التَّيَمم القصد أي لا تقصدوا الخبيث ضدّ الطّيب. بِاخِذْبِهِ : الأخذ بكسر الخاء إسم فاعل من أخَذَ يأخذ.

أَنْ تُغْمِضُوا: الغَمض في الأصل النّوم العارض تقول ما ذقتُ غمضاً وال غماضاً و بإعتباره قيل أرض غامضة ودارٌ غامضة وغَمض عَينه وأغَمَضها وضع أحدى جفنيه على الاخرى ثمّ يستعار للتّغافل والتساهل و ما نحن فيه بهذا المعنى.

# ♦ الإعراب

آنْفِقُوا مِنْ طَبِبّاتِ المفعول محذوف وتقديره، شيئاً من طيبات وَلاَ يَبَعَمُوا الجمهور على تخفيف التاء و ما ضيه تَيَّمم والأصل تَتَيمَمُوا فحذف التاء الثّانية و يقرأ بتشديد التّاء و قبله ألف و هو جمع بين ساكنين و قرأ بضمّ التّاء وكسر الميم الأولى على أنّه لم يحذف شيئاً و وزنه تفعلوا منه متعلّقة (بمنفقُون) والجملة في موضع الحال من الفاعل في تيمّموا و يجوز أن يكون حالاً من الخبيث لأنّ في الكلام ضمير يعود اليه أي مُنفقاً منه ولَسْتُم إِلاّ أنْ تُعْمِضُوا في موضع الحال أي إلاّ في حال مستأنف لا موضع له إلا آنْ تُعْمِضُوا في موضع الحال أي إلا في حال



الإغماض والجمهور على ضمّ التّاء و إسكان الغين وكسر الميم و ماضيه، أغَمِض، و هو متعدِّ و قد حُذف مفعوله أي تُغمِضوا أبصاركم أو بصائركم و يجوز أن يكون لازماً مثل أغضىٰ عن كذا و يقرأ كذلك إلاّ أنّه بتشديد الميم و فتح الغين و التقدّير أبصاركم ويقرأ تُغمَضُوا بضمّ التّاء و التخفّيف و فتح الميم على ما لم يسمّ فاعله والمعنى إلا أن تحملوا على التّفاعل عنه و المسامحة فيه و يقرأ بفتح الفاء و إسكان الغين وكسر الميم من غُمِض يغمض و هي لغة في غمض و يقرأ وكذلك الأ أنّه بضّم الميم و هو من غُمُض كظرف أي خفي عليكم رأيكم فيه.

يًا أَيُّهَا الَّذِينَ ٰامَنُوٓا الخطاب للمؤمنين خاصّة دون سائر النّاس و قال الحسن و علقمة كلّ شئ في القرأن يا آيُّهَا الَّذينَ امَنُوٓا فأنّما أُنزل بالمدينة و كلَّما فيه يا أَيُّهَا النَّاس أَنزلَ بمكَّة أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ قيل المراد بالإنفاق هنا الزَّكاة المعروضة نهى النَّاس عن إنفاق الرَّديُّ فيها بدل الجيِّد و قال بعضهم أنَّ الآية في التَّطوع ندبوا أن لا يتَّطوعوا إلاَّ بمختارِ جيَّد و الحقِّ فيها العموم اذ لا دليل على التخصّيص و عليه فالمراد بالإنفاق هنا هو التصدّق في سبيل الخير و وجوه البّر من الصّدقة الواجبة وغيرها و أنّما حملناها على ذلك لأنّ ظاهرها العموم و لما فيه من الجمع بين الرّوايات الواردة في تفسيرها والمراد بالطّيب قيل هو الحلال، وقيل الجيّد والأُولىٰ أن يراد الأعم منهما قال جزء ٣ بعض المحققين الطّعام الطّيب في الشّرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذّي يجوز فأنّه متىٰ كان كذلك كان طيّباً عاجلاً وآجلاً لا يستوهم وإلا فأنَّه وأن كان طيِّباً عاجلاً لم يطيب آجلاً و علىٰ ذلك:

قال الله تعالىٰ: كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا رَزَقْناكُمْ (١)

قال اللّه تعالىٰ: وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلاَلًا طَيِّبًا (١) قال اللّه تعالىٰ: لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ (٢) و هذا هو المراد بقوله الطّيبات من الرّزق انتهى.

أقول روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه عليه في قوله تعالى: يا أيّها النّذين امَنُوّا قال: كان رسول الله: عَلَيْ أَنْ أَنَا أَمر بالنّخل أن يركي يجئ قوم بألوانٍ من التّمر و هو من أردء التّمر يؤدّونهم من زكاتهم تمرّ يقال له، الجَعرُور والمعاناراة، قليلة اللّحم عظيمة النّوى و كان بعضهم يجئ بها عن التّمر الجيّد فقال رسول الله عَلَيْ الله لا تخرصوا هاتين التّمرتين ولا تجيئوا منهما بشئ و في ذلك نزل: وَلا تَيَمّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ.

و في روايةٍ أُخرى عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه في قوله تعالى: انْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبُتُمْ فقال عليه الله عليه القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهلية فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها فأبى الله تبارك و تعالى إلاّ أن يخرجوا من أطيب ما كسبوا انتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم في المجلد الثالة

و قيل أنَّها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تَمر الصَّدقة. و قد روي عن النّبي عَلَيْكِ أَنّه قال: أنّ الله يقبل الصدّقات ولا يقبل منها إلاّ الطّبب.

وَمِمُّآ أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْآرْضِ الحِنطة والشّعير وأمثالهما فقوله: أَنْفِقُوا مِنْ طَيّباتِ مَا كَسَبْتُمْ إشارة الى ما يكسب الإنسان بالتجارة و الكسب و لذلك قال تعالىٰ: ما كَسَبْتُمُ ، و امّا الّذي يحصل للزّارع من الأرض بسبب الزّراعة فهو لا يدخل في الكسب عُرفاً و لذلك لا يقال للزّارع الكاسب و يـقال للـتّاجر، الكاسب وحيث أنّ المنافع الحاصلة للإنسان علىٰ قسمين منفعة حاصلة بسبب الكَسب و منفعة حاصلة بسبب الزّرع والإنفاق يجري فيهما معاً أشار الله تعالىٰ بكلا القسمين لئلا يظِّن ظانٌ أنَّ الإنفاق في المنافع الحاصلة من الكَسب فقط فقال وممّا أخَرجنا لكم من الأرض ومحصّل الكلام أنّه تعالى أمر بالإنفاق فيما حصل من الكسب و فيما حصل من الزّرع سواء كان المراد بالإنفاق في الآية الزِّكاة المفروضة المعبّر عنه بالصدّقة الواجبة أم كان المراد مطلق الصدّقة الواجبة و غيرها و هو ظاهر وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبيثَ مِنْهُ أي ولا تقصدوا في إنفاقكم، الخبيث من المال ضدّ الطّيب و هو يشمل الرَّديّ من الطُّعام و الحرام منه و الضّمير في قوله منه، يرجع الى المال المستفاد من قوله: ما كَسَبتُم، و ممّا أخرجنا لكم من الأرض، نقل القُرطبي عن الجرجاني في حرب كتاب نظم القرأن أنّه قال: جزء ٣>

قال فريق من النّاس أنّ الكلام، ثمّ في قوله: الْخَبيثَ ثمّ إبتدأ خبر أخر في وصف الخبيث فقال: منه تُنفقون، و أنتم لا تأخذونه إلا اذا أغمضتم أي تساهلتم فكأنَّ هذا المعنىٰ عتاب للنَّاس و تقريع و الضَّمير في قوله، منه، عائد علىٰ الخبيث و هو الدّون و الرّدئ ثمّ قال الجرجاني و قال فريق أخر الكلام

لظرآن

متّصل الىٰ قوله: منه فالضّمير في منه، عائد علىٰ ماكسبتم، و يجئ تنفقون كأنّه في موضع نصب علىٰ الحال و هو كقولك أنا أخرج أجاهد في سبيل اللّه انتهىٰ.

وَلَسْتُمْ بِاخِذِيهِ اللَّالَنْ تُغْمِضُوا فيهِ أي لستم بأخذيه في ديونكم و حقوقكم من النَّاس إلاَّ أن تتساهلوا في ذلك وتتركوا من حقوقكم وتكرهونه ولا ترضونه أي فلا تفعلوا مَع اللَّه ما لا ترضونه لأنفسكم، و قال بعضٌ، معنىٰ الأية و لستم بأخذيه ولو وجدتموه في السّوق يباع إلاّ أن يهضم لكم من ثمنه، قال ابن عطية و هذان القولان يشبهان كون الآية في الزّكاة الواجبة، و قال ابن العرّبي لو كانت في الفرض لما قال، و لستم بأخذيه، لأنَّ الرِّدئ والمعيب لا يجوز أخذه في الفَرض بحالٍ لا مع تقدير الإغماض و لا مع عَدمه و أنَّما يؤخذ مع عـدم إغماض في النَّقل ونقل عن البراء بن عازب أنَّه قال معناه، ولَستُم بآخذيه، لو أهدى لكم اللَّا أَنْ تُغْمِضُوا فيهِ أي تستحي من المهدي فتقبل منه ما لا حاجة لك به و لا قدر له في نفسه، قال إبن عطّية و هذا يشبه كون في التّطوع وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَميدٌ نبّه سبحانه و تعالى على صفة الغنّي أي لا حاجة به الى صدقاتكم فمن تقرّب و طلب مثوبة فليفعل ذلك قدر وبالٌ فأنّما يقدّم لنفسه و قوله: حَميدٌ، معناه محمود في كلّ حال و قال الزّجاج معناه أي لم يأمركم أن تصدّقوا من عوز و لكنّه، بلاء خياركم فهو حميد على ذلك على جميع نعمه انتهىٰ.

**أقول** و يستفاد من الآية أمور.

أحدها: أنّه بناءً على ما ذكرناه من حَمل الإنفاق على مطلق الرّجحان قد يستدّل بها على إستحباب الزّكوة في جميع ما يكال أو يوزن عدا ما خرج بدليل كالخضر.

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 💃 ≽

ثانيها: يستدّل بعموم الكسب علىٰ ثبوت الزّكٰوة في مال التّجارة إلا أنّ الأصل والبيان الوارد من صاحب الشّرع دّل علىٰ أنّ ذلك علىٰ جهة الإستحباب كما دلّ على اعتبار النّصاب في قيمة المتاع و أن يطلب برأس المال أو زيادة وأن يحول عليه الحول.

ثالثها: يستفاد من إطلاق ما أخرج من الأرض لزوم الإخراج من سائر المعادن و الكنوز و الكاشف عن مقدار ما يتعلّق به و مقدار ما يلزم إنفاقه هو بيان الشّارع فأنّما يجب فيه الخمس على ما سيأتى في محلّه.

رابعها: يستفاد من قوله تيمّموا الخبيث، الخ أنّه لوكان النّصاب ليس بالجيّد كلّه جاز الإخراج منه كما لوكان النّقد كلّه مغشوشاً والأنعام كلّها مرضى مثلاً لأنّه لا يصدّق عليه قصد الرّدئ دون الخبيث نعم لوكان بعضه جيداً و بعضه ليس كذلك فالأحوط الإعطاء من الجيّد و القول يقتضي الإعطاء بحسبه، وهكذا الحرام المختلط بالحلال ولم يتميّز ولم يعرف صاحبه فأنّ إنفاق خمسة داخل من الطّيب لعدم علمه بالحرام بعينه.

خامسها: قد يستفاد جواز تولي المالك للإخراج هذا ما أستفدناه من والله أعلم بحقائق الأمور.

لترقان في تفسير القرآن كمريج العجا

اَلشَّيْطانُ يَعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَ فَضْلاً وَّاللَّهُ والسِعُ عَليمٌ (۲۶۸)

#### اللغّة

بِالْفَحْشَاءِ: الفُحش والفَحشاء والفـاحشة مـا عـظم قـبحه مـن الأفـعال والأقوال والمتفحّش الّذي يأتى بالفحش.

مُغْفِرَةً: الفَقر في الأصل إلباس ما يصونه عن الدّنس و منه قيل إغفر ثوبك في الوّعاء، و أصبغ ثوبك فأنّه أغفر للوسخ و الغُفران والمغفرة من الله هو أن يمسه العذاب.

وَ فَضْلاً: الفضل الزّيادة عن الإقتصار.

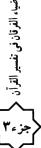
## ⊳ الإعراب

يَعِدُ كُمُ أصله يُوعِدكم فحُذفت الواولوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة و هو يتعدّى الى مفعولين و قد يجئ بالباء يقلا وعدته بكذا مَعْفْرَةً مِّنْهُ يجوز أن يكون صفة وأن يكون مفعولاً متعلّقاً بيَعد أي يعدكم من تلقاء نفسه و فَضْلاً أي و فضلاً منه إستغنى بالأولى عن إعادتها.

## ⊳ التّفسير

وجه ربط الآية بالسّابقة معلوم لا يحتاج الى بيان لأنّ:

اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ أي يعدكم بالفقر لئَلا تُنفقوا فهذه الآية متصلة بما قبل وأنّ الشّيطان له مدخل في التّثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله و هو مع ذلك يأمر بالفحشاء و هي المعاصي والإنفاق فيها و قيل أي بأن لا تتصدّقوا



السجلد الثالث

فتعصوا و تتقاطعوا و قرأ الفقر بضمّ الفاء و هي لُغة قال الجوهري والفقر لغة في الفقر مثل الضّعف والضّعف وَيَأَمُّرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ لا يبعد أن يكون المراد بالفحشاء في المقام البخل بقرينة مجيئها بعد الإنفاق وقد يطلق الفاحش على البخيل عند العرب كما قيل:

عقيلة مال الفاحش المُتشدد أرئ الموت لغيام الكرام ويصطفى

و في الآية لطيفة و هي أنّ الشّيطان يخُّوفه أوّلاً بالفقر ثـمّ يـتوصّل بـهذا التخوّيف اليّ أن يأمره بالفحشاء و يغريه بالبخل و ذلك لأنّ البخل مذمومة عند كلِّ أحدٍ فالشَّيطان لا يمكنه تحسين البخل في عينه إلا بتلك المقدِّمة و هي التّخويف من الفقر.

وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَ فَضْلاً فالمغفرة إشارة الى منافع الأخرة و الفضل إشارة الى ما يحصل من الدّنيا من الخَلق و قد ذكر بعض المحققين في معنى الفضل وجوهاً:

أحدها: أنَّ المراد منه الفضيلة الحاصلة للنَّفس و هي فضيلة الجود والسّخاء و ذلك لأنّ مراتب السّعادة ثلاثة، نفسّانية، بَدّنية، خارّجية ومُلك المال من الفضائل الخارّجية و حصول خلق الجود و السّخاء من الفضائل النّفسانية و تناسب الأعضاء وحسن الصّورة من الفضائل البدنيّة و أجمعوا على أنّ أشرف هذه المراتب الثّلاث السّعادات النّفسانية و أحسنها الخارّجية فمتىٰ لم يحصل إنفاق المال كانت السعادة الخارجية حاصلة والنّقيصة النّفسانية أيضاً معها جزء٣٪ حاصلة و متى حَصل الإنفاق حَصل الكمال النّفساني والنّقصان الخارجي و لا شكّ أنّ هذه الحالة أكمل فثبت أنّ مجّرد الإنفاق يقتضي حصول ما وَعد اللّه به من الفضل.

الوجه الثّاني: أنّه متى حصلت ملكة الإنفاق زالت عن الرّوح هيئة الإشتغال بلذَّات الدُّنيا و لا مانع للرَّوح من تجلِّي نور جلال اللَّه لها إلاَّ حبُّ الدُّنيا.

قال رسول الله عَيَّالَهُ: لولا أنّ الشّياطين يوحون الى قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السّموات، فاذا زال عن وجه القلب غُبار حبّ الدّنيا إستنار بأنوار عالم القدس وصار كالكوكب الدرّي و التحق بأرواح الملائكة و هذه هو الفضل لا غير.

الثالث: و هو أحسن الوجوه أنّه مهما عرف من الإنسان كونه منفقاً لأمواله في وجوه الخيرات مالت القلوب اليه فلا يضايقُونه في مطالبه فحينئذ تنفتح عليه أبواب الدّنيا و لأن أولئك الّذين أنفق ماله عليهم يعينونه بالدّعاء والهِمّة فيفتح اللّه عليه أبواب الخير في الدّنيا و لا شكّ أنّه فضل انتهى.

ففي كتاب علل الشّرائع بأسناده عن أبي عبد الرّحمٰن قال قلت لأبي عبد الله عليه لله السُّلِا ربما حزنت فلا أعرف في أهل و لامال و لا ولد، و ربّما فرحت فلا أعرف في أهل و لا مال و لا ولد فقال عليه أنه ليس من أحد إلا و معه ملك و شيطان فاذا كان فرحه كان دُنّو الملك منه و اذا كان حزنه كان دنّو الشّيطان منه و ذلك قول الله تعالى: اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرُ وَيَا مُرُكُم بِالْفَحْشاءِ وَاللّه يُعِدُكُم مَّعْفِرَةً مِّنْهُ وَ فَضْلاً وَاللّه وَالله والسِع عَليم.

عن تفسير علي بن إبراهيم الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ عِن تفسير علي بن إبراهيم الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْر، والله يعدكم بِالْفَحْشَاءِ قال الشِّيطان يقول لا تُنفق مَلك فأنك تفتقر، والله يعدكم مغفرة و فضلاً، قال يخلف عليكم انتهى.

و عن تفسير العياشي عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه الله عليه الله على و لا قال: قلت له أنّي أفرح من غير فرح أراه في نفسي ولا في مالي و لا في صديقي و أحزُن من غير حزنٍ أراه في نفسي ولا في مالي ولا في صديقي قال عليه نعم أنّ الشّيطان يلم بالقلب فيقول لو كان ذلك

عند الله خيراً ما أوال عليك عدوك و لا جعل بك اليه حاجة هل تنتظر إلا مثل الذي إنتظر الذين من قبلك فهل قالوا شيئاً فذاك الذي يجزن من غير حزن و امّا الفرح قال، الملك يلّم بالقلب فيقول أن كان الله أوال عليك عدوك و جعل بك اليه حاجة فأنما هي أيّام قلائل أبشر بمغفرة من الله و فضل و هو قول الله: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَ فَضْلاً.

\_



يُّوْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءَ وَمَنْ يُـوُّتَ الْحِكْمَةَ فَــقَدْ اُوتِـــىَ خَــيْراً كَــثهراً وَّمْــا يَـذَّكَّـرُ اِلاَّاولُواالْأَلْبَابِ(٢٤٩)

#### ∕ اللّغة

يُؤْتِى الْمِحكْمَةَ: يُؤْتِي بضمَ الياء مضارع، آتىٰ وأصله أَءَتىٰ والحِكمة بكسر الحاء قال الرّاغب هي إصابة ألحق بالعلم والعقل، و قد يراد بها العَدل، والعلم والحِلم، والكلام الموافق للحقّ قاله في المنجد.

وَمَنْ يُؤْتَ الْمِحكْمَةَ: يُؤتَ بفتح التّاء ما لم يسّم فاعله.

يَذُ كُرُ: بفتح الياء و الذّال المشدّدة أصله يتذّكر فأبدل التّاء ذالاً لتقرب منها فتدغم.

# ♦ الإعراب

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ من مبتدأ وما بعدها الخبر و من قَرأ بكسر التّاء فَمن في، موضع نصب بيؤت و يؤت مجزوم بها فقد عمِل فيما عمل فيه والفاعل ضمير، إسم، الله.

## ⊳ التّفسير

إختلفوا في المراد بالحكمة، فعن السّدي هي النبوّة و عن ابن عبّاس هي المعرفة بالقرأن، بفقهه و نسخه و محكمه و متشابهه و عن قتادة ومجاهد الحكمة هي الفقه في القرأن، والإصابة في القول والعمل، و قيل هي في العقل الدّين و عن مالك بن أنس هي المعرفة بدين الله والفقه فيه و الإتّباع له و في قول أخر هي التفكر في أمر الله و الإتّباع له و قال أيضاً هي طاعة الله والفقه في



الدِّين والعمل به، و قال الرّبيع بن أنّس هي الخشية و قال الحسن هي الورع ذكر هذه الأقوال القُرطبي في تفسيره ثمّ قال الحِكمة مصدر من الأحكامالإنفاق في قولٍ أو فعل فكلّ ما ذكر فهو نوع من الحكمة التّي هي الجنس فكتاب اللّـه حكمة و سنّة نبّيه حكمة وكلّ ما ذكر من التّفضيل فهو حكمة وأصل الحِكمة ما يمتنع به من السّفه للعلم حكمة لأنّه يمتنع به و ساق الكلام الي أن قال أنّ من أعطى الحكمة والقرأن فقد أعطى أفضل ما أعطى من جمع علم كتب الأوّلين من الصّحف و غيرها و يسمّىٰ هذا كثيراً لأنّ هذه هو جوامع الكِلم انتهىٰ.

أقول أكثر الأقوال المذكورة موجود في التّبيان وتفسير الطّبري و غيرها من المفصّلات ولا بأس بها فأنّها داخلة تحت اللّفظ.

أنا أقول الحكمة على قول الفلاسفة عبارة عن العلم بحقائق الموجودات علىٰ ماهي عليه بقدر الطَّاقة البّشرية و علىٰ قول غيرهم إصابة الحقّ بالعلم و العقل كما ذهب اليه الرّاغب في المفردات ثمّ أنّه فرّق بين الحكمة من اللّه تعالىٰ و الحكمة من الخلق فهي من الله تعالى معرفة الأشياء و ايجادها على غاية الإحكام و من الخلق هي معرفة الموجودات و فعل الخيرات، و الحقِّ أنَّ ما ذكره في الفرق بين الحكميتين من عند نفسه و ذلك لأنَّ الحِكمة معناها واحد في الخالق و الخلق إلاّ أنّها مقولة بالتشكّيك أي أنّ مصاديقها تختلّف شدّةً و ضعفاً وكمالاً و نقصاً و هذه هو الّذي دعى الرّاغب و أمثاله الى الفرق بين المقامين ولم يعلم أنَّ الفرق حاصل بين الخالق و المخلوق لا بين الحِكمة جزء ٣ كمنا و هناك و ليس هذا البحث مختّصاً بالحِكمة بل هو جار في جميع الألفاظ المستعملة في الخالق و المخلوق كالعلم و العدل و الكلام و الإرادة و الحياة و أمثالها و الحاصل أنّ اللّفظ أي لفظٍ كان يستعمل في معناه الموضوع له واحد في الجميع و أنَّما الفرق في الموصُّوف فاذا قلنا، اللَّه تعالىٰ عالمٌ أو عادلٌ أو حيٌّ أو حكيمٌ مثلاً، فهو بعينه مثل قولنا زيد عالم أو عادل أو حيّ أو حكيمٌ

القرآن

فهذه ألفاظ أستعملت في المقامين في معانيها التي وضعت لها إلا أنها في الخالق عين ذاته و في المخلوق زائد عليه أو أنها في الخالق أشد و أكمل صدقاً و في المخلوق بالعكس لا أنّ العلم فيه تعالىٰ غير العلم في المخلوق معنى و هكذا سائر الصفات و السرّ في ذلك هو أنّ هذه الصفات قد أعطاها الله تعالىٰ للمخلوق علىٰ حسب إستعداده و قابليّته و بذلك صار مظهراً لعلمه و قدرته و عدله و حكمته الىٰ غير ذلك و هذا يتمّ بناءً علىٰ أنّ الله تعالىٰ قد أعطىٰ الإنسان من علمه الذي هو عين ذاته ليكون العالم مظهراً لعلمه والقادر لقدرته و هكذا فلو فرضنا أنّ ما أعطىٰ غيره يباين ما هو متصف به حقيقة فالمعطى له لا يكون مظهراً له في هذا الوصف و هو كما ترىٰ لا يساعده العقل فضلاً عن النقل إذا عرفت هذا فنقول لا شك أنّه تعالى حكيم بمعنى أنّه عالم بحقائق الأشياء علىٰ ما هي عليه، و على تفسير آخر للحكمة أنّه تعالى أوجد الموجودات علىٰ غاية النظم والأحكام و على التقدّيرين هو حكيم وصف نفسه بها غير واحدٍ من الأيات:

قال الله تعالى: فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اَللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ قال الله تعالى: وَ اَللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ قال الله تعالى: فَإِنَّ اَلله عَزِيزٌ حَكِيمٌ قال الله تعالى: إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ و هكذا ثمّ أنّه تعالىٰ قد منَّ علىٰ عباده بإعطائه أيّاه من الحكمة.

يُّؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءَ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثيراً.

أي أنّه تعالىٰ يؤتي من الحكمة التّي وصَف بها نفسه بعض عباده علىٰ حسب لياقته و إستعداده و يدّل عليه، الألف و اللاّم في قوله: يُّوُّ تِي الْحِكْمَةَ أي يؤتي الحِكمة المعهودة المعلومة من يشاء فلو كان ما أعطاه غير ما وَصف به نفسه في كتابه فكأنّ حقّ الآية أن يقول، يؤتي حكمةً من يشاء بلفظ النّكرة

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🧸

المفيد للنّوعية نعم الحِكمة في المعطى وهو الخالق كاملة جامعة لانقص فيها و امّا في المعطي له فهي ناقصة و بعبارة أخرى هي فيه تعالى العلم بحقائق الموجودات على ما هي عليه و امّا فينا فهي كذلك إلاّ أنّه بقدر الطّاقة البّشرية، و على التفسّير الآخر، هي فيه تعالى إيجاد الأشياء على غاية الأحكام، وفينا ليس كذلك فالحكمة في المقامين بمعناها الواقعي إلاّ أنّها في الموجود الكامل كاملة و في النّاقص ناقصة فالنّقص والكمال في الوصف يرجع الى النقص والكمال في الكمال في الدّات فأفهمه أن كنت من أهله:

قال الله تعالى: و لَقَدْ اتَيْنا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اَسْكُوْ لِلّٰهِ (¹). قال الله تعالى: فَقَدْ اتَيْنا الله الله تعالى: فَقَدْ اتَيْنا الله الله تعالى:

قال الله تعالى: وَ قَتَلَ داؤدُ جالُوتُ وَ اتنِهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ وَ ٱلْحِكْمَةَ (٣).

قال الله تعالى: وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرِيةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ (٢).

قال الله تعالى: وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ التَيْناهُ ٱلْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ ٱلْخِطاب (٥).

والأيات كثيرة والى هذا المعنى أشار بقوله :و مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْراً كَثيراً و أنّما سميّت بالخير الكثير إذ لا خير في عالم الوجود أفضل وأكمل و أشرف و أعلى درجة ومنزلة منها ولأجل ذلك اخصها الله تعالى بقوم خاصِّ فقال: يُّوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءَ و قال: وَمَا يَدَّكَرُ اللهُ الولوا الألباب فأن الجاهل بمعزل أولوا الألباب فأن الجاهل بمعزل عن درك هذه الحقائق و شرفها وفضلها وأنّما قالوا أولوا الألباب أنّ اللّب العقل الخالص الذي لا يشوبه شئ.

روي في البحار عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر المن الله أنه يقول وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْراً كَثيراً مَعرفة الإمام وإجتناب الكبائر التي أوجَب الله عليها النّار انتهى.

۱۲ - النسّاء = ۵۴.

٢- المائدة = ١١٠.

٣- البقرة = ٢٥١.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَمْ الْعُرَانَ ﴿ عَمْ الْعُرَانَ ﴿ عَمْ الْعُرَانَ ﴿ عَمْ الْعُرَانَ الْعُرَانَ

و أيضاً عن أبي بصير قال: سألته عليه عن قول الله وَمَنْ يُـؤْتَ الْحَكْمَةَ.

قال علي المنافية الله ومعرفة الإمام انتهى.

و عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه ومن يُؤت الحِكمة الآية فقال أنّ الحكمة المعرفة والتّفقه في الدّين فمن فقه منكم فهو حكيمُ الحديث.

و عن الصّادق على الحكمة ضياء المعرفة و ميراث التّقوى و ثمرة الصدّق و ما أنعم اللّه على عبدٍ من عباده نِعمةً أنعَم وأعظم وأرفَع و أجزل وأبهى من الحِكمة قال اللّه عزّ وجلّ: يُّوُ تِي الْحِكْمَة مَنْ يَشَاءَ الى قوله: أولُواالْآلْبابِ أي لا يعلم ما أودعت وهُيئت في الحِكمة إلاّ من إستَخلصتُه لِنفسي و خصصّته بها والحِكمة هي الثّبات وصفة الحكيم الثّبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها و هو هادي خلق الله الى الله قال رسول الله لعلّي عليه لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباد الله خير لك ممّا طلعت عليه الشّمس من مشارقها الى مغاربها إنتهى.

أقول هذا الحديث من أحسن الأحاديث في تفسير الحكمة و هو يكفينا في المقام كيف و قد جعلها، رأس جميع الأمور التي تحصل بها السّعادة في الدّنيا والأخرة ومن المعلوم أنّ طاعة الله وطاعة رسوله ومعرفة الإمام والتّفقه في الدّين و امثال ذلك كلّها من ثمرات المعرفة بحقائق الأشياء بسبب العلم وهذا هو بعينه تفسير الحكمة أعني به العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطّاعة فأنّ العالم بحقائق الأشياء العارف بها يقدر على تمييز الخبيث من الطّيب والجّيد من الرّدي والولّي من الشّقي وهكذا و الحمدللة على هذه النّعمة.

# وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠)

### √ اللّغة

أَوْ نَذَرْتُمْ: النّذر به فتح النّون و سكون الذّال هو ان توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر هكذا فسّره الرّاغب في المفردات.

# ⊳ الإعراب

مَّا أَنْفَقْتُمْ مَا شرط وموضعها نصب بالفعل الَّذي يليها.

# ⊳ التّفسير

قد مرّ البحث في الإنفاق في الأيات السّابقة و سيأتي البحث فيه أيضاً و امّا النّذر المشار اليه في الآية فالضّابط فيه أن يكون طاعة واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً راجحاً في الدّين أو الدّنيا فلو كان متساوي الطّرفين أو مكروهاً أو حراماً التزم فعلها لم ينعقد و هو في الأخيرين وفّاقي و في المتساوي قولان رجّح الشّهيد في الدّروس الصّحة وبه قال كثير من الفقهاء و ذهب الأخرون الى البطلان على ما فصّل في الفقه و قال الشّيخ في التّبيان فالنّذر هو عقد الشّي على النّفس فعل شئ من البّر بشرط ولا ينعقد ذلك إلا بقوله لِلّه على كذا ولا يثبت بغير هذا اللّفظ وأصل النّذر الخوف لأنّه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الأمر ومنه نذر الدّم العقد على سفكه للخوف من مضّرة صاحبه قال الشّاع :

إن كـــقيت بأن أشــدا

هُـم ينذرون دَمي وأنـذر

و منه الإنذار و هو الإعلام بموقع العدّوللخوف منه ليتّقي يقال نذرت النّذر أنذره نذراً، وجمعه نذور انتهى كلامه مَتْنِيُّ .

بياء الفرقان في تفسير القرآن كريج العجلد الئا

أقول و على ما ذكروه فمعنى الآية أنّ كلّ إنفاقٍ أو نذرٍ صدر منكم فأنّ اللّه يعلمه فيجازيكم عليه فدّل بذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام و بعبارةٍ أُخرىٰ أنّه تعالىٰ عالم بما تفعلونه ويما قصدتموه في فعلكم من خيرٍ و شرّ لا يفوته شيّ من ذلك فيجازيكم عليه ففي الآية حتّ على الفعل و إيقاعه على الوجه الذّي ينال به السّعادة و تحذير عن الإتيان به على خلافه ثمّ صرّح بالوعيد بقوله: و ما لِلظّالِمينَ مِنْ أَنْصارِ والمراد بالظّالمين المانعين للصدّقات الواجبة أو الصّارفين لها في غير الوجه الذي أمروا به والّذين لا يوفون بالنّذر أو المراد الأعمّ من ذلك فهذه الآية ترشدنا الى أمور:

الأوّل: أنّ الإنفاق و النّذر مشروعان ممدوحان اذا أوقعاهما المكلّف على الوجه المقرر في الشّريعة.

الثانى: أنّ النّذريجب الوفاء به ويستفاد هذا الأمر من قوله: وَ مَا لِلطّالِمينَ مِنْ أَنْصَارٍ حيث عبر عمن لا يفي بالنّذر بالظّالم هذا إذا قلنا أنّ المراد بالإنفاق معناه العام الشّامل للواجب و المندوب حتّىٰ المباح و امّا إذا قلنا أنّ المراد منه في الآية الصدّقات الواجبة فالظّالم شامل لمانع الإنفاق أيضاً.

الثالث: أنّ اللّه تعالىٰ عالم بما يفعله العبد من خيرٍ و شرٍّ و لازم العلم هو ثبّوت الجزاء على الفعل كما أشرنا اليه ثمّ أنّ المستفاد من الآية بعد ما ذكرناه أمور لا بأس بالإشارة اليها.

أحدها: أنّه تعالى عطف النّذر على النفّقة فقال: و مّا أَنْقَقْتُمْ مِنْ نَقَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَقَقَةٍ أَوْ مَنْ نَذُر قالوا فيه إرشاد الى مشروعيّة النّذر ويدّل عليه مع ذلك إجماع الأمّة والأخبار المستفيضة و امّا ما قيل من أنّه يدّل على رجحان النّذر ففيه تأمّل بل منع لما ورد من كراهيته أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً لم يفرض عليه، كموثقة إسحاق عن أبي عبد الله عليه إلى قال أنّي جعلت على نفسي ركعتين أصليّهما في الحضر و السّفر فقال نعم ثمّ قال عليه أنّي أكره الإيجاب.

ثانيها: قالوا أنَّ التّعقيب بالوعيد يدّل على أنّه أنّما يلزم و ينعقد من البالغ العاقل المختار القاصد دون الصبى و المجنون و المنكرة و فاقد القصد بسكر أو اغماءٍ أو عدم النّية و نحو ذلك و يدّل عليه الأخبار و هو المفتى به بـين

ثالثها: قالوا المتبادر من إطلاق الآية فيه أنّه يشترط في الصّيغة مضافاً الى النّية والقصد النّطق باللّسان فلا ينعقد بالقصد بالضّمير خاصّة، أقول المتكفّل لهذه الشرائط هو السّنة و امّا الآية فإطلاقها لا يدّل على النّطق باللّفظ بل الأمر بالعكس و هو واضح.

**رابعها**: قالوا أنّ إطلاق لزُوم الوفاء بالنّذر يقتضي التّعميم في كلّ موردٍ إلاّ أنّ الأخبار الواردة خصتّها بماكان راجحاً في الدّين أو الدّنيا و هو يدّل على جواز تخصيص الكتاب بالسّنة.

خامسها: قالوا في الوعيد على المخالفة إشعار بكونه أنَّما يلزم النَّذر إذا كان مقدوراً للنّاذر أقول هذا يتمّ بضميمة قبح التّكليف بما لا يطاق قال اللّه تعالىٰ: لايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها(١) وحيث أنّ العاجز لا يقدر فليس بمكلّف فلا يصبح عقابه على ترك الواجب لعدم قدرته على الفعل.

سادسها: أنَّ إطلاق الآية يقتضي عموم التكلَّيف بالوفاء و المشهور بين الأصحاب أنّه لا ينعقد نذر المملوك بدو إذن المالك و لا الزّوجة بدون إذن الزُّوج و ألحق بهما العلاَّقه الولد و قال بإشتراط إذن الوالد.

أقول أمّا المملوك و الزّوجة فأن كان نذرهما من مال المالك و الزّوج أوكان جزء ٣ ل بحيث يكون الوفاء به موجباً لتضييع حقّ المالك والزّوج فهو حقّ لأكلام لنا فيه لأنَّ العبد وما في يده كان لمولاه والزُّوجة مطيعة للزُّوج ولابـدُّ لهـا مـن مراعاة حقّ الزّوجية و امّا إذا كان نذر المملوك في غير الأمور الماليّة بل كان نذره بشئ من الأعمال كالصّوم و الصّلاة فيما إذا لم يوجب الوفاء به.

تضييعاً لحق المالك كما إذا نذر العبد أن يستغفر الله أو يصلّي على محمّد و آله أو يختم جزءً من القرآن أيّام فراغته بل يصّلي و يصوم فيها فلا مانع فيه و هكذا الزّوجة فالقول بأنّ نذرهما لا ينعقد بقول مطلق لا دليل عليه و ما ورد فيه ظاهراً لابد من تقييده بما ذكرناه و امّا الإبن فحاله معلوم ولم يقل به فيما نعلم إلاّ العلامة وتبعه الشهيد عليه في الدّروس والأكثر على خلافة و لنعم ما قاله الشّهيد الثاني في المسالك على ما نقل عنه حيث قال و لا نصّ على ذلك كلّه و تفصيل الكلام فيه موضع آخر.



إِنْ تُبْدُوا اَلصَّدَقَاتِ فَنِعِمًّا هِىَ وَ إِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْتُوهَا اَلْفُقَرٰ آءَ فَهُوَ خَيْرُلَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّتًا تِكُمْ وَ اَللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيُر (۲۷۱)

### اللغّة

تُبْدُوا: بضمّ التّاء مضارع و ماضيه ابدى أصله أبداء يقال بداله أي ظهر و أبدى الأمر، أظهره و عليه فالأصل في، تُبدُوا، تُبديُون نقلت الضمّة من التّاء الى الدّال لثقلها على التّاء ثمّ حذفت التّاء لدلالة الضمّة عليه فقيل، تبدوا.

آلصَّدَقَاتِ جمع الصَدِّقة وهي ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة لكنّ الصدّقة في الأصل يقال للمقطّوع به والزّكاة للواجب.

فَنِعِمًا هِى نِعِم فعل جامد لا يكون فيه مستقبل وأصله نعم كعلم و قد جاء على ذلك في الشّعر الا انّهم سكنوا العين و نقلوا حركتها الى النّون ليكون دليلاً على الأصل و منهم من يترك النّون مفتوحة على الأصل ومنهم من يكسر النّون و العَين إتّباعاً و فاعل، نعم، مضمر و، ما، بمعنىٰ شئ و هو المخصوص بالمدح هي أي نعم الشّئ شيئاً.

إِنْ تُخْفُوهَا: الإخفاء ضدّ الإظِهار.

يُكَفِّرُ بتشديد الفاء و ماضيه كَفَّر والكُفر في الأصل السَّتر يقال كفر درعه بثوبه أى غطّاها به فالتّكفير التغطية.

سَيِتُناتِكُمْ: السّيئات جمع لاسَّيئة و هي ضدّ الحسنة.

# ⊳ الإعراب

فَنِعِمًّا هِيَ تقدّم الكلام في نعمًا، وأنّه فعل جامد و،، هي خبر مبتدأ محذوف كأن قال قائلاً ما الشّئ الممدوح فيقال الصدّقة، و قيل هي، مبتدأ

، الفرقان في تفسير القرآن كبخ

ضياء القرقان في تفسير القرآن كا. مؤخّراً ونعم وفاعلها، الخبر أي الصدّقة نعم الشّئ فَهُو خَيرٌ لَكُمْ الجملة جواب الشّرط وموضعها جزم و يُكفّرُ عَنْكُمْ يقرأ بالنّون على إسناد الفعل الى اللّه عز و جلّ و يقرأ بالله على هذا التقدّير أيضاً و يقرأ و تكفر، بالنّاء على أنّ الفعل مسند الى ضمير الصدّقة و يقرأ بجزم الزّاء عطفاً على موضع، فهو و بالرّفع على إضمار مبتدأ أي و نحن أو و هي و مِن هنا زائدة عند الأخفش سَيّئاتِكُمْ المفعول وعند سيبويه المفعول محذوف أي شيئاً من سيّئاتكم و السّيئة، فعيلة و عينها واو لأنّها من ساء يشوء فأصلها سَيونة.

### ⊳ التّفسير

جمهور المفسّرين على أنّ الآية في صدقة التّطوع لأنّ الإخفاء فيها أفضل من الإظهار وكذلك سائر العبادات فأنّ الإخفاء فيها أفضل في تطوّعها لإنتفاء الرّياء عنها قال الحسن إظهار الزّكاة أحسن وإخفاء التّطوع أفضل لأنّه أدَّل على أنّه يراد اللّه عزّ وجلّ به وحده قاله القرطبي في تفسيره ثمّ أطال الكلام في الباب بما لا فائدة فيه و الحقّ أنّ الصدّقات بحسب الأمكنة والأزمنة و الأشخاص والمقاصد و النّيات وغير ذلك مختلفة ففي بعض الموارد إظهارها أفضل و لا فرق في ذلك بين التّطوع فأنّما الأعمال بالنّيات فالقول بالإخفاء أو الإظهار بقولٍ مطلق لا دليل عليه:

إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمًّا هِيَ أِي إِن تظهروا الصدّقات بأن تعطوها علانية فهو حسن ممدوح ثمّ قال تعالى إِنْ تُخفُوها أي تُخفوا الصدّقات و تُؤْتُوها أَي تُخفوا الصدّقات و تُؤْتُوها ٱلفُقَرْآءَ فَهُو خَيْرُلَكُمْ أي إعطاؤها في الخفاء أيضاً حسن ممدوح و يُكفّر عَنْكُمْ مِنْ سَيّئاتِكُمْ أي ويغطّي ويستر من سيّئاتكم بسبب الصدّقة و ٱللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ و تعطون منها في الخفاء والعلن خَبير لا يخفى عليه شئ، و إعلم أنّ المفسّرين إستفادوا من الآية الشّريفة أنّ الإخفاء في الصّدقات مطلقاً

أفضل من الإظهار بها وبعضهم خصّ الأفضّلية بالتّطوع و إستدلوا على مدّعاهم بالأية فمن قال بأن الآية نزلت في مطلق الصدّقة قال بالأوّل و من قال بأنّها نزّلت في صدقة التَّطوع قال بالثّاني و الحقّ أنّ الآية لا تدّل على ذاك و لا على ذاك و بعبارةٍ أُخرىٰ ليست في الآية دلالة على أفضّلية الإخفاء أو الإظهار بقول مطلق سواء قلنا نزلت في مطلق الصدّقة أم قلنا بإختصاصها بالتّطوع و الحقّ ما قلناه من أنّ ذلك أي الإخفاء و الإظهار يختلفان بحسب المـوارد و الأشخاص و النّيات و المكان والزّمان و غيرها و لا فرق في ذلك في الواجب والتّطوع فمن قصد بإظهار الصدّقة واجباً كانت أو ندباً الرّياء وكسب الشّهرة و امثال ذلك من المقاصد المذمومة شرعاً وعقلاً فالإخفاء بها له أفضل حذراً من الرّياء المبطل للعمل ومن قصد بإظهار ترغيب الغير و تحريصه على الصّدقة فالإظهار أفضل من الإخفاء وهذا الأصل جارفي موضع الواجبات و المستحبّات من الصّوم والصّلاة و الزّكاة و الخمس و صلاة اللّيل و صدقة التّطوع و الصّوم المندوب و غيرها من غير تفاوت فيها فأنّ الأعمال بالنّيات ألا ترى أنّ الصّلاة مثلاً لو أراد المصّلي بإظهارها تعليم الغير أو ترغيبه اليها أوكان متّهماً بترك الصّلاة فقصد بإظهارها الخروج عن فظّنة التّهمة و امثال ذلك من الدُّواعي الممدوحة لا إشكال فيه بل هو أحسن و أقرب الى القبول اذا لم يتّرتب على الإظهار مفسدة من ناحية أُخرىٰ كما اذا كان في مكانٍ وجب فيه على المصلّى التّقية فلو أظهر بها خالف المأمور به قطعاً و الموارد كثيرة و أنت تقدر علىٰ إخراجها بعد الوقوف علىٰ الأصل المذكور و أظنّ أنّ الَّذي أوقع جزء ٣ المفسّرين في تفسير على ما قالوه هو كلمة، خير، في الآية حيث قال الله تعالى: إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمّا هِيَ أي فهو حسن ممدوح وأن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو أي الإخفاء خير لكم أي أنّه أحسن من الإظهار، ولم يعلموا أنّ هذه الكلمة أعني بها خَيْرٌ لا تدّل في جميع الموارد على الأفضّلية و أن شئت قلت لا تجئ دائماً بمعنى.

أفعل، الدّال على التّفضيل بل قد تكون إسماً لا تدّل عليه وما نحن فيه من هذا القبيل و عليه فقوله تعالى، فَهُو خَيْرٌ أي فهو حسن ممدوح لا أنّه أحسن وأفضل إلاّ أنّه تعالىٰ عبر بهذه الكلمة في مورد إخفاء الصّدقة حذراً من التّكرار في قوله، فنعمّا هي اذ لو قال فنعّما، أيضاً كان تكراراً في اللّفظ وإختار هذه الكلمة علىٰ ما يشابهها في المعين مثل كلمة، حسن، أو ممدوح، أو مرغوب فيه و امثال ذلك لأنّ كلمة خير، أفصح وأجمع ممّا يرادفها في المعنىٰ كما حقّق في محلّه ويؤيّد ما ذكرناه الرّاغب في المفردات حيث قال والخير والشّر يقالان علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يكونا إسمين كما تقدّم و هو قوله: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْحَيْرِ.

والثانى: أن يكونا وصفين و تقديرهما تقدير أفعل منه، نحو خير من ذلك وأفضل وقوله تعالى: قَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَآ، وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ فخير هاهنا يصّح أن يكون إسما وأن يكون بمعنى أفعل ومنه قوله: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ التَّقُوٰى (١) فالخير يقابله الشّر مرّة والضّر مرّة نحو، أن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو، وأن يمسسك بخيرٍ فهو على كلّ شيّ قدير انتهى ما أردنا ذكره وهو صريح فيما قلناه و ممّا استعمل الخير إسما، قوله تعالى في الوّصية، إن ترك خيراً الآية أي مالاً كثيراً و قوله أنّه لحبّ الخير لشديد، أي المال الكثير، وقوله، قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين الأية:

قال الله تعالى: و ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرِ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ (٢).

قال الله تعالى: فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا(٣) والأيات كثيرة.

الفرقان في تفسير القرآن كمرتج كالمجلد ال

١ - البقرة = ١٩٧

لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ وَ لَكَنَّ ٱللَّهَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِـنْ خَـيْرٍ يُــوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)

#### √ اللّغة

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ: الطَّلب.

يُوَفّ: بفتح الفاء مضارع مجهول و ماضيه، وفّى، و مصدره التَوّفية و هي إعطاء الحقّ تاماً.

#### ⊳ الإعراب

مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِاَنْفُسِكُمْ شرط وجزاء وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ آبِيْغَآءَ وَجْهِ آللهِ قَيل لفظه نفي و معناه النّهي أي لا تنفقوا، و إبتغاء نصب لأنّه مفعول له وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُمُوفَ إِلَيْكُمْ شرط كالأوّل و لذلك حذف النّون في الموضعين.

# ⊳ التّفسير

قيل في وجه إتصال هذه الآية بما قبلها قولان.

أحدهما: ما روي عن إبن عبّاس و سعيد بن جبير و قتادة، لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ بمنع المشركين الأقرباء من الصدّقة ليدخلوا في الإسلام فعلى هذا معناه الإباحة.

ثانيهما: ما قاله الحسن وأبو علّي الجبائي والزّجاج لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ بالحمل على النَّفقة في وجوه البّر فعلى هذا معناه التّسلية والتّقدير ليس عليك

فرقان في تفسير القرآن كمسيح العج

أن تهدى النّاس الى نيل الثّواب و الجنّة و أنّما عليك أن تهديهم الى الإيمان بأن تدُّلهم عليه لأنَّه عَلَيْكِ كان يغتمّ إذا لم يمؤمنوا ولم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون اليه من العقاب فسّلاه اللّه بهذا القول وأنّه لا ينبغي ترك مواساة ذوي القربيٰ من أهل الشكّ ليدخلوا في الإسلام فيكون ذلك مبيحاً للصدّقة المندوية اليهم قالوا نزلت هذه الآية لأنّهم كانوا يتّقون الصدّقة على المشركين حتّىٰ نزلت لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ هذا ما نقله الشّيخ في التّبيان و قال القرطبي في تفسيره هذا الكلام متصل بذكر الصدّقات فكأنّه بيّن فيه جواز الصدّقة على ا المشركين روى سعيد بن جبير مرسلاً عن النّبي عَلَيْظِهُ في سبب نزول هذه أنّ المسلمين كانوا يتصدّقون على فقراء أهل الذّمة فلمّاكثر فقراء المسلمين قال رسول الله عَيْنِهُ لا تتصدَّقُوا إلاّ على أهل دينكم، فنزّلت هذه الآية مبيحة مصدَّقة علىٰ من ليس من دين الإسلام ونقل عن النَّقاشي أنَّ النَّبي عَلَيْكِاللَّهُ أُوتي بصدِّقات فجاءه يهودّي فقال أعطني فقال النّبي عَلَيْكِاللهُ ليس لك مـن صـدقة المسلمين شئ فذهب اليهودي غير بعيد فنزلت لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ فدعاه رسول الله عَلَيْمِا أَلَهُ فأعطاه ثمّ نسخ الله ذلك بآية الصّدقات و حكى الطّبري أنّ مقصد النّبي عُلَيْكُولُهُ بمنع الصدّقة أنّماكان ليسلموا ويدخلوا في الدّين فقال اللّه ليس عليك هداهم، أقول.

لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ وَ لَكنَّ ٱلله يَهْدي مَنْ يَشَاءُ يمكن أن تكون الهداية في المقام بمعنى الإيصال الى المطلوب لا بمعنى إرائة الطريق أي ليس عليك إيصالهم الى المطلوب بل لك إرائة الطريق فقط و لكن الله يوصلهم الى المطلوب وتوضيح الكلام هو أنّ الهداية على ما قيل قد تطلق و يراد به إرائة الطريق الى السّعادة والجنّة و الإيمان مثلاً و هي الإرشاد المحض و قد يراد بها الإيصال الى الجنّة والنّعيم الأبدي قالوا أنّ الهداية بالمعنى الأوّل شأن الرسول و بالمعنى الثّاني مختصّ بالله تعالىٰ و الهداية بالمعنى الأوّل شأن الرسول و بالمعنى الثّاني مختصّ بالله تعالىٰ و

اء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\langle egin{array}{c} \mathbf{x} \\ \mathbf{y} \end{array} \right
angle$ 

على هذا فمعنى الآية واضح كما مرّ و أنّما قلنا ذلك لأنّ الرّسول كان يرشدهم الى السّعادة دائماً فلا يصّح أن يقال ليس عليك إرشادهم مثلاً فالمسلوب هو الهداية بالمعنى الثّاني دون الأوّل كما قال الله تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدى مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ ٱللهُ يَهْدى مَنْ يَشْاءُ (١)

وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرِ فَلِأَنْفُسِكُمْ المراد بالخير هنا المال كما في قوله تعالىٰ: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٢) أي لحبِّ المال، ويمكن أن يكون المراد به ما يشمل الأعمال من قبيل قوله تعالىٰ: وَ هَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرِ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللهِ(٣) أي من عمل و قوله: فَلِأَنْفُسِكُمْ أي أنّ نفع الإنفاق يعود اليكم، فعلىٰ الأوّل وهو أن يكون الخير بمعنى المال، فالأية تدّل على حسن الإنفاق بل التّحريص عليه في وجوه البّر وتقديرها وما تنفقوا في وجوه البّر من المال فنفعه عائدٌ اليكم، و على الثَّاني و هو أن يكون الخير بـمعنى العـمل أو مـا يشمله فالأية حاثّة على فعل الخيرات أعنى به الأعمال الصّالحة النّاشئة عن الإيمان فالإنفاق المستفاد من قوله: و ما تُنْفِقُوا، لا يكون مختصاً بالإنفاق المالي بل الأعم منه و من كلّ عمل صالح كما فصّلنا الكلام فيه في أوائل البقرة عند قوله تعالى: وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ ﴾ و قلنا هناك أنَّ الإنفاق كما يكون في المال كذلك يكون في سائر النِّعم من العلم والقدرة والعدالة والصّحة وغيرها فالعالم ينفق بعلمه والعادل بعدله والسلطان بقدرته وصاحب الثروة بماله و هكذا.

وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجُهِ ٱللَّهِ قيل اللَفظ نفيٌ والمعنىٰ نهيٌ أي لا تنفقوا إلاّ طلباً لمرضات الله ففي الحقيقة نهى الله تعالىٰ عن الإنفاق في سبيل

۱ – القصص = ۵۶ ۲ – العاديات = ۸ ۳ – البقرة = ۱۱۰ ۴ – البقرة = ۳

الشّيطان فمتابعة الهوى ولأجل ذلك أردف كلامه بقوله و ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَى إِلَيْكُمْ توفية الشئ إكماله وعدّاه، بالى، لتضمّنه معنى الإيصال أو التأدّية و المعنى توفّون جزائه بلا نقصان و لا ظلم و قيل تعطون جزائه وافراً و فيها دلالة على نفي الإحباط و أطلاق الآية يدّل على حصول الجزاء بإعطاء غير العارف و يرشد اليه ما ذكر في سبب النّزول من أنّ المسلمين كانوا يمتنعون من التصدّق على غير أهل دينهم فأنزّل اللّه تعالى هذه الآية و يدّل على ذلك.

ما رواه في الكافي عن عمرو بن أبي نصير قال: قلت لأبئ عبد الله عليه الله عليه الله عليه أنّ أهل السّواد يقتحمُون علينا وفيهم اليهود والنّصارى والمجوس فنصدّق عليهم قال عليها نعم.

و عن عمر بن يزيد قال سألت أبا عبد الله عليه على الصدّقة على أهل البوادي والسّواد قال: تصّدق على الصُربيّان والنسّاء والزمّناء والضّعفاء والشّيوخ وكان ينهى عن أولئك الجمانين يعني أصحاب الشّعور انتهى.

و عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله علي إصنعوا المعروف الى كلّ أحدِ فأن كان أهله وإلا فأنت أهله انتهى.

و في رواية معلى بن خُنيس عن الصّادق عليّه! أنّه خرج في ليلةٍ قد رشّت يريد ظّلة بني ساعدة بحرابٍ أعجز عن حمله من خبزٍ و تصدّق به على قومٍ كانواهناك فقلتُ جُعلتُ فداك يعرف هؤلاء الحقّ فقال عليه! لو عرفُوه لواسيناهم بالدّقة الحديث.

و روي الكشي في رجاله بسنده الى عمر بن زيد قال: سألتُ أبا عبد الله عليه الله عليه عن الصدقة على النّاصب والزّيدية فقال عليه النّافية على النّاصب والزّيدية فقال عليه أنّ الزّيدية عليهم بشيّ ولا تُسقهم من الماء أن إستطعت و قال لي أنّ الزّيدية هُم النُّصاب.

ضياء القرقان في تفسير القرآن كركم. كما المجلد ال

أقول هذه الأخبار نقلناها عن كتاب آيات الأحكام للجزائري منيَّنُّ (١).

امًا قوله تعالىٰ: وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ معناه أنّ اللّه تعالىٰ لا يضيع أجر عاملٍ ولا يظلم على أحدٍ وفيه إشارة الىٰ أنّ تضييع الحقّ ظلمّ وأنّما لا يظلم لأنّ الظّلم قبيح و هو منزّة عن القبائح كما ثبت في محلّه و قد نفى الظّلم عن نفسه في كثير من الأيات.

قال اللّه تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنْهُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٢)

قال اللّه تعالى: ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ ٱللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ<sup>(٣)</sup>. قال اللّه تعالى: وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ<sup>(۴)</sup>

ضياء الغرقان في تفسير القرآن كم في المجلد الثالث

۲- يونس = ۴۴. ۴- فُصلت = ۴۶

باء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَنْهُ ﴾ المجلد النا

لِسَلْفُقُرْآءِ ٱلَّذِينَ أُخْصِرُوا فَى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَاللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ لَالْجُاهِلُ أَغْنِيْآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لَا يَسْتَلُونَ ٱلنَّاسَ الْحُافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ يَسْتَلُونَ ٱلنَّاسَ الْحُافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ يَسْتَلُونَ ٱلنَّاسَ الْحُافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ يَسْتَلُونَ ٱلنَّاسَ الْحُافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)

#### ⊘ اللّغة

لِلْفُقَراآءِ: جمع فقير وهو من لا مال له.

أُحْصِرُوا: بضم الألف ممّا لم يسّم فاعله والمعلوم منه، أحصر والمصدر الإحصار: وهو المنع من طريق البيت و قيل هذا معنى الحصر و امّا الإحصار يقال في المنع الظّاهر كالعدّو والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلاّ في المنع الباطن.

لا يَسْتَطيعُونَ: الإستطاعة القدرة.

ضَرْبًا فِي آلْأَرْضِ: الضّرب في الأرض الذّهاب فيها وهو ضربها بالأرجل. مِنَ آلتَّعَفُّفِ: التّعَفف مصدر باب التَّفعل و قال تَعفّف تَعفّفاً و العِفّة حصول حالةٍ للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة و أصله الإقتصار علىٰ تناول الشّئ القليل الجاري مجرىٰ العفافة.

اِلْحَافًا: بكسر الألف مصدر قولك الحَفَ الحافاً، والإلحاف الإلحاح و التَّضرع و الإصرار و امثال ذلك.

# ♦ الإعراب

لِلْفُقَرْآءِ في موضع خبر إبتداء محذوف تقديره، الصدّقات المذكورة للفقراء في سَبيلِ ٱللّهِ في متعلّقة، بأحصروا، على أنّها ظرف له و يجوز أن

تكون حالاً أي أحصِروا مجاهدين لايستطيعُونَ في موضع الحال والعامل فيه، أحصروا عاجزين و يجوز أن يكون مستأنفاً يكسبهُم أيضاً حال و يجوز فيه الإستئناف و فيه لغتان كسر السّين وفتحها و قد قرأ بهما وآلْجاهِلُ جنس و لذلك لم يجمع و لا يراد به واحد مِنَ آلتَّعَفُّفِ من، يتّعلق بيحسب أي يحسبهم من أجل التَّعفف، و لا يجوز أن يتعلق، بأغنياء، لأنّ المعنى يصير الى ضد المقصود تعرفهُم يجوز أن يكون حالاً وأن يكون مستأنفاً لا يستئلُونَ مثله وليجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف دلً عليه، يسألون و يجوز أن يكون مصدراً نه عديره ولا يسألون ملحفين.

# ⊳ التّفسير

قال في أيات الأحكام كان ذلك من قبيل الإستئناف البياني الواقع جواباً لسؤالٍ مقدر لأنّه لمّا حرّص على الإنفاق فيما سبق و بيّن ما ينبغي أن يكون المنفق عليه من الصّفة أشعر ذلك بالسّؤال عن بيان حال المنفق عليه، فاللام متعلّقة بنحو أجعلوا مقدراً أي أنّهم أولى بها لا أنّها مختصّة بهم ويكون الجار في موضع الرّفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره لهم حقّ عليكم حيث أنّهم حصروا أنفسهم في سبيل اللّه ثمّ قال ويدخل فيه المشتغلون في تحصيل العلوم الدّينية و ترويج المعالم الشّرعية المحمّدية بل في زماننا هذا هو الجهاد الأعظم والسّبيل الأقوم فالإلتفات اليهم بالنّوال والأفضال ممّا ورد الحتّ عليه في الأخبار المستفيضة انتهى.

ما أردنا ذكره و لنرجع الى تفسير ألفاظ الأية.

# لِلْفُقَرٰ آءِ ٱلَّذَيِنَ أُحْصِرُوا في سَبيلِ ٱللهِ

عن الباقر عليم نزلت في أصحاب الصّفة و قال السّدي الفقراء في الآية فقراء المهاجرين وكيف كان فالعامل في الفقراء محذوف و تقديره النّفقة

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 😽

المحلد الثالث

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم بمجل العجلد الثالة

للفقراء أو الصدّقة للفقراء و أنّما خصّ المهاجرين بالذّكر لأنّه لم يكن هناك سواهم و هم أهل الصّفة وكانوا نحواً من أربع مائة رجل و قيل أنّهم كانوا يقدمون على رسول اللّه عَيَيْوالله و مالهم أهل و لا مال فبنيت لهم صفّة في مسجد رسول اللّه فقيل لهم أهل الصّفة نقل عن أبي ذرّ أنّه قال كنت من أهل الصّفة وكنّا اذا أمسينا حضرنا باب رسول اللّه فيأمر كلّ رجل فينصرف برجل و يبقى من بقي من أهل الصّفة عشرة أو أقلّ فيؤتي النّبي عَلَيْوالله بعشاءه و نتّعشى معه فاذا فرغنا قال رسول اللّه عَيَيْوالله نوموا في المسجد (ناموا) قاله القُرطبي في تفسير لا يَسْتَطيعُونَ أي الفقراء ضَرّبًا في آلاً رض لكون البلاد كلّها كفراً مطبقاً و إنكار الكفّار عليهم إسلامهم كان مانعاً من التّجارة والزّراعة والكسب فبقوا فقراء و قيل معناه أنّهم كانوا لا يستطيعون لما قدموا بأنفسهم على الجهاد.

# يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيٰآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسيماهُمْ

أي من كان جاهلاً بحالهم يحسب أنهم أغنياء لا يحتاجون الى شئ اذ لو كانوا محتاجين لسألوا الناس كما هو شأن المحتاج الفقير في العرف ولم يعلم الجاهل أنّ تركهم المسألة لأجل التّعفف والتّوكل على اللّه فأنّ الفقير اذا كان عفيفاً لا يسأل الناس إلا مع الضرّورة فترك المسألة لا يدّل على الغنى في جميع الموارد والتّعفف مصدر باب التفعل و هو مبالغة من عفّ الشّي اذا أمسك عنه وتنزّه عن طلبه ومن، في قوله: مِن التّعفف لا بتداء الغاية و قيل لبيان الجنس تعرفهم في بسيماهم الخطاب لرسول الله على الله على أن للسّيماء أثراً في إعتبار من يظهر عليه ذلك و السيّماء مقصورة، معناها العلامة و قد تمدّ فيقال السّيماء و قد اختلفوا في تعينها فقال مجاهد هي الخشوع والتواضع السّدي أثر الفاقة و الحاجة في وجوههم و قلّة النّعمة، و قال ابن زيد، والتواضع السّدي وقال قوم أثر السّجود.

لا يَسْتَلُونَ آلنّاسَ الْحَافاً. إلحافاً، مصدر في موضع الحال أي ملحفين يقال الحف وأحَفىٰ وألّح في المسألة سواء و قيل أنّ إشتقاقه من اللّحاف سمّي به لاشتماله على وجوه الطّلب في المسألة كإشتمال اللّحاف من التّغطية ثمّ أنّهم إختلفوا في معنى قوله: لا يَسْتَلُونَ آلنّاسَ الْحَافاً فقال قوم منهم الطّبري و الزّجاج أنّ المعنىٰ لا يسألون البّتة لأنّ التّعفف صفة ثابتة لهم أي لا يسألون النّاس إلحاحاً و لا غير إلحاح و قال قوم أنّ المراد نفي الإلحاف أي أنّهم يسألون غير إلحافٍ و هذه هو السّابق للفهم أي يسألون غير مُلحفين و في هذا تنبية علىٰ سوء حالة من يسأل النّاس إلحافاً.

وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱلله بِهِ عَلَيمٌ و معناه ظاهر لأنّ علمه تعالىٰ بالأشياء حضّوري و هو عين ذاته فعلمه بذاته علمه بجميع ما سواه لأنّ العلم بالعلة مستلزم للعلم بالمعلول بطريقٍ أوّلي وسيأتي البحث في علمه تعالىٰ في محلّه إن شاء الله ثمّ أنّه يستفاد من الآية ذمّ السّؤال وكراهته حتّىٰ الإمكان و ذلك لأنّ الله تعالىٰ جعل عدمه مدحاً والأخبار أيضاً دالّة عليه.

قال أمير المؤمنين عليه إلى من فتح عليه باب مَسَأَلة فتح الله عليه باب فقر.

و عن الصّادق عليه قال: قال رسول الله عَيَالِه أنّ الله تعالى أحبّ شيئاً لنفسه و أبغضه لخلقه، أبغض لخلقه المسألة و أحبّ لنفسه أن يسأل وليس شيئ أحبّ الى الله أن يسأل فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ولو شسع نعل انتهى.

و عنه عليَّلِا: إيّاكم و سؤال النّاس فأنّه ذُلّ في الدّنيا و فقر تعجّلونه و حساب طويل يوم القيامة والأخبار كثيرة. الفرقان في تفسير القرآن كالمرقان في تفسير القرآن كالمرقان في تفسير القرآن

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَمْمُ الدَّجِلَدُ ا

اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ ٱلنَّهْارِ سِـرًّا وَ عَلاٰنِيَةً فَلَهُمْ أَجْـرُهُمْ عِـنْدَ رَبِّـهِمْ وَ لا خَـوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا خَـوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٢)

#### ⊳ اللّغة

سِرًّا: الإسِرار خلاف الإعلان و السِّر هو الحديث المكتم في النَّفس.

و لا خَوْفُ: الْخَوف مصدر و هو تَوَقع مكروه عن إمارة مظنُونة أو معلومة و ضده الأمن و امّا الخوف من اللّه تعالى يراد به الكَّف عن المعاصي و اختيار الطّاعات و لذلك قيل لا يعد خائفاً من لم يكن للذّنوب تاركاً.

# ⊳ الإعراب

آلَّذَيِنَ يُنْفِقُونَ الموصول وصلته مبتدأ و قوله: فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ جملة في موضع الخبر بِاللَّيْلِ ظرف و الباء فيه بمعنى، في سِرًّا وَ عَلاَيْيَةً مصدران في موضع الحال.

### ⊳ التّفسير

المرقان في تفسير القرآن ياء الفرقان في تفسير القرآن

آلَّذَبِنَ يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ هم أصحاب الخيل، وبهذا الأسناد قال رسول الله عَيَّمِا الله عَيَّمِا الله عَيَّمِا الله عَيَّمِا الله عَيَّمِا الله عَيَّمِا الله عَده بالصدقة لا يقبضها و أبوابها أوراثها عند الله يوم القيامة كذكى المسك و روي عن ابن عبّاس أنّه قال نزّلت في علّي بن أبي طالب كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً و بدرهم سِرّاً وبدرهم جهرا ذكره عبد الرّزاق قال أخبرنا عبد الرّهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عبّاس.

ابن جريح نزّلت في رجلٍ فَعل ذلك ولم يسّم علّياً و لا غيره و قال قتادة نزّلت في المنفقين من غير تبذيرٍ و لا تقتير انتهى كلام القرطبي و نقل الطّبري عن شيخ من غافق أنّ أبا الدّرداء كان ينظر الى الخيل مربوطة بين البراذين و الهجن فيقول أهل هذه يعني الخيل من ٱلّذين يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ اللّهَارِ الىٰ قوله وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ.

ثم نقل عن قتادة حديثاً أخر ونسبه الى رسول الله عَلَيْ فلو نسبه الى الجنّ كان أصوب لأنّ الحديث لا يفهمه إلاّ الجنّ ورسول الله أجلّ شأناً وأفصح بياناً من هذه الكلمات التّي لا يعلم تفسيرها إلاّ الطّبري أليس لقائل أن يقول للطّبري، و من أبو الدّرداء الّذي كان ينظر الى الخيل مربوطة بين البر اذين و يقول أهل هذه من آلَذين يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ وهل يرضى المُسلم أن يُفسر كلام الله هكذا أليس هذا من التفسير بالرّأي و قد قال رسول الله عَيَالِينَهُ من فَسّر القرأن برأيه فليُتبوء مقعده من النّار صدق رسول الله.

و زاد السيوطي في الدر المنثور نغمة أخرى فأنّه بعد نقله ما نقله الطّبري عن أبي الدرداء نقل عن أبي الباهلي أنّه قال من إرتبط فرساً في سبيل الله لا يرتبطه رياء ولا سمعة كان من آلَذين يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ ٱلنَّهارِ سِرَّا وَ عَلاَئِيَةً قال هم الّذين يعلفون الخيل في سبيل الله و عن البخاري عن أبي كبشة عن النبي عَيَّا الله قال الخيل معقود في نواحيها الخير و أهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدّقة انتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كرنج العجلد

أقول هنيئاً لأرباب الخيول فأنّهم لإنفاقهم عليها كالباسط يده بالصدّقة فهم يتصدّقون ليلاً ونهاراً و سرّاً و علاية و ذلك لأنّ الإنفاق عليها إمّا يكون باللّيل و امّا بالنّهار و أمّا سرّاً و امّا جهراً وهذا هو المراد من الآية على مذهب الطّبري و السّيوطي و أمثالهما فاعتبروا يا أولي الأبصار فأنّ هذا معنى قولهم حسبنا كتاب اللّه أنّ الرّجل ليهجر ثمّ هذا معنى الأخذ بالسنة ولنعم ما قال ابن عبّاس حيث قال الرّزية كلّ الرّزية من يوم الأثنين و ما تدري ما يوم الأثنين الحديث. في تفسير العيّاشي عن أبي إسحاق قال :كان لعلّي بن أبي طالب أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً و بدرهم سيرّاً و بدرهم علانية فبلغ ذلك النّبي عَيَيْشُ فقال ياعلّي ما حملك على ما صنعت قال إنجاز موعود اللّه فأنزل اللّه: اللّذين يئفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ النّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً الى أخرانتهى روى صاحب غاية المرام عن ابن بابويه بأسـناده عن علي بن

روى صاحب غاية المرام عن ابن بابويه باسناده عن علي بن موسى الرّضا عن أبيه عن أباءه عن أمير المؤمنين عليه قال: قال رسول الله عَلَيْهُ وذكر عدة أحاديث ثمّ قال الذّين يُنفقون أموالهم باللّيل والنّهار الآية في علّى عليه الميلة.

الشّيخ المُفيد في الإختصاص بأسناده قال: قال رسول اللّه عَيَّ الله عَمَلت في ليلتك قال ولم يارسول اللّه قال نزلت فيك أربعة معاني قال بأبي أنت و أُمّي كانت معي أربعة دراهم فتصدّقتُ بدرهم ليلا وبدرهم نهاراً و بدرهم سِرّاً وبدرهم علانية قال فأنّ اللّه أنزل فيك اللّذين يُنْفِقُونَ أَمْواللهُمْ بِاللّيْلِ وَ النّهارِ الى أخروبه قال الطّبرسي مَنْفُ في مَجمع البيانهو المرّوي عن أبي جعفر عليلًا وأبي عدد الله.

والأحاديث من طُرقناكثيرة بل و عليه إجماع الشّيعة فيما نعلم وبه قال أكثر علماء العامّة أيضاً ورَووا فيه أحباراً كثيرة. ما رواه أبوالمُؤيّد موّفق بن أحمد من أكابر العامّة بأسناده عن عبد الوّهاب بن مجاهد عن أبيه قال: كان لعلّي علي اليّه أربعة دراهم فأنفقها واحداً ليلاً وواحداً نهاراً و واحداً سرّاً و واحداً علانية فنزل قوله تعالى: ٱلّذينَ يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ ٱلنّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً الىٰ أخر الآية.

ما رواه التّعلبي في تفسيره قال و روى مجاهد عن ابن عبّاس قال كان عند علّي بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك سواها فتصدّق بدرهم سرّاً و بدرهم علانية و درهم ليلاً و درهم نهاراً فنزّلت هذه الأية.

ما رواه إبراهيم بن محمد الحمويني من أعيان علماء العامة بأسناده عن ابن عبّاس قال: في قوله تعالى: اللّذين يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ النّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً قال: نزلت في علي بن أبي طالب كانت معه أربعة دراهم فأنفق باللّيل درهماً وبالنّهار درهماً و في السِرّ درهماً و بالعلانية درهماً انتهى.

مارواه المالكي في فصول المهمة قال: نقل الواحدي في تفسيره بسنده الى ابن عبّاس قال كان مع علّي بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم سراً و بدرهم علانية فأنزل الله سبحانه فيه اللّذين يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ النّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدُ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ.

مارواه ابن شهر آشوب من طرق العامّة و غيرهم عن ابن عبّاس و السّدي و مجاهد و الكلبي و أبي صالح و الواحدي و الطّوسي و الثّعلبي و الطّبرسي و الماوردي و القشيري و الثّمالي و النّقاش و الفتال و عبد الله بن الحسين و علّي بن حرب الطّائي في تفاسيرهم



أنّه كان عند علّي بن أبي طالب أربعة دراهم من الفّضة فتصدّق بواحدٍ ليلاً و بواحدٍ نهاراً و بواحدٍ سرّاً و بواحدٍ علنية فنزل: اللّذينَ يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ ٱلنّهارِ فسمّي كلّ درهم مالاً و بشره بالقبول رواه النطنزي في الخصائص انتهى و الأخبار من طرقهم أيضاً كثيرة و فيما ذكرناه كفاية والذّي يفهم من مجموع الأخبار من الطّرفين هو أنّه لا يبقى شكّ لأحدٍ من ذوي الإنصاف أنّ شأن نزول الآية ما ذكرناه والأخبار نقلناها من كتاب غاية المرام (۱).

و في كتاب ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي البلخي و هو من أعاظم أهل السُنة قال – موقق بن أحمد والحَمويني والتَعلبي و المالكي وأبو نعيم الحافظ بسندهم عن مجاهد عن ابن عبّاس أنه قال كان عند علي أربعة دراهم فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد علانية فَنَزل: اللَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرَّا وَ عَلانِيةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَ لا خَوْفُ عَلَيْهِمْ

و أيضاً جمع الفوائد في تفسير سورة البقرة عن ابن عبّاس قال: قوله تعالىٰ: اللّذينَ يُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ بِاللّيْلِ وَ النّهَارِ سِرًّا وَ عَلاٰنِيّةً نزلت في علّي كانت عنده أربعة دراهم فأنفق باللّيل واحداً و بالنّهار واحداً و في العلانية واحداً انتهىٰ (٢).

و الأخبار من طرق العامّة أيضاً كثيرة والحمد لله ربّ العالمين.

ٱلَّذينَ يَأْكُلُونَ ٱلرَّبُوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذَى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذٰلِكَ بأنَّهُمْ قْالُوٓا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرَّبُوا وَ أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَوَ حَرَّمَ ٱلرَّبُوا فَمَنْ جُآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهٰى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ (٢٧٥) يَــمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبُوا وَ يُرْبِى ٱلصَّدَقَاتِ وَ ٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم (٢٧٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ الْمَنُوا وَ عَـمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا ٱلصَّلُوةَ وَ اٰتَوَّا ٱلزَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبُوآ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذَنُوا بِحَرْبِ مِنَ ٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَاٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)

# ⊘ النّغة

آلرِّبُوا: رَبايربُو رِباءً و رَبُواً، زاد و انما قاله في المُنجد و قال الرَّاغب و ربا فلان حصل في ربوه و سُمّيت الرّبوة رابية كأنّها ربت بنفسها في مكان ومنه، ربا اذا زاد و علا الى أن قال والرّباء الزّيادة على رأس المال لكن خُصّ في الشّرع بالزّيادة على وجهٍ دون وجهٍ.

يَتَخَبَّطُهُ: الْخَبُط بفتح الحاء و سكون الباء الضرب على غير إستواء كخبط

ع الفرقان في تفسير القرآن \* الفرقان في تفسير القرآن \* بهذ البعير الأرض بيده و الرَّجل الشَّجر بعصاه و أستعير لعَسف السَلطان فـقيل سلطان خبوط، و إختباط المعروف طلبه بعسف تشبيهاً بخبط الورق فـقوله تعالىٰ: يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ يصّح أن يكون من خَبط الشَّجر وأن يكون من الإختباط الذي هو طلب المعروف.

مِنَ ٱلْمَسِّ: المَّس بفتح الميم وتشديد السّين مصدر مِن، مَسٌ يَمُّس، مَسَّاً و هو يقال فيما يكون معه إدراك بحاسّة اللّمس.

ٱلْبَيْعُ: مصدر يُقال بَاع بيعاً و هو إعطاء المُثّمن و أخذ الثَّمن.

سَلَفَ: أي مضى.

يَمْحَقُ: بفتح الياء مضارع و ماضيه فحق مثل ضَرب و المحق النَقصان و منه المحاق لأخر الشّهر يقال محَقه اذا نقَّصه و أذهب بركته.

يُرْبِي: بضمّ الياء مِن أَرَبيٰ يُربي و الثّلاثي فيه، رَبا يَربُو بمعنى زاد و قد تقدم. كَفّارٍ أَيْهم: الكفّار بفتح الكاف على فعّال، للمبالغة يقال رجل كفّار أي جاحد لنّعم الله.

أثيم: بفتح الألف بمعنى الآثم و هو المذنب يقال، أثِمَ إثماً وأثاماً فهو آثم وأثيم وقال الرّاغب، الأثم و الأثام إسم للأفعال المبطئة عن النّواب وجمعه آثام. ذرّوا: فعل أمر من، وذر و المضارع منه، يكذر بفتح الياء و الذّال و معناه قال الرّاغب يقال فلان يذر الشّئ، أي يقذفه لقلة إعتداده به ولم يستعمل ماضيه وقال في المنجد، وذره، يكذره، أي تركه و لا يستعمل منه بهذا المعنى سوى المضارع و الأمر فتقول، ذره، ويكذره، أي دعه و أتركه، و يدعه، يتركه فاذا أريد الماضي قيل، ترّك أو المصدر، قيل التّرك أو إسم الفاعل قيل التّارك.

فَأَذَ نُوا: أمرٌ من أذِن، أو أذَن، فعلى الأوّل معناه، أيقنُوا بحربٍ من الله. و على النّاني، فأعلموا غيركم لأنّه من الإعلام.

وَ إِنْ تُبْتُمْ: مَن تاب يَتُوب بمعنى رجع.

رُءُوسُ: بضمّ الرّاء جمع رأس.

#### √ الإعراب

ٱلَّذينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّنوا مبتدأ لا يَقُومُونَ خبره و الكاف في موضع نصب وصفاً لمصدر محذوف تقديره، إلا قيام الذّي يتخبطه، و لام الرّبا واو لأنّه من ربا يربو مِنَ ٱلْمَسِّ يتعلَّق بتخبطه أي من جهة الخبوط فيكون في موضع نصب ذلك مبتدأ بأنَّهُمْ قَالُوٓا الخبر أي مستحقّ بقولهم: جآءَهُ مَوْعِظُةٌ أنَّما لم تثبت التَّاء في الفعل لأنَّ تأنيث الموعظة غير حقيقي فالموعظة و الوعظ بمعنى لا تَظْلِمُونَوَ لَا تُظْلَمُونَ بتسمية الفاعل في الأوّل وتركها في الثّاني وإعراب الباقي واضح.

## ⊳ التّفسير

هذه الأيات تضمنت أحكام الرّبا وجواز عقود المبايعات والوعيد لمتن إستّحل الرّبا و أصرّ على فعله و نحن نشرح و نفسّر أوّلاً ألفاظ الأيات ثمّ نقول فيها ما يُناسب المقام من الأحكام وغيرها فنقول.

**ٱلَّذينَ يَأَكُلُونَ ٱلرَّبْوا** أي يأخذون الرّبا فعبّر عن الأخذ بالأكل لأنّ الأخذ للأكل فهو من تسمّية السّبب بالمُسّبب لا يَقُومُونَ قيل من قبورهم إلّا كُمّا يَقُومُ ٱلَّذَى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ قيل في معناه جعل الله هذه العلامة لأكلة الرّبا و ذلك أنّه أرباه في بطُونهم فأثقلهم فهُم اذا خرجوا من قبُورهم يقومون ويسقطون وقيل أنّهم يُبعثون يوم القيامة قد إنتفخت بطونهم جزء ٣ كالحبالي وكلّما قاموا سقطوا والنّاس يمشون عليهم، و قيل أنّما ذلك شعار لهم يعرفون به يوم القيامة ثمّ العذاب من وراء ذلك كما أنّ الغّال يجئ بما غلّ يوم القيامة بشهرة يشهر بها ثمّ العذاب من وراء ذلك.

أقول قد مرّ الكلام منّا في شرح اللّغات في معنىٰ التّخبُّط وأنّ معناه الضّرب على غير استواءٍ ولذلك يقال للرّجل الّذي يتصرّف في أمرٍ ولا يهتدي فيه أنّه

يخبط عشواء و خبط البعير للأرض بأخفافه و تخبطه الشيطان اذا مسه بخبل أو جنونٍ لأنّه كالضّرب على غير إستواء في الإدهاش و تسمّى إصابة الشيطان بالجنون و الخبط، خبطة و يقال به خبطة من جنون والمسّ الجنون يقال مسّ الرّجل فهو ممسوس و به مس و أصله من المسّ باليد كأنّ الشّيطان يمسّ الإنسان فيجنّه ثمّ سُمّي الجنون مساً كما أنّ الشّيطان يتخبّطه ويطأه برجله فيخبله فسمّي الجنون خبطة، فالتّخبُط بالرّجل، والمسّ باليد هكذا قرّره بعض المحققين و عليه فالمعنى لا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم الّذي وَطئه الشّيطان برجله و مسّه بيده أي أنّه جنّه و خبّله.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبُوا أَي أَنَهم قالوا بِعَدم الفَرق بين البيع و الرّبا و ذلك لأنّ الزّيادة عند حلول الأجل كمثل أصل الثّمن في أوّل العقد قالوا أنّ العرب كانت لا تعرف رباً إلاّ ذلك فكانت إذا حلّ دينها قالت للغريم، إمّا أن تقضي و امّا أن تُربي، أي تزيد في الدّين فحرم اللّه سبحانه ذلك ورّد عليهم بقوله:

وَ أَحَلَّ ٱللّٰهُ ٱلْبَيْعَ وَ حَرَّمَ ٱلرِّبُوا وأوضح أنّ الأجل إذا حلّ ولم يكن عنده ما يؤدي النّظر الى الميسرة و الألف و اللام للجنس لا للعهد و لا يمكن أن يكون للإستغراق و المآل واحد أي أحلّ الله جنس البيع وحرّم جنس الرّبا أو أحلّ كلّ مصاديق البيع و حرّم كلّ مصاديق الرّبا قالوا وهذا الرّبا هو الذي نسخه النّبي عَيَّرُ الله يوم عرفة لمّا قال، ألا أنّ كلّ رباً موضوع و أنّ أوّل ربا أضعه ربانا ربا عبّاس بن عبد المطلب فأنّه موضوع كلّه فبدأ عَيَرِ الله بعمه و أخصَ النّاس به، ثمّ أنّ قوله تعالى: و أحل الله ألبيع من عموم القرآن و هو أي كونه عاماً مما لا كلام فيه ثمّ أنّ هذا العّام مُخصّص بالرّبا و لذلك قال وحرّم الرّبا و كذلك فخصّص بغير ذلك ممّا نهى عنه ومنع العقد عليه كبيع الخمر والميتّة و لحم

اء الغرقان في تفسير القرآن كريم الدجلد الثالة

الخنزير و امثال ذلك ممّا هو ثابت في السّنة وإنعقد الإجماع على نهيه و قيل هو من مجمل القرآن الّذي فسّر بالمحلّل من البيع و بالمحرّم فلا يمكن أن يستعمل في احلال البيع و تحريمه إلاّ أن يقترن به بيان من سنته الرّسول و أن دلً على اباحة البيع في الجملة دون التفصّيل وهذا هو الفرق بين العموم و المجمل فأنّ العموم يدّل على إباحة البيوع في الجملة و التفصيل ما لم يخصّ بدليل و المجمل لا يدّل على اباحتها تفصيلاً حتّى يقترن به بيان قاله القُرطبي في تفسيره ثمّ قال و الأوّل أصّح انتهى.

فَمَنْ جُآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ أي فَمن جاءه زَجر و نـهى و تـذكير مـن ربّـه فَانْتَهٰى أي فأنزجر و تذكّر و اعتبر فَلَهُ ما سَلَفَ أي فَله ما أخذ و أكل من الرّبا قبل النّهي و لا يلزمه ردّه.

لقول الباقر على الدرك الإسلام وتاب ممّا كان عمله في الجاهليّة وضع الله عنه ما سلف، وقال: السّدي معناه، له ما أكل وليس عليه ردّ ما سلف فأمّا ما لم يقبض بعد فلا يجوز له أخذه و له رأس المال و أَمْرُهُ إِلَى الله أي الله أي أمره بعد مجي الموعظة والتّحريم والإنتهاء الى الله إن شاء عصمه عن أكله و ثبتّه في إنتهاءه عنه و ان شاء خذله و قيل معناه، وأمرَه في الأخرة الى الله إن لم يتب و هو غير مستحلٍ له إن شاء عذبه بعدله و إن شاء عفى عنه بفضله، وقيل معناه فلا يؤاخذه بما سلف من الرّبا (و من عاد) أي عاد الى أكل الرّبا بعد التّحريم و قيل ما كان بقوله قبل مجي الموعظة من أنّ البيع مثل الرّبا فأوليّك أصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالدُونَ لأنّ ذلك لا يصدر إلا الرّبي ألسّد والله الرّبا فلهذا توّعد بعذاب الأبد يَمْحَقُ الله ألرّبوا و يُربي الصّد قات المحق نقصان الشي حالاً بعد حالٍ أي أنّ الله يُربي الصّد قات المحق نقصان الشي حالاً بعد حالٍ أي يزيد الصدّقات تعالى ينقص الرّبا حالاً بعد حالٍ ويربي أي يزيد الصدّقات



ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🥻

وينموها بما يثمر المال في نفسه وبالأجر عليه و ذلك بحسب الإنتفاع بها وحسن النية فيها و وجه زيادته على المستحق بالعمل تفضّلُ منه بالوعد به.

و قدروي عن النبي عَلَيْهُ أنّه قال: أنّ اللّه يقبل الصدّقة و لا يقبل منها إلاّ الطّيب و يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتّى أنّ اللّقمة لتصير مثل أحد

و ذلك قوله: يَمْحَقُ ٱللّٰهُ ٱلرِّبُوا وَ يُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ وَ ٱللّٰهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَارٍ مَعْ وَلِهُ الْمَالِمِ لِمَا لَم يقُل كُلَّ كَافِرٍ مع وَخُول الكفّار في الكافر لأن كلّ كفّار كافر وليس كلّ كافر كفّار، للدّلالة على أنّ مستحلّ الرّبا في قوله: أنّما البيع مثل الرّبا، مع أنّه كافر كفّار أيضاً ويجوز أن يكون الوجه للدّلالة على صفات الذّم إذ قد يتوهّم أنّ الكفّار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به إستحقاق العقاب ويجوز أن يكون من باب الإختصاص بعظم المنزلة في الأمر الذي تعلّق به الذّكر و الأثيم، هو المتمادي في الإثم والأثِم الفاعل لِلإثم وأنّما قال تعالىٰ لا يحبّ، ولم يقل لا يبغض، لأنّه إذا لم يحبّ المكلّف فهو يبغضه فقولك لا يحبّه اللّه من صفات الذّم كما أنّ قولك لم ينصف في المعاملة من صفات الذّم إذا عرفت هذا فلابدّ لنا من ذكر أمور ينبغي التنبيه عليها توضيحاً.

للبحث الأمر الأول: في تعريف البيع والرّبا والفرق بينهما فنقول:

البيع في اللّغة مصدر باع بَيعاً كذا بكذا أي دفع عوضاً و أخذ معوضاً و قيل هو مبادلة مالٍ بمالٍ و قال في المفردات البَيع إعطاء المثمن وأخذ التّمن كما أنّ الشّراء إعطاء الثَّمن وأخذ المثمن ويقال للبيع الشّراء وللشّراء البيع بحسب ما يتصوّر من الثَّمن و المثّمن و علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: وَ شَرَوْهُ بِثَمَنِ بَحْسٍ (١).

و قال عليه لا يبعين أحدكم على بيع أخيه، أي لا يشتري على شراه و أبعتُ الشي عرضتة للبيع انتهى.

وعلىٰ هذا فأركان البيع أربعة، البائع، والمُبتاع والثَّمن والمُثمن، فالبائع هو المالك أو من ينزّل منزلته، والمبتاع هو الّذي يبذل الثّمن، والمبيع هو المثمُون و هو الّذي يبذل في مقابلته الثّمن، ثمّ أنّ المعاوضة تختلف بحسب إختلاف ما يضاف اليه، فأن كان أحد المعوّضين في مقابلة الرّقبة سمّي بيعاً و أن كان في مقابلة منفعة فأن كانت منفعة بضع سُمّي نكاحاً و أن كانت منفعة غيرها سُمّي اجارة، و أن كان عنياً بعين فهو بيع النّقد و هو الصّرف و أن كان بدينٍ مؤجّلٍ، فهو السّلم و تفصيل هذه الأقسام في كتب الفقه.

الأمر الثانى: البيع قبول و إيجاب بمعنىٰ أنّه لا يتّحقق إلا بهما ثم أنّ الإيجاب يقع باللّفظ الماضي كقولك بعتُ هذا بهذا وهذا ممّا إتّفقوا علىٰ وقوعه بهإذا كان الإيجاب بلفظ المستقبل كقولك أنا أبيعك بعشرة فقال المشتري أنا أشتري أو قد إشتريتُ فقيل أنّه يقع به أيضاً لأنّ الماضي فيه حقيقة و المستقبل كناية المفهوم منها نقل الملك: و لابد من البائع أن يكون مكلّفاً أي بالغاً، عاقلاً، قاصداً، مُختاراً فلا يجوز بيع الصّبي و المجنون و النائم أو الهازل أو اللاّعب، و المكره على ما ذكروه مفصّلاً في محلّه.

الأمر الثّالث: في الرّبا و هو بكسر الباء بمعنىٰ الزّيادة كما مرّ في شرح اللّغات.

و أمّا في الشّرع فهو بيع المثل بالمثل مع الزّيادة العيّنية كدرهم بدرهمين، أو الحكمية كبيع درهم بدرهم الى مدّة معيّنة ويدخل فيه ربا النّسيئة الّذي كان متعارفاً في الجاهليّة و هو أن يدفع المال الى مدّة على أن يأخذ كلّ شهر قدراً معيّناً ثمّ إذا حلَّ الدّين و طلب المديون برأس المال فأن تعذر عليه الإداء زاد في الحقّ و الأجل، و يثبت الرّبا في كلّ قليلٍ وموزُونٍ مع اتّحاد الثّمن والمُثمن

باء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد النا

جنساً قال المحقّق في الشّرائع يثبت الرّبا في البيع لكن مع وصفين.

أحدهما: في الجنسية. الثانى: بالكيل والوزن وكذا ثبوته في القرض. أقول و عليه فالربا يتحقّق في موردين.

أحدهما: في المكيل. الثّاني: في القرض و هو الّذي قـد يـعبّر عـنه بـربا النّسيئة فالثّاني أعمّ من الأوّل موضوعاً إذ يثبت في غيرهما أيضاً.

أمّا القسم الأوّل: أعني به الإتّحاد في الجنس فقال مَثِنُ كلّ شيئين مثلاً يتناولهما لفظ خاص كالحنطة مثلاً بمثلها و الارز بمثله فيجوز بيع المتّجانس بمثله وزناً بوزن نقداً و لا يجوز مع الزّيادة الى أن قال ولو إختلف الجنسان جاز التّماثل والتّفاضل نقداً والحنطة و الشّعير جنس واحد في حُكم الرّبا وكذا ثمرة النّخل و الكرم انتهى.

هذا إذا كان الجنس واحداً ومع ذلك كان هو ممّا يكال أو يوزن، فلو إنتفىٰ الوصفان أو أحدهما لم يتحقّق الرّبا، أمّا إختلاف الجنس فكالحنطة والتّمر أو ثمر الكرم و أمثالهما فلو باع أحدهما بالأخر نقداً مع الزّيادة فلا ربا هناك،

و أمّا الثّاني فكما اذا باع ما لاكيل فيه ولا وزن، متفاضلاً مثل بيع ثوبٍ بثوبين والبيضة بالبيضتين فهو ممّا لا إشكال فيه اذاكان نقداً.

والقسم الثّانى: وهو الرّبا في النّسيئة مثل أن يبيع جنساً بجنسه مع الزّيادة مؤجّلاً كدرهم بدرهمين ومحصّل الكلام هو أنّه مع إتحاد الجنسين وكونهما من المكيل والموزون لا يكون بيع أحدهما بالأخر مع الزّيادة لا نقداً و لا نسيئة و أمّا اذا لم يكونا من جنس واحد أوكانا ولم يكونا من المكيل و الموزون فلا إشكال فيه فالملاك في تحقّق الرّبا هو وجود الوصفين معاً و لا يكفي وجود أحدهما فقط، فلاربا في المعدود مطلقاً ولا في المكيل والموزون من جنسين مختلفين ولا في جنس واحد اذا لم يكن ممّا يُكال أو يُوزن كالنّوب بالنّوبين مثلاً، نعم يستثنى من ذلك أمور:

أحدها: إتّفقوا على أنّه لا ربا بين الوالد و ولده بمعنى إرتفاع حكم الحُرمة بينهما فيجوز لكلّ واحد منهما أخذ الفضل والمراد بالأب والولد، النّسبي فلا يتعدّى الحكم الى الأمّ والجدّ ولو كان للأب ولا الى ولد الرّضاع إقتصاراً بالرّخصة على مورد اليقين وإحتمل بعض الفقهاء جواز الرّبا في الأخيرين لإطلاق إسم الولّد عليهما شرعاً و امّا الأمّ فلاكلام لأحدٍ في خروجها عن البحث و أنّ الرّبا يجري في حقّها مع ولدها.

**ثانيها**: بين الزّوج والزّوجة دواماً بلا خلاف فيه و متعةً على الأظهر.

ثالثها: بين المسلم و الحربي اذا أخذ المُسلم الفضل و إلا ثبت و امّا بين المُسلم والدّمي فيثبت الرّبا و قيل لا يثبت فيه للرّواية المخصّصة له هذا اذا أخذ المسلم الفضل و امّا إعطاءه إيّاه فحرامٌ قطعاً كالحربي و امّا تفصيل الكلام في الرّبا و أقسامه فهو خارج عن وظيفة الكتاب وموضعه الكتب الفقهّية.

الأمر الرّابع: في علّة تحريم الرّبا و قد ذكروا فيها وجوهاً.

أحدها: ما أشار اليه في الجواهر حيث قال و أنّما حرّمه الله لنّلا يترك النّاس فعل المعروف من القَرض و غيره بل لئّلا تركوا التّجارة أيضاً بل هو في نحو شراء الدّرهم بدرهمين من السفّه المفسد للمال كما أومى اليه الرّضا عليّاً في جواب السؤال عن علّة تحريمه.

قال على السّلان الله الدّرهم والله الأنّ الإنسان إذا إشترى الدّراهم بالدّرهمين كان ثَمن الدّرهم ورهماً و ثَمن الآخر باطلاً فبيع الرّبا و شراؤه وكس على كلّ حالٍ على المشتري والبائع فحرّم اللّه عن وجلّ على العباد الرّبا لعلّة فساد الأموال كما حصر على السفيه أن يدفع اليه ماله لما يتخوّف عليه من فساده حتّى يؤنس فيه رشد فلهذه العلّة حرّم الله الرّبا انتهى.

أقول والى ما ذكره أشار إبن بابويه في الفقيه بأسناده عن إبن سنان

القرقان في تفسير القرآن كرمج المجلد الثالة

عن الرّضا عليه قال: علّة تحريم الرّبا بالنّسيئة لعلّه ذهاب المعروف و تلف الأموال ورغبة النّاس في الرّبح وتركهم للقرض والقرض من صنائع المعروف ولما في ذلك من الفساد والظّلم وفناء الأموال انتهي.

ثانيها: ما ذكره بعضهم وهو أنه من أكل المال بالباطل وقد قال الله تعالى: وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالْكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطلِ (١) و قرّروه بأنّ المُربي أخَذ من صاحبه شيئاً بغير عوض و هو الزّيادة و لا نعنى من أكل المال بالباطل إلاّ هذا.

ثالثها: أنّ الرّبا يوجب تعطيل الصّناعات و التّجارات و الزّراعات و أمثالها لأنّ المربى لا يحتاج الى الكسب و الحرفة و الزّراعة و أمثالها لإحتمال الضّرر فيها أحياناً و امّا المُرابحة فليست كذلك و غير ذلك من الوُجوه الّتي ليست بعلل حقيقته وأنّما هي إستظهارات متحضة وأظّن بل أعلم أنّ الفلسفة الواقعية في تحريمه مجهولة لنا وكم من نظير من هذه الجهة في الأحكام ولا سيّما التعبديات منها.

الأمر الخامس: في الإشارة الىٰ بعض الأخبار الواردة في حرمته و ذمّه أعاذنا الله منه.

ما رواه العَياشي في تفسيره عن شهاب بن عبد ربه قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه عليه عن يعد الله عليه عنه الدّنيا حتّى يتخبّطه الشّيطان انتهى.

ما رواه علّي بن إبراهيم بأسناده عن هشام عن أبي عبد الله علي الله علي قال: قال رسول الله عَلَيْ الله السّماء رأيتُ قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه فقلتُ من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتّخبطه الشّيطان من المسّ انتهى.



ما رواه في الوسائل بأسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه عن أبي عبدالله عليه عن أبي عبدالله عليه عن الله أشد من سبعين زنية كلها بذات محرم.

ما رواه بأسناده عن أبي جعفر عليه قال عليه اخث المكاسب كسب الرّبا.

مارواه أيضاً بأسناده عن أبي عبد الله عليه عليه عليه عند الله من ثلاثين زنية كلها بذات محرَم مثل عمة و خالة.

مارواه بأسناده عن سعيد بن يسار قال: قال أبو عبد الله العلا لا درهم واحد ربا أعظم من عشرين زنية كلها بذات محَرم.

مارواه بأسناده عن زرارة عن أبى عبد الله قال: قلت له أنّي سمعت الله يقول، يمحق الله الرّبا ويربي الصدّقات و قد أرىٰ من يأكل الرّبا يربؤ ا ماله فقال للنَّلِ أيّ محقٍ أمحق من درهم رباً يمحق الدّين وأن تاب منه ذهب ماله وافتقر.

ما رواه بأسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عن النّبي عَيَّالِللهُ في وصيّته لعلّي قال: يا علّي الرّبا سبعون جزء فأيسرها مثل أن ينكح الرّجل أمّه في بيت الله الحرام يا علّي درهم رباً أعظم عند الله من سبعين زنيةٍ كلّها بذات محرم في بيت الله الحرامانتهي.

و قال رسول الله عَيْنِينَ شرّ المكاسب كسب الرّبا.

ما رواه عن النبي عَيَّا في حديث قال: و من أكل الرّبا ملاء الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل و أن اكتسب منه مالاً لم يقبل الله منه شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله و الملائكه ما كان عنده قيراط وإحد انتهى.

أقول والأحاديث كثيرة جدّاً و امّا من طُرق العّامة.

ياء الفرقان في تفسير القرآن كريج المجلد الثالد

ما رواه السّيوطي في الدّر المنثور بأسناده عن إبن عبّاس أنّه قال: آكل الرّبا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق انتهىٰ.

ما رواه بأسناده عن أنس قال: خطبنا رسول الله عَلَيْ فذكر الرّبا و عظم شأنه فقال أنّ الرّجل يصيب درهماً من الرّبا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزنيها الرّجل و أنّ أربى الرّجل عرض الرّجل المسلم.

ما رواه بأسناده عن إبن عبّاس عن النّبي عَيَّالِيْ قال: درهم رباً أشّد على الله من سنّة و ثلاثين زنية و قال من نبت لحمه من السُّحت فالنّار أولى به.

و قد ذكر كثيراً من الأحاديث بهذه المضامين و مثله الطّبري في تفسيره و امًا:

إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا ٱلصَّلُوةَ وَ اٰتَوُا ٱلزَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ.

فقد تقدّم الكلام فيه فأنّ المؤمن إذا عمل عملاً صالحاً و أقام الصّلاة و أتى الزّكاة فقد تمّت عبُودّيته و عَمل بَوظيفته ومن كان كذلك فلا خوف عليه إذ الخوف في الحقيقة انّما هو من الذّنب فمن لا ذنب له لا خوف و هو ظاهر.

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَ ذَرُوا مَا بَـقِىَ مِـنَ ٱلرِّبُـوآ إِنْ كُـنْتُمْ مُؤْمِنينَ.

قيل أنّ الآية نزّلت بسبب ثقيف و ذلك لأنّهم كانوا عاهدوا النّبي عَلَيْواللهُ علىٰ أنّ مالهم من الرّبا على النّاس فهو لهم و ما للنّاس عليهم فهو موضوع منهم فلّما أن جاءت آجال رباهم بعثوا الى مكّة للإقتضاء وكانت الدّيون لبني عبدة و هم بنو عمرو بن عُمير من ثقيف وكانت علىٰ بني المُغيرة المخزوميّين فقال



بنوالمغيرة لا نعطى شيئاً فأنّ الرّبا قد رفع و رفعوا أمرهم الي عاتب بن أسيد عتاب فعلمت بها ثقيف فكفّت و عليه فالمعنىٰ، اجعلوا بينكم و بين عذاب الله وقايةً بترككم ما بقي لكم من الرّبا، إن كُنتم مؤمنين بالله و برسوله، و قيل سبب نزولها أنّه لمّا نَزل قوله تعالىٰ: ٱلَّذينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبُوا قام خالد بن الوليد الى رسول الله عَلَيْظِهُ فقال يا رسول الله، ربا أبي في ثقيف، فأوصاني عند موته بأخذه فأنزل الله هذه الأية.

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أي أن لم تذروا الرّبا أو مابقي منه فَأَذَ نُوا بِحَرْبِ مِنَ ٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ أي فأعلموا أنَّكم تحاربون اللَّه ورسوله حيث إستحللتم ما نهاكم عنه فيجب قتالكم بقوله عَلْتِيْلًا مَن أُخَذ الرّبا وجب عليه القتل، أو المعنى أنّكم محاربون لِلَّه و لرسوله في الأخرة فجزاكم النَّار و من فعل ذلك غير مستحل يؤدّب فيقتل في الثّالثة أو الرّابعة فيمكن أن تكون محاربة الله و رسوله بهذا النُّوع و لعِّل في تنكير الحرب إشارةٌ الىٰ ذلك هكذا قـيل وَ إِنْ تُبْتُمْ فَـلَكُمْ رُّءُوسُ أَمُوالِكُمْ أَى و إن تبتم و عملتم بمقتضى ايمانكم فلكم رؤوس أموالكم و أتركوا الزّيادة لا تظلمون المدنيين بأخذ الزّيادة الّتي بقيت عندهم، و لا تظلمون بإنقاصكم من رؤوس أموالكم شيئاً، فتكون كالتّأكيد والبيان لقوله تعالىٰ: ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ و قيل أنَّ المعنىٰ.

جزء ٣ الله بعد أن فعلتم ذلك بعد البيان و العلم بالتّحريم فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمُوالِكُمْ و أرجعوا لهم ما أخذتم زائداً على ذلك، ذكر بعض المفسّرين أنّ المراد من التُّوبة هنا في قوله: وَ إِنْ تُبْتُمُ الرَّجوع عن إعتقاد حلّ الرِّبا أي أن رجعتم من هذا الإعتقاد فلكم رؤوس أموالكم، و قال صاحب الكشَّاف المراد من الآيــة التّوبة من العمل أي و أن رجعتم عن عمل الرّبــا، فــلكم رؤوس أمــوالكــم لا

لقرآن

الزّيادة الّتي شرطتم لا تُظْلَمُونَ بالبناء للفاعل أي حينئذ لا تطلمون معامليكم بأخذ الزّيادة والرّبا (ولا تظلمون أنتم بأخذ النّاقص عن رأس مالكم) قال بعض المحققين ولا يخفى أنّ مفهوم الشّرط المُعتبر عند أكثر الأصُوليين يفيد عدم جواز أخذ رأس مالهم أيضاً مع عدم الرّجوع، وهو محّل التّأمل.

و قال البيضاوي و هو سديد على ما قلناه إذ المصّر على التّحليل مُرتّد وماله في و قال في الكلام في تفسير في و قال في الكلام في تفسير هذه الأيات الواردة في حُرمة الرّبا والحمد لله على كلّ حالٍ.



## وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلْــى مَــيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

### ⊘ اللغّة

ذُو عُسْرَةٍ: ذو بمعنى الصّاحب، والعُسرة بضمّ العين و سكون السّين الضّيق والشدّة فأنّ العسر نقيض اليسر.

فَنَظِرَةٌ: النَّظرة بفتح النّون وكسر الظّاء التّأخير ومنه رجل يشـتري المـتاع بنظرة أي بتأخير و مهلةٍ.

مَيْسُرَةِ: السعّة.

## ⊳ الإعراب

وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ كان هنا التّامة أي أن حدث ذو عسرةٍ و قيل هي النّاقصة و الخبر محذوف، تقديره وأن كان ذو عسرةٍ لكم عليه حقّ أو نحو ذلك إلى ميّسَرَةٍ أي الى وقت ميسَرة أو وجود ميسَرة وَ أَنْ تَصَدَّقُوا في أصله تتصدقوا أن قرأناه بالتشديد بتقليب التّاء النّانية صاداً و إدغامها في، صاد و امّا أن قرأناه بالتّخفيف فعلى أنّه حذف التّاء حذفاً.

## ⊳ التّفسير

لمّا حكم اللّه تعالى في الآية السّابقة لأرباب الرّبا برؤوس أموالهم و تركهم الزّيادة حكم هنا في ذي العسرة بالنّظرة أي التّأخير و المهلة من جانب المرّبي فقال وَ إِنْ كَانَ أي المَدين ذُو عُسْرَةٍ لا يقدر على ردّ رأس المال الى صاحبه فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ قالوا أنّ ثقيفاً لمّا طلبوا المال الّذي كان لهم على بني المغيرة، وقالوا ليس لنا شي وطلبوا الأجل الى المغيرة شكوا العسرة نعني بني المغيرة، وقالوا ليس لنا شي وطلبوا الأجل الى

سياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ \* ﴾ المجلد الـ كلا

ضياء القرقان في تفسير القرآن كريج كم العجل

وقت ثمارهم فنزلت هذه الآية فهي عامّة في جميع النّاس فكلّ من، أعسر أنظر عطا، والضّحاك و غيرهما أنّ الآية لكلّ معسر ينظر في الرّبا والدّين كلّه، و قال إبن عبّاس و شريح ذلك في الرّبا خاصّة فأمّا سائر الدّيون و المعاملات فليس فيها، نظرة، بل يؤدّي الى أهلها أو يحبس فيه حتّى يوفّيه، و قال بعض أهل التحقيق أنّ ذلك حقّ لولم يكن هناك فقر مدقع، و امّا وجوده فالحكم هو النظرة، وَ أَنْ تَصَدّقُوا خَيْرٌ مبتدأ و خبر أي والتصدّق خير ندب اللّه تعالى بهذه الألفاظ الى الصدّقة على المعسر و جعل ذلك خيراً من إنظاره و امهاله إنْ بهذه الألفاظ الى التصدّق خير من الإنظار.

فقد روى غير واحدٍ من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه قد روى غير واحدٍ من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه قد صعد رسول الله عليه المنبر ذات يوم فحمد الله و أثنى عليه و صلى على أنبيائه ثمّ قال – (أيّها النّاس ليبلغ الشّاهد منكم الغائب، إلا و من أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه ثمّ قال أبو عبد الله عليه و إنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةُ لِلْى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّه معسر لله في ميسرد قوا عليه بما لكم عليه فهو خير لكم إنتهي.

و أيضاً عنه عليه الله عنه عليه الله يوم لا ظِلّ إلا ظِلّه قالها ثلاثاً فهابه النّاس أن يسألوه فقال عليه فلينظر معسراً أو ليدع له من حقّه إنتهن.

و أيضاً عنه عليه الله قال: خلّوا سبيل المُعسِر كما خلاه الله والأخبار كثيرة.

وروى القُرطبي بأسناده قال رسول الله عَيَّالَهُ من أنظر معسراً كان له بكلّ يومٍ صَدقة قال فقال عَيَّالَهُ بكلّ يومٍ صَدقة قال فقال عَيَّالَهُ بكلّ يومٍ صَدقة مالم يحلّ الدّين فإذا أنظره بعد الحّل فله بكلّ يومٍ مثله صدقة إنتهى.

و أيضاً نقل عن صحيح مُسلم عن أبي مسعود قال قال رسول الله عَلَيْظِهُ حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ إلاّ أنّه كان يُخالط النّاس و كان معسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المُعسِر قال: قال الله عزّ وجلّ نحن أحقّ بذلك منه تجاوزوا عنه.

و روى عن أبي قتاده أنّه طلب غريماً له فتوارى عنه ثمّ وجده فقال أنّى معسىر فقال اللّه قال اللّه قال فأنّى سمعتُ رسول اللّه عَلَيْكِاللَّهُ يقول من سرّه أن ينجّيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسرٍ أو يضع عنه.

وأيضاً روى عن أبى اليسر الطّويل وإسمه كعب بن عمر وأنه سمع رسول الله عَلَيْنِهُ يقول من أنظر معسرً أو وضع عنه أظله الله في ظلُّه انتهى.

قال القرطبي بعد نقل الأحاديث مالفظه، ففي هذه الأحاديث من التّرغيب ما هو منصوصٌ منها وحديث أبي قتادة يدّل علىٰ أنّ ربّ الدّين إذا علم عسرة غريمه أو ظنّها حرمت عليه مطالبته و أن لم تثبت عسرته عند الحاكم و انظار المعسر تأخيره الى أن يوسر والوضع عنه إسقاط الدّين عن ذمّته و قد جمع المعنيين أبو اليسر لغريمه حيث محى عنه الصّحيفة و قال له إن وجدت قضاءاً نا قص و إلا فأنت في حلِّ إنتهي ما قال وأنا أقول أنَّما أكثرنا من نقل الأحاديث جزء ٣ ل عن العامّة والخاصّة لتعلم أنّ إمهال المديون وأحياناً الصّفح عنه ممّا رغّب اللّه تعالىٰ عباده به وفيه خير كثير لمن علم وتدّبر فيّ هذه الآثار كما قاله **إنْ كُنْتُم**ْ تَعْلَمُه نَ .

## وَ ٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفِّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

### ♦ اللغّة

تُوَفّىٰ: بضم النّاء ممّا لم يسمّ فاعله، و توفّيت الشّي بذله وافياً و استيفاءه تناوله وافياً قال الله تعالىٰ و أنّما توفّون أجوركم ثمّ تُوفى كلّ نفس، أنّما يُوفّىٰ الصّابرون أجرهم بغير حساب أى يجزون كاملاً.

### ⊳ الإعراب

تُرْجَعُونَ عن ألجملة صفة يوم هُمْ لا يُظْلَمُونَ يجوز أن يكون حالاً من كلّ لأنها في معنى الجمع و أن يكون حالاً من الضّمير في يرجعون، على القراءة بالياء على أنّه خرج من الخطاب البغية كقوله تعالى: حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي ٱلْقُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ (١).

## ⊳ التّفسير

قيل هذه الآية أخر أية نزلت على النّبي عَلَيْقِاللهُ قبل موته بتسع ليالٍ ثمّ لم ينزل بعدها شيّ و قال ابن جبير و مقاتل، بسبع ليال و روى بثلاث ليالٍ و روى أنّها نزلت قبل موته بثلاث ساعات و أنّه قال عَلَيْقِاللهُ اجعلوها بين أية الرّبا وأية الدّين نقل هذه الأقوال القُرطبي ثمّ نقل عن مكّي أنّ النّبي قال جاءني جبرئيل فقال إجعلها على رأس مائتين و ثمانين أية ثمّ قال بعد ذلك قلت و حكى عن أبّي ابن كعب و ابن عبّاس و قتادة أنّ أخر ما نزل هو قوله: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْ ابنى ابن كعب و اللّول أعرف و أكثر و أصّح و أشهر انتهى ما أردنا نقله عنه.

أقول و قد نقل الطّبري أيضاً بأسناده عن ابن عبّاس أنّه قال أخر أيةٍ نزلت على النّبي عَلَيْكِاللهُ ، وإتّقوا يوماً ترجعون فيه الىٰ اللّه، ثمّ نقل روايات كثيرة في هذا الباب والّله أعلم بحقائق الأُمور وكيف كان فقوله:

وَ ٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فَهِ إِلَى ٱللهِ إشارة الىٰ يوم القيامة ويمكن أن يكون المراد عنه يوم الموت وعلىٰ كل حال أمرنا بالإتقاء من شرّ ذلك اليوم و فيه دلالة على شدّة اليوم و هوله و أنّه لا ملجأ إلاّ اليه تعالىٰ و هو يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاّ من أتىٰ الله بقلبٍ سليم.

ثُمَّ تُوَفِّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ماكسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ إشارة الىٰ أمرين بعد الموت والرّجوع الى الله.

أحدهما: بثبوت الجزاء في اليوم الموعود و لذلك قد يعبّر عن ذلك اليوم بيوم الحساب و يوم الجزاء، ويوم تبلى السّرائر و يوم الميعاد و امثال ذلك من التعابير:

قال اللّه تعالىٰ: ٱلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ (١).

قال الله تعالى: لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ (٢).

قال اللّه تعالىٰ: وَ وُقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٣).

قال اللّه تعالىٰ: ثُمَّ تُوَفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٠).

ثانيهما: أنّهم لا يظلمون عند الحساب و ذلك لأنّ اللّه تعالى منزه عن الظّلم:

قال الله تعالىٰ: لا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ<sup>(۵)</sup>. قال الله تعالىٰ: وَ نَضَعُ ٱلْمَوازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ<sup>(6)</sup>.

۱- غافر=۱۷

٣- آل عمران=٢٥.

۵- غافر =۱۷.

٢- البقرة=٢٨۶.

۴- آل عمران=۱۶۱

<sup>-8</sup> الأنساء=٤٧.

قال الله تعالى: وَ قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (١). والأصل في الجميع هو قوله تعالى: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلْهَ إِلَا هُو وَ الْأَصل في الجميع هو قوله تعالى: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلْهَ إِلَّا هُو وَ الْمُلْائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ (٢).

و سيأتي البحث فيه إن شاء الله ولنختم الكلام في المقام بما قاله الطُّبرسي مَنْزُكُّ في تفسيره لهذه الآية نقلاً عن المفسّرين قال قال المفسّرون لمّا نزلت هذه الأية:إنَّكَ مَيِّتُ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣) قال رسول اللَّه عَيَّالِللهُ ليتني أعلم متى يكون ذلك فأنزل اللّه تعالىٰ سورة النّصر:إذا جاءَ نَصْعُ ٱللَّهِ وَ ٱلْفَتْحُ<sup>(۴)</sup> فكان رسول الله عَلَيْكِ شَهُ يَسكت بين التّكبير والقراءة بعد نزول هـذه السّورة فيقول سبحان اللَّه و بحمده أستغفر اللَّه و أتوب اليه فقيل له أنَّك لم تكن تقوله قبل هذا فقال أما أنَّ نفسى نعيت الى ثمَّ بكى بكاءً شديداً فقيل يارسول الله أتبكى من الموت و قد غفر اللَّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر قال عَلَيْوالُهُ فأين هول المطلع و أين ضيق القبر و ظلمة اللّحد و أين القيامة و الأهوال فعاش رسول اللّه عَلَيْظِهُ بعد نزول هذه السّورة عاماً ثمّ نزلت لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَ**زِيزٌ عَلَيْهِ <sup>(۵)</sup> ال**ي أخر السّورة و هذه السّورة أخر سورةٍ كاملة نزلت من القرأن فعاش رسول الله بعدها ستّة أشهر ثمّ لمّا خرج رسول اللّه عَلَيْظِيُّهُ الى حجّة الوداع نزلت عليه في الطّريق و يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسْآءِ قُلِ اللَّهُ يُـفْتيكُمْ (عُ) الىٰ أخرها فسمّيت أية الصّيف ثمّ نزل عليه واقف بعرفة اَليَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دينكُم فعاش بعدها أحد و ثمانين يوماً ثمّ نزلت عليه أيات الرّبا ثمّ نزلت بعدها وَ أَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى ٱللّهِ وهي أخر أيةٍ نزلت من السّماء فعاش رسول الله عَيْرُاللهُ بعدها أحداً و عشرون يوماً و قال ابن جريح تسع ليالٍ و قال مقاتل و ابن جبير سبع ليالٍ ثم مات عَلَيْظُهُ يوم الأثنين لليلتين خلتا من ربيع

اء الغرقان في تفسير القرآن كريج المجلد الثاا

٣٠ = الزمر = ٣٠

۱- يونس=۵۴ ۲- آل عمران أية ۱۸.

۴ – النصر = ١

الأوّل حين بزغت الشّمس على قول العامّة أصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة أحدى عشر من الهجرة انتهىٰ.

أقول و في هذه الرّواية ما لا يخفي علىٰ أحدٍ مِمّن أمن باللّه واليوم الأخر من الموعظة والخوف والهول و ذلك لأنّه اذا بكيٰ النّبي عَلَيْوَاللهُ من هول المطلع و ضيق القبر و ظلمة اللّحد و هو هو فحالنا معلومٌ فنقول إلْهنا عاملنا بنفسك و لا تعاملنا بعدلك ياكريم بحقّ محمّد وآله ولنعم ما قاله السّعدي بالفارّسية: سعدى مگر بساية لطف خدا رود بر سايبان حسن عمل إعتماد نيست

ففرّوا من الله الى الله.

ضياء الغرقان في تفسير القرآن للمستخب المجلد الد

يْآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِذا تَداٰيَنْتُمْ بِدَيْنِ إِلٰيٓ أَجَلِ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِل ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ ٱلَّـذَى عَـلَيْهِ ٱلْـحَقُّ سَفيهًا أَوْ ضَعيفًا أَوْ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُسمِلَّ هُـوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ ٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُا رَجُلَيْن فَرَجُلٌ وَ آمْرَأُتَان مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشَّهَداآءِ أَنْ تَضِلَّ إحْديْهُما فَتُذَكِّرَ إِحْديٰهُما ٱلْأُخْرٰى وَ لَا يَأْبَ ٱلشُّهَدٰآءُ إِذَا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغيرًا أَوْ كَبيرًا إلَى أَجَله ذلكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنٰيَ أَلَّا تَوْتٰابُوٓا اللَّـ أَنْ تَكُونَ تِجْارَةً حَاضِرَةً تُديرُونَها بَسْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ ألَّا تَكْتُبُوهَا وَ أَشْهِدُوٓا إِذَا تَسْبَايَعْتُمْ وَ لَا يُسَطّآرَّ كَاتِبٌ وَ لا شَهيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَ ٱللَّـهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَليمٌ (۲۸۲)

### ⊳ اللّغة

تَداْيَنَتُمُ: التَّداين مصدر باب التفاعل يقال تَداين القوم اذا إستدان بعضهم من بعضٍ و قال الرّاغب، التّداين و المداينة ولعلّ مراده الدّين من الطّرفين

ضياء الفرقان في تفسير ا

قضاءً لحقّ باب التّفاعل.

بِدَيْنِ: قال أبو عبيدة، دِنته، أقرضتُه.

أُجَلَ: الِأُجَلِ بفتح الألف و الجيم المدّ المضروبة.

وَ لَا يَأْبُ: مضارع و ماضيه، أبي أي إمتنع.

وَلْيُمْلِلِ: مضارع والماضي منه، أمللَ و فيه لغةً أخرىٰ، أَملىٰ ومنه قوله تعالىٰ: إِنَّمَا نُطْلَى لَهُمْ لِيَزْدانُوۤا إِثْمًا (١) وفيه كلام يأتى في موضعه.

وَ لَا تَسْئَمُوا سَئَم يَسَئَم سَوماً: السّامة الملالة ممّا يكثر لبثه فعلاً كان أو إنفصالاً قال تعالى (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير).

أَقْسَطُ: أفعل من المِقسط و هو النّصيب بالعدل كالنّصف والنِصّفة. وَ أَدْنَى : أَى أقرب.

تَوْتَابُتُوا: إرتاب يرتاب إرتياباً، الإرتياب الشَّك والشَّبهة.

تُديِرُونَها: من أدار يُدير إدارةً.

جُنْاحٌ: بضّم الجيم ألأثم.

يُضْآرَّ: يجوز أن يكون مسنداً الى الفاعل كأنّه قال، لا يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِذا تَداٰيَنْتُمْ بِدَيْنِ إِلٰىٓ أَجَلِ مُسَمَّى.

يضاري و أن يُكون مفعولًا، أي لا يضاري.

فُسُوقٌ: فَسَق وفَسُقَ، فِسقاً وفسُوقاً خرج عن طريق الحقّ والصّلاح.

### ⊳ الإعراب

إِلَى آَجَلِ هو متعلّق بتداينتم و يجوز أن يكون صفة لِدين أي مُؤخّر و مؤجّل، و ألف في مُسَمَّى منقلبة عن ياء بِالْعَدْلِ متعلّق بقوله وَ لْيَكْتُبُ أَي ليكتب بالحقّ و يجوز أن يكون مفعولاً به أي بسبب العدل و قيل الباء زائدة و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم العب

التقدير وليكتب العدل وقيل هو متعلّق بكاتب أي كاتب موصوف بالعدل كَمْا عَلَّمَهُ الكاف في موضع نصب صفة لمصدر محذوف وقيل هو متعلّق بقوله فَلْيَكْتُبْ ويكون الكلام قد تمّ عند قوله، أن يكتب والتقدير فليكتب كما عَلَمه اللّه مِنْهُ شَيْئًا متعلّق بيبخس ويجوز أن يكون التقدير شيئًا منه فلمّا قدّمه صار حالاً والهاء للحقّ.

أَنْ يُمِلِّ هُوَ هو هنا توكيد والفاعل مضمر مِنْ رِجْالِكُمْ يجز و أن يكون صفة لشهيدين و يجوز أن يتعلّق بـإستشهدوا فَإِنْ لَـمْ يَكُـونا الألف ضمير الشَّاهدين فَرَجُلَّ خبر مبتدأ محذوف أي فالمستهد رجل آمْرُ أَتَّان قيل هـو فاعل أي فليشهد رجل و قيل الخبر محذوف تقديره رجلٌ و إمرأتان يشهدون مِمَّنْ تَرْضَوْنَ هو في موضع رفع صفة لرجل وإمرأتين تقديره، مرضيّون و قيل هو بدل من رجالكم و أصل، ترضون، تَـرضوون لأنّ لام الرّضـا واو لقـولك الرَّضوان من ٱلشُّهَدْآءُ يجوز أن يكون حالاً من الضَّمير المحذوف أي ترضونه كائناً من الشّهداء و يجوز أن يكون بدلاً من، مِن، أنْ تَضِلّ يقرأ بفتح الهَمزة علىٰ أنَّها الصمّدرية النّاصبة للفعل وهو مفعول له و تقديره لأن تضلّ أحداهما فَتُلَّهِ كِرَّ بالنَّصب معطوفاً عليه ويُقرأ بالرَّفع على الإستئناف أحداهما، للفاعل ٱلْأُخْرَى المفعول أَنْ تَكْتُبُوهُ في موضع نصب بتساموا و تساموا يتعدّى بنفسه بحرف الجّر صَغيرًا و كَبِيرًا حالان من الهاء الي متعلّقة بتكتبوه و يجوز أن تكون حالاً من الهاء أيضاً عِنْدَ آللَّهِ ظرف لأقسط واللَّام في قوله لِـلشَّهادَةِ يتعلَّق، بأقوم، وألف في أدني، منقلبة عن واو لأنَّه من دَنا يكدنو.

أَلَّا تَوْتَابُوا في موضع نصب وتقديره وأدنى لئلاتَوتابُوا أو الى أن لا تَرتابوا يَجْارَةً بالرّفع على أن تكون التامّة حاضِرَةً صفتها و يجوز أن تون ناقصة و إسمها تجارة وحاضرة صفتها تُديرُونها الخبر بَيْنَكُمْ ظرف لتُديرُونها فَلَيْسَ إيذاناً بتعلّق ما بعدها بما قبلها أَلَّا تَكْتُبُوها تقدّيره في ألاّ تكتبوها بكم متعلّق

سياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَنْ ﴾ المجلد

بمحذوف تقديره لاحق بكم و يُعَلِّمُكُمُ آلله مستأنف لا موضع له و قيل موضعه حال من الفاعل في، إتَّقُوا و يجوز أن يكون حالاً مقدّرة.

### ⊳ التّفسير

في كتاب عِلل الشّرائع بأسناده الىٰ أبي جعفر عَلَيْكِ: أنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياء و أعمارهم قال فمرّ بآدم إسم داود النّبي فاذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم ياربٌ ما أقل عمر داود و أكثر عُمرى يارب أن أنا زدت داود من عمرى ثلاثين سنة أتثبت ذلك له قال نعم ياآدم قال فأنّى قد زدته من عمرى ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له و أثبتها له عندك وأطرحها من عُمرى قال أبو جعفر النَّا فِ فأثبت الله عزّ وجلّ لداود في عمره ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتة فذلك قوله عزّ وجلّ: يَمْحُوا ٱللّٰهُ مَا يَشْآءُ وَ يُثْبِثُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ(١) قال فمحى الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً قال فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم يا ملك الموت أنّه قد بقى من عُمرى ثلاثين سنة فقال له مَلك الموت يا آدم ألم تجعلها لإبنك داود النبي و طرحتها من عُمرك حين عُرض عليك أسماء الأنبياء من ذُرّيتك وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادى الدّحنا فقال له آدم ما أذكر هذا قال فقال له ملك المَوت يا آدم لا تَجِحد ألم تسأل الله عزّ و جلّ أن يُثبته لداود ويَمحُوها من عُمرك فأثبتها لداود في الزّبور و محاها من عُمرك في الذّكر قال آدم حتّىٰ أعلم ذلك قال أبو جعفر النيا و كان آدم صادقاً لم يذكر و لَم يجحد فمن ذلك اليوم أمر

الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم اذا تداينوا و تعاملوا الى أجل كذا، لنسيان آدم و جحوده ما جَعَل على نفسه انتهى.

و في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال: لمّا عرض على آدم ولده نظر الى داود فأعجبه فزاد خمسين سنة من عمره قال عليه و نزل عليه جبرئيل و ميكائيل فكتب عليه ملك المَوت صكّا بالخمسين سنة فلمّا حضرته الوفاة أنزل عليه ملك المَوت فقال آدم قد بقي من عمري خمسون سنة قال فأين الخمسون التّى جعلتها لإبنك داود قال فأمّا أن يكون نسيها أو أنكرها فنزل جبرئيل و ميكائيل فشهدا عليه و قبضه ملك المَوت فقال أبو عبد الله عليه في أول صكّ في الدّنيا انتهى. الصّك كتاب الإقرار بالمال وغيره (١)

اذا علمت هذا فلنرجع الى تفسير ألفاظ الآية يَا أَيُّهَا ٱلَّذينَ الْمَنُوٓا إِذَا تَداْيَنْتُمْ أَي تعاملتم بِدَيْنٍ أَي قبضِ إِلٰىٓ أَجَلٍ مُسَمَّى أَي كان الدَّين مؤجلاً الىٰ أَجَلٍ مُسمّى مثل شهرٍ أو سنةٍ أو غير ذلك إن قلت قوله: إِذا تَداْيَنْتُمْ يستفاد منه الدّين فما وجه ذكر الدّين بعده، قلت يمكن أن يكون ذكر الدّين بعده للتّأكيد كما تقول ضربته ضرباً.

الثانى: أنّ تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من الدّين الّذي هو الجزاء فاذا قال، بدين، إختصّ بالدّين خاصّة كذا في التّبيان فَاكْتُبُوهُ قيل ظاهره الأمر بالكتابة و به قال الرّبيع والكعب، و قيل المعنى النّدب وبه قال الشّعبي والحَسَن و أبوسعيد الخدري و هو الحقّ للإجماع و عن ابن عبّاس أنّ الآية في السّلم خاصّة و قال غيره حكمها في كلّ دينٍ من سلم أو تأخيرٍ ثمنٍ في بيع و هو الأقوى وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كُاتِبٌ بِالْعَدْلِ قيل في معناه أي لا يكتب لصاحب الحقّ أكثر ممّا قاله ولا أقلّ وأنّما قال بينكم ولم يقل و ليكتب أحدكم بالقول

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمسيح المجلد الثالث

مثلاً لأنّه لمّا كان الّذي له الدّين يتّهم في الكتابة للّذي عليه الدّين فكذلك بالعكس شرع الله سبحانه كاتباً غيرهما يكتب بالعدل لا يكون في قلبه و لا قلمه موّادة لأحدهما على الأخر و قيل أنّ النّاس لمّا كانوا يتعاملون حتّى لا يشذ أحدهم عن المُعاملة وكان منهم من يكتب و من لا يكتب أمر الله سبحانه أن يكتب بينهم كاتب بالعدل وَ لا يَأْبَ كاتِبُ أَنْ يَكْتُبُ نهي الله الكاتب عن الإباء إختلفوا في وجوب الكتابة فقال الطّبري والرّبيع واجب على الكاتب اذا أمِر أن يكتب و قال الحسن ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يقدر على ا كاتب غيره فيضّر صاحب الدّين إن إمتنع فأن كان كذلك فهو فريضة وأن قدر على كاتبِ غيره فهو في سعة اذا قام به غيره و قال السّدي واجبٌ عليه حال فراغه أقول لا دليل من العقل والنّقل علىٰ هذه الأقوال وكيف يكون واجباً على زيد مثلاً أن يكتب لعمرو و بكر و ما ذَنب زيد في المقام ثمّ أيّ دليل دلّ على هذا الوجوب سوى أنّه تعالى نهى الكاتب عن الإباء نعم لو ثبت أنّ النّهي في الآية للتّحريم بمعنى أنّه يحرم عليه الإباء فلقوله وجهٌ و أنّى لهم باثبات ذلك و الحقّ أنّ النّهي تنزّيهي لا تحرّيمي بمعنى أنّه لا ينبغي للكاتب الإباء عن الكتابة قضاءً لإداء بعض الحقوق الواجبة من حقّ المسلم على المسلم و هو أمرٌ أخر لاكلام فيه كَما عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبُ قيل الكاف في، كما، متعلَّقة بقوله، أن يكتب والمعنىٰ:كتباًكما علَّمه الله و قيل متعلَّقة بما في قوله: وَ لا يَأْبَ في المعنى أي كما أنعم الله عليه بعلم الكتابة فلا يَأب هو و ليُفضل كما أفضل الله جزء ٣ عليه و يحتمل أن يكون الكلام على هذا المعنىٰ تامّاً عند قوله: أَنْ يَكْتُبُ ثُمّ يكون، كما علَّمه الله إبتداء كلام وتكون الكاف متعلَّقة بقوله: فَلْيَكُتُبُ هكذا قيل: وَلْيُمْلِل ٱلَّذي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وهو المديون فأنّ الحقّ أي الدّين عليه فهو الّذي يقرّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فيقول المديون للكاتب مثلاً لزيد علَّى كذا الى أجل كذا وهذا هو المراد بالإملاء و الإملال وهما لغتان، أمَّل،

وأمّلىٰ، فأمّلُ لغة الحجاز وبني أسد و تميم و جاء القرأن بهما قال تعالىٰ: إنّها نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدَادُوۤ الْإِمْلاَ وَقال فهي تُملي عليه بكرةً و أصيلاً، و الأصل أمللت أبدل من اللاّم ياء لأنّه أخفّ فأمر اللّه تعالىٰ الّذي عليه الحقّ بالإملاء لأنّ الشّهادة أنّما تكون بحسب إقراره وَ لْيَتّقِ اللّه رَبّهُ أمره تعالى بالتقوىٰ فيما يملّ ونهى عن أن يبخس شيئاً من الحقّ فقال: وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيئاً أي لا ينقص منه شيئاً فأنّ البخس النَّقصِ فَإِنْ كَانَ ٱلَّذي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ أي المديون سفيها أوْ فرعيها أوْ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُمِلَّ السَّفه خفّة في البدن و منه قيل زمام سفيه كثير الإضطراب، وثوب سفيه أي ردي النَّسج و إستعمل في خفّه النفس لنقصان العقل و في الأمور الدنيوية و الأخروية فقيل سفه نفسه.

قال الله تعالى: وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمُوالَكُمُ (٢).

فهذا هو السَّفه الدُّنيوي.

قال اللّه تعالىٰ: وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللّٰهِ شَطَطًا (٣).

فهذا من الُّفه في الدّين.

قال الله تعالىٰ: قَالُوٓا أَنَوُّمِنُ كَمَا أَمَنَ ٱلسُّفَهَاءُ أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ (\*).

والضَّعيف، الضَّعف خلاف القوّة يقال ضعف فهو ضعيف، والضَّعف قد يكون في النّفس و في البّدن و في الحال والضَّعف بفتح الضّاد والضعف بضمّها لغتان قال الخليل الضَّعف بالضّم في البّدن، والضَّعف بالفتح في العقل والرّأي و منه قوله تعالىٰ:

فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا انتهىٰ و عليه فمعنىٰ الآية فأن كان الذي عليه الحقّ أي فأن كان المديُون متصفاً بالسَّفاهة والضّعف في العقل

۱- آل عمران = ۱۷۸

۲- النساء = ۵

۴- البقرة = ۱۳

و الرّأي أو لا يستطيع أي لا يقدر أن يملّ علىٰ الكاتب وأن لم يكن سفيهاً أو ضعيفاً بل كان عاقلاً رشيداً مثل أن يكون محبوساً أو مريضاً أو ممنوعاً عن التكلُّم بأيِّ نحوِ كان ففي هذه الصورة فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ لأنّ الوّلي نائب عن المولى عليه في جميع الأمور سواء كانت الولاية أصلّية كولاية الأب و الجدّ أو منصوبة من قِبل الحاكم الشّرعي كما إذا نصّب الحاكم للصّغير ولياً وكيف كان فالولِّي يملِّي على الكاتب من جانب السُّفيه والضَّعيف و العاجز عن الإملاء، و قيده، بالعدل للإشارة الى أنّ الولّي يراعي حقّ السَّفيه و الضّعيف بمعنى إعطاءه الحقّ ايّاه فأنّ العَدل وضع الشئ في محلّه و أنّما قلنا ذلك لأنّ تصرّف الولِّي في مال المولِّي عليه أو حقِّه منوطٌّ بالصّلاح و حيث أنّ الوّلي أيضاً قد يقع مورداً للتَّهمة و البهتان عند النَّاس قال اللَّه تعالىٰ لأجل رفعها عنه: وَ أَسْتَشْهِدُوا شَهيدَيْنِ مِنْ رِجْالِكُمْ الإستشهاد طلبِ الشّهادة فأن لم يوجد هناك رجلين واجدين لشرائط الشّهادة فَرَجُلٌ وَ آمْرَأْتَانِ و ذلك لأنّ المرأة في الشّهادة والميراث نصف الرّجل علىٰ ما يأتي بيانه في محلّه وفي قوله: رِجْالِكُمْ إشارة الى رجال المؤمنين لأنّ صَدر الآية خطاب لهم فيخرج الكفّار لكفرهم الصّبيان لعدم صدّق الرّجل عليهم عرفاً و هكذا الكلام في المرأة و قوله: **مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَا**ءِ أي أنّ الشّاهد لابدّ من أن يكون مرّضياً عند المتداينين أو عند الحاكم ويمكن أن يكون قوله مِمَّنْ تَرْضَوْنَ، أي ممّن ترضون عدالتهما بأن لا يكونا فاسقين فأنّ الفاسِق قد ينكر قوله و فعله و لعلُّه لأجل هذه الدّقيقة أوضح كلامه بقوله:

# أَنْ تَضِلَّ إِحْديْهُما فَتُذَكِّرَ إِحْديْهُما ٱلْأُخْرى

قالوا المراد بالضّلالة النّسيان فمعنى تضلّ ، تنسى و الضّلال عن الشّهادة أنّما هو نسيان جزء منهما وذكر جُزء و عليه فالمعنىٰ أنّ تضلّ أي تنسى احدى المرأتين فتذكّرها المرأة الاخرىٰ و هذا هو السبب في عدم الإكتفاء بشّهادة

الفرقان في تفسير القرآن كمسيح ال

إمرأة واحدة و هكذا في جانب الرّجل فقول بعض المفسّرين أنّ النّسيان غالب على النّساء لا معنى له فأنّ الحكم لا يختصّ بالنّساء فقط بل هو ثابت في الرّجلين أيضاً فأنّ الإنسان محلّ النّسيان هذا إذا قلنا أنّ قوله، تضلّ بمعنى تنسى كما مرّ، ولقائلٍ أن يقول هذا ممّا لا يساعده العقل ولا اللّغة ولو كان الأمر كما ذكروه لقال الله، أن تنسى إحداهما الخ.

وحيث لم يقل ذلك علمنا أنّ الضّلالة بمعناها اللّغوي أعني به ضدّ الهداية و أمّا بحسب اللّغة فواضح فلا يقال لمن نسي شيئاً أنّه ضّل و بالعكس فالمعنى أن تضلّ إحداهما، أن أعرض احداهما عن شهادته بعد أن شهد أوّلاً بجهةٍ من الجهات أو كتم شهادته فأنّ كتمان الشّهادة أو إنكارها من الضّلالة كما أنّ الجهات أو كتم شهادته فأن كتمان الشّهادة أو إنكارها من الضّلالة كما أن إظهارها في موردها من الإيمان ففي هذه الصّورة يقول أحدهما لصاحبه أما رأيت أما شهدت أما تتخاف اللّه، أما تعلم أنّ اللّه نهى عن كتمان الشّهادة و توعد عليه و امثال ذلك ممّا هو داخل تحت التذكر فالأية على ظاهرها لا إشكال فيها فلا نحتاج الى التصرّف في ألفاظها أو حمل اللّفظ على غير معناه المُصطلح وَ لا يَأْبَ ٱلشّهداة من الإيمان:

قال الله تعالى: و مَنْ أَطْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ ٱللَٰهِ (١). قال الله تعالى: و لا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ الْثِمُ قَلْبُهُ (٢).

وَ لَا تَسْتَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغيرًا أَوْ كَبيرًا إِلَى أَجَلِهِ.

معناه لا تملوا أن تكتبوا الَّدين للدّاين على المديون صغيراً كان أو كبيراً، قالوا أي قليلاً كان أو كثيراً بأن يقولوا الكاتب مثلاً هذا قليل لا يحتاج الى الكتابة و قال الطّبرسي أي لا تسأموا أن تكتبوا الحقّ صغيراً كان الحقّ أو كبيراً، و هو

يرجع الى ما ذكرناه ثمّ قال، أنّ هذا خطاب للشّاهد و معناه لا تملُّوا أن تكتبوا الشّهادة على الحقّ الى أجَلَه أى الى أجل الدّين و قيل الى أجل الشّاهد أى الى الوقت الَّذي تجوز فيه الشَّهادة قال والأوِّل أقوى و هو أن يكون الخطاب الئ الجميع.

أقول ظاهر الآية الخطاب الي الجميع لقوله تعالىٰ:و لا تَسأموا وهـو يشمل الكلّ و أمّا قوله: صَغيرًا أَوْ كَبيرًا، فالظّاهر أنّ المراد من الصِّغر والكِبَر في المقام الصغر و الكبر فيمن عليه الحقّ و هو المديون أو من له الحقّ و هو الدَّاين أي إكتبوا الحقِّ للصغير والكبير و علىٰ الصغير و الكبير فلا فرق بينهما في هذا المورد ذهبوا اليه من أنّ المراد بالصغير والكبير في الآية القليل والكثير أي سواء كان الحقّ قليلاً أو كثيراً كما ذكره القُرطّبي و قبله الطّبري و من حذيٰ حذوهما جمهور المفسّرين من العامّة و الخاصّة فلا نفهم معناه و لا نعلم ما الذِّي ألجأهم الى هذا التفسّير و أظنّ أنّ المؤسّس لهذا الأساس هو الطّبري لأنّه كان أقدم زماناً و تفسيره قبل هذه التفاسير فهو قال ما قال ثم بعده قلده المفسّرون قال الطّبري ما لفظه، يعني بذلك جلّ ثناؤه و لا تسأموا أيّها الّذين تداينون النّاس الي أجل أن تكتبوا صغيراً الحقّ يعنى قليله أوكبيره يعنى كثيره الى أجله أي الى أجل الحقّ فأن الكاتب أحصى للأجل والمال انتهي كلامه و به قال الزمخّشري و القُرطبي والبيضاوي و السّيوطي و غيرهم من العامّة و به قال أيضاً الطّبرسي و الفيض في الصّافي و غيرهما فلعلّهم فهموا من اللّفظ غير جزء ٣ كم انفهم منه وإلا فحمل لفظ الصّغير و الكبير على قليل المال وكثيره أو قليل الحقّ وكثيره بعيد جدّاً غاية البعد إذ لقائل أن يقول أن كان الأمر كذلك فلم لم يقل الله تعالىٰ: قليلاً أو كثيراً بدل قوله: صَغيرًا أوْ كَبيرًا فكان الأحسن لهم أن يبنوا سرّ هذا التّعبير أوّلاً ثمّ يحملوا اللّفظ علىٰ غير معناه الموضوع له فأن قالوا التّعبير بالصّغير والكبير أفصح من التعبير بالقليل و الكثير و لذلك قال تعالى ما

قال فهو كما ترى كلام بلا محصّل بل الأمر بالعكس و أن قالوا يلزم منه محذورً آخر فما هو المحذور و محصّل الكلام أنّ العقل واللّغة و الذّوق السّليم لا يساعدهم عليه ، والّذي نفهم من الآية هو حمل اللّفظ على معناه الحقيقي و المعنى و لا تسأموا أي لا تملّوا أن تكتبوا الحقّ صغيراً أو كبيراً أي صغير كان أحد المتداينين أو كبيراً أو صغيراً كان المديون أو كبيراً و أنّما قلنا ذلك لأنّ اللّفظ ظاهر فيما ذكرناه فأنّ الصّغير لا يطلق على القليل و لا الكبير على الكثير إلا بضرب من المجاز ومن المعلوم أن الحقيقة خير منه.

# ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنٰىَ أَلَّا تَرْتَابُوۤا

أي ما ذكرناه أوفق و أعدل عند الله وأصّح و أقوم للشهادة و أقرب بأن لا تشكوا فيه إلله أَنْ تَكُونَ تِجارَةً خاضِرَةً تُديرُونَها بَيْنَكُمْ أي أنَ ما ذكرناه من الكتابة والشّهادة و غيرهما أنّما هو في الدّين المؤجّل و امّا في المعاملات النّقدية التي تديرونها بينكم فلا يلزم ما ذكرناه لما فيه من المشقة والصّعوبة و لذلك قال: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنّاحٌ أي ليس عليكم بأس ألله تَكْتُبُوها لأنّه مستلزم للعسر والحرج و أشهدُوا إذا تَبايَعْتُمْ أمر بالإشهاد دون الكتابة إذا وقع البيع و بعبارة أخرى الكتابة و الإشهاد في الدّين المؤجل و الإشهاد وحده في النّقد و لا يُضارَ و كاتِب و لا شَهيدٌ نقلوا فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: لا يكتب الكاتب ما لم يمل عليه ولا يزيد الشّاهد في شهادته ولا ينقص منها قاله الحسن و قتادة و طاووس وإبن زيد وغيرهم.

ثانيها: أنّ المعنى ، لا يمتنع الكاتب أن يكتب ولا الشّاهد أن يشهد، هذا إذا كان قوله، يضّار بكسر الرّاء بأن كان أصله، يُضارر، بالكسر ثمّ وقع الإدغام و فتحت الرّاء في الجزم لخفّة الفتحة.

ثالثها: ما ذهب اليه مجاهد والضّحاك والسّدي و روى عن ابن عبّاس أيضاً أنّ المعنى لا تدعوا الكاتب ولا الشّهيد بالكتابة والشّهادة إذا كانا مشغولين،

ا الفرقان في تفسير القرآن كم مج كم المجلد

فإذا إعتذرا بعذرهما اقبلوا عذرهما ولا تخرجوهما قهراً و جبراً بأن تقولوا لهما خالفتما أمر الله و امثال ذلك من القول فيضر بهما على هذا القول فالأصل في يضّار يضارر بفتح الراء فنهى الله سبحانه عن هذا لأنه لو أطلقه لكان فيه شغل لهما عن أمر دينهما و معاشهما و لفظ المضّارة اذ هو من أثنين يقتضي هذه المعاني، والكاتب والشّهيد على القولين الأوّلين رفع بفعلهما و على القول النّالث رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله و إنْ تَفعلوا أي أن تفعلوا المضّارة فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ أي معصية و ذلك لأن إذايتهما اذا كانا مشغولين معصية و خروج عن الصّواب من حيث المخالفة لأمر الله ولذلك قال و آتَقُوا الله في معصيته و يُعَلِّمُكُمُ ٱلله معالم دينكم و آلله بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ولمّا فرغنا عن تفسير الألفاظ نذكر ما يستفاد من الآية من الإطعام على سبيل فرغنا عن تفسير الألفاظ نذكر ما يستفاد من الآية من الإطعام على سبيل الإجمال فأنّ فيها فوائد و دقائق ينبغي التوجّه اليها فنقول:

أنّ الآية دالّة على أحكام ذكروها في أيات الأحكام:

أحدها: إباحة الإدانة و الإستدانة و قد ثبت أنّ النّبي عَلَيْظِاللهُ والحسن والحسين عليهم السّلام ماتوا و عليهم دين و بالجملة لا خلاف في رجحان الإستدانة مع الحاجة الإدانة مع دلالة الأدّلة عليه كما لا خلاف في رجحان الإستدانة مع الحاجة اليها بل قد تجب مع الضّرورة و يدّل على المدّعيٰ.

ما رواه الشّيخ بأسناده عن موسىٰ بن بكر قال: أبو الحسن من طلب هذا الرّزق من حلّه ليعود به علىٰ عياله أو نفسه كان كالمجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ فأن غَلب عليه ذلك فليستدن على الله عزّ و جلّ و على رسوله ما يقوت به عياله الحديث.

و روي أنّه جاءت أُمّ سَلمة الى النّبي فقالت يا رسول الله يحضر الأضحى وليس عندي ثمن الأضحية فأستقرض و أضحي قال عَلَيْ الله الله أستقرضي وضحّي فأنّه دين مقضّي انتهى.

\_ بياء الفرقان في تفسير القرآن كرميم العجلد الثالة و سُأل الصّادق عليَّا عن رجل ذى دين يستدين ويحج قال عليَّا : نعم هو أقضى للدّين.

و نحو ذلك من الأخبار و عليه فما ورد في بعض الأخبار من المنع عن الإستدانة فهو محمول على الكراهة عند عدم الضرورة وعدم الحاجة اليه و يمكن الحمل أيضاً على من لم يكن عنده وفاء به ولا بالفعل ولا بالقوة.

الثانى: إباحة المعاملة بالدّين مؤجلاً نسيئة و سلما لأنّ الدّين حقّ يثبت في الذّمة فهو أعم من المؤجّل و غيره و يدّل على هذا قوله تعالىٰ: إِذا تَداْ يَنْتُمْ بِدَيْنِ إِلَى أَجَلِ.

الثَّالث: أن يكون الأجل أعني به المدّة في الدَّين مصوناً عن الزّيادة و النّقصان والى هذا أشار بقوله، فسمّي، فأنّ التّعبير بالمُسمّىٰ يدّل علىٰ أنّه لابدّ من كون الدّال على ذلك لفظاً و لو بالقرينة فلا يكفي القصد.

الزابع: الأمر بكتابة الدَّين لئلا يذهب المال بطول مدّته و عند عروض النسيان أو الموت و يكون قاطعاً لسبيل النّزاع في الزّيادة والنقصان و يدّل على ذلك قوله فأكتبوا الخ فالأمر الإرشاد و قيل للندب و قيل للوجوب و أوّل الأقوال أقوى و الأخير أضعف و الأوسط له وجه ضعيف و ذلك لأنّ النّاس مسلطون على أموالهم و أنفسهم يفعلون بأموالهم كيف شاؤوا اذا لم يَصرفوها في الحرام و أمثاله.

الخامس: ينبغي أن يكون الكاتب أن يكتب الدّين على وفق ما تراضيا عليه لا حيف و لا زيادة و لا نقصان ولازم ذلك أن يكون عادلاً، و يدّل عليه قوله تعالىٰ بالعدل.

السّادس: ينبغي للكاتب أن لا يمتنع من أن يكتب الصّك على الوجه الذّي تراضيا عليه أداءً لشكر ما أنعم الله عليه بمعرفة الكتابة و قيل على الوجه الّذي علّمه الله من الكتابة بالعدل والإنصاف ومجانبة الجور و الإعتساف أي على

الوجه المقرّر في الشّرع و يدّل عليه قوله: و لا يَأْبَ كَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَمَهُ ٱللّٰهُ أمّا أنّ هذه الكتابة واجبة عليه أو لا تجب فالحقّ أنّه واجب كفاية و هل يجوز أخذ الاجرة على الكتابة أو لا يجوز فيه قولان والحقّ في المقام أنّه لو قلنا بأنّ الأمر للوجوب فلا يجوز أخذ الاجرة كسائر الواجبات، و أن قلنا بعدم الوجوب في الأمر كما هو الحقّ فيجوز عليه الأخذ لأنّ الكتابة منفعة محللة ولم يجب على الكاتب بذلها نعم يجوز الإرتزاق له من بيت المال لأنّه من المصالح و امّا اذا لم يوجد بيت المال فيجوز أخذها من الآمر بها و امّا المصالح كالورق والقلم و المداد و أمثالها فكلّها على صاحب الدّين أو على بيت المال أن وجد وقلنا به.

السّابع: الإملاء على الكاتب ممّن عليه الحقّ لأنّه الغارم والمشهود عليه لأنّ الكاتب اذا لم يملي عليه لا يدري ما يكتب و الى هذا أشار اللّه بـقوله: وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذَي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ فأن كان من عليه الحقّ سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطع على الإملاء، فولّيه كما قال تعالى فليملل ولّيه بالعَدل.

الثّامن: لمّا كان مجرّد وجود الصّك والكتابة غير كافٍ لإثبات الحقّ اذا لم يكن هناك إشهاد عليه لمظنّة الإتّهام في حقّ الكاتب بل و فيمن له الحقّ أيضاً، فينبغي الإشهاد على ما في الصّك لئّلا ينجّر الموضوع الى الإنكار و أمثاله قال الله تعالى: و آسْتَشْهِدُوا شَهيدَيْنِ مِنْ رِجْالِكُمْ إثباتاً للحقّ ودفعاً للتهمة.

التاسع: اذا لم يكن الإستشهاد بالرّجلين كما اذا كان هناك رجل واحد ولم يوجد الثّاني ففي هذه الصّورة يستشهد به وإمرأتان فأنّ المرأتين في حكم رجل واحد في باب الشّهادة ولذلك قال تعالى فرجلّ وامرأتان ممّن ترضون من الشّهداء.

العاشو: أنّ الشّاهد لابدٌ من أن يكون عادلاً فأنّ الفاسق لا تُقبل شهادته سواء فيه الرّجل والمرأة و يدّل على هذا قوله: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَداآءِ

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ المجلد ال

بعد التنبيه عليه بقوله، منكم و الأخبار به ناطقة و سيأتي الكلام فيه بوجه أبسط في محلّه وبعد ما ذكرناه تقدر على إستخراج وجوه كثيرة لم نتعرّض لها حذراً من االإطناب وأن شئت الإطّلاع على بعض منها فعليك بالكتب التّي دونت في أحكام الأيات فأن المحقّقين قدّس الله أسرارهم ذكروا و حققوا في هذا الباب ما لا مزيد عليه كيف والقرأن بحرّ عميق لا يدرك ساحله ولا يمكن لأحد الوصول الى قعره فأن الكلام حاكي عن المُتكلّم.

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ \* ﴿ ﴾ المجلد الثالـ

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانُ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّـذَى مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّـذَى اَوْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لَيْتَقِ ٱللَّهَ رَبَّـهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمُها فَإِنَّهُ الْثِمُ قَلْبُهُ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

### ⊘ اللّغة

فَرهانٌ: رِهان بكسر الرّاء مصدر قولك راهَنتَه رِهاناً والرَهّن ما يوضع وثيقةً للدّين والرهّان مثله لكن يختصّ بما يوضع في الخطأ و أصلها مصدر يقال رَهنتُ الرّهن وراهِنتُه رِهاناً: فهو رهين ومرَهون و يقال في جمع الرَهّن رِهان و رُهُن و رُهون و ذالك قرأ فرُهُنٌ.

مَقْبُوضَةٌ: قاله في مفردات مَقْبُوضَةٌ المَقبوض إسم مفعول من القَبض. أَمِنَ: فعل ماضي و مصدره الأمن يقال آمِن آمِناً، وأصل الأمن طمأنينة النَّفس و زوال الخَوف.

فَلْيُؤَدِّ: أُدَّىٰ يُؤدِّي تأدية والتّأدية الإداء.

أَوْتُمِنَ: على بناء المفعول يقال إنتَمنه، أي عَدّه أميناً.

أَثِمُّ: فاعل من أَثِمَ و مصدره الإِثِم بسكون النَّاء و هو إسم للأفعال المبطئة عن الثّواب و جمعه آثام.

## ⊳ الإعراب

فَرِهْانٌ خبر مبتدأ محذوف تقديره فالوثيقة أو التّوثق آلَّـذي آؤْتُـمِنَ اذا وقفت على و ابتدأت أؤتمن فالهمزة للوصل والواو بدل من الهَمزة الّتي هي فاء الفعل وإذا حُذفت همزة الوصل و أعدت الواو الى أصلها و هو الهَمزة و حذفت ضياء القرقان في تفسير القرآن كم في كمنها

ياء الذي لإلتقاء السّاكنين أَمَانَتَهُمفعول، يُؤّد لا مصدر آؤْتُمِنَ والأمانة بمعنىٰ فَإِنَّهُ الهاء ضمير، من، يجوز أن تكون ضمير الشّان الْثِمُّ خبر أن وقَلْبُهُ مرفوع به و قيل، قلبه، مبتدأ و، الْثِمُّ خبر مقدّم عليه.

### ⊳ التّفسير

لمّا بيّن الله تعالى في الآية السّابقة النّدب الى الإشهاد في الإدانة و الإستدانة بعد الكتب لمصلحة الأموال والدّيون عقّب ذلك بذكر حال الأعذار المانعة من الكتب فأشار الى مشرّوعية الرهّن و ذكر السفّر لأنّه هو الغالب في الأعذار لا سيّما في ذلك الوقت لكثرة الغزو و الأيدخل في ذلك كلّ عذر نافع من الكتب فقال:

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يكتب لكم الصّك فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَةٌ يقتضي بينونة المرتهن بالرّهن و أجمع العلماء على صحّة قبض المرتهن و كذلك على قبض وكيله فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا يعني أن كان الّذي عليه الحقّ و هو المديون أميناً عند صاحب الحقّ و ثقة فَلْيُوَدِّ ٱلّذي اوْ تُمِنَ أي ينبغي أن يؤدي الّذي عليه الحقّ أمانته بأن لا يجحد حقّه ولا يبخس منه شيئاً و يؤديه اليه وافياً من غير مطل ولا تسويف، وأراد بقوله، أمانته، ما أتتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول وَ لْيَتَّقِ ٱللّهُ رَبَّهُ أي وليَتق الّذي عليه الحقّ عقوبة اللّه فيما أوْتمن عليه بجحوده أو النقصان منه وَ لا تَكْتُمُوا ٱلشّهادة فَإِنَّهُ بعد تحمّلها و هو خطاب للشّهود و مَنْ يَكْتُمُها أي من يكتم الشّهادة فَإِنَّهُ الْعُرم عليه إنّما يقع به وَ ٱللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَليم أي هو عالم بما تسّرونه وتعلنونه من الأقوال والأفعال وفي الآية فوائد:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كيكم الدجلد الثالث

إنعقاد الرّهن بدون القبض و يؤيّده ما رواه الشّيخ عن الباقر عليُّكِ قال عليُّكِ: لا رَهن إلا مقبوضاً، و ذهب جماعة من الأصحاب منهم الشّيخ في الخلاف و ابن ادريس الي عدم الإشتراط وبه قال مالك من العامّة للأصل و لعموم الأوامر الدَّالة على الوفاء بالعقود و أجابوا عن الآية بأنَّها دلَّت على الإشتراط بطريق الخطاب و هو ليس حجّة عند المحققين و بأنّ القبض لوكان شرطاً في الرّهن لكان ذكر القبض تكراراً لا فائدة فيه فكما لا يحسن أن يقال رهان مقبولة ان يقال مقبوضة و لأنّه سمّاه رهناً قبل ذكر القبض و المجاز خلاف الأصل ويأنّ الأية وردت لبيان الإرشاد الى حفظ المال و ذلك انّما يتمّ بالإقباض كما أنّه إلاّ بالارتهان فالاحتياط لحفظ المال يقتضي القبض كما يقتضي الرّهن وكما أنّ الرّهن ليس شرطاً في الدّين فكذلك القبض في الرّهن و يُؤيّده التقيّيد بالسفر و عدم وجود الكاتب إذ لو تجرد الرّهن عن الإقباض في تلك الحال لكان فظنّة للإنكار فلا يحصل الإستيثاق لأنّه لا يسمع قول مدّعي الرّهن عند التّنازع و بأنّ الرّواية ضعيفة لجهالة في السّند بإشتراك الرّاوي هذا خلاصة كلام النّافين للإشتراط و هو الحقّ الحقيق بالاتّباع ثمّ بناءً على القول بكون القبض شرطاً فهل هو شرط لصّحة الرّهن بمعنى أنّه لو لم يقع لكان الرّهن باطلاً أو هو شرط اللَّزوم بمعنى أنَّه لو لم يقع لكان صحيحاً إلاَّ أنَّه ليس بلازم فيجوز له الرَّجوع فيه ففيه قولان والثّاني أقوى.

الأولى: أنَّ وصف الرُّهان بالمقبوضة يدُّل على اشتراط القبض بل قيل بعدم

الثّانية: حيث قلنا بعدم الإشتراط في دوام القبض هل يكفي حصول فسّماه ولو بعد مضّى زمانٍ من العقد لصدق حصول القبض بالجملة أوّلا.

الثّالثة: يدّل الإرشاد الى الإستيثاق لحفظ المال بالرّهن أنّه لا يصّح رهن مالا يمكن إستيفاء الحقّ منه كالأعيان الّتي لا يصّح تملّكها كالحُّر، والأعيان الّتي لا يصّح بيعها كالأعيان النّجسة و آلات القمار و نحو ذلك.

اء الفرقان في تفسير القرآن كربيكم المجلد النا

الرّابعة: يشعر الإرشاد بذلك الى حفظ المال كون الرّهن أمانة لا تضمن إلا مع التّعدي أو التّفريط إذ لو كان مضموناً مطلقاً لا تحصل الغاية الكاملة بل ربّما كان ذلك باعثاً لإتلاف المال كما إذا هلك الرّهن فيكون ذلك تغريراً.

الخامسة: النّهي عن كتمان الشّهادة عند الإحتياج اليها لإثبات الحقّ.

و قد روي عن أبي جعفر عليه قال: قال رسول الله عَيَالَه من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر دم إمرع مسلم أتى يوم القيامة لوجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه و نسبه وفي الفقيه عن جابر عنه عليه قال، آثم قلبه أي كافر قلبه، وفي الأمالي عنه عَلَيْه ومن كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق قوله الله عز وجل: و مَنْ يَكُتُمْها فَإِنَّهُ أُثِمُ قَلْبُهُ.

السّادسة: يستفاء من الآية أنّ كتمان الشّهادة من الكبائر لتّوعد اللّه سبحانه عليه بالإثم والعذاب و يدّل عليه.

ما روي عن إبن جعفر الطُّلِه لما سُأل عن الكبائر قال: كلمّا أوعد الله عليه النّار.

و ما روي عن عبد العظيم عن الجواد المُثَلِّ عن آبائه عن الصّادق الثَّلِة و ذكر الكبائر الى أن قال: و كتمان الشّهادة لأنّ الله يقول: و مَنْ يَكْتُمُهُا فَإِنَّهُ أُثِمُ قَلْبُهُ.

لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ مُـا فِـي ٱلْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُخاسِبْكُمْ بَهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰآءُ وَ ٱللَّهُ عَلٰی کُلّ شَیْءِ قَدِیرٌ (۲۸۴)

### ∕> اللّغة

تُبْدُوا: بضمّ التّاء من أبدىٰ يُبديو اصله، تُبديُو،أي تـظهروا والبـاقى واضح.

### ⊳ الإعراب

فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشْآءُ وَ يُعَذِّبُ يقرآن بالرّفع على الإستثناف أي فهو يغفر، و بالجزم عطفاً على جواب الشّرط، و بالنّصب عطفاً علىٰ المعنى بإضمار، أن، تقديره، فإن يغفر و هذا يسمئ الصرف والتقدير، يكن منه حساب و غفران.

## 🖊 التّفسير

لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ قد تقدّم معناه وقلنا أنّ اللاّم في قوله:**للُّه** لِلملك، أو للإختصاص فعلى الأوّل معناه أنّه مالك السّموات و الأرض، و على الثّاني ما في السّمٰوات و الأرض مختصّ به تعالىٰ والمآل واحد جزء٣ۗ لأنّه الخالق و ما سِواه مخلوق له وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فَيَ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُـخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ أَى إن تظهروا ما في أنفسكم بالقول و العَمل أو تخفوه يحاسبكم به الله إختلفوا في معناه على أقوالٍ.

الأوّل: أنّها منسوخة قاله ابن عبّاس و ابن مسعود و أبو هريرة و الشّعبي و غيرهم و أنّه بقيٰ هذا التكلّيف حولاً حتّىٰ أنزّل اللّه الفرج بقوله: **لايُكلِّفُ ٱللّٰهُ** 

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهٰا (١) نقل القُرطبي عن صحيح مسلم عن إبن عبّاس قال لمّا نزّلت، إن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه، قال دخل قلوبهم من شئ فقال النّبي عَلَيْظِهُ قولوا سمعنا وأطعنا، قال فألقى اللّه الإيمان في قلوبهم فأنزل اللّه تعالىٰ:

لايُكلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُوَخِذْنَا إِنْ نَسَيِنا أَوْ أَخْطَأْنَا (٢) قال قد فعلت رَبَّنَا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَّلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنِا قال قد فعلت ) رَبَّنَا وَ لا تُحَمِّلْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَّلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنِا قال قد فعلت ) رَبَّنَا وَ لا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اَعْفِرْ لَنَا وَ اَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ النَّافِرِينَ (قال قد فعلت) في روايةٍ فلما فعلوا ذلك نسخها اللّه ثمَّ أَنزَل اللّه تعالى: لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا (٣).

الثاني: قال إبن عبّاس و عكرمة والشّعبي ومجاهد، أنّها محكمة مخصُوصة وهي في معنىٰ الشّهادة التّي نهى عن كتمها ثمّ أعلم في هذه الآية أنّ الكاتم لها المُخفي ما في نفسه محاسب.

الثّالث: أنّ الآية فيما يطرء على النّفوس من الشّك و اليقين وقاله مجاهد أيضاً.

الزابع: أنّها محكمة عامّة غير منسوخة واللّه محاسب خلقه على ما عملوا من عملٍ و على ما لم يعملوه ممّا ثبت في نفوسهم و أضمروه و نووه و أرادوه، فيغفر للمؤمنين و يأخذ به أهل الكفر و النّفاق ذكره الطّبري عن قومٍ و أدخل عن ابن عبّاس ما يشبه هذا روي عن علّي إبن أبي طلحة عن إبن عبّاس أنّه قال لم تنسخ و لكن إذا جمع اللّه الخلائق يقول أنّي أخبركم بما أكننتم في أنفسكم فأمّا المؤمنون فيخبرهم ثمّ يغفر لهم و امّا أهل الشّك والرّيب فيبخرهم بما

١ - البقرة = ٢٨۶

أخفوه من التكذّيب فذلك قوله: يُخاسِبْكُمْ بِهِ ٱللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشْآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشْآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشْآءُ انتهىٰ كلام القُرطبي.

الخامس: رجّح الطّبري أنّ الآية محكمة غير منسوخة قال إبن عطية و هذا هو الصّواب و ذلك أنّ قوله تعالى: إنْ تُبدُوا ما في أنْ فُسِكُم أوْ تُخفُوهُ معناه، ممّا في وسعكم و تحت كسبكم و ذلك إستصحاب المعتقد و الفكر، و قد أطالوا الكلام حول الآية بما لا فائدة فيه، و قال البيضاوي، و أن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه، يعني ما فيها من السُّوء والعزّم عليه لترتّب المغفرة و العذاب عليه، يحسابكم به الله، يوم القيامة و هو حجّة على من أنكر الحساب كالمعتزلة و الروافض انتهى.

أقول أنظر الى الكلام الذي بزعمه تفسير لكلام الله تعالى مع أنه ليس إلا كذب و بهتان و ذلك لأن من آمن بالله و رسوله و اليوم الأخر كيف أنكر الحساب يوم القيامة و من الذي أنكره من المعتزلة و الرَّوافَض حفظنا الله من سوء النية و العناد.

و قال الطّبرسي تَنْ فَي قوله: يُحاسِبْكُمْ بِهِ ٱللّه أي يعلم اللّه ذلك فيجازيكم عليه و قيل معناه إن تظهروا الشّهادة أو تكتموها فأنّ اللّه يعلم ذلك ويجازيكم به و قيل أنّها عامّة في الأحكام الّتي تقدّم ذكرها في السّورة خوفّهم الّه سبحانه من العمل بخلافها و قال قوم أنّ هذه الآية منسوخة بقوله: لايكلّف الله نَفْسًا إلا وُسْعَها (1) و قد روى في ذلك خبراً ضعيفاً و هذا لا يصّح لأنّ تكليف ما ليس في الموضع غير جائز فكيف ينسخ و أنّما المراد بالأية ما يتناوله الأمر والنّهي من الإعتقادات و الارادات و غير ذلك ممّا هو مستوراً عنّا فأمّا ما يدخل في التكلّيف من الوساوس و الهواجس و ممّا لا يمكن التّحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله، تجوز لهذه الآية عن نسيانها عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله، تجوز لهذه الآية عن نسيانها

، الفرقان في تفسير القرآن حربي المجلد ال

و ما حدثت به أنفسها فعلى هذه يجوز أن يكون الآية الثّانية مبيّنةٌ للأولى (لِلّه و أزالت توهّم من صرف ذلك الى غير وجهه وظّن أنّ ما يخطر بالبال أو يتحدّث به النّفس ممّا لا يتعلّق بالتكلّيف فأنّ الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك انتهى.

أقول هذه الأقوال الّتي نقلناها هي رؤوس أقوال المفسّرين من العامّة والخاصّة في تفسير الآية والّذي حصل لنا في المقام هو أنّ الخواطر النّفسانية على قسمين.

أحدهما: ما يحصل في القلب بسبب الإرادة والعزم على إيجاده في الخارج و بعبارةٍ أخرىٰ يريد أوّلاً و يعزم على إيجاده ثانياً كما هو الشأن في كلّ فعل صادر عن الإنسان في الخارج أو يصدر فأنّ الفعل مسبوق بالمبادئ الأربعة من التصور و الشّوق، و الإرادة، و حركة العضلات نحو إيجاده فإذا تمّت المبادئ لا محالة يوجد في الخارج لولا المانع كما في جميع العلل و ذلك لأنّ وجود العلّة لا يكفي في تحقيق المعلول إذا كان هناك مانع يمنع عن تأثير العلّة و لذلك قالوا من شرائط تأثير العلّة و جود المقتضي و رفع المانع.

ثانيهما: ما يحصل في القلب و لا يكون مسبوقاً بشي من المبادئ المذكورة يعبّر عنه بالخواطر النّفسانية و الهواجس و الوساوس و امثال ذلك فهذه الأوصاف قد تعرض عليها آناً فآناً بدون التصور و الشوق والإرادة وهذا ممّا لا ينكره إلاّ مكابر إذا عرفت هذا فنقول.

الثّواب و العقاب و بعبارةٍ أخرى الجزاء يوم القيامة لا يكون إلا على المقدور للعبد و امّا ما لا قدرة له على إيجاده أو تركه فلا ثواب عليه و لا عقاب فكما أنّ الفعل يجب أن يكون مقدوراً حتّى يثاب عليه كذلك تركه أيضاً يجب أن يكون تحت قدرة العبد حتّى يعاقب عليه و هذا في جانب الفعل واضح لا خفاء فيه و أمّا جانب التّرك فكما اذا كان العبد مجبوراً على فعل الحرام و لا يقدر على تركه مثل المضّطر و المكره والمجبور و امثال ذلك ففي هذه الصّورة هل يجوز لقائلٍ أن يقول هو معاقبٌ على فعل الحرام أو على عدم تركه و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🚡 📏

المفروض أنّه غير قادرٍ على الترك و محصّل الكلام هو أنّ فعل الصّلاة و الزّكاة و الحجّ و الصّوم و أمثالها مشروط بقدرة العبد و ترك الحرام من الزّنا و شرب الخمر و امثال ذلك أيضاً مشروط بقدرته و الدّليل عليه من العقل و النّقل ثابت، أمّا العقل فلاته لولا ذلك لَلزِم منه التّكليف بما لا يطاق و هو قبيح عقلاً، و امّا لا نقل فلقوله تعالى: لايكلّف الله نَفْسًا إلّا وُسْعَها (١) هذا في الأفعال و التّروك الخارّجية ظاهر لاكلام لأحد فيه إلا من سفه نفسه.

ثم أنّه لا شك أنّ الأفعال الخارجية لها منشاً في القلب بمعنى أنّ الفعل الخارجي في الحقيقة معلول للنّفس و السّنخية بين العلّة والمعلول موجودة فحينئذٍ أن كان الفعل في الخارج مسبوقاً بالمبادئ المذكورة الموجودة في النّفس يسمّى إختيارياً وهذا هو الّذي يثاب به و يعاقب عليه و أن كان غير مسبوق بها أي صدر الفعل من غير تصور و تفكّر و شوق و إرادة فهو خارج عن الإختيار و قد يُسمّى باللّغو و العبث والباطل و امثال ذلك و هذا ممّا لا يُثاب به و لا يعاقب عليه و اذا كان الفعل الصّادر عن الإنسان هكذا حاله فما ظنّك بالخواطر النّفسانية التّي لا أساس لها أصلاً فكيف يعقل بثبوت الجزاء عليها اذا تمهدت هذه المقدّمة لك فلنرجع الى تفسير كلام اللّه ونقول قوله:

# إِنْ تُبْدُوا مَا فَيَ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ.

معناه والله أعلم هو إن تبدوا، أي تظهروا في قالب العَمل في الخارج ما في آنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ بأن لا تظهروا الفعل لوجود مانع هناك، يُخاسِبْكُمْ بِهِ أَلْلهُ مثلاً اذا أراد الإنسان قتل زيد ظلماً و أضمر ذلك و انتهز الفرصة له فلمّا ظفر به وجده ميّتاً فهذا ممّا يحاسبه الله به و هكذا في الصّورة المفروضة اذا منع مانع عن قتله أو أنّ المريد للقتل مات قبل أن يرىٰ زيداً فيقتله ففي هذه الصّورة هو محاسبٌ علىٰ ما في نفسه لأنّه كان عازماً قاطعاً مريداً حريصاً على

قتله بحيث لو لم يوجد هناك مانع لقتله فالمحاسبة عليه معقول مشروع و امّا أنّه معقول فلاّته أراد قتله بالإختيار فالعزم و الإرادة مسبوقان بالتّصور والشّوق إلاّ أنّه أي المراد لم يوجد في الخارج لا لأنّه لم يوجده بل لعدم قدرته عليه بوجود المانع فقوله، تعالىٰ: أوْ تُخفُوهُ إشارة الى هذه الدّقيقة هذا و امّا القول بأنّ المحاسبة على مطلق الخواطر النّفسانية و الوساوس الشّيطانية فلا يقول به عاقل فضلاً عن فاضلٍ يدّعي العلم و المعرفة، و امّا أنّه مشروع:

قال الله تعالى: لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا أَكْتَسَبَتْ (١).

قال الّله تعالى: وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ (<sup>٢)</sup>

قال الَّله تعالى: ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٣٠)

قال الله تعالى: لِيَجْزِى الله كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ (٢) و امثال ذلك من الأيات و من المعلوم أن كسب الشَّئ غير ما يعرض عليه من غير كسب له و الجزاء على ماكسب و لا خفاء بعد الكسب هذا ما فهمنا من الآية والله تعالى أعلم بكلامه و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ثمّ أنّ الذي ذكرناه في توجيه الآية بناءً على أن يكون الخطاب في قوله: إنْ تُبُدُوا أو تخفوه للمؤمنين و اما اذا قلنا بعموم الخطاب بحيث يشمل الكفّار و المنافقين أيضاً فلا نحتاج الى هذه التكلّفات لأنّ الكافر والمنافق يحاسب على ما في قلبه بل يُعاقب عليه و هو واضح أمّا الكافر فلاكلام فيه و امّا المنافق فلاته أضمر الكفر و أظهر الإيمان و الإسلام فلو لم يحاسب و لا يعاقب على ما أضمر في قلبه فعلى أيّ شئ يحاسب غداً يوم القيامة و ما الفرق بينه و بين المؤمن و هو ممّا لا خفاء فيه، و امّا قوله: فَيَعْفِرُ لمَنْ يَشَاء و يَعْذِبُ مَنْ يَشَاء و آلله على كُلِّ شَىْء قَدِيرُ فمعناه معلوم لأنّ الأمور بيده وقدرته عامّة تامّة كاملة فأن شاء عذّب وأن شاء غفر.

ياء القرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} \mathbf{F}_{\mathbf{a}} \\ \mathbf{A}_{\mathbf{c}} \end{array}
ight\} العجلا الثالد$ 

١- البقرة=٢٨۶.

٢- البقرة=٢٢٥.
 ١- إبراهيم=٥١.

٣- البقرة=٢٨١.

أَمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ امْنَ بِاللهِ وَ مَلاَئِكَتِهِ وَ كُلتَبِهِ وَ رُسُلِهِ لا كُلُّ امْنَ بِاللهِ وَ مَلاَئِكَتِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا فَفُرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) لايُكَلِفُ غُفُرانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) لايُكَلِفُ اللهُ نَفُسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا الله نَفْسَا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا كَتَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا كَتَسَبَتْ وَ بَيْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى رَبَّنَا وَ لا تُحَمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى اللهِ فَاقَةَ لَنَا وَ الْ تُحَمِلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا وَ الْ تُحَمِّلُنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا وَ الْأَخْوِرِينَ (٢٨٤)

## | اللّغة

غُفْر انَكَ: عَفَر الشّي ستره و غطّاه والغُفران والممَغَفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب.

لْايُكَلِّفُ: التَّكليف مأخوذ من الكُّلفَة بمعنى المشقة.

إِنْ نَسينٰآ: النّسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إمّا لضعف قلبه و امّا عن غفلةٍ. أَخْطَأْنًا: الخطأ العدول عن الجهة.

إصْرًا: الأُصِر عقد الشّيُّ وحبسه بقهره و قيل معناه الثِّقل.

تُحَمِّلْنا، التَّحميل التكليف.

وَ أَعْفُ: العَفو الصَّفح عن الذّنب.

## ⊳ الإعراب

وَأَلْمُؤْمِنُونَ معطوف على الرّسول وقيل المؤمنون مبتدأ وكُلٌّ مبتدأ ثان و التقدّير كلٌّ منهم و أمن خبر المبتدأ الثّاني والجملة خبر الأوّل و أفرد الضّمير

ياء الفرقان في تفسير القرآن كريم. باء الفرقان في تفسير القرآن في آمن ، ردًا على لفظ كلِّ و كُتِبه يقرأ بغير ألف على الجمع لأن الذّي مَعه جمع ويقرأ وكتابه، على الأفراد وهو جنس ويجوز أن يراد به القرأن وحده و رُسُلِه يقرأ بالضمّ و الإسكان و قد ذكر وجهه لأ نُفَرِّقُ تقديره يقولون و هو في موضع الحال و أضاف بيّن الى أحدٍ لأنّ أحداً في معنى الجمع و قالُوا معطوف على، آمن، عُفْر انْكَ أي أغفر غفرانك فهو منصوب على المصدر كسبت وفي الثانية آكتسبَت قبل لا فرق بينهما.

## ⊳ التّفسير

روي في الإحتجاج عن موسى بن جعفر عن أبيه عن أباءه عليهم السّلام إحتجاجاً طويلاً من أمير المؤمنين عليه على حبر من أحبار اليهود ممّن قرأ الصُّحف و الكتب و في هذا الحديث أشار عليه الله كثيرٍ من معجزات النّبي عَلَيْوالله وفَضائله التّي فضله الله تعالىٰ على جميع أنبياءه وهذا لفظ الحديث.

روي عن موسى ابن جعفر عن أبيه عن أباءه عليهم السّلام عن حسين بن علّي عليه قال: أنّ يهودياً من يهود الشّام و أحبارهم كان قد قرأ التّوراة، والانجيل والزّبور صحف الأنبياء عليهم السّلام و عرف دلائلهم جاء الى مجلس فيه أصحاب رسول الله عَيَيْلُهُ و فيهم علّي ابن أبي طالب وابن عبّاس وابن مسعود و أبو سعيد الجهني فقال يا أمّة محمد ما تركتم لنّبي درجة و لا لمرسل فضيلة إلا أنحلتموها نبيّكم فهل تجيبوني عمّا أسألكم عنه، فاعرض القوم عنه فقال علّي بن أبي طالب نعم ما أعطى الله نبّياً درجة و لا مرسلاً فضيلة إلا و قد جمعها لمحمّد عَيَيْلُهُ و زاد محمّداً على الأنبياء فضيلة إلا و قد جمعها لمحمّد عنه أنت مجيبي قال علي الأنبياء أضعافاً مضاعفة فقال اليهودي فهل أنت مجيبي قال عليًا له نعم

ضياء النرقان في تفسير القرآن  $\left\langle \begin{array}{c} \mathbf{r} \\ \mathbf{r} \\ \mathbf{r} \end{array} \right
angle$  المجلد الثالث

سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله عَلَيْنِ ما يقر الله به عين المؤمنين و يكون فيه إزالة الشُّك لِلشَّاكين في فضائله أنّه كان اذا ذكر لنفسه فضيلة قال و لا فخر وأنا أذكر لك فضائله غير مضّر بالأنبياء و لا منقص لهم ولكن شكراً لِله على ما أعطى محمّداً مثل ما أعطاهم و ما زاده الله و ما فضّله عليهم فقال له اليهودي أنّى أسألك فأعد له جواباً قال له علّى هات قال اليهودي هذا آدم عَلْيُلْإِ أسجد الله له ملائكته فهل فَعل لمحمّدِ شبيئاً من هذا فقال له علّى التَّكِلِّ لقد كان كذلك أسجد الله لآدم مالائكته فأنّ سجودهم له لم يكن سبجود طاعة و أنّهم عبدوا آدم من دُون اللّه عزّ وجلّ اعترافاً لآدم بالفضيلة و رحمة من الله له و محمداً أعطى ما هو أفضل من هذا أنّ الله عز وجل صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها وتعبد المؤمنين بالصّلاة عليه فهذه زيادة له يايهوّدى قال له اليّهودى فأنّ آدم تاب الله عليه بعد خطيئته قال له علّى النَّا لِا لقد كان كذلك و محمّد نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى قال الله عزّ و جلّ: لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ (١) أَنّ محمّداً غير موافٍ يوم القيامة بوزر ولا مطلوب فيها بذنب.

أقول ثمّ سأل اليّهودي عنه عليّاً في القياس بأدريس النّبي و نوح النّبي و هُود النّبي و صالح النّبي و غيرهم من الأنبياء حتّى انتهى كلامه الى سليمان النّبي عليّا و عرضنا من ذكر الحديث هذا فقال اليّهودي فأنّ هذا سليمان قد سخرت له الرّياح فسارت به في بلاده غدّوها شهر و رواحها شهر قال له علي عليّا لله كان كذلك و محمّد أعطي ما هو أفضل من هذا أنّه أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى مسيرة شهر و عرج في ملكوت

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كياً المجلد الثار السّموات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث اللّيلة حتى انتهى الى ساق العرش فدنى بالعلم فتدّلى من الجنّة رفرف أخضر و غشي النّور بصره فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده ولم يره بعينه فكان كقاب قوسين بينه و بينها أو أدنى فأوحى الله الله الله التي في سورة أدنى فأوحى الله الله الله التي في سورة البقرة قوله: لِلّهِ ما فِي السّمواتِ وَ ما فِي الأرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما في أَنْهُسِكُمْ أَوْ البقي الله الله على كُلِّ شَيْء الله فَي قَفْوُ لِمَنْ يَشْاء و يُعَزّب مَنْ يَشْاء و الله على كُلِ شَيْء تَخُوُوه يُخاسِبْكُمْ بِهِ الله فَي قَفْوُ لِمَنْ يَشْاء و يُعَزّب مَنْ يَشْاء و الله على كُلِ شَيْء الله قبيل الأنبياء من لدن آدم الى أن بعث الله تبارك و تعالى محمداً و عرضت على الأنبياء من لدن آدم الى أن بعث الله رسول الله و عرضها على أمّته فقبلوها فلمّا رأى الله تعالى منهم القبول علم رسول الله و عرضها على أمّته فقبلوها فلمّا رأى الله تعالىٰ منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها فلمّ أن سار الى ساق العرش كرَّر عليه الكلام ليفهمه فقال، آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه، فأجاب عَلَيْرَالهُ مجيباً عنه و عن أمّته.

وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلآ ثِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فقال جلّ ذكره لهم الجنة والمغفرة على أن فعلوا ذلك فقال النّبي عَلَيْظِهُ أما اذا فعلت ذلك بنا غُفْرانك رَبّنا وَ إِلَيْك ٱلْمَصيرُ يعني المَرجع في الأخرة قال فأجابه الله عزّ وجلّ قد فعلت ذلك بك و بأمتك ثم قال عز وجلّ أمّا اذا قبلت الآية بتشدّيدها و عظم ما فيهاعرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها و قبلها أمتك حتى على أن أرفعها عن أمتك.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ من خيرٍ وَ عَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ من خيرٍ وَ عَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ من شرَّ فقال النّبي لمّا سمع ذلك أما اذا فعلت ذلك بي و بأُمّتي فزدني قال، سَل، قال :رَبَّنَا لَا تُوَاخِذْنَا إِنْ نَسينا أَوْ أَخْطَأْنًا قال اللّه عز وجل لستُ أَوْاخذ أُمّتك بالنّسيان والخطأ لكرامتك علّي وكانت الامم السّالفة اذا نسوا ما

بياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلدا

لكرامتك علَّى فقال عَلَيْظِهُ اللَّهم اذا أعطيتني ذلك فزدني قال اللَّـه تبارك و تعالى، سل، قَال عَلَيْكِ أَلَهُ رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذينَ مِنْ قَبْلِنا يعنى بالإصر الشدّائد التي كانت على من كان قبلنا فأجابه الله عزّ وجلّ الى ذلك و قال تبراك إسمه قد رفعت عن أمّتك الأصار التّي كانت على الامم السّالفة كنت لا أقبل صلاتهم إلاّ في بقاع معلومة من الأرض إخترتها لهم و ان بعدت جعلت الأرض كلُّها لأمّتك مسجداً و طهوراً فهذه من الأصار التِّي كانت على الامم قبلك فرفعتها عن أمّتك، و هكذا رفع اللّه تعالى عن هذه الامّة بسبب النّبي أصراً بعد إصر و ساق الحديث بطوله الى أن قال النّبي عَلَيْواللهُ اذا أعطيتني ذلك كلُّه فزدني قال، سل، قال: رَبُّنا وَ لا تُحَمِّلْنا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ قال تعالىٰ قد فعلتُ ذلك بأمّتك و قد رفعتُ عنهم بلايا الامم و ذلك حكمي في جميع الأَمم أن لِا أكلَف خلقاً فوق طاعتهم فقال النّبي وَ آعْفُ عَـنَّا وَ ٱغْفِرْ لَنَا وَ ٱرْحَمْنَآ أَنْتَ مَوْلُنَا قال اللّه عزّ و جلّ قد فعلت ذلك يثلثي أَمّتك ثمّ قال فَانْصُرْنٰا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ قال اللّه عزّ وجلّ اسمه أن أُمّتك في الأرض كالشَّامة البيضاء في التُّور الأسود هم القادرون وهم القاهرون و يستخدمون و لا يستخدمون لكرامتك علّى وحقٌّ علَّى أن أظهر دينك على الأديان حتّى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك أو يؤدّون الى أهل جزء ٣ > دينك الجزية انتهى موضع الحاجة منه و أن شئت الإطّلاع على تمام الحديث بطوله فعليك بالإحتجاج للطّبرسي مَثِّئ وأنّما لم ننقل الحديث حَذراً من الإطناب و قد ظهر منه تفسير الآية بنحو أحسن فلا نحتاج في تفسيرها الى بحثٍ وتحقيق وراء ما ذكرناه نعم يستفاد من الآية و الحديث من قوله تعالى: لْايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا عدم التّكليف بما لا يطاق، و من قوله: لَهَا مَا

ذكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب و قد دفعتُ عن أُمّتك وكانت الامم السَّالفة اذا أخطأوا أخذوا بالخطأ و عوقبوا عليه و قد رفعت ذلك عن أمَّتك

كَسَبَتْ وَ عَلَيْهُا مَا ٱكْتَسَبَتْ أَنْ كُلُّ نَفْسِ بِفاكَسَبَتْ رَهبِنَةٌ و لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، ومن قوله: رَبَّنًا لا تُؤاخِذْنَاۤ إِنْ نَسينٰۤاۤ أَوْ أَخْطَأْنَا، أَنَّ اللّه تـعالىٰ لا يعاقب العبد على الخطأ والنّسيان.

و من قوله: وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رفع الشّدائد و المشّاق عن هذه الامّة في التكالّيف و من قوله وَ أَعْفُ عَنّا وَ أَعْفِرْ لَنَا وَ أَرْحَمْنَا ، أَنَ الآية المرحومة وقعت موقع العفو والغفران و الرّحمة من قبل الرّب.

و من قوله: فَانْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ أَنَّ الإسلام يعلو و لا يعلىٰ عليه و أنّ هذه الامّة لو عملت بوظيفتها مواظبت على فعل الطّاعات وترك المحرّمات و أخلصت أعمالها لِلّه تعالىٰ فقد فازت بالفوز العظيم.

روي عن قتادة قال: كان رسول اللّه عَلَيْكُولُهُ اذا قرأ هذه الآية آمن الرّسول بما أنزل اليه من ربّه حتّى يختمها قال وحق اللّه أنّ لِلّه كتاباً قبل أن يخلق السّموات والأرض بألفي سنة فوضعه عند فوق العرش فأنزل أيتين فختم بهما البقرة فأيّما بيت قرأتا فيه لم يدخله الشّيطان انتهى.

و في كتاب الإحتجاج عن النبي عَلَيْكُ حديث طويل وفيه خطبة الغدير:

و فيها معاشر النّاس قولوا الّذي قلتُ لكم و سلّموا على علّي بإمرة المؤمنين وقولوا : سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ ٱلْمَصْيرُ. وفي كتاب التّوحيد بأسناده عن أبي عبد الله عليّ قال: قال رسول الله عَلَيْ أَلْهُ مَا مَتي تسعة أشياء: الخَطأ والنّسيان و ما أكرهوا عليه و ما لا يطيقون و ما لا يعلمون و ما أضطروا عليه والحسد والطّيرة والتفكير في الوسوسة في الخلق و ما لا ينطق بشفه.

ياء الفرقان في تفسير القرآن كرنج المجلد الثالث

أقول هذا الحديث يستفاد من هذه الأيات و الحمد لِله ربّ العالمين و الصّلاة على رسوله و آله المنتجبين و ليكن هذا أخر الكلام في تفسير سورة البقرة و نحمده و نشكره على هذا التّوفيق و أرجو من فضله أن يوفّقني لاتمام هذا السّفر الجليل وأن يرزقني توفيق الطّاعة و بعد المعصية و الإخلاص في تفسير كلامه و أن يعصمني عن الخَطأ والزّلل والسّهو والنسّيان و أن لا يَجعل قلبي و فكري مرتعاً للشّيطان فالله خير حافظاً و هو أرحم الرّاحمين.





## بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ

الآم (١) الله لا إله إلا هُو الْحَى الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرِيٰةَ وَ الْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُوْقَانَ إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا بِاياتِ الله عَزِيزُ ذُو اَنْتِقَامِ (٢) الله عَزِيزُ ذُو اَنْتِقَامِ (٢)

### الآم، أَللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ.

أقول قد مرّ الكلام في تفسيره في أية الكُرسّي بما لا مزيد عليه فلا وجه لإعادته في المقام، قالوا صدر هذه السُّورة الىٰ نيّف وثمانين أية نزل في وفد نجران وكانوا نصارى وفدوا علىٰ رسول اللّه عَلَيْقِهُ بالمدينة في ستّين راكباً فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلاً في الأربعة عشر ثلاثة، نفر اليهم يرجع أمرهم، العاقب أميرهم و ذو أراءهم و اسمه عبد المسيح، و السيّد ثمالهم وصاحب مجتمعهم و إسمه الأيهم، و أبو حارثة بن علقمة أحد بحكر بن وائِل أسقفهم و عالمهم فدخلوا علىٰ رسول اللّه عَلَيْقُهُ أثر صلاة العصر عليهم ثياب الحبران جبب و أردية فقال أصحاب النّبي عَلَيْقُهُ ما رأينا وفداً مثلهم جمالاً و جلالةً و حانت صلاتهم فقاموا فصّلوا في مسجد النّبي الى المشرق فقال

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمسيح كمجم المجلد الثال

النبي عَلَيْكُولَهُ دعوهم ثم أقاموا بها أيّاماً ينظرون (يُناظرون) رسول الله عَلَيْكُولُهُ في عيسىٰ و يزعمون أنّه ابن الله الىٰ غير ذلك من أقوال شنيعة مضطربة و رسول الله عَلَيْكُولُهُ يرّد عليهم بالبراهين السّاطعة و هم لا يبصرون فنزّل فيهم صدر هذه السّورة الى نيّف و ثمانين أية الىٰ أن آل أمرهم الىٰ أن دعاهم رسول الله الى المباهلة حسب ما هو مذكور في سيرة ابن إسحاق و غيره و سيأتي الكلام فيها في محلّه إن شاء الله تعالىٰ.

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَـدَيْهِ وَ أَنْـزَلَ ٱلتَّـوْرِيْةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذَيِنَ كَفَرُوا بِإِيَّاتِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَديِدٌ وَ ٱللهُ عَزيزٌ ذُو ٱنْتِقَامِ.

### ⊳ اللّغة

نَزَّلَ: النَزُول في الأصل هو إنحطاط من عُلّوٍ يقال نزّل عن دابّته و نزّل في مكان كذا حطَّ رحله فيه.

ٱلْكِتَابَ: بكسر الكاف في الأصل مصدر قولك كَتَب كتباً وكتاباً ثمّ سُمّي المكتوب: فيه كتاباً و الكِتاب في الأصل إسمّ للصّحيفة مع المكتوب فيه.

وَ أَنْزَلَ ٱلتَّوْرِيْهَ وَ ٱلْآِنْجِيلَ: الفرق بين التنزيل و الانزال مع أنهما بمعنىٰ واحد هو أنّ التنزيل يختص بالموضع الذّي يشير اليه انزاله مصراً و مرّةً بعد أخرى، والإنزال عامّ.

آلتَّوْ رَيْهَ الكِتاب الذَّي ورثوه عن موسىٰ و قد قيل هو فوعلة و لم يجعل، تفعلة لقلّة وجود ذلك و التّاء بَدل من الواو نحو، يتصوّر لأنّ أصله و يصوّر.

آلْإِنْجِيلَ هو كتاب عيسى ابن مريم عليُّ يذّكر و يؤنّث فمن أنّث أراد الصّحيفة و من ذكّر أراد الكتاب قيل هو، أفعيل، من النجل و هو الأصل، فالإنجيل أصل العلوم والحكم و قيل هو من نجلت الشّئ اذا استخرجته

کی ہے۔ ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن کے کیکم المجلد الد فالإنجيل مستخرجٌ به علومٌ و حكم و النَّجل النَّسل أيضاً.

عَزيزٌ: العزيز القاهر الغالب.

#### ⊳ الإعراب

بِالْحَقِّ حال من الكتاب مُصَدِّقًا حالاً ثانياً و قيل بدل من، موضع، الحق حال من الضّمير في المجرور مِنْ قَبْلُ يتّعلق بأنزل، بنيت، قبل، لقطعها عن الإضافة هُدًى حال من الإنجيل و التوارة لِلنَّاسِ صفة لهدى، أو متعلّق به الْفُرقُانَ بضمّ الفاء فعلال من الفرق و هو مصدر في الأصل فيجوز أن يكون بمعنى الفارق أو المفرُوق.

#### ⊳ التّفسير

### نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ.

والضّمير في قوله: نَوْلً راجع الى اللّه الحيّ القيّوم أي نزل اللّه عليك الكتاب، والمراد بالكتاب هنا القرأن و عليه فاللآم فيه للعهد الحاضر أي نزل عليك الكتاب المعهود أو الحاضر و هو القرأن لا غير اذ لم ينزل عليه غيره و المصدر أعني به الكتاب بمعنى المفعول فالكتاب إسم للصّحيفة مع المكتوب فيه و هو مأخوذ من الكُتب الّذي هو ضمّ أديم الى أديم بالخياطة و في التّعارف ضمّ الحروف بعضها الى بعض بالخط فالأصل في الكتابة النظم بالخط و لكن قد يقال ذلك للمضمُوم بعضها الى بعض باللّفظ ولذلك يستعار كلّ واحدٍ من الضّمين أعني بهما ضمّ الخطي و ضمّ اللّفظي للأخر ولهذا سمّي كلام الله و أن لم يكتب كتاباً و عليه فالفرق بين الكتاب و الكلام أنّما هو بالإعتبار في عنهما هو النّظم فالقرأن كتاب الله و كلام اللّه، كتابٌ بإعتبار ضمّ الجامع بينهما هو النّظم فالقرأن كتاب اللّه و كلام اللّه، كتابٌ بإعتبار ضمّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\langle \begin{array}{c} \mathbf{r} \\ \mathbf{r} \\ \mathbf{r} \end{array} \right
angle$  الدجلد الثالث

الحروف خطًّا وكلام باعتبار ضمّها لفظاً، و في قوله: بِالْحَقِّ إشارة اليٰ أنّ هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التّي فيها حقّ و باطل بل هذا الكتاب نزّل بالحقّ فقط بحيث يصدِّق بعضه بعضاً و في قوله: نَوْٓلُ إشارة اليي أنَّه القرأن نزل نجوماً أي شيئاً بعد شيئ فأنّ التنزّيل مرّةً بعد مرّةً والقرأن هكذا نزل والظّاهر أنّ الباء في قوله: بِالْحَقِّ للسّبب أي بسبب الحقّ الّذي هو الله تعالى لا غير لأنّ الحقّ المطلق لا يطلق علىٰ غير الله تعالىٰ و ذلك لأنّ الحقّ هو الثّاتب الّذي لا فناء له أو لا سبيل للبطلان اليه و هو منحصر في ذاته تعالىٰ فهو حقّ بذاته و ما سواه حتٌّ به و القرآن هكذا لأنّه كلام اللّه والكلام صفة للمتكلّم قائم به فهو حقٌّ باللّه تعالىٰ لا بذاته و اذاكان كذلك فهو أي القرآن حادث فلا قديم سوى الله تعالى ولذلك فسرّ و الحقّ بالقديم مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ أي حال كونه مصدّقاً لما بين يديه قالوا يعني من الكتب المنزّلة على جميع الأنبياء من التّوراة و الإنجيل والصُّحّف و غيرها، إن قيل كيف سُمّى ما مضىٰ بأنّه بين يديه فالجواب أن تلك الأخبار والكتب لغاية ظهورها له ﷺ كظهور الّذي بين يَديه وَ أَنْسَرَلَ ٱلتُّوْرِيٰةَ وَ ٱلْاَيْجِيلَ و إنَّما قال فيهما، أنزَل لأنَّ التَّوراة و الإنجيل نزلا دفعةً واحدة هكذا قالوا، و الحقّ أنّ التّعبير بقوله، نزّل الكتاب، و أنزّل التّوراة، إنّما هو لأجل التّفنن في العبارة كماهو مقتضى قانون البلاغة، أو أنّ تغييّر اللّفظ لأجل الإحتراز عن التّكرار و امثال ذلك و امّا ما ذكروه من الوجه فيه فليس بسديدٍ:

قال اللّه تعالىٰ: هُوَ اَلَّذِيٓ أَنْزَلَ عَلَيْكَ اَلْكِتَابَ مِنْهُ اَيَاتُ مُحْكَمَاتُ (1). قال اللّه تعالىٰ: وَ أَنْزَلَ اَللّهُ عَلَيْكَ اَلْكِتَابَ وَ اَلْحِكْمَةَ (٢). قال اللّه تعالىٰ: وَ هُوَ اَلَّذِيٓ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ اَلْكِتَابَ مُفَصَّلًا (٣). قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر (٢). قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر (٢).

۱ – آل عمران=۷ – ۱۱۳

٣- الانعام = ١١٤

و امثال ذلك من الأيات التي قال فيها، أنزّل ولم يقل، نزّل، و الحاصل أنّ المعنى فيها واحد فقد عبّر بهذا و قد عبّر بذاك، و امّا لفظ التوراة والإنجيل فقد قلنا في إشتقاقهما ما هو الحقّ فيه و لكن ذكر الكشّاف أنّهما إسمان أعجميان و تكلّف إشتقاقهما من الوَرىٰ والنّجل إنّما يصّح بعد كونهما عربييّن، ثمّ قال وقأ الحسن، الإنجيل بفتح الهمزة و هو دليل علىٰ العجمة لأنّ أفيعل عديمٌ في أوزان العَرب إنتهىٰ.

مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ أَي أَنَ اللّه تعالىٰ أنزل التّوراة و الإنجيل من قبل ذلك أو من قبل القرآن، وقوله هُدًى في موضع نصب على الحال أي حال كون التّوراة والإنجيل و إنمّا كذلك و إنّما قيل هدى للنّاس لأنّ النّاس في كلّ زمان كانوا يهتدون بالكتاب الالاهي المنزل على رسولهم و هو واضح قوله: وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ، فقيل هو القرأن قال الطّبرسي بعده تفسيره الفرقان بالقرأن و أنّما كرّر ذلك لما إختلف دلالات صفاته و أن كانت لموصوف واحد لأنّ لكلّ صفة فيها فائدة غير فائدة الاخرى فأنّ الفرقان هو الذي يفرق بين الحقّ والباطل فيما يحتاج اليه من أمور الدّين في الحجّ و غيره من الأحكام و ذلك كلّه في القرأن انتهى.

أقول و الى هذا المعنى يشير من قال أنّ القرأن يقال لما بين الدّفتين والفرقان يقال بإعتبار أنّه فارق بين الحقّ والباطل، قال الرّاغب و القرأن في الأصل مصدر نحو كفران و رجحان قال تعالىٰ أنّ علينا جمعه و قرأنه، فاذا قرأناه فاتّبع قرأنه قال ابن عبّاس اذا جمعناه و أثبتناه في صدرك فأعمل به و قد خُصّ بالكتاب المنزّل على محمّد عَيُولُهُ فصار له كالعلم انتهىٰ.

و أمّا الفرقان فهو أيضاً مصدر و هو مأخوذ مِن الفَرق قال تعالىٰ: وَ قُرُانًا فَرَقْنَاهُ أَي الفَرقان أَبَلَغ أَي النّرلناه مفرّقاً قالوا الفُرقان أَبَلَغ

من الفرق لأنّه يستعمل في الفرق بين الحقّ والباطل و لذلك سُمّى يوم القيامة بيوم الفرقان أي اليوم الَّذي يفرّق فيه بين الحقّ والباطل.

ففي تفسير علَّى بن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله لمَّا سأل عن قوله تعالىٰ و أنزّل الفرقان، قال المُثِلَةِ هو محكم، و الكتاب هو جملة القرأن الذّي يصدّقه من كان قبله من الأنبياء و عن الكافي عنه عليَّا ﴿ قال القرأن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به.

اذا عرفت هذا فنقول هذه الأخبار و الأقوال كلُّها يدُّل على الفرق الحاصل بين القرأن و الفرقان و هذا ممّا لاكلام فيه ولم ينكره أحَد و بعبارةٍ أخرىٰ الإشكال الموجود في الآية ليس من هذه الجهة و أنَّما الإشكال في أنَّ المنزَّل على رسول الله كتاب واحد أوكتابان أحدهما القرأن والثّاني الفرقان لا طريق الى القول الثَّاني بالإجماع فيبقى القول الأوَّل وهو أنَّ المنزِّل علىٰ رسول اللَّه عَلَيْظِيًّا كتاب واحدٍ يُسمّى بإعتبار القرآن وبإعتبار أخر الفرقان فاذاكان الكتاب المُنزل من جانب الرّب على رسول الإسلام واحداً وهو الّذي قال نزَّل عليك الكتاب بالحقّ، فما الّذي سمّاه بالفرقان و أنزّله ثانياً، فأن كان الكتاب واحداً كما هو كذلك فالمنزل أيضاً واحد مع أنّ المُنزل في الآية شيئان أو كتابان، الكتاب والفُرقان، و محصّل الكلام هو أنّه اذا كان الإنزال أثنين فالمنزل أيضاً أثنان فلو كان المنزل واحداً كما يقولون لم يذكر الله تعالىٰ الإنزال في مقامين مع الفصل جزء ٣ لم بينهما بل قال: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا فارقاً و امثال ذلك من التّعابير و هو دليل على أنّ المنزل شيئان وهذا هو الإشكال الّذي أشرنا اليه و لم نر بعد الفحص الكامل في التفاسير التّي موجودة عندنا ما يرفع الإبهام به و ذلك لأنّهم نظروا الى لفظ الكتاب، و الفرقان فقالوا بالفرق بينهما إعتباراً لئّلا يلزم التّكرار في المعنى و غفلوا عمّا ذكرناه من تكرار الإنزال، تارةً بلفظ نزَّل و

الفرقان في تفسير القرآن كالمجا

أخرى بلفظ، أنزل، مع أنّ المعنى فيهما واحد حذراً من التّكرار اللّفظي ولعلّ الزّمخشري قد تنّبه لهذا الإشكال حيث و جد بزعمه مهرباً عنه فقال في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

فأن قلت ما المراد بالفرقان، قلت جنس الكتب السّماوية لأنّ كلّها فرقان يفرق بين الحقّ و الباطل أو الكتب الذي ذكرهاكأنّه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة و أنزّل ما يفرق بين الحقّ و الباطل من كُتبه أو من هذه الكُتب أو أراد الكتاب الرّابع و هو الزّبوركما قال: و التيناداؤد زَبُورًا (١) أو كرّر ذكر القرأن بما هو نعت له و مدح من كونه فارقاً بين الحقّ و الباطل بعد ما ذكره بإسم الجنس تعظيماً لشأنه و إظهاراً لفضله انتهى كلامه.

أقول ما ذكره أيضاً لا يحسم مادّة الإشكال لأنّه فرق بين الكتاب و الفرقان بنوع أخر ولا بحث فيه و امّا أنّ المراد به الزّبور فهو بعيد غاية البعد.

اذا عرفت ذلك فقد علمت أنّ منشأ الإشكال هو أنّهم فسرّوا الفرقان في بالقرأن ثمّ وقعوا فيما وقعوا بل كرّوا على ما فَرّوا عنه وأنّما فسرّوه به لأنّهم رأوا إطلاق القرأن على الفرقان من حيث كونه فارقاً بين الحقّ والباطل فقالوا هو هو والفرق بالإعتبار ولم يعلموا أنّ إطلاق شي على شي أخر بحسب مقام الإعتبار ليس معناه أنّه هو بعينه و عليه فالقرأن موضوع أو علم لهذا الكتاب المعلوم و أمّا الفرقان فليس كذلك لأنّه مصدر بمعنى الفاعل و هو موضوع لكلّ ما يفرق به بين الحقّ و الباطل سواء كان قرأناً أم غيره ولأجل ما ذكرناه فليس بينهما من النسب التساوي كالإنسان والبشر حيث قال كلّ إنساني بشر وكلّ بشر إنسان فلا يصّح أن يقال كلّ قرأني فرقان وكلّ فرقاني قرأن بل الحقّ أنّ بينهما من النسب

العُموم و الخصوص مطلقاً فكل قرأن فرقان وليس كل فرقان قرأن بل بعض الفرقان قرأن على القرأن قد يطلق الفرقان قرأن و بعضه ليس كذلك فأن الفرقان كما يطلق على القرأن قد يطلق على غيره:

قال الله تعالىٰ: وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْبَعْفان (١).

و من المعلوم أنّ المراد بيوم الفرقان هو يوم القيامة لأنّه اليوم الّذي يفرق به بين الحقّ والباطل.

و قال الله تعالىٰ:إنْ تَتَقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (٢).

و ليس المراد به القرأن قطعاً بل المراد أنّه تعالى يجعل نوراً و توفيقاً في قلوب المتّقين يفرق به بين الحقّ والباطل.

و قيل أنّ المراد بيوم الفرقان في الآية الأولى، يوم بدر فأنّه أوّل يوم فَرّق فيه بين الحقّ والباطل وكيف كان لم يرد به القرأن و هو المطلوب.

و عن النّقاش في تفسيره قال ابن عبّاس جلّ ما تعلّمت من التفسّير من علي بن أبي طالب، و عن ابن مسعود أنّ القرأن أنزّل على سبعة أحرفٍ ما منها إلاّ له ظهرٌ و بطن و أنّ على بن أبي طالب علم الظّاهر والباطن.

حبر عليمُ بالذي هو كائنُ واليه في علم الرّسالة يرجع أصفاه أحمد من خفّي علومه فهو البطين من العلوم الأنزع

والأخباركثيرة ولولامخافة الإطناب في الكلام والخروج عن موضوع الكتاب لأشبعنا الكلام في الباب ولكن ما ذكرناه يكفي لمن له قلب ولنختم الكلام في هذا المقام ونقول لا تعجب ممّا قيل أو يقال في أهل البيت عليهم السّلام لأنّ الكتاب انزّل على الرّسول و أهل البيت أدرىٰ بما في البيت ولنعم ماقيل في حقّ علّى وأولاده:

الفرقان في تفسير القرآن كريم المجلد ا

النرقان في تنسير القرآن بخ. وفي أسياتهم نزل الكتاب بهم و بجدّهم لا يستراب له في الحرب مرتبة تهاب حصائدها من القوم الرّقاب وفيض دم الرّقاب لها شراب هوالسّاقي على الحوض الشّراب هو القتال اذا إشتد الضّراب فسما لك في محبّته ثواب وباقي النّاس كلّهم ترابُ

بآل مسحمّدٍ عسرف الصّواب وهم حجج الإله على البرايا ولا سيّما أبو حسنٍ علّي فسضربته كسبيعة نسجمٍ طعام سيوفهم مهج الأعادي هو التكاء في المسحراب ليلا اذا لم تسبرء من أعداء علي علي الدرّ والذهب المصّفيٰ هو النباء العظيم وفلك نوح

و أمّا قوله تعالىٰ: وَ مَا يَذَكّرُ إِلاَّ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ فَقيل في معناه أي ما يـذّكر المشابه و تأويله الىٰ المحكم إلاّ أولوا الألباب أي ذوو العقول الخالصة وهم الرّاسخُون في الأية.

أقول ما ذكروه لا بأس به إلا أنّه من قبيل توضيح الواضحات و ذلك لأنّ في قوله والرّاسخون غنى عنه لأنه الرّاسخ في العلم لا يكون إلاّ من ذوي الألباب والحقّ في معنى الكلام أنّ معناه، لا يذّكر، أي لا يهتدي الى معنى المراد من الرّاسخين و تعيينهم إلاّ أولوا الألباب و قد عرفت الكلام فيه بما لا مزيد عليه.

و بقوله أنزّل الفُرقان هو وجود النّبي الفارق بين الحقّ والباطل بهدايته و معجزاته وكرامته و عِصمته و هكذا و بعد النّبي أوصياء ولأجل هذه الدّقيقة قرنهم بكتاب اللّه فقال: إنّي تاركُ فيكم الثّقلين كتاب اللّه وعِترتي ما إن تَصَّلُوا أبداً الحديث إذ لو كان الكتاب هو الفرقان أعني به الفارق بين الحقّ والباطل، بنفسه، لما قال الرّسول كتاب اللّه و عِترتى الخ فقوله

ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، يدّل بالمفهوم على أنّ المتمسّك بأحدهما يضّل فلو كان القرأن مع قطع النّظر عن العترة بعد الرّسول، كافياً وافياً فارقاً بين الحقّ و الباطل كما قال القائل حسبنا كتاب الله، فلم قال رسول الله، كتاب الله و عترتى و سيأتى لهذا بسط كلام فى موضعه إنشاء الله.

والسّر فيه إن كنت من أهله هو أنّ الكتاب أعني به القرأن سببٌ و وسيلة للفرق بينهما لا أنّه بنفسه فارقّ بينهما لأنّ الفارق إسم فاعلٍ من الفرق والذّات على التحقيق معتبر في المشتق فإذا قلنا زيد ضارب معناه ذات ثبت له الضّرب لا أنّه نفس الضّرب و هكذا إذا قُلنا فلان فارق بين الحّق والباطل معناه ذات ثبت له الفرق و لا يمكن أن يقال القرأن فارق بين الحّق والباطل إلاّ على سبيل التّجوز إذ ليس هناك ذات وصفة وكيف يكون الحرف أو الحُروف كذلك و التحروف ليست من الذّوات بشئ حتى يتثبت لهما الصّفة فالفارق هو اللّه تعالى أوّلاً ثمّ الزّوعي ثالثاً فقوله و أنزلنا الفرقان معناه و أنزلنا الفارق بين الحق و الباطل و هو الإنسان الكامل المعبّر عنه بالقرأن النّاطق لئّلا يكون للنّاس على اللّه حُجّة فبذلك قد تمّت الحجّة على النّاس ليهلك من على عن بيّنة و يحيى من حيّ عنها، واللّه أعلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْياتِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ ٱللهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ. قيل لمّا بيّن حجّجه الدّالة على توحيده و صِدق أنبيائه عقّب ذلك بوعيد من خالفه ليتكامل به التكلّيف و قال: وَ ٱلله عَزِيزٌ أي قادر قاهِرٌ ذو قدرةٍ على الإنتقام من الكُفّار و لا يتمكّن أحد أن يمنعه منه و الإنتقام مجازاة المُسئ على إساءته على أساس العدل فأنّ ربّك ليس بظّلام للعبيد. ضياء الفرقان في تفسير القرآن <

کے المجلد الثالث المجلد الثالث

#### ا> اللّغة

يُصَوِّرُ كِكُمْ: الصُّورِة ما ينتقش به الأعيان و يتميّز بها عن غيرها.

فِي ٱلْأَرْحَامِ: الأرحام جمع الرَّحِم والرَّحِم بفتح الرَّاء و سكون الحاء رَحِمُ المرأة، و أمرأة رَحُوم تشتكي رحمها و منه أستعير الرَّحم للقرابة لكونهم خارجين من رحِم واحدة.

### ⊳ الإعراب

فِى ٱلْأَرْضِ إِمَّا صِفة لشئِ و امّا متعلّق بيخفى فِى ٱلْأَرْخَامِ متعلّقة بيضورأن يكون حالاً من الكاف و الميم كَيْفَ يَشْآءُ كيف في موضع نصب بيشاء حال و المفعول محذوف تقديره، يشاء تصويركم.

### ⊳ التّفسير

### إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا فِي ٱلسَّمَآءِ

أخبر الله تعالى عن علمه الكامل الشّامَل المُحيط بجميع ما سواه وأنّه لا يخفى عليه شئ والدّليل عليه من العقل أنّه لو خفي عليه شئ في عالم الوجود لزم منه أن لا يكون مخلوقاً له تعالى إذ لو كان مخلوقاً لكان مَعلوماً له، و اذا لم يكن مخلوقاً له فلا يخلو إمّا أن يكون خالقاً أو يكون مخلوقاً لغيره فعلى الأوّل يلزم تعدّد الاله ثبت عدمه.

علىٰ الثَّاني: فإمَّا أن يكون الغير واجباً أو ممكناً فعلىٰ الأوِّل يلزم التعدُّد و

لغرقان في تفسير القرآن ﴿ يُحْمُمُ الدَّجِلَةُ ا

المفروض عدمه و على الثّاني يلزم التّسلسل الىٰ أن ينتهي الخالق الىٰ الموجود بالذّات و هو المطلوب.

فلا يعقل أن يكون في عالم الوجود شئ إلا و هو مخلوق له وكل مخلوق معلوم له فهو معلوم له فالمدّعيٰ ثابت.

و امّا النّقل فللأيات والأخبار و هو ظاهر:

قال الله تعالى: وَ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١).

قال اللّه تعالى: إِنَّمٰآ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الّذي لآ الله اللّه وَ وَسِعَ كُلَّ شَـىْءٍ عِلْمًا (٢).

قلنا في شرح اللّغات أنّ الصّورة ما ينتقش به الأعيان و يتميّز بها عن غيرها والأن نقول أنّ الصّورة على قسمين:

أحدهما: الصُّورة المحسوسة التي يدركه الخاصة و العامّة بل يدركه الإنسان و كثير من الحيوان كصورة الإنسان و الفَرس و الحمار بل النّبات والجماد.

الثّانى: الصُّورة المعقولة الّتي يدركه الخاصّة دون العامّة كالصُّورة الّتي أختص الإنسان بها من العقل والرُّؤية والمعاني الّتي خصّ بها شئ بشئ و الى الصورتين أشار الله تعالى بقوله:

# هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشٰآءُ

قال الله تعالى: و صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ("").

قال الله تعالى: فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكُ (٢) و غيرها من الأيات.

و أمّا قوله: فِي ٱلْأَرْحامِ فلا يدّل على الحصر بمعنىٰ أنّ التّصوير لا يكون إلاّ في الرحم بل فيه إشارة الى أنّ الغالب بل الأغلب يكون التّصوير في الرَّحِم في هذا العالم لأنّ الله تعالىٰ قادر على التّصوير في غير الرَّحِم كما صوّر

٣- غافر = ۶۴

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 😽

١- الطُّلاق=١٢. ٢- طه=٩٨.

۶۲ الانفطار= ۸

أدم عليه و حوّاء و لا أمّ لهما ولا أب والحاصل أنّ اللّه تعالى أشار بكلامه هذا الى كمال قدرته و أنّه هو الّذي يقدر على ذلك و امّا غيره فلاكائناً من كان و من عرف ما في تصوير الأجنّة في الأرحام من الحكم و النّظام علم و أذعن بأنّ ذلك فعل عالم خبير بالدّقائق حكيم يستحيل عليه العبث عزيزٌ لا يغلب على ما قضى به علمه و تعلّقت به إرادته واحد لا شريك له في المُلك لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

إعلم إنّ هذه الأيات من أوّل السُّورة الى نحو ثمانين أية نزلت في نصارى نجران على ما قاله المفسّرون وحيث أنّهم قالوا بألُوهيّة عيسى وكان أساس عقيدتهم فيه على العلم والقدرة بمعنى أنّ عيسىٰ كان يحي الموتى وهو راجع الى القدرة وكونه يخبر بالغيب وهذا راجع الى العلم ومن كان عالماً قادراً فهو إلله فعيسىٰ الله و أنّما قالوا ذلك لأنّ القيّوم هو القائم بإصلاح مصالح الخلق ومهمّاتهم وكونه كذلك لا يتمّ إلاّ بأمرين:

أحدهما: أن يكون عالماً بحاجاتهم على جميع الوجوه كماً وكيفاً.

الثانى: أن يكون قادراً على جميع الممكنات و حيث أن عيسى كان عالماً بالغيوب قادراً على إحياء المَوتى فقد تمّ الأمران فيه فهو القيّوم، قالوا أجاب الله تعالىٰ عنهم بقوله: إِنَّ ٱلله لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلأَرْضِ وَ لا فِى الله تعالىٰ عنهم بقوله: إِنَّ ٱلله لا يَخْفى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلأَرْضِ وَ لا فِى السّماء و أين هذا من علم عيسى بِبعض الأشياء مع أنه أيضاً لم يكن من عنده بل كان من مواهب الله إيّاه، ثمّ أين هذه القدرة و هي إحياء الموتى بإذن الله من قدرة الحق تعالىٰ التي عامّة لجميع الممكنات فقال تعالىٰ هُو ٱلاَّدى أَصَوَى المُحَوِد يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلأَرْخام.

أقول الحقّ أنّ هذه الأيات ليست مرتبطة بهذه الأمور ولا دليل على قول المفسّرين في المقام بل كلّ واحدة منها موضوع مستقل برأسه دالّ على علمه و قدرته و حكمته والله العالم و حاصل الكلام في الآية هـو أنّ اللّـه تعالىٰ

لكمال قدرته يصوركم في أرحام أمّهاتكم كيف يشاء من الطّول والقصر واللّون و الذّكورة و الانوثة و حسن الجمال و قبحه و غير ذلك من الأُمور و هذا من الأمور المحسوسة التّي نراها مشاهدة و عياناً و نفهم من هذا الإختلاف في الصّور أنّ المُصّور لهذه الصّور موجود أخر غير ذي الصّورة و أنّه عالم قادر على الإيجاد والتّصويركيف يشاء وليس هو إلاّ ما أشار إليه بقوله: لا و الله المعلوب.

الفرقان في تفسير القرآن كريج المجلد الثالد

هُوَ ٱلَّذِي أَنْ زَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابِ مِنْهُ أَيْاتُ مُحْكَمَاتُ هُنَ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَ أُخَرُمُتَشَابِهَاتُ مُحْكَمَاتُ هُنَ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَ أُخَرُمُتَشَابِهَاتُ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَ ٱبْتِغَآءَ تَأْويلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُولُونَ تَأُويلِهِ فَي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ تَأُويلِهَ أَولُهُ اللهُ وَ ٱلرّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ الْمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكُرُ إِلاَّ أُولُوا الْمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكُرُ إِلاَّ أُولُوا الْمُثَابِ (٧)

### ∕ اللّغة

أياتٌ مُحْكَماتٌ: الأيات جمع أية وهي العلامة والمُحكمات جمع المُحكم وهو في اللّغة المضبُوط المتقن وفي الإصطلاح على ما ذكره بعض المحقّقين يطلق على ما إتضح معناه و ظهر لكلّ عارف باللّغة.

و قال الرّاغب المحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللّفظ ولا من حيث المعنى. أُمُّ: بضمّ الألف الأصل.

مُتَشَابِهَاتٌ: جمع متشابه و هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره أمّا من حيث اللّفظ أو من حيث المعنى.

زَيْغٌ: الزَّيغ بفتح الزّاءِ مصدر و معناه الميل عن الإستقامة.

أَبْتِغَآءَ: الإبتغاء الطُّلب.

وَ ٱلرّاْسِخُونَ: جمع الرَّاسِخ، رسُوخ الشّئِ ثباته ثباتاً متّمكناً و رَسَخ الغدير نضب ماؤه و الرّاسخ في العلم الّذي لا يعرضه شُبهة.

### ⊳ الإعراب

مِنْهُ أَيْاتٌ الجملة الجملة في موضع نصب على الحال من الكتاب هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ هُنَ الْكِتَابِ في موضع رفع صفة لأيات و أنّما أفرد، أمّ، و هو خبر عن جمع لأنّ

المعنى أنّ جميع الأيات بمنزلة أيةٍ واحدة فأفرد على المعنى ويجوز أن يكون المعنى كلّ منهنّ أمّ الكتاب أُخَرُ معطوف على الأيات مُتَشَابِهاتٌ نعت لاخر ما تَشَابَه مِنْهُ ما، بمعنى الّذي، و منه، حال من ضمير الفاعل و الهاء تعود على الكتاب آبيُغآء مفعول له تَأْويله، التّأويل مصدر أوَّل يؤَّل و أصله من أل يتُول إذا إنتهى نهايته آلرّ السِخُونَ معطوف على إسم الله و المعنى أنهم يعلمون تأويله أيضاً يتَوُولُونَ في موضع نصب على الحال كُلٌّ مُبتدأ مِنْ عِنْدِ يعلمون تأويله أمنًا وكلٌ من عند ربّنا نصب، بيقولون.

### ⊳ التّفسير

هُوَ ٱلَّذَي آُنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابِ وهو القرآن بإتفاق جميع المفسّرين وقد مرّ الكلام في الكتاب و الانزال في أوائل السُّورة مِنْهُ أياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُمُتَشَابِهَاتٌ من اللّبَعيض والهاء ترجع الى الكتاب أي بعض أيات الكتاب محكم وبعض أخر متشابة ثمّ أنّهم إختلفوا في معنى المُحكم و المُتشابه بحسب الإصطلاح و أنّه ما المراد بهما في الآية بعد وضوح المعنى بحسب اللّغة كما مرّ قال السيوطي في الإتقان المُحكم ما لا يتوقّف معرفته على البيان والمتشابه ما يرجى بيانه قال و قد أختلف في تعيين المحكم و المُتشابه على أقوال:

فقيل المُحكم ما عرف المراد منه إمّا بالظّهُور و امّا بالتّأويل والمُتشابه ما جزء الله بعلمه كقيام السّاعة و خروج الدّجال والحروف المقطّعة في أوائل السُّه ..

و قيل المُحكم ما وضح معناه و المُتشابه نقيضه.

و قيل المُحكم ما لا يحتمل من التّأويل إلاّ وجهاً واحداً و المُتشابه ما احتمل أوجها.

باء الفرقان في تفسير القرآن كريم.

و قيل المُحكم ما استقل بنفسه و المُتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برّده الى

و قيل المُحكم ما تأويله تنزيله و المُتشابه ما لا يدرك إلاّ بالتّأويل. و قيل المُحكم ما لم تتّكرر ألفاظه و مقابله المُتشابه.

و قيل المُحكم الفرائض و الوعد و الوعيد و المُتشابه القصص و الأمثال.

و عن إبن عبّاس أنّه قال المُحكمات ناسخة و حلاله و حرامه و حدوده و فرائضه و ما يؤمن به و يعمل به و المُتشابهات منسوخة و مقدّمه و مُؤخرَه و أقسامه و ما يؤمن به و لا يعمل به.

و عن مجاهد، المُحكمات ما فيه الحلال والحرام و ما سوى ذلك منه متشابه يصدّق بعضه بعضاً.

و عن الرّبيع قال: المُحكمات هي أوامره الزّاجرة.

و عن الضّحاك، المُحكمات ما لم ينسخ منه والمُتشابهات ما قـد نسـخ إنتهى.

أقول كيف كان شك في وجودهما في الكتاب بنص الآية الشريفة فَأَمَّا النَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أي قيل عن الحق و منشأه الشّك و الجهل فَيَتَبِعُونَ ما تَشْابَهَ مِنْهُ أي فيتبعون المتشابهات من الكتاب ٱبْتِغْآء ٱلْفِتْنَةِ وَ ٱبْتِغْآء تَلْوَتْنَةِ وَ ٱبْتِغْآء تَلْوَتْنَة وَ الْبِتْعَآء تَلُوبِلِهِ أي أنْ غرضهم من الإتباع لهما هو طلب الفتنة والتشكيك في القرآن وإضلال العوام و تأويل الأيات على طبق أميالهم و آرائهم الفاسدة.

# وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ.

أي علم التّأويل لا يُوجد إلاّ عند اللّه تعالىٰ والرَّاسِخُين في العِلم الّـذين أخذوا علومهم من علم اللّه بغير واسطةٍ من البشر كالنّبي والوصّي.

ء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ مُحْمَدُ السَّجِلَةُ السَّجِلَةُ ا

يَقُولُونَ إِمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا أي والحال أنهم يقولُون كذلك.

وَ مَا يَذَّكُّرُ إِلاَّ أُولُوا آلاَلْبابِ أي وما يتفكّر في أيات الله إلا من له عقل و لبّ، والألباب جمع لَبٌ و هو العقل الخالِص عن شوائب الأوهام فهذا معنى ألفاظ الآية إلا أنّها تستدعى التكلّم فيهما إجمالاً فَنقُول.

يستفاد من الآية الشّريفة وجود المحكمات والمُتشابهات في القرآن و هذا ممّا لاكلام فيه لأحَدِ من المُسلمين والّذي إختلفوا فيه هو أنّ المتشابهات هل يعلم تأويلها غير اللّه أوّلاً فأن كان الأوّل فيمكن الأخذ بهما ولو بسبب السّؤال عمّن يعلمها و أن كان الثّاني فلا سبيل اليها لأحدِ لأنّ المفروض أنّ العِلم بها مختصّ به تعالى و قد إستأثر الله بعلمه فقال قومٌ و هُم أكثر المفسّرين من أهل السّنة فيما نعلم أنّ المُتشابهات يجب على كلّ أحدٍ تركها و رّد علمها الى الله تعالى قد إستأثر بعلمه ولم يرخص لأحد الخوض في المُتشابه.

و قالت الشّيعة أعني بهم إتّباع أهل البيت عليهم السّلام أنّ الرّسول و الأئمّة بعده واحداً بعد واحد أخذُوا علم المُتشابه عن الله تعالى والله تعالى أعطاهم العلم به لمكان قربهم اليه و احتياج العباد الى فهم هذه الأيات و ذلك لأنّ اللّه تعالى أعطى نبّيه و أوصيائه من العلم ما يحتاج إليه البشر فلو كان العلم بالمتشابه مختص به تعالى ولم يعلم أحداً العلم به فلم أنزّله في كتابه و هذا هو الذي صار باعِثاً لوجود الخلاف بين المُسلمين.

إن قُلت ما الَّذي يستفاد من الآية في هذا الباب.

قُلتُ المستفاد فيهما أمّا على رأي العامّة فهو إنحصار العِلم بالمُتشابه بالله تعالى لا غيره و امّا على ما نقُول فلا وإنّما قلنا ذلك لأنّ.

## وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ

إن قلنا فيه بأنّ الواو في قوله: و **الرّاٰسِخُونَ** للَـعطف أي أنّ الرّاسخين معطوف على إسم الجّلالة وهو، اللّه، ثمّ الوقف على قوله أمنّا بـه و عـليه

نياء الفرقان في تفسير القرآن



المحلد الثالث

فيكون الواو واو الجمع، فالأية تدّل على ما ذهبنا إليه وإخترناه لأنّ معناها، و ما يعلم تأويل المتشابه إلاّ الله فأنّه يعلمه و هكذا الرّاسخون في العلم فأنّهم أيضاً عالمون به و يقولون هؤلاء الرّاسخون أمنّا به كلّ من عند ربّنا، الآية.

و أمّا القول بأنّه أي قوله: و آلرّاسِخُونَ فِي آلْعِلْم كلام مقطوع عمّا قبله و أنّ الكلام قد تمّ عند قوله: إلّا آلله فيصير معنىٰ الآية ما يعلم تأويل المتشابه إلاّ الله أي أنّ العلم به منحصر به، و امّا آلرّاسِخُونَ فِي آلْعِلْمِ فلا علم لهم به بل يقولون: أمّنّا بِه كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا و عليه أكثر المُفسّرين من العامّة فعلى هذا يجب الوقوف عند المتشابه الى يوم القيامة و هو كما ترىٰ.

قال القرطبي في تفسير قوله: و آلر السخون في آلْعِلْم إختلف العلماء فيه هل هو إبتداء كلام مقطوع عمّا قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع فالذي عليه الأكثر أنّه مقطوع ممّا قبله و أنّ الكلام تمّ عند قوله : إلا الله ، هذا قول إبن عمر و إبن عبّاس و عائشة و عروة بن الزّبير و عمر بن عبد العزيز و غيرهم و هو مذهب الكسائي و الأخفش و أبى عُبيد وغيرهم.

قال أبو نهيك الأسدي أنكم تصلون هذه الآية و أنّها مقطوعة و ما إنتهى علم الرّاسخين إلاّ قولهم، أمَنّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا و قال مثل هذا عمر بن عبد العزيز.

و حكى الطّبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس، و يقولون، على هذا خبر الرّاسخُون.

ثمّ نقل عن الخطابي أنّه قال و قد جعل اللّه تعالىٰ أيات كتابه الّذي أمرنا بالإيمان به والتصدّيق بما فيه على قسمين: مُحكماً و مُتشابهاً.

فقال عز من قائل هُوَ ٱلَّذَيَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَّابَ مِنْهُ اٰيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَ أُخَرُمُتَشَابِهَاتُ الىٰ قوله:كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا.

قال فاعلم أنّ المُتشابه من الكلام قد إستأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحدٌ غيره ثمّ أثنى الله عزّ وجل على الرّاسخون في العلم بأنّهم يقولون أمنًا به ولولا

صحّة الإيمان منهم لم يستحقّوا النّناء عليه و مذهب أكثر العلماء أنّ الوقف التّام في هذه الآية أنّما هو عند قوله: و ما يعلمُ تَأْويلَةً إِلّا ٱللّهُ وأنّ ما بعده إستئناف كلام أخر و هو قوله: و ٱلرّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ الْمَنّا بِه وروي ذلك عن ابن مسعود و أبّى بن كعب و إبن عبّاس و عائشة.

و أنّما روي عن مجاهد أنّه نسق، الرّاسخون، على ما قبله و زعم أنّهم يعلمونه، و ساق الكلام الى أن قال فكان قول عامّة العلماء مع مساعدة مذهب النّحويين أنّه أولى من قول مجاهد وحده و أيضاً فأنّه لا يجون أن ينفي الله سبحانه شيئاً عن الخلق و يثبّته لنفسه ثمّ يكون له في ذلك شريك ألا ترى:

قال الله تعالى: لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلَّا هُوَ (١).

قال الله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجْهَهُ (٢).

قال الله تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمْواتِ وَ ٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ (٣٠).

فكان هذا كلّه ممّا إستأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره وكذلك قوله: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللهُ ولو كانت الواو في قوله والرّاسخون للنسق لم يكن لقوله كلّ من عند ربّنا، فائدة إنتهىٰ كلام القُرطبي بألفاظه و عباراته.

أقول ما ذكره القُرطبي في تفسير الآية من الإختلاف في قوله :و الرّاسِخُونَ في الْعِلْمِ هل هو إبتداء كلام مقطوع ممّا قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع صحيح لاكلام فيه لوجود الإختلاف قطعاً.

و أمّا قوله بعد ذلك، فالّذي عليه الأكثر أنّه مقطُوعٌ ممّا قبله و أنّ الكلام تمّ عند قوله: إِلّا ٱللّهُ فلا يعتمد عليه لأنّ نسبته هذا القول الى الأكثر كذبّ محض.

نعم أكثر المفسّرين منهم و منّا بل جميعهم نقلوا الإختلاف الّذي أشار إليه القُرطبي و أنّ الواو في قوله: و آلرّالسِخُونَ هل هو للعطف أي عطف

المرابع المرا

لباء الغرقان في تفسير القرآن كرنج كما العجا

الرّاسخين على إسم الجلالة أو للإبتداء و الإستئناف بمعنى أنّ الكلام قد تمّ عند قوله: إِلّا ٱللّهُ و أنّ ما بعده إستئناف كلام أخر.

أَوْلاً: و من المعلوم أنَّ نقل الإختلاف من وَظائف المُفسّرين.

ثانياً: أنّ المفسّرين من العامّة الّذين ذهبوا الىٰ ما ذهب إليه القُرطبي بأكثر من مخالفيهم بل الأمر بالعكس.

ثالثاً: من قال بمقالة القُرطبي وإستحسنها بعض العوام أو بعض المُتعصّبين دون المُحقّقين منهم وكم فرقّ بين المُفسّرين لكلام اللّه و هو من أهل النظر والتحقّيق و من لم يأت في كتابه إلاّ نقل الأقوال الضّعيفة التّي لا يقبلها العقل والنقل و ذلك لأنّ فهم كتاب اللّه تعالى والوصول الى حقائقه و دقائقه لا يمكن إلاّ بالرّياضة و التذكيّة للنفس والمجاهدة في تحصيل العلم وممارسته الكُتب و فهم كلمات المحقّقين و إعمال الفكر الثّاقب ومع ذلك الإستمداد من علام الغيوب فأنّ الإنسان بعد ذلك كلّه يفهم من كلام الله بقدر إستعداده ولياقته و نحن نشير الى أراء بعض المُفسّرين منهم ثمّ نقول في الآية ما هو الحقّ عندنا فنقول:

قال الزّمخشري في الكشّاف و هو من فحُول العامّة ولا سيّما في كشف الدّقائق عن كلام العرب لإحاطته على اللّغة و الأدب و وجوه الإستعارات و الكنايات وجهات الفصاحة و البلاغة وغير ذلك ممّا لا ينكره أحد قال في تفسيره لهذه الآية و ما يَعْلَمُ تَأُوبِلَهُ إِلَّا اللّهُ و الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أي لا ينكره الدّين يعتدي الى تأويله الحقّ الذي يجب أن يحمل عليه إلاّ اللّه وعباده الدّين يهتدي الى تأويله الحقّ الذي يجب أن يحمل عليه إلاّ اللّه وعباده الدّين راسخو في العلم أي ثبّتوا فيه و تمكّنوا وعضّوا فيه بضرس قاطع، و منهم من يقف على قوله إلاّ اللّه و يبتدئ والرّاسخون في العلم يقولون المتشابه بما إستأثر اللّه بعلمه و بمعرفة الحكمة فيه من أياته كعدد الزّبانية ونحوه والأوّل هو الوجه، و يقولون كلام مستأنف مُوضح لحال الرّاسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتّأويل يَقُولُونَ أمَنّا بِه أي بالمُتشابه كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا أي كلّ العالمون بالتّأويل يَقُولُونَ أمَنّا بِه أي بالمُتشابه كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا أي كلّ

واحدٍ منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كلُّ من مُتشابهه و محكمه من عند الحكيم الّذي لإ يتناقض كلامه و لا يختلف كتابه.

وَ مَا يَذُّكُّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبابِ مَدحٌ للرّاسخين بإلقاء الذّهن وحُسن التأمّل و يجوز أن يكون (يقولون) حالاً من الرّاسخين إنتهي ما أردنا ذكره من كلامه وأنت ترىٰ أنّه أخذ بالقول الأوّل لقوله و الأوّل هو الوجه و هو ظاهر.

و قال البيضاوي في تفسيره في المقام ماهذا لفظه: إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْم أي الّذين تُبَتوا و تمكّنوا فيه، و من وقف على، إلاّ الله، فسّر المُتشابه بما إستأثر الله بعلمه كمدّة بقاء الدّنيا و وقت قيام السّاعة و خواص الأعداد كعدد الزّبانية أو بما دَّل القاطع على أنّ ظاهره غير مرادٍ ولَم يدّل على ما هو المراد يَقُولُونَ الْمَنَّا بِهِ إستئناف موضح لحال الرّاسخين أو حال منهم أو خبر أن جعلته مبتدأ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَيِّنا أي كلّ من المُتشابه و المحكم من عنده وَ مًا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ مدحٌ للرّاسخين بجودة الذّهن و حسن النّظر و إشارة الى ما إستعدّوا به للإهتداء الىٰ تأويله و هو مجرّد العقل عن غواشى الحسّ إنتهي.

أقول و هذا الكلام منه أيضاً صريح في المدّعي و هو أنّ الرّاسخين معطوف علم: الله.

و قال الألوسى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويِلَةً إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرّالسِخُونَ فِي ٱلْعِلْم في موضع الحال من ضمير، يتَّبعون بإعتبار العلَّة الأخيرة أي يتَّبعون المتشَّابه لابتغاء تأويله و الحال أنّ التّأويل المطابق للواقع كما يشعر به التّعبير بالعلم و جزء ٣ الإضافة مخصوص به سبحانه و بمن و فقه عزّ شأنه من عباده الرّاسخين في العلم أي الَّذين ثبَّتوا و تمكَّنوا فيه ولم يتزَّلزلوا في مزَّال الأقدام و مداحض الأفهام دونهم حيث أنّهم بمعزلٍ عن تلك الرّتبة هذا ما يقتضيه الظّاهر في تفسير الرّاسخين الي أن قال: يَقُولُونَ أَمَثّا بِهِ إستئناف مُوضح لحال الرّاسخين ولهذا فصل والنّحاة يقدرون له مبتدأ دائماً أي هُم يقولون و يجوز أن يكون

حالاً من الرّاسخين و الضّمير المجرور راجع الى المُتشابه إنتهى موضع الحاجة من كلامه و هو أيضاً صريح في المُدّعى.

و قال في تفسير المنار: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ قال بعض السّلف أنّ قوله: وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ كلامٌ مستأنف و بعضهم أنّه معطوف على لفظ الجلالة قال الأستاذ الإمام (مراد الشّيخ محمّد عبده) إستبدل الذين قالوا بالوقف عند لفظ الجلالة ويكون ما بعده إستئنافاً بأدّلةٍ: منها أنّ الله تعالىٰ ذمّ الذين يتبعون تأويله.

منها يَقُولُونَ أَمَنًّا بِهِ كُلَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا فأنَ ظاهر الآية التسليم المحض لله تعالىٰ و من عرف الشُّئ و فهمه لا يعبّر عنه بما يدّل على التّسليم المَحض و هذا رأي كثير من الصّحابة كأَبي بن كعب و عائشة و ذهب إبن عبّاس و جمهور من الصّحابة الى القول النَّاني وكان إبن عبّاس يقول، أنا من الرّاسخين في العلم أنا أعلم تأويله و قالوا في إستدلال أولئك أنّ اللّه تعالىٰ أنّما ذمّ الّذين يتبعون التأويل بذهابهم فيه الى ما يخالف المحكمات يبتغون بـذلك الفـتنة، و الرّاسخون في العلم ليسواكذلك فأنهم أهل اليقين الثّابت الّذي لا زلزال فيه و لا إضطراب فهؤلاء يُفيض اللُّه تعالىٰ عليهم فهم المتشابه بما يتَّفق مع المحكم وامًا دلالة أمَنًّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنًا على التّسليم المحض فهو لا ينافي العلم فأنَّهم أنَّما سلموا بالمتّشابه في ظاهره أو بالنّسبة اليٰ غيرهم لعلمهم باتّفاقه مَع المحكم فهُم لرسوخهم في العِلم و وقوفهم على حقّ اليقين لا يضطربون و لا يتزعزعُون بل يؤمنون بهذا و بذاك علىٰ حدٍّ سواء لأنَّ كلًّا منهما من عند اللَّه ربّنا و لا غرو فالجاهل في إضطراب دائم والرّاسخ في ثبات لازم و من إطَّلَع على ينبوع الحقيقة لا تشتبه عليه المجاري فهو يعرف الحقّ بذاته ويرجع كلّ قولِ إليه قائلاً أمنًا به كلّ من عند ربّنا إنتهيٰ.

نياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 جي. نمياء

ما أردنا نقله و هو أيضاً صريح في المُدّعىٰ والأقوال في الآية كثيرة مختلفة بحيث لا يمكن لأحد إستقصاؤها ولسنا بصدده أيضاً و أنّما المقصود من نقل هؤلاء الأعلام من العامّة أنّ كثيراً منهم بل أكثرهم ذَهبوا الى أنّ الواو للعطف أي عطف الرّاسخين على إسم الجلالة لا للإبتداء والإستئناف كما قاله القُرطبي و أمثاله و عليه فالمعنى أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه بأذن الله تعالى وإفاضة إيّاهم.

و أمّا المراد بالتّأويل في الآية فمنهم من قال أنّ المراد به الإنطباق أعني به ما يؤُول إليه الشّئ و ينطبق عليه لا بمعنىٰ ما يفسّر به وإستّدلوا علىٰ مدّعاهم بقوله تعالىٰ: يَوْمَ يَأْتِي تَأُوبِلُهُ يَقُولُ اللّذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بقوله تعالىٰ: يَوْمَ يَأْتِي تَأُوبِلُهُ يَقُولُ اللّذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بقوله تعالىٰ: هذا لماذا كان القرأن منه محكم و مُتشابه لأنّ المُتشابه بهذا المعنىٰ من مقاصد الدّين فلا يلتبس له سبب لأنّه جاء علىٰ أصله.

ومنهم من قال أنّ المراد به التفسير لأنّ التّأويل هو التفسير و أصله في اللّغة المرجع والمصير في قولك الأمر الى كذا إذا صار إليه و أوَّلته تأويلاً إذا صيّرته إليه هذا معنى التّأويل في اللّغة ثمّ يسمّىٰ التفسير تأويلاً قال تعالىٰ: سَأُنتِئكُ بِتَأُويلِ، هَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٢) و قال تعالىٰ: وَ أَحْسَنُ تَأُويلا و ذلك أنّه إخبار عمّا يرجع إليه اللّفظ من المعنىٰ قاله الفخر الرّازي في تفسيره ثمّ قال.

إعلم أنّ المراد منه أنّهم يطلبون التّأويل الّذي ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان مثل طلبهم أنّ السّاعة متى تقوم و أنّ مقادير الثّواب والعقاب لكلّ مطيع وعاصٍ كم تكون قال القاضي هؤلاء، الزّائغون قد إبتغوا المتشابه من محمد:

أحدهما: أن يحملوه على غير الحقّ و هو المراد من قوله إبتغاء الفِتنة.

الثّاني: أن يحكموا بحكم في الموضع الّذي لا دليل فيه و هو المراد من قوله **ٱبْتِغَا**ءَ تَأُويلِه إنتهيٰ.

موضع الحاجة من كلامه و أنت ترىٰ أنّ كلامه هذا قريبٌ من تشكيكاته التي إشتهر بها و ذلك لأنّ التّأويل وأن كان في الأصل بمعنى المرجع والمصير إلاّ أنّ قوله مثل طلبهم أنّ السّاعة متىٰ تقوم وأنّ مقادير الثّواب و العقاب لكلّ مطيع وعاص كم تكون، ليس من المُتشابه بشيّ و هو ظاهر و ذلك لوجود الفرق بين ما لا يعلم معناه إلاّ الله مثل قيام السّاعة، و ما لا يكون العلم به مخصوصاً كالمتشابه ألا ترىٰ أنّهم قالوا فيه أنّ المتشابه ما كان إثبات المعنى فيه اللّفظ الدّال عليه و نفيه عنه متساويان فقد تشابه فيه النّفي والإثبات أو ما ذكل فيه اللّفظ على شيّ والعقل على خلافه فتشابهت الدّلالة كالإستواء على العرش وكون عيسى روح اللّه وكلمته، و أينَ هذا ممّا ذكره الرّازي من العلم بقيام السّاعة الّتي قال اللّه تعالىٰ فيها يَسْئَلُكَ ٱلنّاسُ عَنِ ٱلسّاعَة قُلْ إِنَّما عِلْمُهَا عِلْمُهَا

أتى بكلمة (أنّما) الدّالة على إنحصار العلم بها باللّه تعالى وهكذا التّواب و العقاب و امثال ذلك فأنّ أمثال هذا لا يعدّ من المُتشابهات ولم يقل أحد أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون كلّ ما يعلمه اللّه بل نقول يعلمون تأويل المتشابه من الألفاظ وحيث أنّ الرّازي كان أجل شأناً من أن يكون جاهلاً بمعنى المتشابه و وجود الفرق بين الموردين قلنا إنّه شَكك في المقام كما هو دأبه هذا ما قالوه في المراد بالتّأويل.

و الحقّ أنّ التّأويل في الأصل بمعنىٰ المرجع والمصير كما ذكره الرّازي إلاّ أنّ المراد منه في الكلم يرجعون أنّ المراد أنّ الرّاسخين في العلم يرجعون المتشابهات الى المحكمات الّتي هي الأصل في الكتاب لقوله تعالىٰ: هُنَّ أُمُّ

ٱلْكِتَابِ والأَمّ الأصل ومن المعلوم أنّ كلّ شيّ يرجع الى أصله ففهيه إيماءً الى أنّ المتشابه كلام الله كالمحكم و لا فرق بينهما من هذه الجهة إلاّ أنّ المحكمات هي الأُصول والمُتشابهات بمنزلة الفروع المتولّدة عن الأُصول كما هو الشّأن في كلّ فرع بالنّسبة الى أصله فالرّاسخون في العلم يرجعونها الى المُحكمات و بذلك يُخرجونها عن التّشابه.

إن قلت لم كان في القرأن متشابه لا يعلمه إلاّ الله والرّاسخون في العلم، ولِمَ لم يكن كلّه مُحكماً يستوي في فهمه جميع النّاس و هو قد نزّل هادياً و المُتشابه يحول دون الهداية بما يُوقع اللّبس في العقائد و يفتح باب الفِتنة لأهل التّأويل و قد ذكر الرّازي هذا السّؤال في كتابه مُفصّلاً بحيث فتح فيه باب الشّبهة لمن كان في قلبه زيغ و هو بنفسه منهم ثمّ ذكر وجوهاً في الجواب عن السّؤال لم نَر في نقلها فائدة لبطلانها وكونها مخالفاً للعقل والنّقل أن شئت الإطّلاع على كلامه مفصّلاً فعليك بكتابه الّذي سمّاه تفسيراً و لقد أجاد صاحب المنار في هذا المقام حيث قال بعد نقله الأجوبة بتمامها ما هذا لفظه:

أنّه لم يأت بشئ نيّر ولم يحسن بيان ما قاله العُلماء وأسخف هذه الوجوه وأشدّها تشّوها الثّاني و لا أدري كيف أجاز له عقله أن يقول أنّ القرأن جاء بالمُتشابهات ليستميل أهل المذاهب الى النّظر فيه و أنّ هذا طريق الى الحقّ.

قال في المنار أين كانت هذه المذاهب عند نزوله و من إهتدى من أهلها بهذه الطّريقة و يقرب من هذا ما قاله في بيان السّبب الأقوى من دعوة العوام برء الى المُتشابه أوّلاً الى أخر ما قال.

ونحن نقول الحقّ في الجواب أنّ هذا السّؤال ساقط من أصله بحيث لا يليق بأن يجاب عنه لأنّه لا يختّص بالقرأن بل هو موجود في جميع الكتب المدوّنة لأنّك لا تجد كتاباً يستوي في فهمه جميع النّاس، وهذا واضح لا خفاء فيه فهو مثل أن يقال لِم لَم يخلق اللّه تعالىٰ جميع النّاس علماء بل جعل بعضهم من

ے۔ باء الفرقان فی تفسیر القرآن کے کہکے المجلد الٹاا العلماء وبعضهم من الجهّال فلو جَعَل الله تعالى العلم في الجميع لم يحتج الجاهل الي العالم لوجود العلم فيه على الفرض.

أو يقال لم لم يجعل الله جميع الخلق أغنياء حتى لا يحتاج الفقير الى الغنِّي ولمَ لَم يَجعل اللَّه تعالىٰ كلُّهم أقوياء حتَّىٰ لا يوجد ضعيفٌ أصلاً ولِمَ ولِمَ.

والجواب عن الكلِّ هو أنَّ نظام العالم إقتضيٰ ذلك أي التَّفاوت بين النَّاس من حيث العلم والجهل والغنئ والفقر وهكذا و قد ثبت أنّ في نظام الكُلّ كلُّ منتظم، ثمَّ أنَّه لو كان الأمركما ذكره هذا السَّائل لما يحتاج النَّاس اليِّ العُلماء الرّاسخين، فكيف يُعرف فضلهم و قدرهم فَجَعل المُتشابه في الكتاب لمصلحة رأها وأعَظمها تمسك النّاس بالعترة بعد النّبي لفهم الكتاب وما فيه لثَّلا يقولُوا حَسبنا كتاب اللَّه كما سيأتي تفصيل الكلام فيه ومن هذه المصالح إختبار النَّاس و ابتلاؤهم بالمُتشابهات ليميز الخَبيث من الطَّيب والَّذي في قلبه مرض من غيره و امثال ذلك من المصالح التّي لا يعلمها إلاَّ هُو ومحصل الكلام فيه و في أمثاله هو أنَّ اللَّه لا يُسأل عمَّا يفعل و هم يسألون.

قال بعض المحقِّقين أنَّ اللَّه أنزَّل المتشابه في كتابه ليمتحن قلوبنا في التّصديق به فأنّه لو كان كلّ ما ورد في الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحدٍ من الأذكياء ولا من البُلداء لماكان في الإيمان شئٍ من معنىٰ الخضُوع لأمر الله والتّسليم لرسله إنتهيٰ.

إن قلت لِم قال اللَّه تعالىٰ وَ ٱلرَّالْسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ولَم يقل والرَّاسخون في ﴿جزء٣ۗۗ

فالجواب أنّ العلم أعمّ و أشمل من الدّين فمِن رحمته تعالىٰ أن جعل في الدّين مجالاً لبحث العقل بما أوَدع فيه من المتشابه فهو يبحث أوّلاً في تمييز المتشابه عن غيره و ذلك البحث في الأدّلة الكونيّة و البراهين العقلية و طرق



الخطاب و وجوه الدّلالة ليصل الى فهمه و يهتدي الىٰ تأويله و هذا الوجه لا يأتي إلاّ علىٰ قول من عطف (والرّاسخون) علىٰ لفظ الجلالة هذا ما ذكروه حول الآية و لنرجع الى ما نحن بصدد ذكره فى المقام فنقول:

إعلم أنّ الآية الشّريفة قد دلّت على وجود المتشابهات في الكتاب كالمُحكمات وهذا ممّا لاكلام فيه لقوله: مِنْهُ أياتٌ مُحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُمُتَشَابِهاتٌ و قد مرّ تفسير المُحكم والمُتشابه وأيضاً دلّت على أنّ المحكمات هي الأصول لقوله: هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ و أنّه لا يعلم تأويل المتشابهات إلاّ الله تعالى: و ٱلرّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ و هُم الّذين خصّهم الله تعالى بإفاضة العلم على قلوبهم لاستعدادهم وقابليتهم وهذا أيضاً ممّا لاكلام في، بناءً على عطف الرّاسخين على إسم الجلالة كما هو الحق الحقيق بالمقام و أنّما الكلام في أنّ الرّاسخين، مَن هُم، لأنّ هذا هو الأصل في الآية الشّريفة بل نقول لم ينزل الآية إلاّ لأجل إفادة هذا المعنى وأنّ الوظيفة بعد النّبي في فهم المتشابهات من الكتاب للنّاس ما هي.

قال الطبري في تفسيره، يعني بالرّاسخين في العلم العلماء الّذين قد أتقنوا علمهم و وعوه فحفظوه حفظاً لا يُدخلهم في معرفتهم و علمهم بما علموه شك ولا لبس، وأصل ذلك من رسوخ الشّئ في الشّئ و هو ثبوته يقال رسخ الإيمان في قلب فلان فهو يرسخ رسوخاً و قد رُوي في نعتهم خبر عن النّبي عَلَيْمِولَهُ و هو:

ما حدّثنا موسى بن سَهل الرّملي قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله قال: حدّثنا فياض بن محمّد الرّقي قال: حدّثنا عبد الله بن يزيد بن أدم عن أبي الدّرداء وأبي إمامة قالا سئل رسول الله عَلَيْ الله مَن الرّاسخ في العلم قال عَلَيْ الله عَن من برّت يمينه و صدق لسانه وإستقام قلبه وعَف بطنه فذلك الرّاسخ في العلم.

، الفرقان في تفسير القرآن كربج المجلد التا

ثمّ نقل حديثاً أخر بأسناده عنهما قالا أنّ رسول الله سئل عن الرّاسخين في العلم فقال عَلَيْظِيُّ: من بَرّت يمينه و صدق لسانه و إستقام قلبه وعفّ بطنه و فرجه فذلك الرّاسخ في العلم إنتهي.

ثمّ قال الطّبري و قد قال جماعة من أهل التّأويل أنّما سمّىٰ اللّه عزّ وجلّ هؤلاء القوم الرّاسخين في العلم بقولهم، أمنًا به كلّ من عند ربّنا ونقل في تأييد هذا القول ما يدّل عليه عن مجاهد و إبن عبّاس و ابن جريح وغيرهم.

أقول وقد نقل القُرطبي في تفسيره والسيوطي في الدر المنثُور مثل ذلك و منهم من قال أنّ إبن عبّاس كان من الرّاسخين في هذه الآية قال بعض المُفسّرين منهم وممّا يحتّج به من قال (الرّاسخون في العلم يعلمون التّأويل) ما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن إبن عبّاس أنّ النّبي عَيَيْ دعاله وقال اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل.

فقد دعا له بعلم التّأويل مطلقاً وإبن عبّاس فسر القرأن كلّه.

قال مجاهد عرضت المصحف على إبن عبّاس من أوّله الى أخره أقفه عند كلّ أيةٍ وأسأله عنها وكان يقول أنا من الرّاسخين في العلم الّذين يعلمون تأويله و أيضاً فالنقول متواترة عن إبن عبّاس أنّه تكّلم في جميع معاني القرأن و أيضاً فقد قال إبن مسعود ما من أيةٍ في كتاب اللّه إلا و أنا أعلم فيماذا أنزّلت قاله في تفسير المنار.

أقول و بهذه المقالة قال كثير من مفسّري العامّة فزعموا أنَّ عبد اللّه بـن عبّاس و إبن مسعود و أمثالهما من الرّاسخين في العلم.

و أمّا الشّيعة فلا تقول بها و اتّفقت علىٰ أنّ الرّاسخين في العلم منحصرة في الأئمّة المعصومين أوّلهم علّي بن أبي طالب الّذي هو باب مدينة علم الرّسول لقوله عَلَيْ أنا مدينة العلم وعلّي بابها، و أخرهم حجّة بن الحسن العسكرى (عج) الّذي يَملأ الله الأرض به قسطاً وعدلاً بَعد ما مُلئت ظُلماً وجَوراً.

و أمّا عبد اللّه بن عبّاس فهو من أصحاب أمير المؤمنين و تلاميذه كما أقرَّ بذلك غير مرّةٍ و هو الّذي يقول على رؤوس الأشهاد ما كان علمي في جنب علم علّي علي الله الله علي عليه إلاّ كالقطرة في جنب البحر و لا أظن أنّه أي إبن عبّاس كان راضياً بما يقولون أعداء علّي في حقّه و امّا ما نقلوه عن رسول اللّه عَلَيْوَالله أنّه قال فيه اللّهم فقهه في الدّين و علّمه التّأويل، فعلى فرض صحّة الحديث لا يشت المدّعي لأنّ المعنى علّمه التّأويل بحسب إستعداده وفهمه في يشت المدّعي لأنّ المعنى علّمه التّأويل بحسب إستعداده وفهمه في الإكتساب والتّحصيل و هذا هو موجود في كلّ فردٍ من العُلماء بحسب مراتب علمهم و اذا كان إبن عبّاس هكذا حاله فما ظنّك بإبن مسعود الّذي لا يعدّ من العُلماء في الصّدر الأوّل واقعاً وأنّما هو أحد القرّاء والحقّ أنّ إبن عبّاس لا يقاس به أمثال إبن مسعود و زيد بن ثابت و أبي الدّرداء و أمثالهم.

و أمّا الأحاديث الّتي رووها عن رسول اللّه عَلَيْوا حين سُئل من الرّاسخ في العلم فقال من برّت يَمينه و صدق لسانه الخ فهي على فرض صحتها لا تصلح لما نحن بصدده و ذلك لأنّ البحث في الرّاسخين في العلم و هُم الّذين رسخ العلم فيهم و ثبت، و امّا صدق اللّسان ويرّ اليمين وإستقامة القلب و عفّة البّطن و الفرج فلا رابط لها بالعلم والعالم الرّاسخ فيه العلم و ذلك لأنّ ما ذكروه في الحديث فهو من أوصاف الرّهاد والعبّاد المؤمنين و أن لم يكونوا راسخين في العلم وأيّة ملازمة بين الرّسوخ في العلم و عفّة البطن و الفرج وصدق اللّسان و أمثالها.

نعم قد يجمع العلم مع هذه الأوصاف لكن لا ملازمة بينهما من الطّرفين و أنا لا أظنّ أنّ رسول الله عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ عَلَيْ الله الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلْهُ الله عَلَيْ الله عَلْمَا عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ الله عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ المَا عَلَيْ

و أمّا قول الطّبري نقلاً عن جماعةٍ من أهل التّأويل، أنّما سمّي اللّه عزّ وجل هؤلاء القوم الرّاسخين في العلم بقولهم: أمّنًا يِم كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وتأييده بما

رواه عن مجاهد و إبن عبّاس فهو بعيد عن الصّواب غاية البعد لأنّ القول المذكور أعني به أمنًا بِه كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا قول جميع المسلمين والمؤمنين و بالجملة كلّ من أمن باللّه و برسُوله و باليوم الأخر يقول بهذه المقالة فلايختص التّقول بها بالرّاسخين إذ ليس لأحد من المسلمين عالمهم وجاهلهم أنّ الكتاب المنزّل على رسولل الإسلام أعني به القرأن من عند ربّه وفيه المحكم و المتشابه، و هذا المعنى لا يخفى على المسلم الجاهل فكيف خفى على الطّبرى و أمثاله اللّهم إلاّ أن يقال:

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة ولكنّ عين السّخط تبدي المساويا

و أمّا نقل المجاهد عن إبن عبّاس أنّه قال أنا من الرّاسخين في العلم الّذين يعلمون تأويله، فكذبه أظهر من أن يَخفىٰ علىٰ أحَدٍ وكيف يمكن القبول منه على فرض صحّة النّقل هذا الإدّعاء الّذي ينادي بأعلىٰ صوته بكذب المُدّعي له فلا يخلو هذا النّقل إمّا أنّ الرّاوي كذب في نقله أو المرّوي عنه أو كلاهما والوجه فيه هو أنّ علم إبن عبّاس و أمثاله كسبّيّ تحصّيلى أخذوه من أفواه الرّجال على قدر إستعدادهم و العلم بتأويل المُتشابهات بل كلّ المعضلات من الكتاب و السّنة لابد من أن يكون حضورياً لدنّياً افاضياً من مبدأ الفياض من غير واسطة بين الخالق والمخلوق و هو لا يوجد إلاّ للنّبي أو الوَّصي وأيّن إبن عبّاس من هذا المقام و هو أحد من علماء الإسلام في الصّدر الأوّل وكم له من نظيرٍ و بعد اللّتيا والّتي المراد بالرّاسخين في الآية الشّريفة ليس إلاّ النّبي والأوصياء بعده و دُونه خرط القتاد ولنُشر الىٰ بعض ما وَرد في الباب تكميلاً للبحث:

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة:

آَيْنَ الَّذِيِنَ زَعَمُوا اَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا اَنْ رَفَعَنَااللهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعْطَىٰ الْهُدَىٰ وَيُسْتَجْلَى الْعَمَىٰ اِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لاَ تَصْلُحُ عَلَىٰ سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ (١).

### و قال عَلْطُلْإِ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِى الْعِلْمِ هُمُ الَّذَيِنَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحامِ السَّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونْ الْغُيُوبِ الْرِقْرارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُو تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللّهُ اعْتِرْافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَن تَنْاوُلِ مَالَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ،وَّ سَمَّى تَرْكَهُمُ الْتَعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ،وَّ سَمَّى تَرْكَهُمُ الْتَعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكِيطُوا بِهِ عِلْماً ،وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ الْتَعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَن كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَالِكَ وَ لا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٢) إنتهى .

روى الكليني بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه الله عليه قال: نحن: اَلرّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْم و نحن نعلم تأويلة.

و بأسناده عن أبي الصّباح الكناني قال: قال أبو عبد اللّه عليَّلِا نحن قومٌ فرض اللّه عزَّ وجلّ طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال و نحن: ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْم.

روى سليم بن القيس الهلالي عن أمير المؤمنين التيلا في حديث له مع معاوية قال التيلا يا معاوية القرأن حق ونور و هدى وشفاء للمؤمنين الذين أمنوا والذين لا يُؤمنون في أذانهم وقر و هو عليهم عمى يا معاوية أن الله عز وجل لم يدع صنفا من أصناف الضلالة والدّعاة الى النار إلارد عليهم و احتج في القرأن و نهى عن إتباعهم و أنزل فيهم قرأنا ناطقا عليهم علمه من علمه و جَهلَه من جَهله و أنزل فيهم قرأنا ناطقا عليهم علمه من القرأن أية إلا و لها ظهر و بطن و لا منه حرف إلا وله حدّ ولكل حدّ مطلع ظهر القرأن و



تأويله وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويِلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱلرّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ وأَمَرَ اللّه عزّ وجلّ الأُمّة أن يقولوا، أَمنًا به كلّ من عند ربّنا، وأن يسلّموا لنا و أن يردّوا علمه إلينا و قال اللّه عزّ وجلّ ولو ردُّوه الى الرّسول و الى أولى الأمر منهم لعلمه الّذين يَستنبطونه منهم و يطلبونه إنتهى. علي بن إبراهيم بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول القرأن زاجرٌ و آمِرٌ يأمر بالجنّة و يزجر عن النّار و فيه محكمٌ و متشابه فأمّا المحكم فيعمل به و يؤمن به ويعتبر به و امّا المُتشابه فيُؤمن به ولا يُعمل به و هو قوله فأمّا الذين في قلوبهم زيغ الى قوله كلّ من عند ربّنا قال عليه أل محمّدٍ و آلرّاسِخُونَ فِي ربيغ الى قوله كلّ من عند ربّنا قال عليه ألم محمّدٍ و آلرّاسِخُونَ فِي

و عن أبي جعفر الباقر ٧قال: أنّ رسول اللّه عَيَّا اللّه أفضل الرّاسخين في العلم فقد علم جميع ما أنزل اللّه عليه من التّنزيل والتّأويل وما كان اللّه ليُنزل عليه شيئاً لم يعلّمه التّأويل و أوصياءه من بعده يعلمونه كلّه قال قلت جُعلت فداك أنّ أبا الخطّاب يقول فيكم قولاً عظيماً قال عليه المسلل عظيماً قال عليه أن قال عليه أن علم الحلال والحرام والقرأن قال عليه أنّ علم الحلال والحرام والقرأن يسديرٌ في اللّيل والنّهار.

و بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه يقول: أنّ القرأن محكم و متشابه فأمّا المُحكم فتُؤمن به و تَعمل به و تدين و امّا المُتشابه فتؤمن به و لا تعمل به و هو قول الله عزّ وجلّ و امّا الّذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه الى قوله: كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ الرّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْم هُم أل محمّدٍ عليهم السّلام.

و عن بريدة قَال: قَلتُ لأبي جعفر عليَّا إِنَّا الله: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ اللَّهُ وَ مَا يَعْلَمُ تَأُويلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ قال عليَّا إِيعني تأويل القرأن كلّه إلاّ

الله والرّاسخون في العلم فرسول الله أفضل الرّاسخين قد عَلّمه الله جميع ما أنزّل عليه من التّنزيل والتّأويل و ما كان اللّه منزلاً عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله و أوصياءه من بعده يعلمونه كلّه فقال، الّذين لا يعلمون ما نقول إذا لم نعلم فأجابهم الله، يقولون أمنّا به كلّ من عند ربّنا، و القرأن له خاص و عامّ و ناسخ و مَنسُوخ و مُحكم و مُتشابه و الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْم يعلمونه.

و عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر التَّا إذ و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْم نحن نعلمه.

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه قال: نحن الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فنحن نعلم تأويله، وهذه الأحاديث نقلناها عن تفسير البرهان(١).

أقول والأخبار في الباب كثيرة أعرضنا عن ذكرها مخافة الإطناب والخروج عن موضوع الكتاب والسِّر فيما ذكرناه من تفسير الرّاسخين بهم هو أنّ القرآن لا ينطق كما:

روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه الله عليه الله عليه الكن محمد و أهل ينطق عليكُم بالحق، قال عليه أنّ الكتاب لا ينطق و لكن محمد و أهل بيته هم النّاطِقون بالكتاب (٢).



و عن الضّحاك عن أبي عبّاس قال: أعطي علّي إبن أبي طالب تِسعة أعشار العِلم وأنّه لأعلمهُم بالعشر الباقي.

يَحيىٰ بن مُعين بأسناده عن عطاء بن أبي رياح أنّه سئل هل تعلم أحداً بعد رسول الله أعلَم من علّي عليه قال لا والله ما أعلمه.

روي الخطيب في الأربعين قال عُمر بن الخطّاب العِلم ستّة أسداس لِعلّي من ذلك خَمسة أسداسٍ وللنّاس سُدس ولقد شاركنا في الدُس حتّىٰ لَهُوَ أَعلَمُ به منّا إنتهىٰ.

ولِنعم ما قيل:

كان مستودع آيات الشور

وعــلَّيُ خــازن الوحــي الَّــذي

و قال إبن حمّاد:

ومسا هسو دقُ فسي الشَّسرائسع أو جسلّ

فَسَمِي مُسَجِّلِي فَسَى الصَّحَائف كَسَلَّهَا

فسل أهلها و أسمع تلاوة من يتلو

لعــــطَّلت الأحكـــام والفـــرض والنـــقل

فهذه شهادة العّامة في حقّه التَّلاِ وما يثبت فيه ثبت في الأثمة بعده وعن فضائل البكري قال الشّعبي ما أُحدٌ أعلم بكتاب اللّه بعد نبّي اللّه من علّي إبن أبي طالب.

و عن تاريخ البلاذري وحلية الأولياء، قال علّيٌ والله ما نزلت أية إلاّ و قد علمت فيما نَزّلت و أينَ نَزّلت، أبليلٍ نَزّلت أم بنهارٍ في سهلٍ أو جبلٍ أنّ ربّي وَهَب لى قلباً عقولاً و لساناً سئولاً. رَبَّنَا لَا تُزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْــوَهَّابُ (٨) رَبَّــنٰآ إِنَّكَ جامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْم لارَيْبَ فيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لا يُخْلِفُ أَلْمِيعًادَ (٩)

# √ اللّغة

لَا تُزِغْ: بضّم التّاء مضارع من أزَاغَ يُزيغ، والإزاغة، فساد القلب والمَيل عن الدّين.

هَبْ: فعل أمرٍ من، وَهَب يَهب، أي أعِطِ وجُد لَنا.

لَا يُخْلِفُ ٱلْميعَادَ:الخُلف بضّم الخاء مصدر و قيل جمع الخَلِيف وهو عدم إنجاز الوَعد و هو في المستقبل كالكذب في الماضي، والميعاد بكسر الميم مِفعال من الوَعد وأصله مِوعاد، ومثله الميزان من الوَزن.

# ⊳ الإعراب

مِنْ لَدُنْكَ لدن مبنّية علىٰ السّكون وهي مضافة لأنّ علّة بناءها مـوجودة بعد الإضافة والحكم يتبع العلَّة وهي أنَّ، لدن، بمعنى، عِند، الملاصقة للشَّيُّ وفيها لغات هذه أحدايها، والأخرىٰ فيها سكون النَّون. الثَّالثة، ضمَّ اللَّم و سكون الدَّال و الرَّابعة لدَىَّ، و الخامسة، لَدا بفتح اللاّم و ضمَّ الدَّال من غير جزء٣ ۗ نونٍ، و السّادسة، فتح اللّام و إسكان الدّال و لا شيّ بعد الدّال جامِعُ ٱلنَّاسِ الإضافة غير مَحضة لأنّه مستقبل والتقدّير جامع النّاس لعرض يوم أو حساب يوم و قيل اللَّام بمعنىٰ، في، أي في يوم لَارَيْبَ من موضع جرٍ صفة ليومٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْميعادَ يجوز أن يكون مُستأنفاً وليس مُحكيّاً عمّن تقدّم الميعاد نصب على المفعول و قد مرّ الكلام فيه.

# ، الفرقان في تفسير القرآن كريجكم العب

#### ⊳ التّفسير

# رَبُّنَا لَا تُزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

قيل في الكلام حذف تقديره، يقولون، وهذا حكاية عن الرّاسخين، و قيل الخطاب للرّسول، أي قل يا محمد قاله القُرطبي و قال الطّبرسي فَيْنُ هذه حكاية عن قول الرّاسخين في العلم الّذين ذكرهم اللّه في الآية الأولى ثمّ ذكر في تأويله وجوها أحدها أن معناه لا تمنعنا لطفك الّذي معه تستقيم القلوب عن الإيمان بعد إذ وفقتنا بألطافك حتى اهتدينا اليه و هذا دعاء للتنبيت على الهداية والإمداد بالألطاف والتوفيقات وساق الكلام الى أن قال فكأنهم قالوا لا تحل بَيننا وبين نُفوسنا بَمنعك التّوفيق والألطاف فنضيع و نضّل و أنّما يُمنع ذلك بسبب ما يكتبه العبد من المعصية و يفرط فيه من التّوبة كما قال: فَلقًا ذلك بسبب ما يكتبه العبد من المعصية و يفرط فيه من التّوبة كما قال: فَلقًا

ثانيها: أنّ معناه لاتكلّفنا من الشدائد مايصعب علينا فعله و تركه الخ ما قال. ثالثها: ما نقله عن الجبائي أنّ المراد لا تزغ قُلوبنا من ثوابك ورحمتك الخ. وابعها: أنّ الآية محمولة على الدّعاء بأن لا تزيغ القُلوب عن اليقين والإيمان الخ.

و قال الفيض مَنْ فِي الصّافي: رَبَّنا لا تُزعْ قُلُوبَنا عن نهج الحقّ الى إتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه و أنّما أضيف الزّيع الى الله لأنّه مسبّبٌ عن إمتحانه و خذلانه، و قال صاحب الكشاف أي لا تبتلنا ببلايا تزيع فيها قلوبنا، و به قال البيضاوي و غيره من مفسّري العّامة، والّذي يختلج بالبال في تفسير كلامه تعالى هو أنّه لا يختص بالرّاسخين ليكون مَقوّلاً لقولهم فقط بل هو دعاء ينبغي لكل مؤمون مسلم أن يدعُو به ويطلب من اللّه تعالى التّوفيق و دوام اللَّطف لأن بقاء الإيمان كحدوثه بسبب توفيقه، قال بعض المفسّرين من العّامة، إن قلت أفكانوا يخافون و قد هُدوا أن ينقلهم اللّه الى الفساد.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗲 🕏 🕏

فالجواب أن يكونوا سألوا اذ هداهم الله أن لا يبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال فيعجّزوا عنه أقول والحقّ في الجواب أن يقال أنّ الهداية مِن الله تعالىٰ كما تحتاج في حدوثها الىٰ توفيقه وعنايته كذلك في بقاءها تحتاج الىٰ توفيق الله تعالىٰ للعبد لأنّ الممكن الباقي محتاج الىٰ المؤثّر في بقاءه كما في حُدوثه والإيمان كذلك، قيل أنّ الآية حُجّة علىٰ المُعتزّلة في قولهم أنّ الله لا يضل العباد، إذ لو لم تكن الإزاغة من قبله لما جاز أن يدعى في دفع ما لا يجوز عليه فعله، أقول والتحقيق أنّ الإزاغة ليست بمعنىٰ الإضلال بل هي بمعنى سلب التّوفيق الذي هو سبب للإضلال والفرق واضح.

# وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ

الرَّحمة رقّة تقتضي الإحسان الى المرحوم تُستعمل تارةً في الرّقة المجّردة وتارةً في الإحسان المجّرد عن الرَّقة نحو رحم اللّه فلاتاً و اذا وُصف به الباري فليس يراد به إلاّ الإحسان المجّرد دُون الرّقة وعلى هذا روي أنّ الرّحمة من الله إنعام وإفضال و من الآدميّين رقّة و تعطّف و عليه فإذا قيل وهب لنا من لدنك رحمة معناه إعط لنا من عندك إحسان أنّك أنتَ المُحسن وفيه إشارة الى أنّ الإحسان منه تعالى على أساس التَّفضُل لا الوُجوب أي أنّه تعالى يرحم العبد تفضّلاً وكرامةً منه.

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمِ لَارَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْميعادَ أَي أَنَّكَ تحيي و تبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه و هو يوم القيامة وفي قوله أنّ الله لا يُخلف الميعاد إشارة الى أنّ يوم القيامة هو اليوم الموعود:

قال الله تعالى: إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ وَ مَاۤ أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١).

قال الله تعالى: هذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ(٢)

قال الله تعالى: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَواْقِعُ (١). قال الله تعالى: ثُمَّ خِآءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢) و أمثالها كثيرة.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمسيح المجلد الثالث

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُـهُمْ وَ لآ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَ أُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ (١٠)كَدَأَبِ اللِّ فِـرْعَوْنَ وَ ٱلَّـذينَ مِـنْ قَـبْلِهمْ كَذَّبُوا بِايْاتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّـٰهُ بِـذُنُوبِهِمْ وَ ٱللُّـٰهُ شَديدُ ٱلْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إلىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٢)

# > اللّغة

وَقُودُ ٱلنَّارِ:الوَقُود بفتح الواو ما تُوقد به النَّار مثل الحطب.

كُدَ أَبِ: الدُّ أَبِ بسكون الهَمزة و قد تفتح ، العادة والشأن و أصلَه من دَ أَبِ في العَمل إذا جدٌّ و تعب.

آلمِهادُ: بكسر الميم الفِراش.

# ⊳ الإعراب

مِنَ ٱللَّهِ في موضع نَصب لأنَّ التّقدير من عذابِ اللَّه شَيئنًّا في موضع المصدر و يجوز أن يكون مفعولاً به على المعنىٰ كَدَأْبِ الكاف في موضّع نصب نَعتاً لمصدرِ محذوف أي كفروا كفراً كعادة آل فرعون ،والَّذين من قبلهم في موضع جرّ عطفاً علىٰ آل فرعون و قيل الكاف في موضع رفع خبر إبتداء محذوف تقديره دَأبهم في ذلك مثل دَأبِ آل فرعون، شديد العقاب، تقديره شديد جزء ٢ عقابه فالإضافة غير مَحضة بِئْسَ ٱلْمِهادُ أي جهنّم فحذف المخصّوص بالذّم.

# ∕> التّفسير

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا الكُّفر في اللّغة ستر الشّيْ و هو بحسب موارد الإستعمال علىٰ أقسامٍ ذكرناها في أوائل البقرة ومنها الكُفر في الَّدين و هو المراد في

لقرآن

المقام و هو يقال على من جحد الوحدّانية أو النّبوة أو الشّريعة أو جَميعها وأنّما قلنا هو المراد لأنّ اللّه تعالى بعد هذه الآية كَدأب آل فرعون والّذين من قبلهم الآية و من المعلوم أنّ فرعون وآله كانوا كافرين بالمعنى الّذي ذكرناه فكذا المُشّبه. لَنْ تُغْنِى عَنْهُمْ أَمُوالَّهُمْ وَ لا آوُلاٰدُهُمْ أتى بكلمة، لَن، الّتي لنفى الأبد إشعاراً بأن عدم الغنى ثابت لهم أبداً.

# وَ أُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ.

والموقود بفتح الواو إسم للحطب و هو الذّي توقد به النّار، ذكر بعض المفسّرين أنّ المراد بالكفّار الّذين لَن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، وَفد نجران قالوا أنّ أبا حارثة بن عَلقمة قال لأخيه أنّي لأعلم أنّه رسول اللّه حَقّاً ولكنّني أظهرت ذلك أخذ ملوك الرّوم منّي ما أعطوني من المال والجاه فنزلت الآية وقيل أنّ اللّفظ عام وخصوص السّبب لا يمنع عموم اللّفظ وهو الحقّ، ثمّ أنّ تخصيص الأموال والأولاد بالذّكر في الآية لأنّ الإنسان عند الخطوب والنّوائب في الدّنيا يفزع اليهما و يدفع النّوائب بهما أقرب الأمور اليه في دفع النّوائب ولذلك قد يظن أنّ الأخرة كالدّنيا من هذه الجهة فقال اللّه تعالى أنّ الأمر ليس كما ظنّنت وأنّ صفة ذلك اليوم مخالفة لِصفة الدّنيا فإذا كان أقرب الطّرق الى دفع المضّار و هو المال والوَلَد لا ينفع في ذلك اليوم فما عداه بالتعذّر أولى ولأجل ذلك قال تعالىٰ في موضع آخر من الكتاب:

قال الله تعالى: يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَليم (١).

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرادى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَلْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ (٢).

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸

و أنّما قال تعالى: هُمْ وَقُودُ ٱلنّارِ ولَم يَقل هم في النّار ، أولهم النّار و امثال ذلك من التّعابير للإشارة الى أنّ عذاب هؤلاء الكُفّار من أشّد أنواع العذاب إذ لا عذاب أشّد وأزيد من أن تشتعل النّار بهم وفيهم كإشتعالها في الحَطَب اليابس:

قال الله تعالى: وَ أَمَّا اَلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١). قال الله تعالى: فَاتَّقُوا اَلنَّارَ اَلَّتِي وَقُودُهَا اَلنَّاسُ وَ الْحِجْارَةُ (٢). قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلَيِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا اَلنَّاسُ وَ اَلْحِجْارَةُ (٣) وغيرها من الأيات

# كَدَأْبِ اللِّ فِرْعَوْنَ وَ ٱلَّذَيِنَ مِنْ قَبْلِهِمْ

أي كعادة آل فرعون في تكذيبهم برسولهم و ما أنزل عليه وهكذا من كان قبل آل فرعون فأنهم أيضاً كانوا كذلك في التّكذيب والإنكار كما قال تعالى: كَذَّبُوا بِالْياتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللّهُ بِذُنُوبِهِمْ أي عاقبهم الله بذنوبهم وسُمّي المعاقبة مُؤاخذة لأنها أخَذَ بالذنب فالأخذ بالذنب عقوبة و ٱللّه شديد المعقبه لأنّ العقاب لا يكون إلا عن غضبه أعاذنا الله منه.

قل يامحمد لِللَّذينَ كَفَرُوا من اليهود و النّصارى والمشركين وغيرهم سَتُغْلَبُونَ في الدّنيا وَ تُحْشَرُونَ اللي جَهَنَّمَ في الأخرة وَ بِئْسَ ٱلْمِهادُ أي أَنّها بئس القرار.

جزء ٣ قال بعض أرباب السِّير لمّا أصاب رسول اللّه عَلَيْقِ قُريشاً ببدر وقدِم المدينة جمع اليهود و قال لهم يا معشر اليّهُود أحذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أنّي نبّي مرسل تجدون ذلك في

٢- البقرة = ٢٤

١- الجنّ = ١٥.

٣- التّحريم = ۶

كتابكم و عهد الله اليكم فقالوا لرسول الله لا يغرنك يامحمد ما نزل لهم فأنك قاتلت أقواماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن النّاس فأنزل الله تعالى قُل لِلّذين كَفَرُوا قال القُرطبي فهذه رواية عكرمة و سعيد بن جبير عن ابن عبّاس و في رواية أبي صالح عنه أنّ اليهود لما فَرحوا بما أصاب المسلمين يوم أخذ نزلت فالمعنى على هذا، سين على مالياء فيها وهي قراءة نافع انتهى.

باء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ المجلد الثالث

قَدْ كَانَ لَكُمْ إِيَّةٌ في فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ في سَبيل ٱللَّهِ وَأَخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىَ ٱلْعَيْنِ وَ ٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَآ ءُ إِنَّ في ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي ٱلْأَبْصَارِ (١٣)

# اللّغة

أَنَةٌ: الأنة العَلامة.

فِئتَيْنُ ٱلْتَقَتَا فِئَةً: الْفِئة بكسر الفاء و فتح الهَمَزة والجماعة المتّظاهرة التّي يرجع بعضهم الى بعضٍ في التّعاضد والإلتقاء والملاقات.

رَأَىَ ٱلْعَيْنِ: الرَّأي مصدر أي رؤية البَصَر.

# ♦ الإعراب

أَيَةٌ إسمكان ولم يؤنث لأنَّ التّأنيث غير حقيقي ولانَّه فصَّل ولأنَّ والدُّليل بمعنىٰ و في الخبر وجهان:.

أحدهما: لكم و في فِئتَيْنْ نعتُ لأية.

الثَّاني: أنَّ الخبر في فِئتَيْنِ ولكم متعلَّق، بكان، ويجوز أن يكون، لكم، في موضع نصب على الحال على أن يكون صفة لأية أي أية كائنة لكم، ٱلْتَقَتْا في موضع جرِّ نعتاً لفئتين ِفئةٌ خبر مبتدأ محذوف أي أحداهما فئة أخْرى نعت جزء ٣ كم لمبتدأ محذوف تقديره و فئةً أخرى مِثْلَيْهِمْ حال و رأي العين، مصدر مؤكّدٍ.

# 🖊 التّفسير

قيل نزلت الآية في قصّة بَدر وكان المسلمون ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلاً علىٰ عدّة أصحاب طالُوت الذّين جاوزوا مَعه النّهر، سبعة و سبعون رجلاً من المُهاجرين و مائتان و ستّة و ثلاثون رجلاً من الأنصار وكان صاحب لواء رسول اللَّه عَيْرِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى بن أبي طالب التَّلْإِ وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة الأنصاري وكانت الإبل في جيش رسول الله سبعين بعير والخَيل فَرسين فَرسٌ للمقداد بن أسَو د و فَرسٌ لمرثد بن أبي مرثد وكان مَعهم من السّلاح ستّة أدرع و ثمانية سيوف و جميع من إستشهد يومئذٍ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين و ثمانية من الأنصار وإختلف في عدّة المشركين فروي عن علّي و ابن مسعود أنَّهم كانوا ألفاً و عن قتادة و عُروة بن زُبير أنَّهم كانوا بين ستِّ مائة و ألف وكانت خَيلهم مائة فَرس و رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حَرب بدرِ أوّل مَشهد شهده رسول الله عَيَّكِ إلله وكان سبب ذلك عير أبي سفيان قَدْكُانَ لَكُمْ أَيُها المسلمون فِي فِتَتَيْنِ أي في جماعتين وطائفتين. ٱلْتَقَتَّا في بَدر فِئَةً تُقَاتِلُ في سَبيل ٱللَّهِ وهي المسلمون وَأُخْرَى أي و فـنةً أُحـرىٰ كَافِرَةٌ باللَّه وبرسُوله وهي المشركين يَرَوْنَهُمْ أي يرونهم المسلمون مِثْلَيْهِمْ أي ضِعفَهم رَأَى ٱلْعَيْنِ أي بظاهر العين قيل معناه، يرى المسلمون المشركين مثلى عدد أنفسهم و ذَلَك لأنَّ اللَّه تعالىٰ قلَّل المشركين في أعين المسلمين حتّى رأوهم ستّ مائة وستّ وعشرين رجلاً تقوّيةً لقلوب المسلمين و قد كانوا ثلاث أمثالهم ثمّ ظهر العدد القليل على العدد الكثير، وقيل أنّ الرّؤية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه و عليه فأنَّ اللَّه تعالىٰ قلِّل المسلمين في أعين المشركين قبل القتال فلمًا أخذوا في القتال كثَّرهم في أعينهم أي كثِّر المسلمين في أعين المشركين و هذا القول أنَّما يصَّح بناءً علىٰ قراءة الياء في يرونهم، و امّا علىٰ قراءة التّاء فالقول، الأوّل و سيأتي الكلام في قصة بَدر مفصّلاً في محلّه و ٱللّه يُؤيّدُ بِنَصْرِه مَنْ يَشاآءُ سواء كانت النَّصرة منه تعالى بالغلبة أم بالحُجّة فأنَّ النَّصر منه تعالى على قسمين: فالنَّصر بالغلبة يحصل بغلبة القليل على الكثيركما في غزوة بَـدر وأنَّـما سمّى به لأنّه علىٰ خلاف مجرى العادة.

و أمّا النّصر بالحُجّة فهو وعده، بالغلّبة لأحدى الطّائفتين وهذا لا يعلمه إلاّ الله إِنَّ في ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصارِ أي أنّ في ظهور المسلمين على المشركين مع أنّهم كانوا أكثر من المسلمين لعبرة لأولي الأبصاركما يقال، فلان بصير بالأُمور، أي له بصيرة كاملة بها:

قال الله تعالىٰ:كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلْبِلَةٍ غَلْبَتْ فِئَةً كَثْبِرَةً بِإِذْنِ ٱلله (١) قال الله تعالىٰ:إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْن (٢)

ضياء الفوقان في تفسير القرآن كمسيح المجلد الثالث

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواٰتِ مِنَ النِّسْآءِ وَ الْبَنينَ وَ الْبَنينَ وَ الْبَنينَ وَ الْفَقْنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفَضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيْدِةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَثَابِ (١٢)

#### ⊳ اللّغة

آلشَّهَواْتِ: بـفتح الشّين و الهاء جـمع شَـهوة و هـي تـوقان النّـفس الى المشتَهى، و هي فعل اللّه تعالىٰ جعلها فينا و لا يمكننا دفعها عن نفُوسنا.

ٱلْقَنْاطيرِ: بفتح القاف جمع قِنطار و هو المال الكثير.

ٱلْمُقَنْطُرَةِ: المحصّلة من قناطير أي مجعولة.

ٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ: يعني الرَاعية في المرُوج و المسارح، يقال سامت الدَّابة و الشّاةِ اذا سرحت تَسوم سَوماً فهي سائمة.

آلْأَنْعَامِ: يقولون نعمٌ واردٌ، و يجمع أنعاماً قال الهَروي يذّكر و يؤنّث و قال الفرّاء لا يؤنّث والأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم و اذا قيل، النّعم، فهو الإبل خاصّة.

وَ ٱلْحَرْثِ: بفتح الحاء إسمّ لكلّ ما يُحرث و هو مصدر تقول حَرث حَرثاً اذا أثار الأرض لمعنىٰ الفلاحة.

ٱلْمَثَابِ: المَرجع آب يَؤُوب إياباً اذا رَجع قال إمرؤ القَيس:

وقد طَوَفتُ في الأفاق حنّى رضيتُ من العَنيمة بالإياب

# ⊳ الإعراب

مِنَ ٱلنِسْآءِ في موضع الحال من الشّهوات وَ ٱلْبنتينَ معطوف علىٰ النّساء وهكذا ٱلْقَناطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ والنّون في القِنطار أصلٌ ووَزنه فِعلان مثل عِملاق

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} \sum_{i=1}^n \\ i \end{bmatrix}_i^n 
ight\} العجلا الثالث$ 

وقيل هي زائدة وإشتقاقه من قطر يقطر اذا جرى مِنَ ٱلذَّهَبِ في موضع الحال من المقنطرة ٱلْخَيْلِ معطوف على النّساء لا على الذّهب والفّضة لأنّها لا تُسمّى قنطاراً وواحد الخيل خائل و هو مشتق من الخيلاء مثل طي و طائر و قال قوم لا واحد له من لفظه بل هو إسمّ للجمع والواحد، فَرَس، ولفظه لفظ المصدر وَ ٱلْحَرْثِ مصدر بمعنى المفعول ذلك مبتدأ مَثاعُ ٱلْحَيْوةِ آلدُّنيا خبره وَ ٱللّهُ مبتدأ والجملة خبره.

# ⊳ التّفسير

زُيِّنَ لِلتَّاسِ حُبُّ الشَّهَواٰتِ زُيِّن، بضّم الزّاء علىٰ بناء الفعل للمفعول إختلفوا في المزّين فقالت فرقة، المُزّين هو الله تعالىٰ و هو قول عُمر علىٰ ما نقل القُرطبي في تفسيره و قالت فِرقة، المزّين هو الشّيطان وبه قال الحسن ثمّ أنّ الرّاغب قسّم الزّينة علىٰ ثلاثةٍ: نفسّية، بدّنية، خارّجية.

فالنّفسية، كالعلم والإعتقادات الحَسنة.

والبَّدنية، كطول القامة والقُوّة.

والخارجية، كالمال والجاه والأولاد، فقوله تعالى: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإَيْمَانَ وَ زَيِّنَهُ فَي قُلُوبِكُمْ (1) فهو من الزّينة النّفسية وقوله المال والبّنُون زينة الحياة الدّنيا الأية، وقوله: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِه في زينتِه (٢) فمن الخارّجية والمقصود أنّه زُيّن للنّاس حبّ الشَّهوات والأميال النّفسانية، أمّا أصل الشَّهوة فلا شكّ لأحدٍ أنّها من فعل الله تعالى لا من فعل العبد و امّا تزيينها فالحق أنّه من وسوسة الشيطان، وقل قائل أن يقول أن كان المال و الأولاد والجاه و أمثالها زينة في الحقيقة فلا معنى لقولكم أنّ تزيينها من وسوسة الشيطان لأنّه من تحصيل الحاصل، و أن لم يكن المال و الأولاد من الزّينة فكيف زيّنها الشّيطان وجعل غير الزّينة زينة.

والجواب: أنّ الزّينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيّ من أحواله لا في الدّنيا و لا في الأخرة فأمّا ما يزينه في حالة دون حالة فهو من وجه شيّن وليس بزينة على الإطلاق اذا عرفت هذا فنقول الزّينة الوّاقعية هي الزّينة النّفسية لا غير و امّا البّدنية والخارّجية فهما خارجان عنها حقيقة لعدم بقاءهما وثباتهما على و تيرة واحدة مضافاً الى زوالها و تفسيرهما عمّا كانا عليه و لأجل ذلك إطلاق الزّينة على المال و الأولاد بالإعتبار العرفي و بحسب الدّنيا في نظر أهل الدّنيا ألا ترى أنّ اللّه تعالى يقول: أَلْمالُ وَ ٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيا (١) أي أنهما بحسب الدّنيا و في نظر أهل الدّنيا كذلك و امّا في الواقع ونفس الأمر فلا ولذلك فقد يُجعل ما ليس بزينة زينة في نظر الرّائي وليس ذلك إلاّ بوسوسة.

قال الله تعالىٰ: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (٢).

بل قد يُجعل القَبيح حَسناً بوَسَوسة في نظر الرّاثي:

قال الله تعالىٰ: زَيَّنَ لِكَثير مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَآ وُّهُمْ (٣).

أي زيَّنه شركاؤهم ومعلوم أنَّ قتل الأولاد بل مطلق القتل قبيح في نفسه مِن ٱلنِّسْآءِ من للتبين والنِّساء والنَّسوان والنَّسوة جمع المرأة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء بين الله تعالىٰ حُبّ الشَّهَوات بقوله: مِنَ ٱلنِّسْآءِ وَ ٱلْبَنْيِنَ الخ ...

و أنّما بدأ بالنّساء قيل لكثرة ميل النّفوس اليهنّ لأنّهن حبائل الشّيطان و فتنة الرّجال بل قيل أنّ النّساء مظاهر الشّهوة و مصاديقها الأكمل روي عن النّبي عَيَّاللهُ أنّه قال ما تركت بعدي فتنة أشّد على الرّجال من النّساء أخرجه البخاري و مسلم، ففتنة النّساء أشّد من جميع الأشياء قال بعض الأذكياء في النّساء، فتنتان، وفي الأولاد فِتنةً واحدة، فأمّا اللّتان في النّساء فأحداهما أن

١ - الكهف = ۴۶

تُؤدّي الىٰ قطع الرِّحم لأنّ المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأُمّهات والأخوات. والثّانية: يبتلي بجمع المال من الحلال والحرام.

و أمّا البنون فأنّ الفتنة فيهم واحدة و هو ما أبتلي بجمع المال لأجلهم وَ ٱلْبَنينَ جمع إبن، معطوف علىٰ النّساء و ذكر البَنين بعد النسّاء إشارة الىٰ أنّه لا شئ بعد النَّساء أعزَّ للإنسان من أولاده و أنَّما قال تعالى البَّنين ولم يقل من النَّساء و الأولاد مثلاً لأنَّ البَّنين أعَزَّ على الأباء من البنات و لذلك قال تعالى ا المال والبنون زينة الحياة الدّنيا الأية، وَ ٱلْقَتْاطيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ بعد النّساء والبنين لا شئ أحَبّ عند الإنسان من ماله قال الله تعالى و أتيتم أحداهن قنطاراً، و هو العقدة الكبيرة من المال و قيل هو إسم للمعيار الّذي يُوزن به كما هو الرّطل والرّبع و يقال لما بلغ ذلك الوزن، هذا قِنطار أي يعدل القنطار والعرب تقول قنطر الرّجل إذا بلغ ماله أن يوزن بالقنطار و قال الزّجاج القنطار مأخوذ من عقد الشَّئ وإحكامه تقول العرب قنطرت الشِّئ إذا حكمته و منه سُمّيت القنطرة لإحكامها والقَنطرة المعهودة فكأنّ القِنطار عقد مال ثمّ إختلفوا في تحرير حدّه كم هو علىٰ أقوالِ فقيل القِنطار ألف أوقية و مائتا أوقية و قيل إثني عشر ألف أوقية و قيل غير ذلك والحقّ أنّه يختلف بإختلاف البلاد في قدر الأوقية، المُقنطَرة فأختلفوا في معناها فقال الطّبري و غيره معناها المضّعفة وكأنّ القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعّ و روي عن الفّراء أنّه قال القناطير جمع القِنطار والمُقنطرة جمع الجمع فيكون تسع قناطير و قيل المقنطرة المضروبة حتّى جزء ٣ حارت دنانير أو دراهم و قيل المقنطرة المكمّلة كما يقال بدرٌ مبدّرة وآلافً مؤلفة قال بعضهم ولهذا سمي البناء القنطرة لتكاثف البناء بعضه على بعض وقال إبن كيسان والفّراء لا تكون المُقنطرة أقّل من تسع قناطير و قيل المُقنطرة إشارة الى حضور المال وكونه عقيداً وفي صحيح البستي عن عبد الله بن عُمر عن رسول الله عَلَيْظُهُ أنّه قال من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين و من قام

بمائة أية كُتب من القانتين و من قام بألف أية كتب من المقنطرين فقل ههذ الوجوه كلّها القُرطبي في تفسيره مِنَ ٱلذَّهَبِ وَ ٱلْفِضَّةِ الذَّهب معلوم يذّكر و يؤنث و قيل الذّهب مؤنّثة و جمعها ذهاب و ذهوب، و الفضّة معروفة و جمعها فضض فالذّهب مأخوذة من الذّهاب والفّضة مأخوذة من انفض الشّئ تقرق، ومنه فضضتُ القوم فأنفضوا أي فرّقتهم فتفرّقوا و هذا الإشتقاق يشعر بزوالهما و عدم ثبوتها كما هو شاهد في الوجود كما قيل:

النار آخر دينار نطقت به والهم آخر هذا الدّرهم الجاري والهم آخر القلم بين الهم والنار والمرء بين الهم والنار

و لا شّك أنّ الإنسان حريص على كسبهما بل قد يقال أنّه عبيد الدّرهم و الدّينار و النّحيْل المُصَوَّمَة قيل الخيل مؤنثة والواحد منها خائل مثل طير و طائر و سُمّي الفرس بذلك لأنّه يختال في مشيه و قال قوم هو إسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرّهط والنّساء والإبل ونحوها والمُسوّمة يعني الرّاعية يقال سومّتها تسويماً فهو مسومة.

وَ ٱلْأَنْعَامِ وَ ٱلْحَرْثِ الأنعام المئواشي من الأبل والبَقر والغَنم و اذا قيل النَّعم فهو الإبل و امّا الحَرث فهو هنا إسمّ لكلّ ما يُحرث وهو مصدر فيقع إسم الحراثة على زرع الحبوب و غيرها من أنواع الفلاحة، قال بعض الأذكياء ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال في هذا المقام كلّ نوع منها يتموّل به صنف من النّاس، أمّا الذّهب والفضّة فيتمول بها التّجار، و امّا النّحيل المسّومة فيتّمول بها الملوك.

و أمّا الأنعام فَيّتمول بها أهل البوادي، و امّا الحرث فيتّمول بها أهل الرّساتيق فتكون فتنة كلّ صنفٍ في النّوع الّذي يتموّل فأمّا النّساء والبنون ففتنته للجميع أي ذلك الّذي ذكرناه من النّساء والبّنين ألخ. مَتَاعُ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيا أي ما يتمتّع به فيها ثمّ يذهب فلا يبقى وهذا منه تزعيد في الدّنيا وترغيب في الأخرة و فيه إيماء الى أنّ الدّنيا وما فيها.

لا دوام لها فلا ينبغي للعاقل أن يعتمد عليها ويركن اليها و لنعم ماقيل:

بلاغك منها مثل زاد المسافر فسما فاته منها فليس بضائرٍ

لئن كنت في الذنيا بصيراً فإنما إذا أبقت الذنيا على المرء دينه و قال الأخر:

فقُل له خير ما إستعملته الحذر ولَم تخف سُوء ما يأتي بـه القَـدر وعند صَفو اللّـبالي يحدث الكّـدِرُ تاه الأعيرج وأستعلى به البطر أحسنت ظنّك بالأيّام إذ حُسنت وسالمتك اللّـيالي فأغتَررت بها

وَ ٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَثَابِ المآب المرجع أي ما عند الله خير من الدّنيا و ما فيها لأنّ الدّنيا فانية زائلة والأخرة الّتي هي المرجع باقية ثابتة ومن المعلوم أنّ الباقي خير من الفاني، ما عندكم سينفد وما عند الله باق ومُحصّل ما يستفاد من الآية هو التّرغيب الى الأخرة.



قُلْ أَوُّنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذينَ ٱتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدينَ فيها وَ أَزْواْجُ مُطَهَّرَةٌ وَ رضْواْنٌ مِنَ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ بَصيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ٱلَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰٱ إِنَّنٰٱ اٰمَنَّا فَاغْفِرْ لَـنا ذُنُّوبَنا وَ قِـنا عَـذابَ ٱلنَّـار (١٤) اَلصَّابِرِينَ وَ ٱلصَّادِقِينَ وَ ٱلْقَانِتِينَ وَ ٱلْمُنْفِقِينَ وَ ٱلْمُسْتَغْفِرينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

#### ا> اللَّغة

أَؤُنَبِتُكُمُّ: الهمزة الأولىٰ إستفّهامية والثّانية جُزء الكلمة مِن نَبَّأ، يُنبَىُّ والنّبْأ

أَزُواجٌ: جمع زَوج.

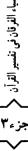
رضُوأنَّ: الرَّضوان الرِّضا الكثير ولَّما كان أعظم الرِّضا رضا اللَّه تـعالىٰ خُصّ لفظ الرّضوان في القرآن بماكان من الله تعالىٰ.

وَ ٱلْقَانِتينَ: جمع قانِت و هو فاعل من قَنَتٌ والقُنُوت لزوم الطّاعة مـع

بِالْاسْحَارِ: جمع سَحَر والسَحَر والسَحَرّة إختلاط ظلام آخر اللّيل بِضياء النّهار.

# ⊳ الإعراب

أَوُّنَبُ كُمْ يقرأ بِتحقيق الهمزتين على الأصل وتقلب الثّانية واواً خالصة لإنضمامها و تليينها و هو جَعلها بين الواو والهمزة بِخَيْر مِنْ ذَٰلِكُمْ مِن في موضع نَصب بخير تقدّيره بما يفضل ذلك لِللّذينَ ٱتَّقَوْا خبرّ المبتدأ الّذي هو، جنّات



و تَجْري صفة لها وعِنْد دَيِهم يجوز أن يكون ظرفاً للإستقرار و أن يكون صفة للجنات في الأصل قدم فأنتصب على الحال و يجوز أن يكون العامل، تجري و مِن تَحْتِها متعلق بتجري و يجوز أن يكون حالاً من آلانهار أي تحري الأنهار كائنة تحتها خلادين فيها حال من الهاء في تحتها أو من الضمير في، إتقوا، والعامل الإستقرار وهي حال مقدرة آذواج معطوف على جنات بالرّفع و امّا على القراءة الأخرى فيكون مبتدأ و خبره محذوف تقديره و لهم أزواج رضوان بكسر الرّاء و ضمّها وهما لُغتان وهو مصدر آلَذين يقُولُون يجوز أن يكون في موضع جرّ صفة، لِلذين إتقوا، أو بدل منه و يجوز أن يكون في موضع نصب على تقدير، أعني، و أن يكون في موضع رفع على إضمار، هُم، الصّابرين وما على تقدير، أعني، و أن يكون في موضع رفع على إضمار، هُم، الصّابرين وما بعده يجوز أن يكون مجروراً و أن يكون منصوباً صفة للذّين إذا جعلته في موضع جرّ و نصب و أن جعلت الذين رفعاً نصبت الصّابرين بأعني.

# ⊳ التّفسير

قُلْ يامحمد أَوُّنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ أَي أُخبركم بخير من ذلكم، ممّا سبق ذكره في الآية المتقدّمة من شهوات الدّنيا ولذّاتها الفانية لِلّذين ٱتَقَوْا بفعل الواجبات و ترك المحرّمات عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَي من تحت أشجارها الأنهار و أنّها ليست كأنهار الدّنيا التي تجري تارة و تنقطع أخرى خالدين فيها أي مقيمين في تلك الجنّات و أزواج مُطَهَّرَة من الأقذار كالحيض والنّفاس بل ومن الأدناس والطّبائع الذّميمة والأخلاق الرّديئة اللّنيمة و رضوان مِن الله وراء الجنّات و اللّه بَصِيرُ بالْعِبادِ أي خبير عليم بأفعالهم و أقوالهم ثمّ وصف المتّقين في قوله: لِلّذين الله بالله على المتقين في قوله: لِلّذين أَتَّقُوا فقال : اللّذين يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنّنَا الْمَنَّا بك وبرسولك و بجميع ما جاء به

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كرمج المجلد الثالث

الرّسول من عندك فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُّوبَنَا أي أستُرها و تجاوز عنها و قِنا أي و أدفع عنا عَذاب آلتّارِيوم القيامة ثم وصفهم الله بصفات أخر و مدحهم فقال الصّابِرين في البأساء والضّراء وحين البأس وأن شئت قلت و الصّابرين على الطّاعة و عن المَعصية و آلصّادِقين قولاً و عَملاً و آلْقانِتين أي الخاضعين الخاشعين و قيل الدّائمين على الطّاعة والعبادة و آلْمُنْفِقين بأموالهم في سبيل الله من الواجبات والمندوبات و آلْمُسْتَغْفِرين بِالْأَسْخارِ المصلين وقت السّحر و أمثال ذلك من الأقوال و هو معلوم نقل الطّبري في تفسيره عن قتادة أنّه قال الصّادقين قوم صدقت أفسواههم و استقامت قلوبهم و ألسنتهم و صدقوا في السّر والعلانية، والصّابرين، قوم صبروا على طاعة الله و صبروا عن محارمه و القانتون هم المطيعون لِله و امّا المنفقون فهم المؤتون زكوات أموالهم و واضعوها على ما أمرهم اللّه بإنيانها والمُنفقون أموالهم في الوجوه التّي أذن اللّه لهم بإنفاقها فيها.

روي في تفسير البُرهان عن ابن عبّاس أنّه قال: قُلْ أَوُّ نَبِّمُكُمْ بِخَيْرٍ الأيات نَزلت في علّي وحمزة و عُبيدة بن الحارث بن عبد المُطلب قال: وروي الشّيخ بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه الله عليه قال قلت له المستَغفرين بالأسحار فقال عليه إستغفر رسول اللّه في وتره سبعين مرّة و عنه عليه قال من قال في أخر الوتر في السّحر أستغفر الله ربّي و أتُوب اليه سبعين مرّة ودام على ذلك سنة كتبه الله من المُستغفرين بالأسحار.

و في روايةٍ أُخرى وجبت له المغفرة، ابن بابويه بأسناده عن أبي عبد الله قال النيلان من قال في وتره أستغفر الله وأتوب اليه سبعين مرّة و واظب على ذلك حتى تمضي سنة كتبه الله من المستغفرين بالأسحار ووَجَبت المَغفرة له من الله عزّ وجلّ.

العيّاشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله لِللَّهِ! في قول الله فيها وَ أَزْواٰجٌ مُطَهَّرَةٌ قال لِللَّهِ لا تحضن و لا يحدثن.

و عن زرارة قال قال أبو جعفر المَيْلِا من دام على صلاة اللّيل والوَتر وأستغفر الله في كلّ وترسبعين مرّة ثمّ واظب على ذلك سنة كتّب من المُستغفرين بالأسحار.

والأحاديث في الباب كثيرة اللّهم أجعلنا من المُستغفرين بالأسحار.

باء القرقان في تفسير القرآن ﴿ مَنْ اللَّهِ السَّجَلَدُ الثَّاكُ

سَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَ أُولُو الْمَلاَئِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ فَآئِـمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلْـهَ إِلَّا هُــوَ ٱلْـعَزيزُ الْحَكيمُ (١٨)

#### ∕> اللّغة

شَهِدَ: الشّهود والشّهادة الحضور مع المُشاهدة إمّا بالبصر أو بالبصيرة و قد يقال للحضُور مُفرداً.

بِالْقِسْطِ: القِسط هو النّصيب بالعدل كالنّصف والنّصفة والباقي واضح.

#### ♦ الإعراب

شَهِدَ آللَّهُ فعل و فاعل أَنَّهُ أي بأنّه في موضع نصب أوجرَ قَآئِمًا حال من، هو، و العامل فيه معنى الجملة أي يفرد قائماً و قيل هو حال من إسم، الله، أي شهد لنفسه بالوّحدانية.

#### ⊅ التّفسير

شَهِدَ **ٱللّٰهُ أَنَّهُ لآ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ** قال بعض المحققين شهادة الله بوحد انيته هي إيجاد ما يدّل على وحد انيته في العالم وفي نفوسنا قاله الرّاغب في المفردات ثمّ قال:

قال بعض الحكماء أنّ اللّه تعالىٰ لمّا شهد لنفسه كان شهادته أن أنطق كلّ شي كما نطق بالشّهادة له و اللّه على ألْهُ عَلَى و شهادة الملائكة بذلك هو إظهارهم أفعالاً يؤمرون بها و أُولُو الْعِلْمِ وشهادة أولي العلم إطّلاعهم على تلك الحكم و اقرارهم بذلك وهذه الشّهادة تختص بأهل العلم انتهىٰ ما ذكره الرّاغب.

أقول ما ذكره ونقله عن بعض الحكماء لا يرجع الي محصّل بل هو كلام لا طائل تحته و ذلك لأنّ تفسير شهادة الله بوحدّانيته بإيجاد ما يدّل عليها لا يُقبله العقل السّليم فضلاً عن ذوق الحكيم ضرورة أنّ شهادة ما في العالم من الموجودات على وحدّانيته غير شهادته تعالىٰ عليها لنفسه مضافاً الىٰ أنّه قال شَهِدَ ٱللَّهُ ولم يقل شهد المخلُوق وحيث أنَّ الخالق غير المخلوق فشهادته أيضاً غير شهادته و امّا ما نقله عن بعض الحكماء من أنّ شهادته تعالىٰ هي إنطاقه كلّ شئ فلا نفهم معناه والكلام فيه كالكلام فيما قبله اذ لا فرق بين إيجاد ما يدّل على وحدّانيته وإنطاقه الموجودات عليها و هو واضح.

قال الطّبرسي مَثِّئً ، شَهِدَ ٱللّٰهُ أَنَّهُ لآ إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ أخبر بما يقوم مقام الشّهادة على وحدّانيته من عجيب صنيعته وبديع حكمته و قيل معنى شهد اللّه قضي الله عن أبي عبيدة و قال الزّجاج و حقيقّته علم اللّه و بيّن ذلك فأنّ الشّاهد هو العالم الّذي يُبيّن ما عَلِمه و َ ٱلْمَلْآئِكَةُ أي و شهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قُدرته وَ أُولُو ٱلْعِلْمِأي و شهد أُولوا العلم بما ثبت عندهم وتبَّين من صنعه الذّي لا يقدر عليه غيره.

و قال بعض المفسّرين من العانّة أنّ الشّهادة في الآية عبارة عن الأخبار المقرون بالعلم وهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حقّ الله والملائكة و أولوا العلم و يمكن أن تجعل الشّهادة عبارة عن الإظهار والبيان أمّا منه تعالىٰ فلأنّه خلق ما يدّل علىٰ ذلك و امّا الملائكة و ألُوا العلم فقد أظهروا ذلك و جزء ٣ ل بيّنوه بعض المعاصرين في تفسيره أن المراد بالشّهادة شهادة القول دون شهادة الفعل و أن كانت في حقّه أيضاً صحيحة إلاّ أنّ المراد هـنا الأوّل و قـال الفيض مَثِّئُ في الصّافي، شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو، بَيّن وحدّانيته لقوم بظهوره في كلِّ شيِّ و تَعرِّفُه ذَّاته في كلِّ نورٍ و فَيْ و لقوم بنصب الدَّلائل الدَّالةُ عليها و لقوم بإنزّالً الأيات النّاطقة بها وَ ٱلْمَلآئِكَةُ بالإقرار ذاتاً لقوم وفعلاً و قولاً لقوم

وَ أُولُو ٱلْعِلْمِ بالإيمان والعَيان والبيان شَبَّه الظُّهور والإظهار في الإنكشاف و الكشف بشهادة الشَّاهد قُآئِمًا بِالْقِسْطِ مُقيماً بالعَدل انتهىٰ.

أقول توضيح الآية وكشف القناع منها يستدّعي التّكلم فيها إجمالاً فنقول أنّ الطّرق الى معرفة اللّه تعالى وأن كانت كثيرة بل بعدد أنفاس الخلائق كما ورد في الحديث لكن أشرفها و أحصرها و أوثقها طريقة الحُكماء الإلهيين الّذين يستشهدون به تعالى لا بغيره و بعبارة أخرى يستدّلون على ذاته بذاته وهي بحسب إصطلاحهم تُسمّى بطريقة الصّديقين و أساسها على الوجُود و الموجود من حيث هو موجود ولابأس بالإشارة الى سائر الطّرق أيضاً، قالوا الطّرق التي اصطلحوا عليها في الوصول الى مقام المعرفة خَمسة.

أحدها: ما أشرنا اليها.

ثانيها: طريقة الطَّبيعين من الحكماء.

ثالثها: طريقة المُتّكلمين.

رابعها وخامسها: طريقة الحُكماء و أنّما إنحصروها في خمسة لأنّ العوالم خمسة، عالم ألوّهية وأن شئت قلت عالم الرّبوبي، و عالم العقول، وعالم النّفوس الكّلية و عالم الأجسام، و عالم الأعراض، فالإستدلال على الذّات بالذّات طريقة الصدّيقين، والإستدلال على الذّات بوجود العقل، والإستدلال على عليه بوجود النّفس، طريقة الحكماء، و الإستدلال عليه بوجود الجسم من طريق الحركة في، طريقة الطبيعين، والإستدلال عليه من جهة الحُدوث طريقة المتكلّمين.

أمّا من طريق العقل فحاصله أنّه لا شكّ في وجود العقل ولا شّك أيضاً في أنّ ذاته مجرّدة عن المّواد وعلائقها فهو أي وجوده التجرّدي دلّ على وجود مبدع واحد مجرّد عن الممكنات على الإطلاق وكذا علمه يدّل على مفيض العقل و واهب النّور والحياة و وحدته دلّت على الفرد لأحد الصّمد لأنّ الكثير

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿

لا يفعل الفرد الواحد بل الفرد هو الذي يفعل الكثير قال الله تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَكَيْ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) والواجب هو الفرد لأحد لكونه مُبدا الأزواج و إعتبر بالأعداد إذ كلّ عدد قليله وكثيره فهو فعل الواحد ومعلوله وحيث أنّ العقل مُممكن وكلّ ممكن زوج ترّكيبي له ماهيّته و وجود فالعقل زوج وليس بفرد وكلّ زوج فهو معلول مخلوق للفرد فالعقل معلول مخلوق للفرد و الفرد المطلق هو الواجب و هو المطلوب هذه خلاصة الإستدلال من وجود العقل عليه تعالى.

أمّا طريق النّفس فلاّنها أي النّفس نور من أنوار اللّه تعالىٰ الفائض علىٰ الهيكل البشري وهي أيضاً جوهر حيِّ قائم بذاته عالم مريدٌ سميعٌ بصيرٌ قادرٌ الله أنّها ليست بقديم بل هي من المُمكنات الحادثة فتحتاج الى مؤثّر قديم حيً قيومٍ عالمٍ قادرٍ مريدٍ سميع بصيرٍ علىٰ وجهٍ أعلى و ألطّف و لأنّ النّفس في مبدء الفطرة خالية عن العلوم وهي عقل بالقوة ثمّ تصير عقلاً بالفعل فَلها مُعلّمٌ مكملٌ آخر إذ الشّيُ لا يستكمل عن ذاته بذاته فهو أي مُعلّمها و مُكمّلها جوهرٌ كامل عقلي كما قال تعالىٰ: عَلّمهُ شَديدُ ٱلْقُوٰى (٢) و وجود الجوهر الكامل العقلي دليل علىٰ وجود المبدء الأوّل كما علمت فطريق الإستدلال بالنّفس علىٰ وجوده تعالىٰ علىٰ طريق ما ذكرناه في العقل إلاّ أنّ لكلٌ من المَنهَجَين علىٰ المُخلوب من دليل النّفس.

أمّا طريق الجسم وهو الذي نُسب الى الحُكماء الطّبعين فخلاصة الكلام فيه أنّ الأجسام مشتركة في الجسّمية متماثلة في الجسم بالمعنى الذي هو مادّة أي مأخوذ بشرط أن لا يعتبر معه غيره وإن لم تكن متماثلة في الجسم بالمعنى الذي هو جنس أي مأخوذ لا بشرط شئ مَعه وجوداً أو عَدَماً فالجسم بالمعنى

الأوّل لكونه متّحد النّوع في الجميع لا يتميّز إلاّ بأُمور زائدة علىٰ ذاته خارجة عنها كالمقادير و الهيّئات و الكمّالات و الصُّور، فعلّة هذه المقارنات اللاّحقة أن كانت هي الجسّمية المُشتركة يلزم إتّفاق الكلّ فيها ضرورة أنّ المعلول لا يُفارق العلّة والعلّة مشتركة فيكون معلولها مُشتركاً فلا فرق بين الأجرام فلا مُشاركة أيضاً ومن المعلوم ثبُوت الفرق والمُشاركة فلا محالة علّة هذه المخصّصات شئ غير الجسميّة وغير الجسم بما هو جسم و هو الواجب تعالى المطلوب.

أمًا طريق المتكلمين هو الإستدلال بِالحَدوث على الواجب وأن شئت قلت الإستدلال عليه تعالى بأحوال الجسم وعوارضه و حاصله أنّ العالم حادث لأنه متغيّرٌ وكلّ حادثٍ محتاج الي غيره لحدوثه فأن كان الغير حـادثاً يَـلزم التّسلسل وأن كان واجباً فهو المطلوب و بعبارةٍ اخرى العالم حادث حادثٍ مسبوق بالعدم فمن أخرجه من العدم اليٰ الوجود فأن كـان المـخرج حـادثاً يتسلسل و أنكان واجباً فهو المطلوب فهذه الأقسام الأربعة ذكرناها في المقام علىٰ سبيل الإجمال توضيحاً للمقال و أن كانت خارجة عن البحث فعلاً، و الَّذي عليه مدار البحث هو القسم الأوّل من الطّرق الخمسة الّذي أشرنا اليه في أوّل البحث و قلنا أنّه طريقة الصدّيقين و الآن نتكلّم فيه على سبيل الإجمال أيضاً قالوا أنَّ أساس البحث في هذه الطُّريقة علىٰ الوجود والموجود من حيث هو موجود كما أشرنا اليه في صَدر البحث و امّا الطّرق الأربعة الأخرىٰ الّتي أومأنا اليها فليست كذلك بل يُستشهد فيها على معرفة الذَّات بغير الذَّات فالطُّريقة الحقّة الإلْهَية بل التألّهية أن يقال الموجود من حيث هو موجود أن كان واجباً فهو المطلوب و إلاّ استلزمه و ذلك لأنّ الموجود مـن حـيث هـو موجود هو الوجود الحقيقي الَّذي هـو حـيثيّة طـرد العـدم و الإبـاء عـنه، لا المفهوم العام البديّهي الّذي يصدّق عليه و علىٰ غيره من حيث المَـفهُوم و

المراد بالوجود الحقيقي هو الّذي يترتّب عليه الأثر و هو معنون هذا المفهوم و محلِّيّ عنه به و قد ثبت في الحِكمة أصالته و أنّه حقيقة كلّ ذي حقيقة فكما أنّ لمفهومه عُموماً يصدّق علىٰ كلّ الأشياء كذلك لحقيقة سِعةٌ لا يشذّ عن حطيتها شئ و لذلك لا ثاني لها لأنّه صِرف الحقيقة و قـد ثـبت أنّ صـرف الحقيقة لا تكثّر فيها بوجه من الوجود ولذلك لا سبب لها مطلقاً، لا سبب منه، و لا عنه، ولا فيه، ولا به، ولا لَه، لإستلزام وجودها لها الخُلف وكما أنَّ لمفهومه بداهة حتّىٰ قيل أنّ مفهومه من أعرف الأشياء كذلك لحقيقته شدّة نورّية و قوّة ظهور لا اظهر منها و هي الظّاهرة بذاتها المُظهرة لغيرها ولذلك يكون كنهها في غاية الخفاء و الى هذا المعنىٰ أشارَ السبّزواري في منظومته في الحكمة المُتعالية حيث قال:

> وليس بالحّد ولا بالرّسَم وكُنه في غاية الخفاء

معرّف الوجود شرح الإسم مفهومه من أعرف الاشياء

فقوله معرّف الوجود شرح الإسم، إشارة الىٰ أنّه لا يُمكن أن يشرح لغير الإسم ولذلك قال وليسَ، أي ليسَ المُعرّف له، بالحَدّ والرّسم، أمّا أنّه ليس بالحدّ لأنّه بسيط لا فصل له ولا جنس له والتّعريف بالحَدّ لا يكون إلاّ بهما فأن كان التّعريف بهما مُسمّى حدّاً تّاماً مثل الإنسان حيوان ناطق، و أن كان بالفصل فقط مثل أن يقال الإنسان ناطق يُسمّىٰ ناقصاً وأن كان بالعرضى الّذي من الكلّيات الخمس كان يقال الإنسان ماشي مستقيم القامة يُسمّيٰ رسماً ذلك لا جزء ٣ 🗸 يمكن في تعريف الوجود و ذلك لأنّه لا جنس له ولا فصل فلاحدٌ هناك و لا عرضًى له لأنّ مقسم الكلّيات شيئية المهيّة والوجود ليس من سنخ المهّية و لأنّ المُعرف لابدّ أن يكون أظهر و أجلىٰ من المُعرف و لا شيئ أظهر من الوجود إذ ظهور الأشياء به، ثمّ أنّ الوجود الحقيقي الّذي يكون منشأ للآثـار الخارجية لا يخلو حاله من وجهين.

أحدهما: أن يكون الوجود ذاتياً له بمعنىٰ عَدم إمكان سَلبه عنه وأن شئت قلت أنّ الوجود واجبٌ له.

ثانيهما: أن لا يكون كذلك بل يمكن سلب الوجود عنه إذ ليس واجباً له فنسبة الوجود والعدم اليه على السّواء أو نسبته اليهما على حدًّ سواء و عليه فيمكن أن يكون موجوداً و يمكن أن يكون مَعدوماً و لا ثالث في المقام إذ الحصر عقلي دائرٌ بين النّفي والإثبات إذ نقول إمّا أن يكون الوجود واجباً له، أو لا يكون و هذا معنى قولنا أنّ الحصر عقلي والأوّل يُسمّى واجب الوجود و النّاني ممكن الوجود والموجود منحصرٌ في هذين القسمين فرفعهما عنه مستلزم لإرتفاع النقيضين و جمعهما فيه مستلزم لإجتماع النقيضين وكلاهما محال.

ثمّ نقول أن كان الوجود واجباً له فهو المطلوب إذ لا نعني بالواجب إلا هذا و أن لم يكن واجباً له فهو ممكن الوجود و كلّ ممكن محتاج في وجوده الى غيره لأنّ المفروض إستواء الوجود و العدم بالنّسبة اليه فترجح أحدهما على الآخر محتاج الى مُرجّح أن كان ممكناً ننقل الكلام اليه و هكذا و يتسلسّل و التسلسّل باطل فلا محالة ينتهي الأمر الى مرجح غير ممكنٍ و هو ليس إلا الواجب المطلوب.

وهذا معنى قولنا أن كان واجباً فهو المطلوب وإلا أي أن لم يكن واجباً إستلزمه أي إستلزم الواجب كما عَرفت دفعاً للدّور والتسلسل فثبت و تحقّق أنّ الوجود الحقيقي هو الواجب الوجود بالذّات والواجب بالذّات واجب الوجود من جميع الجّهات و هو المطلوب فذاته تبارك وتعالىٰ تدّل علىٰ ذاته أي وجوده و يدّل علىٰ وجوبه والوجود والوجوب عين ذاته و هذا البُرهان من أحسن البراهين و أتقنها بخلاف الطّرق الأربعة المذكورة فأنّ الإستدلال فيها من وجود المعلول علىٰ وجود العّلة و وجود المعلول و أن كان دّالاً علىٰ من وجود المعلول علىٰ وجود العّلة و وجود المعلول و أن كان دّالاً علىٰ

وجود العلَّة إلاَّ أنَّه أي المعلوم يستدعى علَّة مَّا و بعبارةٍ أخرىٰ كـلّ مـعلول يستدعى علَّةً و امَّا أنَّ العلَّة واجب الوجود أو ليس بواجب فهو يحتاج اليٰ دليل آخر غير إستدعاء المعلول و لهذا قلنا أنّ برهان الصّديقين أتقَن و أخصَر و لفصيل الكلام في هذا الباب مقام آخر إذا عرفت هذا فأعلم أنّ قوله تعالىٰ: شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي مفاده شهادة اللَّه تعالىٰ علىٰ وحدّانيته من قبيل الإستدلال على ذاته بذاته و هو البرهان الّذي أشرنا اليه إجمالاً و هذا طريق أصيل في معرفة الله لأنّه بمعزلٍ عن الإشكالات التّي أوردوها على ا غيره من البراهين كما هـو مقّرر في مَحلّه والي هـذا البرهان أشـار أمير المؤمنين التِّلَةِ في دعاء الصّباح حيث قال (يامن دَلُّ على ذاته بذاته وتَنزّه عن مجانسة مَخلُوقاته وجلُّ عن ملائمة كيفيّاته و بعد عن ملاحظة العيون و قرب من لحظات الظُّنون وعَلِم بما كان قبل أن يكون و قال السَّبط الشُّـهيد عَلَيْكُمْ الغيرك من الظُّهور ما ليس لك حتَّىٰ يكون هو المُظهر لك مَتىٰ غبت حتَّىٰ تحتاج الىٰ دليل يدّل عليك أو متىٰ بعدت حتّىٰ تكون الأثار هي التّي توصل اليك عميت عين لا ترك و لا تزّال عليها رقيباً و خسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً الىٰ أخر ما قال لِمُلْئِلًا في دعاء العَرفة و قد شـرحـناه مـفصّلاً بالفارّسية <sup>(١)</sup>.

قال الصّدر الشّيرازي في بعض تأليفاته أنّه تعالىٰ أجَّل وأجلىٰ و أنور و أعلىٰ من أن يدّل عليه شئ من مخلوقاته و مصنوعاته فأنّ الذّرات المبثوثة المطموسة تحت أنوار الشّمس في عالم الظّهور والحسّ و أن كانت موجودة لكن كيف يعرف بها وجود الشّمس مع أنّ وجودها و نورها و عَظَمتها و قهرها يبهر أبصار النّاظرين و يغشي أنظار الباصرين فاذا كان النّور في الشّمس المحسوسة هكذا فكيف شمس عظمة جلال الأزل و نور إشراق الجمال الأوّل

فهو أنور من أن ينوره و يدّل عليه شئ من ذرّات وجوده الأفاضي و هيأت جوده الفياضي للعقول البّشرية و البصائر القلّبية التي كالخفافيش بالنّسبة الى قرص الشّمس مع أنّ وجودها و ظهورها و قوامها و دوامها منه وبه و اليه ولّه و كفى باللّه شهيداً على نفس الوجود وذات المعبود فالنظر الى حقيقة الوجود المنبسط على كلّ موجود يُعطي أنّه بكماله وتمامه موجود بلا شوب عدم و يعطي أنّه لا ثاني له في أصل الوجود وكلّ ما فرضه العقل ثانياً فبعد تحديق النظر وجَده عين الأوّل انتهى كلامه.

أنا أقول ما ذكره و ذكرناه صدق وحقّ واليه أشار الله تعالى بقوله: أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١).

قال الله تعالىٰ: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا (٢).

و سيأتي البحث في كلِّ واحدة منها في محلِّه إن شاء اللَّه تعالىٰ.

وأمّا قوله تعالى: وَ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَ أُولُو ٱلْعِلْمِ فهو أيضاً مثل قوله: شَهِدَ ٱللّٰهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِللّٰه هُوَ في كيفية الإستدلال أي أنّ الملائكة و أولوا العلم أيضاً استدلوا بذاته على ذاته ولم يسلكوا طريقاً أخر في معرفته لعلمهم بأنّه أحسن الطّرق و قوله تعالىٰ: قَآئِمًا بِالْقِسْطِ حالٌ من فاعل، شهد، وهو، اللّه، أي أنّه الله تعالىٰ لا إله إلا هو حال كونه قائماً بالقِسط، والدّليل عليه من العقل هو أنّه تعالىٰ أوجد النّظام علىٰ أحسن الوجوه وهو دليل علىٰ عدله لأنّ العَدل عبارة عن وضع الشّيْ في محلّه.

ثانياً: لو لم يكن عادلاً يكون ظالماً لعدم الواسطة بينهما لأنّ الظّلم عبارة عن وضع الشّئ في غير محلّه فنقول أن كان الشّئ في محلّه وفي غير محلّه يلزم

إجتماع النقيضين وأن لم يكن فيهما معاً يلزم إرتفاعهما فالأمر دائر بين أحد الإحتمالين و هو الوضع في محله أو في غير محله فأن كان الأوّل فهو المطلوب وأن كان الثّاني فهو ظالم والظّلم قبيح و قد ثبت أنّه تعالى منّزه عن القبائح فهو منزّه عن الظّلم و اذا لم يكن ظالماً فهو عادل و هو المطلوب.

و أمّا قوله تعالى لآ إِلٰهَ إِلا هُو اَلْعَزِيزُ ٱلْحَكيمُ حيث وصف نفسه بالعزة و الحكمة فهو إشارة الى أمرين أحدهما أنّه عزيز، والثّاني أنّه حكيم، فكونه عزيزاً يدّل على قاهريته وكونه حكيماً على تدبيره التّام الكامل، وقيل شهادة الألى أشهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو وصف وتوحيد، و الثّانية (لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم) رسم وتعليم نقله القُرطبي عن مولانا الصّادق عليّه يعني قوله لآ إِله الله وأله عن مولانا الصّادق عليّه يعني قوله لآ إله أله هو أله فو ألمّة وأله فائك لا تَجد هذا في غير هذا الكتاب واللّه ولّي التّوفيق و هو حسبنا ونعم الوكيل نعم المَولى ونعم النّصير.



إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلامُ وَ مَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أَلْهُ اللهِ ٱلْإِسْلامُ وَ مَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو تُوا ٱلْكِتٰابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكُفُّرْ بِالْياتِ ٱللهِ فَإِنَّ ٱلله سَريعُ ٱلْحِسٰابِ (١٩)

#### ∕ اللّغة

آلدّينَ: بسكون الدّال يقال للطّاعة والجزاء و أستعير للشّريعة والدّين كالملّة لكنّه يقال إعتباراً للطّاعة و الإنقياد للشّريعة.

آلْإِسْلاَمُ: مصدر من أَسَلَم إسلاماً، و هو مأخوذ من السِّلم والسّلامة بمعنى التّعري عن الأفات الظّاهرة والباطنة قال تعالى، بقلبٍ سليم، أي مُتّعرٍ من الدّغل فهذا في الباطن، و قال مسلّمة لاشية فيها، فهذا في الظاهر.

بَغْيًا: الْبَغْى مصدر بَغَىٰ بَغِياً، و معناه طلب تجاوز الإقتصاد فيما يُتَحرى، تَجاوزه أو لَم يتجاوزه فتارةً يعتبر في القدر الّذي هو الكميّة وتارةً يعتبر في الوّصف الّذي هو الكيفيّة يقال بغيت الشّئ اذا طلبت أكثر ما يجب.

#### ⊳ الإعراب

إِنَّ ٱللهِ بِنَ الجمهور على كسرة الهَمزة على الإستئناف و يقرأ بالفتح على أن الجملة مصدر و موضعه جرّ بدلاً من أنّه لا إله إلا هو، أي شهد اللّه بوحدّانيته به إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللّهِ ٱلْإِسْلامُ و قيل هو بَدل من القِسط، و قيل هو في موضع نصب بَدلاً من الموضع والبَدل على الوجوه كلَها بَدل الشّي من الشّي و هو و يجوز بَدل الإشتمال عِنْدَ ٱللهِ ظرف والعامل فيه الدّين وليس بحالٍ منه بعنيًا مفعول من أجله والتقدّير اختلفوا بعد ما جاءهم العلم للبَغي و يجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال و من يكون مبتدأ وخبر و قيل الجملة من الشّرط و الجزاء هي الخبر و قيل الخبر هو الجواب والتقدير سريع الحساب له.

# ⊳ التّفسير

إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلامُ أي أنّ الدّين عنده تعالىٰ مُنحصرٌ في الإسلام بمعنىٰ أنّه لا يقبل غيره كما قال: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلُ مِنْهُ وَ هُوَ فِي ٱلْاخِرَةِ مِنَ ٱلْخُاسِرِينَ (١) ولأنّ تقديم الخبر علىٰ المبتدأ يفيد الحصر كما اذا قلت العالم زيد، بخلاف زيد عالم فأنّه لا يفيد حصر العلم فيه ولأجل هذا لم يقل أنّ الإسلام دينٌ عند الله و قال إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ وَ الْعُلَمُ وَأَكَدُ الكلام بِأَنْ ليكون التّأكيد في الحَصر ثمّ أنّ الدّين يطلق في اللّه علىٰ معان كثيرة.

منها، الملّة و منها المذهب و منها الشّأن و منها العادة و منها الحال و منها القضاء و منها السّيرة و منها التدبير و منها الوّرع و منها الطّاعة و منها الجزاء و منها المكافاة و منها القّهر والغلبة و منها الذّل. و امّا في القرأن فقد جاء الدّين على معان سبعة:

أحدها: التوحيد كما في الآية إنّ الدّين عند الله الإسلام يعني أنّ التّوحيد عند الله الإسلام و في العنكبوت:

قال اللّه تعالى: فَإِذا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ (٢) يعنى التّوحيد.

و قوله تعالىٰ: فَاعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ (٣).

يعني مخلصين له التّوحيد والأيات بهذا المعنىٰ كثيرة.

ثانيها: بمعنىٰ الحُكم ومنه:

قال اللّه تعالى: أَلزَّانِيَةُ وَ ٱلزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واٰحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ في دينِ ٱللهِ (<sup>۴)</sup> أي في حكم اللّه الذّي حَكم به عليهما.

ياء القرقان في تفسير القرآن كريم المجلد النا

٢- العنكبوت=۶۵.٢- النّور=٢.

ثالثها: بمعنى الجزاء ومنه:

قال الله تعالى: وَ اللَّذِيِّ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَى خَطَبِّنَتَى يَوْمَ الدِّينِ (١) أي يوم الجزاء.

قال الله تعالى: وَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ(٢) أي يوم الجزاء.

قال الله تعالى: أَلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٣) أي بيوم الجزاء.

قال الله تعالى: مالكِ يَوْم ألدِّينِ (٢) أي يوم الجزاء وغيرها.

رابعها: بمعنى الطّاعة و منه:

قال الله تعالى: وَ لا يَدبِنُونَ دبِنَ ٱلْحَقِّ (٥) أي ولا يطيعون طاعة الحقّ.

خامسها: بمعنى الحساب و منه:

قال الله تعالى: أَرْبَعَةُ حُرُمُ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ (٤) يعني ذلك الحساب القيّم.

و قال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُوَهِيهِمُ ٱللهُ دَبِنَهُمُ ٱلْحَقَّ (٧) يعني حسابهم الحقّ.

سادسها: بمعنى العادة و منه:

قال الله تعالى: ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخْاهُ في دبِنِ ٱلْمَلِكِ (^) يعني في عادة المَلِك.

سابعها: بمعنى دين الإسلام و منه:

قال اللّه تعالى: هُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مِالْهُدَى وَ دَبِنِ ٱلْحَقِّ (٩). قال اللّه تعالى: وَ ذَلِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ (١٠).

۸- يوسف=۷۶.

١- الشّعراء=٨٢ ٢- الصّافات=٢٠.

٣- المطَّففين = ١١.

٥- التّوبة=٣٩.

٧- النّور=٢٥.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🕏 💘

قال الله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (١).

يعني دين الإسلام بعَينه والدّين بهذا المعنىٰ في القرأن كثير، ثمّ أنّه اذا أطلق فقد يقال علىٰ كلّ مايَتّعبد به الإنسان حقّاً كان أوباطلاً و هو واضح.

و أمّا الإسلام فهو الدُّخول في السّلَم وهو أن يسلم كلّ واحدٍ منهما أن يَناله من ألم صاحبه و هو مصدر، أسلمتُ الشّئ الى فلان اذا أخرجته اليه ومنه السّلم في البيع والإسلام قد يطلق في الشّرع ويراد به معناه الظّاهر و هو بهذا المعنى يتحقّق بالإعتراف والإقرار باللّسان وحده بالشّهادتين حصل معه الإعتقاد أو لم يحصل ومنه:

قوله تعالى: قَالَتِ ٱلْأَعْرِابُ امَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا (٢).

و تارةً يراد به الإيمان و هو الإقرار و الإعتقاد والعمل بل الإستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر ومنه:

قوله تعالى :إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٣).

و منه قوله: آبِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلامُ و قد يجئ بمعنى الإنقياد للحقّ والاذعان:

قال الله تعالى: إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِأَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٢) أي منادون للحقّ.

و قال الله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا (٥).

أي الّذين إنقادوا من الأنبياء الّذين ليسوا من أولي العزم لأُولي العَزم الذّين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشّرائع قال أمير المؤمنين عليُّلًا في خطبةٍ له:

لأنسبنّ الإسلام نِسبةً لَم يَنسبها أحَدُ قبلي الإسلام هو التّسليم، والتّسليم هو اليقين واليقين هو التّصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العَمَل الخ)

٢- الحجرات = ١٤

**۱** - النمل = ۸۱

۱- الكافرون=۶.

٣- البقرة ١٣١=

۵- المائدة = ۴۴

باء الفرقان في تفسير القرآن 🧸 💃

و على ما ذكرناه في معنى الدّين والإسلام فالمراد به في الآية هو الإيمان أن الإستسلام والإنقياد في جميع ما قضى وقدر وهذا هو الدّين المرّضي عند الله و أمّا الإسلام الظّاهري بمعنى الإقرار بالشّهادتين من غير إعتقاد وعَمَل فهو ليس من الدّين المرّضي عنده تعالىٰ فلا يكون مراداً في الآية قطعاً ويدّل على ما ذكرناه.

ما روي عن محمّد بم مسلم عن أبي جعفر الطِّلِا في قوله تعالى: إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلْإِسْلاٰمُ قال الطِّلِاِ: يعنى الدّين فيه الإيمان.

و في أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله على الله على حديث طويل، يقول فيه أنّ الإسلام قبل الإيمان و عليه يتّوارثون و يتّناكحون والإيمان عليه يُثابون انتهى.

و عن عدّة من أصحابنا عن أبي جعفر عليه قال عليه الإسلام لا يشرك الإيمان والإيمان يشرك الإسلام وهما في القول والفعل يشرك الإيمان كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان وقد قال الله عزّ وجلّ قالت الأعراب أمنًا قُل لم تؤمنوا و لكن قُولوا أسَلمنا ولمّا يدخل الإيمان قلوبكم، فقول الله عزّ وجلّ أصدق القول الحديث.

عن تفسير علّي بن إبراهيم بأسناده عن أبي جعفر عليَّ قال: أنّ اللّه فضّل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فَضّل الكعبة على المسجد الحرام بدرجة انتهى.

روى العيّاشي عن محمّد بن مسلم قال: سألته عن قوله تعالى الدّين عند الله الإسلام فقال عليّا إلاّ الذّي فيه الإيمان.

و الأحاديث في الباب كثيرة و امّا العامّة فحيث أنّ الإسلام والإيمان عندهم واحد لا فرق بينهما فقد رَووا في المقام أنّ المراد بالإسلام في الآية هو الاقرار فقط.

روي الطّبري في تفسيره لهذه الآية عن قتادة في قوله تعالى: إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْاِسْلاٰمُ قال والإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والإقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رُسلُه ودَّل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزي إلاّ به انتهىٰ.

وقال البيضاوي أي لا دين مرّضي عند الله سوى الإسلام و هو التوحيد والتدرع بالشّرع الذّي جاء به محمّد عَلَيْ الله وهذه عقيدتهم فأنهم يطلقون المؤمن على كلّ من أقر بالشّهادتين وأن لم يعتقد بقلبه ولم يعمل بوظائفه المقررة في الشّريعة وهذا أمرٌ لا يقبله العقل السّليم والفطرة المُستقيمة لأنّ الإيمان أو الإسلام المرّضي عند الله الذي هو الإيمان لو حصل بمجرّد الإقرار اللّساني من دون إعتقاد و عمل فجميع المسلمين من المؤمنين حقاً فلا فرق بين أبي سفيان الذي أقر بالشّهادتين وبين سلمان و أبى ذر و مقداد ممن أقرّوا بها و إعتقدوا بقلوبهم و عملوا بجوارحهم ولا يقول بهذه المقالة عاقل وسيأتي البحث فيه في المستقبل إن شاء اللّه تعالىٰ، فأنّ كلّ حزبٍ بما لديهم فَرحُون.

وَ مَا آخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ.

قيل المقصود من الذين أُوتوا الكتاب نصارى نجران و قيل المراد بهم اليهود والأحسن حمل اللفظ على معناه العام الشّامل لهما ولغيرهما من أهل الكتاب، وكلمة، ما، في ما إختلف، للنّفي أي لم يكن أو ليس إختلاف أهل الكتاب إلا بعد علمهم بالحقّ بغياً وظلماً بينهم، قيل المراد بإختلافهم إختلافهم في نبوّة محمّد عَلَيْ الله بعد ما جاءهم العلم، بنبوّته في التّوراة و

المرقان في تفسير القرآن ياء القرقان في تفسير القرآن ياء القرقان في تفسير القرآن

نياء الغرقان في تفسير القرآن كرنج العجلد الثا

الإنجيل و ذلك لأنّ الرّسول عَيَّمِ كان مشهوراً بينهم بصفاته الّتي كانت في كتبهم، و قيل المراد بالإختلاف في الأية الموجود بينهم و ذلك لأنّ أمّة موسى وكذلك أمّة عيس بعد نبيّهم صاروا مختلفين مشتّتين، و قيل المراد بالإختلاف فيها إختلافهم بحسب عقائدهم في حقّ عيسى و موسى و على كلّ حالٍ لاشك في وجود الإختلاف بينهم بحسب الآية وأنّ هذا الإختلاف كان بعد ما جاءهم العم لا قبله و لذلك وصف بالبّغي والظلم و فيه إشارة الى قبحه بعد العلم و توضيح ذلك إجمالاً هو أنّ الإختلاف الواقع بين النّاس على قسمين قسمّ منشأه الجهل و قسمٌ منشأه العناد والتّعصب وحبّ الدّنيا و امثال ذلك من الدّواعي.

أمّا القسم الأوّل: فرفعه برفع الجهل و هو سَهلً.

أمّا القسم الثّاني: فرفعه برفع العناد والتّعصب و أمثالهما من الدّواعي الفاسدة و هو مشكل جدّاً ثمّ أنّ الآية الشّريفة وأن كانت في اليهود أو النّصارى أو جميع أهل الكتاب قبل الإسلام إلاّ أنّها شاملة بل صادقة على المسلمين أيضاً فأنّهم أيضاً إختلفوا بعد نبّيهم وإفترقوا على أكثر من سبعين فرقة على ما أخبر به النبّي عَلَيْ في الحديث المشهور بين الفريقين حيث قال:

ستفترق أُمتّي على ثلاثة وسبعين فرقة واحدة منهافي الجنة و سائرهم في النّار و على نقل بعض العّامة تفرّقت بنو إسرائيل على إحدى و سبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النّار و لتزيدن عليهم هذه الأمّة واحدة، واحدة في الجنة وسائرهم في النّار و كيف كان فالحديث مشهور مقطوع به وأن كانت ألفاظه مختلفة و قد وقع ما أخبر به عَيَيْنِ أُليسَ هذا الإختلاف من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ألم يقل الله تعالى في كتابه العزيز: و أعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جميعًا و لا تفرّقُوا فَلِمَ تَفرّقُوا أليسَ هذا التّفرق بغياً و ظلماً قال رسول

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left<egin{array}{c} \mathbf{x} \\ \mathbf{y} \end{aligned}$ 

الله عَيَّرِ الله عَيَّرِ إلله إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسّكتُم بهما لَن تَضّلوا أبداً لن يَفتَرقا حتّى يُردا علّي الحَوض

رواه الفريقين بطرق مختلفة فَلِمَ لم يتَمسّكوا بعترته بعد موته عَيَلِيلهُ بل قتلوهم و شردوهم في البلاد وحرموهم عن حقوقهم الأوليّة الّتي لابدٌ لكلّ إنسان في حياته أليسَ هذا بعد علمهم بلزوم مراعاة العترة الّتي جعلت عِدلاً للكتاب العزيز في التّمسك بهما نِعم علموا و لكن زيّنت لهم الدّنيا و زخارفها أو حسدوا على أهل بيت نبّيهم فَفعلوا بهم ما فعلوا و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

قال أمير المؤمنين التَّالِ في الخطبة الّتي خطب بها و هي معروفة بالشّقشقية:

أمّا والله لقد تقَمّصها إبن أبي قحافّة وأنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحيٰ الخ.

فقوله على الإختلاف وأساسه و على المدّعى و هو رأس الإختلاف وأساسه و عليه بني ما وقع من الظّلم على الأمّة و ما يقع الآن و ما سيقع الى اليوم الموعود و معلوم أنّ الظّلم مَنشَأه الإختلاف فلو لم يختلفوا بعد نبيهم لما وقعوا فيما وَقَعوا فيه من الحيرة والصّلالة والحقارة والذّلة و قد قال الله تعالى: وَلا تَهنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ (١).

و مِن أعجب الأمور أنك ترى علماءهم يبحثون في تفاسيرهم في هذه الأية و نظائرها أنّ المراد بها نصارى نجران أو اليّهود أو مُطلق النّصارى و غفلوا عن أنّ المراد بالأية كلّ أمّةٍ اختلفت بعد نبّيها من بعد ماجاءهم العلم سواء فيما ذكرناه اليهود أو النّصارى أو جميع أهل الكتاب ومنهم المسلمون فأنّ

خصوص المورد لا ينافي عموم الآية من حيث المصداق ولم يقل أحدٌ منهم أنّ الآية شاملة لنا أيضاً عجيب.

# وَ مَنْ يَكْفُرْ بِإِياتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ.

قد مرّ الكلام في أقسام الكفر مراراً والمراد به هنا ليس الكفر بمعنى إنكار الدّين بل المراد به كفران النّعمة وذلك لأنّ الإختلاف في الدّين بعد العلم على أساس البغي و الظّلم هو كفران النّعمة أي نعمة العلم أو نعمة الدّين و لذلك قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْياتِ ٱللّهِ أي سترها عن العوام مع علمه بهاكما هو شأن علماء السُّوء في كلّ ملّةٍ وأُمّةٍ فَإِنَّ ٱللّه سَريعُ ٱلْحِسٰابِ فأنَ تعالىٰ حافظً علىٰ كلّ عاملٍ عمله ويحاسبه عليه.



فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِـلّٰهِ وَ مَـنِ ٱتَّبَعَنِوَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُـوا ٱلْكِـتٰابَ وَ ٱلْأُمِّـيِّنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ آهْتَدَوْا وَ إِنْ تَـوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاغُ وَ ٱللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

#### ⊘ اللّغة

فَإِنْ حَآجُّوكَ: المحاجّة أن يطلب كلّ واحدٍ أن يَرّد الأخر عـن حُجّته و مَحَجّتِه.

مَّبُونَ. أَلْأُمُيِّنَ: جمع الأُمِّي و هو المنسوب الىٰ الأُم. تَوَلُّوْا: التَّوْلِي الإعراض عن الشِّئ.

#### ⊳ الإعراب

وَ مَنِ آتَبَعَنِ مَن في موضع رفع عطفاً على التّاء في أسلمتُ أي و أسلَم من إنَّبَعني وجُوههم لِلّه و قيل هو مبتدأ والخبر محذوف و يجوز إثبات الياء على الأصل و حذفها تشبيهاً له برؤوس الأي والقوافي ء أَسْلَمْتُمْ هو في معنى الأمر أي أسلَمُو اكقوله تعالى فهل أنتم مُنتهون، أي إنتَهُوا.

#### ⊳ التّفسير

فَإِنْ حَآجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِى لِلّهِ وَ مَنِ آتَبَعَنِ الخِطاب للنبي عَيَيْ الله وحزم المنه واحد من اليهود و النصارى بأن يطلب كل واحد من أي و أهل الكتاب أن يردك عن حجّتك فقُل له أسلمت وجهي لِله ومن إتبعن، أي و من إتبعن أيضا أسلم لِله و جاز العطف على الضمير المرفوع من غير تأكيد للفصل بينهما و عليه فهو عطف على التّاء في قوله: أَسْلَمْتُ و الأصل في إتبعن، إتبعني، و به قُرأ، نافع و أبو عمرو و يعقوب و أنّما حذفها الأخرون

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريم.

إِتِّبَاعاً للمصحف اذا وقعت فيه بغيرياء، و قيل في قوله تعالىٰ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِللهِ و جهان:

أحدهما: معناه أنقدت لأمر الله في إخلاص التوحيد له والحجّة فيه أنّه ألزمهم على ما أقرّوا من أنّ الله خالقهم و إتّباع أمره في أن لا يعبدوا إلا إيّاه. ثانيهما: أنّ معناه أعرضتُ عن كلّ معبود دون اللّه و أخلصتُ قصدي بالعبادة اليه وذكر الأصل الذّي يلزم جميع المكلّفين الإقرار به ذكرهما الطّبرسي مُثِّنُ في المجمع و قيل معناه أقبلتُ عليه بعبادتي مُخلصاً له مُعرضاً عمّا سواه أنا ومن إتّبَعنى من المؤمنين، قيل يستفاد من الآية أنّ من يقصد الى عمّا سواه أنا ومن إتّبَعنى من المؤمنين، قيل يستفاد من الآية أنّ من يقصد الى

الحجاج بعد تأييد الحقّ لا يقصد في حجاجه إلاّ المجادلة والمشاغبة لمحض العنادشأن المُبطلين و امّا طالب الحقّ فأنّه يبخل بالوقت أن يضيع سدي.

# وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْأُمِّيِّنَ

أي قُل لليهود و النّصارى و مشركي العرب قيل و كانوا ينسبون الى الأمّ لجهلهم فأنّ الجاهل أُمّي، أقول لا يبعد أن يكون الوجه في الإنتساب الى الأمّ كونهم أهل مكّة و مكّة أمّ القُرى و ذلك لأنّ المُشركين الّذين كانوا يُحاجّونه لم يكونوا من أهل المَدينة بل كانوا أهل مكّة ءأَسلَمْتُم كما أسلَمتُ قيل ظاهر اللّفظ، إستفهام و معناه أمر أي أسلموا كما أسلَمتُ الإستفهام للتقريع والمراد بالإسلام روح الدّين الذّي نزل به الكتاب ومقصده يعني أنّه ليس لهم إلا الرّسوم منه فَإِنْ أَسْلَمُوا هذا الإسلام فَقَدِ آهْتَدَوا أي فقد إهتَدوا الى طريق الحق و بقوا على الباطل الذي كانوا عليه الحق و بقوا على الباطل الذي كانوا عليه فَإِنّها عَلَيْكَ ٱلْبَلاغُ و ذلك لأنّ وظيفة الرّسول تبليغ الأحكام فحسب قال اللّه تعالى و ما على الرّسول إلاّ البلاغ، وقال: في آئيها الرّسُول بَلِغ هنا أَنْزِلَ إلَيْك.

وَ ٱللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فهو أعلم بمن طمس قلبه من الإهتداء ومن ليس كذلك بل يرجى له حسن العاقبة بتوفيق من الله تعالىٰ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِأَيٰاتِ ٱللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّنَ بِغَيْر حَقّ وَ يَقْتُلُونَ ٱلَّذينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَدابٍ أَليمِ (٢١) أُولٰتِكَ ٱلَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلَّدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

#### ا> اللّغة

حَبِطَتْ: قد مرّ الكلام في معنىٰ الحَبط وبيّنا أقسامه وقلنا أنّه بمعنىٰ البطلان أي بطلت أعمالهم ولم يؤجروا عليها لأنّ إستحقاق الثّواب مشروط بالموافاة.

#### ∕ الإعراب

فَبَشَّرْهُمْ هو حبر، أنَّ، و دخلت الفاء فيه حيث كانت صلة، الذِّي، فعلاَّمؤ ذنَّ بإستحقاق البشارة بالعذاب جزاءً على الكفر.

#### ∕> التّفسير

في نزول الآية ذكروا وجوهاً:

أحدها: أنّه كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النّبيُّون يدعونهم الى الله عزّ وجلّ فقتلوهم فقدم أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم جزء ٣ ﴾ ففيهم نزّلت هذه الآية و ِرُوي عن ابن مسعود أنّه قال قال النّبي عَلَيْمَاللّٰهُ بـئس القوم قوم يقتلون الذّين يَأمُّرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ بئس القوم قومٌ لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المُنكر، بئس القوم قومٌ يمشى المؤمن بينهم بالتَّقية.

وروي عن أبي عبيدة بن الجرّاح أنّه قال قال النّبي عَلَيْكُ قُتلت بنو إسرائيل ثلاثة و أربعين نبّياً من أوّل النّهار في ساعةٍ واحدة فقام مائة رجل وأثني عشر

رجلاً من عبّاد بني إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المُنكر فقُتلوا جميعاً في أخر النّهار من ذلك اليوم و هم الّذين ذكرهم اللّه في هذه الآية و في روايةٍ أُخرىٰ كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم سبعين نبّياً ثمّ تقُوم سُوق بقلهم من أخر النّهار رواها القُرطبي في تفسيره.

إِنَّ ٱلَّذَيِنَ يَكُفُّرُونَ بِالْياتِ ٱللهِ أَي يَنكُرُونِهَا وَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ كَفُوم بني إسرائيل وَ يَقْتُلُونَ ٱلَّذَيِنَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ أَي يقتلون كَفُوم بني إسرائيل وَ يَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ أَي يقتلون الأمرين بالمَعروف فَبَشِّرْهُمْ بِعَذاٰبٍ ٱليم يوم القيامة أقول في الشريفة ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: قوله إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكُفُّرُونَ بِالْياتِ ٱللَّهِ و هو حكم عام يشمل جميع الأمم وأن كان مورده خاصًا و هو علماء اليهود و النصارى في عصر النّبي عَلَيْنِ حيث أنكروا نبوته وفي الحقيقة أنكروا كتبهم من التوراة و الإنجيل و غيرهما لأنّ أوصاف النّبي كانت موجودة فيها فإنكارها إنكار أياتها و أنّما قلنا بعموم الحكم لأنّ إنكار الأيات لا يختص بهم بل هو موجود في المسلمين أيضاً و لا سيّما في خلفائهم فأنّ كثيراً منهم كانوا من منكري الضّروريات من الدّين و تبعهم فيه غير واحدٍ من أتباعهم وأشياعهم وهو واضح. أمّا المسألة الثّانية: وهي قوله وَ يَقْتُلُونَ ٱلنّبِيّنَ بِغَيْرِ حَقّ فهو مخصوص بالأمم الماضية اذ لا نبّى بعد نبّى الإسلام والسّالبة تنتفى بإنتفاء موضوعه.

امّا النّالثة: فهي نعم جميع الأُمّم فأنّ الّذي يأمر بالقسط و العدل في دولة الجائر الظّالم يقتل لا محالة سواء كان في حكومة فرعون و نمرود و أمثالهما قبل الإسلام أم كان في حكومة معاوية ويزيد وعبد الملك ووو قبلهم وبعدهم و تاريخ الخلفاء في الإسلام يُؤيّد هذا ألا ترىٰ أنّ الحُسين بن علي سلام الله عليهما قام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر فقتل هو و جميع أصحابه و أقرباءه و أولاده في كربلاء وسُبي أهله وأيّ فرقٍ بين قتل الحُسين وقتل رسول

بياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\langle \begin{array}{c} \mathbf{x} \\ \mathbf{y} \end{array} \right
angle$ المج

الله ولذلك قلنا السّالبة منتفية في الإسلام بإنتفاء موضوعه أي أنّهم أي حكّام المسلمين لم يجدوا نبّياً يخالفهم و إلاّ قتلوه كما قتلوا أولاد النّبي و ملاك القتل لم يكن في أولاده إلاّ أنّهم كانوا يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و هذا أمرّ لا خفاء فيه ولا ينكره إلاّ متعصّب عنيد بل نقول قتلهم الإمام المعصوم أمر المؤمنين و بعده الحسين بن علّي في كربلاء بل وجميع الأئمة بالسّيف و السّم و السّمن كان أشد جرماً و أعظم ذنباً من قتل بني إسرائيل أنبياءهم لأنّ الأئمة أفضل من أنبياء بني إسرائيل قطعاً فقوله تعالى فَبَشِر هُمْ يِعَدَابٍ أَلْهِم يشمل الكلّ لعنة الله عليهم أجمعين.

# أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ مَا لَـهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ نَاصِرِينَ

أي هؤلاء الأشرار من الأوّلين والأخرين حبطت و بطلت أعمالهم من الصّوم و الصّلاة والحَجّ و أمثالها ممّا كانوا يفعلونها لإغفال النّاس في الدّنيا والأخرة أمّا في الدّنيا فواضح لأنّهم إستّحقوا بذلك اللّعن والطّرد الى يوم القيامة و امّا في الأخرة فلأنّ شرط الثّواب على العمل الموافاة واذ ليس فليس و لذلك قال تعالى، وما لهم من ناصرين، أي ليس لهم من ينصرهم، لقوله تعالىٰ: مَنْ ذَا الّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلّا فِإِذْنِهِ (١) والمَطرُود من رَحمة الله حاله معلوم.

قال القُرطبي دلّت الآية على أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر كان واجباً في الأمم المتقدّمة وهو فائدة الرّسالة و خلافه النبوّة، والحقّ أنّ الآية لا تدّل على هذا إلا القول بأنّ الآية نزلت فيهم و لا تشمل غيرهم و قلنا أنّ خصوصية المورد على فرض ثبوتها لا تنفي عموم اللّفظ إلاّ بدليلٍ منفصلٍ و أنّى له بإثبات ذلك ولو ثبت فالحكم ثابت به لا بها كما هو المدّعين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّى
فَريقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٣٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلّا أَيُّامًا مَعْدُوداتٍ وَ
غَرَّهُمْ في دينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٢) فَكَيْفَ
إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيهِ وَ وُقِييَتْ كُلُّ
نَفْسِ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٥)

#### اللّغة

نَصِيبًا: النَّصيب بفتح النّون الخطّ المَنصُوب أي المعيّن.

فَرِيقٌ مِنْهُمْ: الفَريقِ الجماعة المُتَّفَرقة عن أخرين.

تَمَسَّنَا: الْمُس كاللَّمس إلا أنّ المَّس يقال فيما يكون مَعه إدراك بحاسة المس لكنّ اللَّمس قد يقال لطلب الشّئ وأن لم يوجد.

وَ غَرَّهُمْ: يقال غررتُ فلاناً أصبتُ غرَّته و نلتُ منه ما أريده و الغرور كلّ ما يغرّ الإنسان من مالٍ و جاهٍ و شهوةٍ و شيطانٍ.

يَفْتَرُونَ: الفتُور سكون بعد مدّةٍ ولينٍ بعد شدّةٍ وضعفٍ بعد قوّةٍ لا يفترون، أي لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة.

وُفِيِّتْ: الواو في الّذي ببلغ التّمام يقال درهم وافٍ وكيل وافٍ و أوفيتُ الكيل والوّزن، و توفية الشّئ بذله وافياً وإستيفاءه تناوله وافياً.

## √ الإعراب

يُدْعَوْنَ في موضع حال من الّذين وَ هُمْ مُعْرِضُونَ في موضع رفع صفة لفريق أو حالاً من الضّمير في الجارّ ذٰلك هو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك الأمر

ذلك فعلى هذا يكون قوله بِأنَّهُمْ قَالُوا في مضوع نصب على الحال ممّا في ذا، من، معنى الإشارة والأحسن أن يكون ذلك مبتدأ، و بِأنَّهُمْ خبره أي ذلك العذاب يستحقّ بقولهم فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ كيف في موضع نصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره كيف يصنعون أوكيف يكونون.

#### ⊳ التّفسير

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ قيل معنىٰ، ألم تَرَ، ألم تعلم يا محمّد إلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا أي عطوا نصيباً أي حظاً من الكتاب و المراد بالكتاب التوراة علىٰ ما قيل و أنّما قال أُوتوا نصيباً من الكتاب، لأنّهم كانوا يعلمون بعض ما فيه و قيل أنّ اليهود دُعيت الىٰ التوراة فأبوا لعلمهم بلزوم الحجّة عليهم بما فيه من الدّلائل علىٰ نبّوة نبّينا و تصدّيقه و قيل دُعوا الىٰ القرأن لأنّ ما فيه موافق لما في التّوراة في أُصول الدّيانة و أركان الشّريعة ثمّ انّهم إختلفوا في الحُكم الّذي دعوا اليه علىٰ أقوال ثلاثة:

أحدها: المراد به نبّوة النّبي عَلَيْهِ اللّهُ.

ثانيها: أن يكون المراد به أمر إبراهيم فأنّ دينه الإسلام.

ثالثها: أن يكون حدًا من الحدود لأنهم نازعُوا في ذلك والكلّ محتمل، و أنّما قال تعالى دعوا، ولم يقل أُمروا، لأنهم لم يكونوا مأمورين و أنّما كانوا مدعوّين الى المحاكمة لتظهر الحجّة فأبوا إلاّ المخالفة، وفي قوله: لِييَحْكُم بَيْنَهُم إشارة الى أنّ بالحكم يفصل الحقّ من الباطل و حيث أنّهم دُعوا الى كتاب الله لِلمُحاجّة أو فيما إختلفوا فيه فلا فاصِل إلاّ الحكم والى هذا المعنى أشار الله بقوله، يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم و امّا قوله: ثُمَّ يَتَوَلّى فريقٌ مِنْهُم و هُم مُعْرِضُونَ فالتولّي عن الشّي هو الإعراض عنه فليس على وجه التّكرار لأنّ معناه يتّولى عن الدّاعي وهو مُعرض عمّا دعا اليه لأنه قدكان

لياء الفرقان في تفسير القرآن كريج المجلد الثال

يمكنه أن يتولئ عنه و هو متأمل لما دعا اليه فلمّا لم يفعل كان العيب له ألزم والذّم على ما فعل أعظم قاله الشّيخ في التّبيان، أقول الحقّ في الجواب عن التّكرار هو أنّ التولّي قد يكون بالجسم و قد يكون بترك الإصغاء والإئتمار، قال اللّه تعالى: وَ لا تَولّوا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (١) أي لا تفعلوا ما فَعِل الموصوفون بقوله، و استغشوا ثيابهم و أصرّوا و إستكبروا إستكباراً، ولا ترتسموا قول من ذكر عنهم: وَ قَالَ الّذينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا (٢) لهذا القرأن وألغُوا فيه.

و أمّا الإعراض فلا يطلق على ترك الإصغاء والإئتمار و عليه فقوله تعالى: 
ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ معناه لم يصغوا الى دعوة النّبي وقوله: وَ هُمْ مُعْرِضُونَ معناه أعرضوا عنه يقال أعرض عنه، أي أظهر عرضه أي ناحيته و اذا قيل أعرض عني فمعناه ولى مبدياً أي مُظهراً عرضه فظهر الفرق بينهما ولو بالإعتبار وبحسب الإستعمال وهذا القدر يكفي في الفرق و أنّه لا تكرار في الأرة.

# ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُوداْتٍ

أي أنّ إعراضهم وتوليهم عن الحق كان سببه أنّهم فألُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنّارُ إِلاّ أَيّامًا مَعْدُوداْتٍ قيل أنّ المراد بها الأيّام التّي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً، وقيل سبعة أيّام وقال الجبائي أنّ المراد بها أيّامُ منقطعة لإنقضاء العذاب فيها و انقطاعه وَ غَرَّهُمْ في دينِهِم ماكانُوا يَفْتَرُونَ الإفتِراء الكذب و المعنىٰ أنّ هذه الأكاذيب غَرَّتهم في دينهم والغُرور الأطماع فيما لا يصّح وهؤلاء كانواكذلك وقيل في الإفتراء قولان:

أحدهما: قوله حكايةً عنهم: نَحْنُ أَبْناءُ ٱللَّهِ وَ أَحِبّآ قُهُ (٣).

١ - الانفال = ٢٠٢

ثانيهما: أنّهم قالوا ما عصينا إلا أيّاماً معدودات فلن تمسّنا النّار أيضاً إلاّ أيّاماً معدودات، ثمّ قال: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ أي جمعنا هؤلاء وغيرهم لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيهِ وهو يوم القيامة وَ وُفِيّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إن خَيراً فخيراً و إن شَراً فشَراً وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ لأنّ الله تعالىٰ لا يظلم علىٰ أحَد كما قال و ما ربّك بظلام للعبيد فلها ما كسبت و عليها ما إكتسبت.

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَلَيْ } العجلد الثالث

قُلِ اَللّٰهُمَّ مَالِكَ اَلْمُلْكِ تُوْتِى اَلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ اَلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ اَلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تُغِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُولِجُ اَلنَّهَارَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهْارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ وَتَوْلِجُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ وَتَوْلِجُ النَّهَارِ وَالْمَيِّتَ وَتُحْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيِّةِ وَتُعْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيْدِ حِسَابِ (٢٧)

#### اللّغة

تَنْزِعُ: نَزع الشَّيِّ جَذَبه من مقّره كنزع القوس عن كبده ويُسنعمل ذلك في الإعراض و منه نَزع العداوة والمحبّة من القلب.

تُولِجُ: مِن أُولَج يُولج و مصدره الإيلاج يقلب الواو ياء و الوُلوج الدّخول في مضيق و باقي اللّغات واضح.

#### ⊳ الإعراب

قُلِ ٱللَّهُمُّ الميم المُشدِّدة عوض من ياء والأصل فيه، يا اللّه أمّنا بخير مالِكَ ٱلْمُلْكِ هو نداء ثان أي يا مالك المُلك تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ هو وما بعده من المعطوفات خبر مبتدأ محذوفٍ أي أنتَ و قيل مستأنف، و قيل الجملة في موضع الحال من المنادي بِيكِدكَ ٱلْخَيْرُ مستأنف و قيل حكم ما قبله من الجُمل ٱلْمُيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ يقرأ الميت بالتخفيف والتشديد بِغيرْ حِسْابٍ يجوز أن يكون حالاً من المفعول المحذوف أي ترزق من تشاءُه غير محاسب و يجوز أن يكون حالاً من ضمير الفاعل أي تشاء غير محاسب له أو غير مضيق له و يجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي رزقاً غير قليل.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم يمج المجلد الثالث

#### ∕> التّفسير

قُل ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ الخطاب للنّبي في الظّاهر ولجميع المسلمين في الواقع وأمّا أنّه تعالىٰ مالِك المُلك فهو واضح بل لا مالك في الحقيقة إلاّ هو و ذلك لأنَّه الخالق لجميع ما سواه وكلُّ خالقٍ فهو مالِك لمخلوقه قهراً وطبعاً و عقلاً و توضيح ذلك أنّ المُلك بضمّ الميم ضبط الشّئ المتصرّف فيه بالحكم المِملك بكسر الميم فهو كالجنس للمُلك فكلِّ مُلكٍ ملِك وليس كلِّ ملِك مُلكاً و لأجل ذلك قال تعالى: مالك ٱلمُملكِ بضّم الميم ولم يقل مالِك المِلك بكسرها لأنّ المالك للمُلك بالضمّ يكون مالِكاً لِلمِلك بالكسر لكونه أعمّ منه و لا عكس.

فقوله تعالىٰ: مَالِكَ ٱلْمُلْكِ يفيد مالكيّته تعالىٰ لكلّ مُلكِ و ملِكِ و كلّ ما في العالم لا يخلو عنهما فهو تعالىٰ مالِكٌ لِلكلِّ حقّاً و هو المطلوب، ثمّ أنّ المُلك علىٰ قسمين حقيقي، و اعتباري، ونعني بالحقيقي ما كان ثابتاً لمالكه ولم يأخذه عن غيره لأنّ المأخوذ من الغير لا يكون ثابتاً دائماً لمالكه اذ المفروض أنّه ليس له ذاتاً و أنّما هو مِن غيره أعطاه إيّاه فاذا شاء المُعطى إسترداده فهو له فهو في يد الغير عارية في الحقيقة.

و أمَّا الإعتّباري فليس كذلك بل المال في الحقيقة مال الغير إلاّ أنّه أعطاه لمصلحةٍ رأها فيه دام كون المال في يده يعتبرون العقلاء له المِلَّكية ويقولون هذا ملكه فالملكيّة على هذا إعتبارية اذا عرفت هذا فنقول أنّ الله تبارك و تعالىٰ مالكٌ لكلّ ما سواه لأنّه أوَجده و خَلَقه فهو ملك له حقّاً ولم يقدر أحدُّ جزء٣ > علىٰ أخذه منه و امّا غيره تعالىٰ كائناً من كان فهو في نفسه ملكٌ لغيره فكل ما في يده ملكٌ للَّه تعالىٰ بطريق أولىٰ فأنَّ العبد وما في يده كان لمولاه ولأجل هذه الدَّقيقة قال الله تعالى: له المُلك وله الحَمد، و قال، لمن المُلك اليوم لِلَّه الواحد القّهار و امثال ذلك من الأيات و قال في موضع أخر، أمَّن يملك السّمع و الأبصار الآية و قال قل لا أمِلك لِنَفسي نفعاً ولا ضرّاً الأية.

## تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشٰآءُ

اذا ثبت أنّه تعالى مالك المُلك حقاً بلا معارض فقد ثبت أنّه لضَيعه حيث يشاء اذ لو لم يكن كذلك لكان مقهوراً مغلُوباً في مُلكه و هو خلاف الفرض و بعبارة أُخرى الفاعل مختار والمَلك له فأمّا أن يعطي من ملكه من يشاء وما يشاء أولا فعلى الأوّل يثبت المطلوب و على الثّاني أمّا أن يمنعه مانع أو لا و الأوّل محال لأنّه القاهر الغالب و القاهر لا يكون مقهوراً.

و علىٰ الثَّاني فالمطلوب ثابت فنقول، لك المُلك تُعطى من تَشاء وتَمنع.

## وَ تَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰآءُ

أي و تخرج الملك مِمّن تَشاء وهذا فرعٌ على سابقه لأنّه اذا فَرضنا أنّ إعطاء المُلك بيده فإخراجه و إنزاعه عن موضِعه أيضاً بيده لأنّ الأوّل وضعٌ و الثّاني رفع، و الرّفع فرعٌ على الوضع فلو فرضنا أنّه تعالى وضَع المُلك في موضع ثمّ لم يقدر على رَفعه منه للزم فيه العجز والضّعف والواجب منزّه عنهماً لكونه على كلّ شئ قدير.

## وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

في هذا الكلام إشارة الى أنّ العرّة والذّلة بيده كما أنّ الكلام المتقدّم دلّ على أنّ الملك بيده، و أعلم أنّ العرّة حالة مانعة للإسان من أن يغلب من قولهم أرضٌ عزاز أي صُلبة و الذّلة تقابلها ولذلك يكون الذّليل مقهوراً مغلوباً ولذلك قالوا في تفسير الذّل، الذّل ما كان عن قهر اذا علمت معنى العِزّ والذّل فنقول العرّة بقول مطلق لا تكون إلاّ لِلله تعالى و ذلك لأنّ الموجود على قسمين:

أحدهما: الموجود الّذي وجوده وصفاته منه بمعنىٰ أنّه ليس مَخلوقاً لغيره و لا محتاجاً في ذاته و صفاته و هو مُنحصر في الواجب تعالىٰ و حيث أنّ علمه

و قدرته كسائر صفاته شاملة كاملة فهو بكلّ شئ عليم و علىٰ كلّ شئ قدير اذ لو لم يكن كذلك للزم عليه الجهل والضّعف و هما من صفات المخُلوق كما ثبت في محلّه فهو القادر على كلّ شئ و هو القاهر الغالب علىٰ جميع ما سواه فلا يكون مقهوراً مغلوباً أصلاً و اذا لم يكن مقهوراً فهو العزيز لا غير و الى هذا المعنىٰ أشار بقوله ولِلَّه العزَّة و لرسوله و للمؤمنين، فقوله و للَّه العِزَّة بتقديم الخبر علىٰ المبتدأ يـدّل عـلى حـصر الصّفة عـلىٰ الموصوف أي أنّ العرّة منحصرة به و لأجل هذه الدّقيقة لم يقل العزّة لِلّه، ألا تَرىٰ أنّ قولنا في الدّار زيد يفيد الحصر بخلاف زيد في الدّار فثبت أنّ العزّة منحصرة فيه تعالىٰ: أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١). و هو صريح في المدّعي وهذا معنىٰ قولنا في صدر البحث أنّ العزّة بقولٍ مطلق لا تكون إلاّ له تعالىٰ.

ثانيهما: الموجود الّذي وجوده وصفاته من غيره و هو المخلوق الّذي قائم بالغير من جميع الجهات وكلّ مخلوقٍ مغلوبٌ و مقهور لخالقه وموجده كما هو شأن المعلول بالنّسبة الي العلّة وجميع ما سوى الله داخل تحت هذا الأصل فالجميع كائناً من كان مقهور له تعالى و اذا كان كذلك فلا يتصف المخلوق بالعزّة المطلقة لأنّ العزّة على ما مرّ حاله مانعة من أن يغلب أي أنّ العزيز الحقيقي لا يكون مقهوراً أبداً و هذه الحالة لا تحصل للمخلوق أصلاً اذ نفس المخلّوقية لا ينّفك عن المَقّهُورية دائماً فكيف يكون عَزيزاً بقولٍ مطلق فالمخلوق ذليل حقير قال ولقد نَصَركم اللّه ببَدرِ وأنتم أذَّلة الأية، و قال مخاطباً جزء٣ لرسوله:

قال اللّه تعالى: وَ ٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ (٢). قال الله تعالى: سَيَنالُهُمْ غَضَبُ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةُ (٣) وغيرها من الأيات.

<sup>7- 1</sup>Km, 1= 7

و قال من كان يريد العزّة فَلِلّه العزّة جميعاً اذا عرفت معنىٰ العزّة والذّلة و علمت موضعهما فقد ظهر لك معنىٰ قوله و تعز من تشاء و تذّل من تشاء، أي أنّ الإعزاز والإذلال بيدك والمخلوق محتاج اليك لا يملك لنفسه شيئاً.

## و في قوله بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ

إشارة الى أنّ كلّ ما يفعله الله تعالى خير لأنه على أساس المصلحة فقد تقتضي العِزّة وهي خير وقد تقتضي عَدمها فهو أيضاً خير فأنّ الله تعالى خير محض ومن الخير المحض لا يوجد إلا خيراً والشّرور من أنفسنا وفي قوله قدير اشارة الى عموم قدرته ولذلك ذكره بعد قوله على كلّ شيّ أي أنّ قدرته تعالى تتعلق بكلّ الأشياء و منها العزّة والذّلة.

## تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَ تُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ

هذا الكلام بمنزلة الإستدلال على قوله: إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ و ذلك لأنّه لمّا وصف نفسه بكونه قادراً على كلّ شيْ و هو أمرٌ يصعب فهمه و دركه بالنّسبة الى بعض العقول الضّعيفة ذكر موضعاً من مواضع أعماله القدرة و هو أنّه تعالىٰ تولج أي تُدخل اللّيل في النّهار و بالعكس و لا يقدر عليه أحد غيره فهو من أدلّ الدّليل على عموم قدرته و تقريره أنّ ولوج ليس بمعنى الدّخول كيف إتّفق أوكيف كان بل هو بمعنى الدّخول في مضيقٍ و عليه فمعنى الآية أنّ كيف إتّفق أوكيف كان بل هو بمعنى الدّخول في مضيقٍ و عليه فمعنى الآية أنّ اللّه تعالىٰ تدُخل اللّيل في النّهار وبالعكس في مَضِيقٍ ألا ترىٰ الى قوله تعالىٰ حيث قال: حَتّى يَلِجَ ٱلْجَعَلُ في سَمّ ٱلْخِياطِ (١).

و من المعلوم أنّ سَّم الخياط ضيقً فدخول الجَمل فيه صعب عسيرٌ بـل يقال غير مُمكن ثمّ أنّ المراد بإيلاج اللّيل في النّهار وبالعكس زيادة اللّيل في النّهار و زيادة النّهار في اللّيل و ذلك بحسب مطالع الشّمس و مغاربها و لذلك

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريم المجلد الثال

يختلف اللَّيل والنَّهار طولاً و قصراً يحسب إختلاف الفصول و معلوم أنَّ هذا الترتّيب الخّاص الَّذي لا يتفاوت في القرون والأعصار لا يكون إلاّ من فاعل قادر حكيم مدبر وهكذا قوله: و تُخْرجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ و تُخْرجُ الْمَيّتَ مِنَ ٱلْمَيِّ(١) فأنَّ هذا أيضاً من عطيم قدرته ثمَّ أنَّهم اختلفوا في معنى الأية، فقال الحسن معناه تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن و عليه فالمراد من الحيّ والميّت الحيّ والميّت بحب القلب و ذلك لأنّ حياة القلب بالإيمان و المعرفة و موته بالكفر والإلحاد، و قال بعضهم أنّ الحياة والمَوت في الأية حقيقًتان فقال عَكرمة هي إخراج الدّجاجة وهي حيّة من البيضة وهي ميتة، وإخراج البيضة وهي ميتة من الدّجاجة وهي حيّة، و قال إبن مسعود هي النطفّة تخرج من الرّجل و هي ميّتة و هو حيٌّ، و يخرج الرّجل منها حيّاً و هي ميتة، و قال السّدي هي الحبّة تخرج من السنبلة و السنبّلة تخرج من الحبّة و النُّواة من النّخلة و النّخلة من النّواة، أقول كلّ ما ذكروه لابأس به ولكلِّ وجهٌّ وجيه و أنَّما قالوا ذلك لأنَّ الحياة تستعمل علىٰ وجوهٍ و قد ذكرناها فيما مضي والَّذي لابدَّ لنا من ذكره في المقام هو أنَّ الحياة علىٰ قسمين إضافيَّة، وحقيقّية فالإضافية تعتبر بالموت الإضافي فأنّ الحياة والموت في الإضافية متقابلان بمعنى أنّه لكلّ حياةٍ موت ولكلّ موتٍ حياة كما في الأمثلة المذكورة الحقيّقية منها فهي عبارة عن الحياة الّتي لا موت لها ولا زوال و لا دثور و لا ضعف و لا فتور و هي مختصّة باللّه تعالىٰ فإذا قلنا أنّه حيٌّ معناه لا يصّح عَليه الموت الحياة في سائر الموجودات فتنتهي بالأخرة الي المَوت.

قال الله تعالىٰ: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَ يَـبْقَى وَجْـهُ رَبِّكَ ذُو اَلْـجَلالِ وَ اللهُ اللهُ تعالىٰ: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَ يَـبْقَى وَجْـهُ رَبِّكَ ذُو اَلْـجَلالِ وَ الْكِكْرام (٢)

وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشْآءُ بِغَيْرِ حِسْابٍ

الرزّق يقال للعطاء الجاري تارةً دنيويّاً كان أم أخرّوياً وللنصيب تارةً أخرى، و أيضاً يقال لما يصل الى الخوف ويُتّغذي به.

قال الله تعالىٰ: فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ (١) أي بطعام يُتغذَّىٰ به.

قال الله تعالى: و تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٢) أي وتجعلون نصيبكم من النَّعمة تحرِّي الكِذب.

قال الله تعالىٰ **وَ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ<sup>(٣)</sup>. أي من المال والجاه والعلم.** 

وكذلك قوله: و مِمّا رَزَقْناكُمْ تُنفقون والحاصل أنّ الرزّق يطلق على هذه المعاني وأمّا الرزّق في الآية الشريفة الّتي نحن بصدد تفسيرها فالظّاهر أنّ المراد منه ما يتغذّى به ولو حمل على معناه العّام لا بأس به و امّا قوله: يغيّر حساب أي حسابٍ فقيل أي بغير تضيّيقٍ ولا تقتيرٍ كما تقول فلان يعطي بغير حساب أي كأنّه لا يحسب ما يعطي، وقيل أي بغير نقصانٍ لأنّه لا نهاية لما في مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه و لا هو على حساب جزءٍ من كذا وكذا جزءً منه فهو بغير حساب التّجزية.

و قيل بغير حساب الإستحقاق لأنّه تَفضّلُ منه أقول الوجوه كلها محتملة و الأخير أحسَن لأنّه أي من الرزّق منه تعالىٰ علىٰ أساس الجُود و هو يقتضي ذلك كما ثبت في محلّه. لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآ ءَ مِـنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ فـــى شَىْءٍ إِلَّآ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقيٰةً وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللّٰـهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى ٱللهِ ٱلْمَصيرُ (٢٨)

#### ∕> اللّغة

إِلَّا أَنْ تَتَقُوا مِنْهُمْ تُعَيْةً: وقرأ منهم تقية والتّقية والتّقاة إسمان موضوعان موضع الإتّقاء وأصل التّقاة، وقاة قلبت الواو تاءً فصارت، تُقاة، وهي من الوقاية بمعنى حفظ الشئ ممّا يؤذيه ويضرّه يقال دقيتُ الشئ أقِيه وقايةً و وقاءً.

يُحَذِّرُ كُمُ ٱللَّهُ: الحَذر إحترازٌ عن مخيفٍ يقال حَذِر حَذَّرًا وحَذِرتُه ٱلْمُصيرُ مَصدر يقال صار الى كذا انتهى اليه.

#### ⊳ الإعراب

لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ هو نهي وأجاز الكسائي فيه الرّفع على الخبر والمعنى لا يبتغي مِنْ دُونِ في موضع نصب صفة لأولياء فلَيْسَ مِنَ ٱللهِ في شَيْءٍ فَمِن الله في موضع نصب على الحال لأنّه صفة للنّكرة قدّمت عليه إِلاَّ أَنْ تَتَقُوا الله في موضع نصب على الحال لأنّه صفة للنّكرة قدّمت عليه إِلاَّ أَنْ تَتَقُوا الله في موضع نصب الخبية الى الخطاب وموضع، أن تتقوا، نصب لأنّه مفعول من أجله.

### ⊳ التّفسير

لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآ ءَ مِنْ دُونِ ٱلْـمُؤْمِنِينَ نَهىٰ اللّه المؤمنين أن يتّخذوا الكفّار أولياء لأنفسهم من دون المؤمنين و مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللّهِ في شَيْءٍ قالوا أي ليس من حزب الله ولا من أولياءه في شيئ

ياء الفرقان في تفسير القرآن كريج العجلد الثاا

إِلاَّ أَنْ تَتَقُوا مِنْهُمْ أي من الكفّار تُـقينةً و تقية أي إلاّ في مورد التّقية وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ أي يخفوكم اللّه أو يحذّركم اللّه أيّاه وَ إِلَى ٱللّهِ ٱلْمَصيرُ أي أنّكم تردون على الله يوم القيامة والمراد بالوُرود على الوُرود على جزاءه ففيه إشارة الى البعث أيضاً وفي الآية مسائل.

الأولى: نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يتّخذوا الكفّار أعواناً و أنصاراً و ظهوراً قيل و لذلك كسر، يتّخذ لأنّه في موضع جزم بالنّهي و لكنّه كسر الذّال منه للسّاكن الذي تقيه و هي ساكنة قالوا و معنى ذلك لا تتّخِذوا أيّها المؤمنون الكفّار ظهراً و أنصاراً و ذلك لما نَبّه الله تعالى فيما مضى المؤمنين الى الإلتجاء اليه معترفين أنّ بيده الملك والعزّ و مجامع الخير و السّلطان المطلِق في تصريف الكون يعطي و يمنع من يشاء فإذا كانت العزّة والقوّة له فَمن الجهل و الغرور أن يعتزّ بغيره تعالى و أن يلتجأ الى غير جنابه أو يذّل المؤمن في غير بابه و الأصل فيه هو أنّ العزّة لله و لرسوله و للمؤمنين و أنّ الإسلام يعلو و لا يعلى عليه فالإلتجاء الى الكافر و الرّكون اليه يوجب الذّلة و الحقارة و المؤمن أعزّ شأناً و أجلّ قدراً من أن يكون كذلك والسرّ العقلي في المنع هو الإيمان بمعنى أنّ العزّة و الذّلة في المؤمنين الخ.

ولم يقل لا يتّخذ النّاس بل ولم يقل لا يتّخذ المسلمين أيضاً لأنّ المسلم قد لا يكون مؤمناً بقلبه فهو في القلب كافر وفي اللّسان مسلم، والخضوع أمرّ ينشأ من القلب و يظهر على الجوارح و هو الّذي يعبّر عنه بالذّلة و الحقارة و امّا إذا لم يكن القلب خاضعاً خاشعاً موالياً للكافر فلا إشكال فيه و أن أظهر الموالات بلسانه كما في صورة التقية على ما يأتي بيانها و حاصل الكلام أنّ قلب المؤمن عرش الرّحمٰن و مظهر العافية وعناياته فهو مخصوص به فيجب على المؤمن حِفظه من الأفات ثمّ أنّ المراد بالأية ليس النّهي عن المعاشرة و المعاملة و أمثال ذلك بل المراد به إتّخاذهم أولياءً أي أنصاراً و بعبارة أخرى المعاملة و أمثال ذلك بل المراد به إتّخاذهم أولياءً أي أنصاراً و بعبارة أخرى

القرآن

نهي الله عن الرّكون اليهم والإستنصار بهم بحيث يوجب الذَّلة علىٰ المؤمن لا مطلقاً بل ظاهر الآية يدّل علىٰ أن ترجيح الكافر علىٰ المؤمن منهي عنه لقوله تعالىٰ: مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنينَ و علىٰ أيّ حالٍ فالملاك في المنع هو ما ذكرناه أعنى به الذُّلة والحقارة.

الثَّانية: إشار بقوله: و مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ في شَيْءٍ، أي وليس من ولاية اللَّه في شئ هكذا قال البيضاوي و غيره و قيل معناه إنقطاع صلة الإيمان بينه وبين الله أي فيكون من الكافرين.

قال الله تعالى: و مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (١).

أو معناه فيكون عدُّواً لِلَّه، أقول والأصل فيه.

قال الله تعالى: اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ امَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِن الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيْاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمَاتِ.

و علىٰ هذا الأساس فَمن كان مُؤمناً حقّاً فالله تعالىٰ ولّيه و من كان كـفراً فولَّيه الطَّاغوت فالمؤمن لا يتَّخذ ولِّياً غير اللَّه تعالىٰ فمِن إتَّخذ ولِّياً غيره فهو ليس بمؤمن حقّاً و مورد البحث من هذا القبيل فالحقّ أن يقال أنّه ليس بمؤمن واقعاً لأنّه كافر خارج عن الإيمان بالكّلية و هو واضح.

الثَّالثة: قوله تعالىِّ: إلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقلِّةً قال بعض المفسّرين من العامّة إنَّ هذا استثناء من أعمَّ الأحوال أي أنَّ ترك مولاة الكافرين على المؤمنين حتمٌّ في كلّ حالٍ إلاّ في حال الخوف من شئ تتقونه منهم فلكم حينئذٍ أن توالوهم بقدر ما يتّقي به ذلك الشئ لأنّ دَرء المفاّسد مقدّم على جلب المصالح و هذه المولاة تكون صوّرية لأنّها للمؤمنين لا عليهم قال و الظّاهر أنّ الإستثناء منقطع والمعنىٰ ليس لكم أن توالوهم علىٰ المؤمنين و لكن لكم أن تتّقوا ضررهم بموالاتهم و اذا جازت مُوالاتهم لاِتّقاء الضّرر فجوازها لأجل منفعة المسلمين

يكون أولى وعلى هذا يجوز لحكّام المسلمين أن يحلفوا الدُوّل غير المسلمة لأجل فائدة المؤمنين بدفع الضّرر أو جلب المنفعة وليس لهم أن يُوالوهم في شيّ يضرّ بالمسلمين و أن لم يكونوا من رعيتهم وهذا الموالاة لا تختص بوقت الضّعف بل هي جائزة في كلّ وقت انتهى (١)

أقول هذا البحث يرجع الى معنىٰ الولاية في الآية الشّريفة و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ يقول:

## لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيّآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

و الظّاهر من معنىٰ الوّلي أن يكون أولىٰ بالتّصرف في أمور المُسلمين من أنفسهم بمعنىٰ أن يكونوا مطيعين لهم في جميع الأمور فهذا هو المذموم المنّهي عنه فالمعنىٰ لا تجعلوا الكافرين مسلّطين علىٰ أموالكم و أعراضكم و نفوسكم لأنّ الإسلام يَعلُوا و لا يُعلىٰ عليه فأن كانوا أي الكفّار مسلّطين عليكم قهراً فلا تطيعوهم حتّىٰ الإمكان فأن لم تقدروا علىٰ دفعهم و تخافون على أنفسكم أو أموالكم مخالفتهم في العَلَن فوافقوهم ظاهراً وخالفوهم باطناً وهذا هو التّقية المشار اليها في الآية لا إنّها من الوقاية وهي الحِفظ، أي حفظ النّفوس و الأموال و الأعراض قال اللّه تعالىٰ: إلله مَنْ أَكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالايهانِ (٢)

و أعلم أنّ هذه الآية هي الأصل في مَشرَوَعية التّقية مضَافاً الئ السنّة المستفيضة و العقول السّليمة.

وحيث أنّ هذه المسألة أعني بها التقية من المسائل الإختلافية بين العامة و الخاصة و هي مع ذلك من أمّهات المسائل في الشّريعة المطّهرة بحيث ورد فيها من لا تقية له لا دين له فلابد لنا من البّحث فيها على قدر الطّاقة و اقتضاء المقام فنقول، التّقية على ما مرّ في شرح اللّغات بمعنى الإتّقاء قال أهل اللّغة التّقية و التّقاة إسمان موضوعان موضع الإتّقاء و قال في المُنجد، تقى يتّقي

تُقئُّ و تِقاءً و تقيَّةً بمعنى إتَّقيٰ و هي مأخوذة من الوَقيي و الوقاية بـمعنىٰ الحفظ سميّت التّقية بها لأنّها توجب حفظ النّفس و المال و العرض في مواضع الخطرالشّيخ الأنصاري تَنْتُحُ والمراد هنا التّحَفظ عن ضرر الغير بموافقته في قولٍ أو فعلٍ مخالفٍ للحقّ ثمّ قال مَنْ والكلام تارةٌ يقع في حكمها التكلّيفي و أخرىٰ في حكمها الوّضعي والكلام في الثّاني تارةً من جهة الآثار الوّضعية المترتّبة علىٰ الفعل المخالف للحقّ و أنّها تتّرتب علىٰ الصّادر تّقيةً كما تترتّب على الصّادر اختياراً، أم وقوعها تّقية يوجب دفع تلك الآثار وأخرىٰ في أنَّ الفعل المخالف للحقِّ هل يترتّب عليه آثار الحقِّ بمجرّد الإذن فيها من قبل الشّارع أم لا و ساق الكلام الي أن قال أمّا الكلام في حكمها التكلّيفي فهو أنَّ التقّية تنقسم الى الأحكام الخمسة، الواجب، والمُستّحب، والمباح، و المكروه، والحرام، ثمّ قال النِّيلا فالواجب منها يبيح كلّ محظور من فعل الواجب و ترك المحرّم و الأصل في ذلك أدّلة نفي الضّرر و حديث رفع عن أمّتي تِسعة أشياء وعدّ منها ما إضطّره اليه مضافاً الي عمومات التّقية مثل قوله للنِّلْةِ في الخبر أنَّ التَّقية واسعة ليس شيٌّ من التَّقية إلاَّ و صاحبها مأجور و غير ذلك من الأخبار و جميع هـذه الأدّلة حـاكـمة عـلى أدّلة الواجـبات و المحرّمات فلا يعارض بها شئ منها حتّى يلتمس التّرجيح ويرجع الى الأصول كما زعمه بعض في بعض موارد هذه المسألة ثمّ ذكر مُّتِّكُّ أحكام التّقية مفصّلاً بما لا مزيد عليه و أنَّما أعرضنا عن نقلها مخافة الإطالة وخروج الكتاب عن موضوعه و أن شئت الإطلاع على تحقيقاته الرّشيقة فعليك بمراجعة الرّسالة جزء الله عن الرائم عن الرائم الله الله الله الله المار الله الله الله المنابع المنالة المنابع الرسالة المذكورة وغيرها.

ما رواه عن الإحتجاج بسنده عن أمير المؤمنين عليَّ في بعض إحتجاجاته قال عليه وأمرك أن تستعمل التّقية في دينك فأنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أُوْلِيآ ءَ مِنْ دُونِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ومن يفعل ذلك فَليس من اللّه في شئ إلاّ أن تَتّقوا مـنهم تقاة الآية و قد أذنت لك في تفضيل أعدائنا أن ألَّجأك الخوف اليه و فى إظهار البراءة أن حَمَلك الوَجِل عليه وفي ترك الصلّوة المكتوبات ان خَشيت على حشاشة نفسك الآفات والآهات فأنّ تفضيلك أعدائنا عند خوفك لا يَنفعهم ولا يضُرّنا و أنّ إظهار برائتك عند القتل لا يقدح فينا و لا يَنقُصنا تَبَرؤُك منّا ساعة بلسانك و أنت موال لنا بجنابك لتُبقى على نفسك رُوحها الّتي قوامها و مالها الّذي به قيامها وجاهها الذي به تمسكها وتصون بذلك من عرف من أوليائنا و إخواننا فأنّ ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك و تنقطع به عن عمل في الدّين و صلاح إخوانك المؤمنين ثمّ أيّاك أن تـترك التقية التى أمَرتك بها فأنك شائط بدمك ودم إخوانك متعرض لنفسك و لنفسهم للزوال فتذَّلهم في يَدي أعداء الدّين و قد أمرك الله باعزازهم فأنك أن خالفت وصيتتي كان ضررك على إخوانك و نفسك أشدٌ من ضرر النّاصب لنا الكافر بنا انتهى.

ما رواه عن الصّادق عليَّا في رواية أبي الصّباح قال ما صنعتم من شئ أو حلفتم.

عليه من يمينِ في تقيّة فأنتم منه في سعة انتهي.

و في حديث أبي الحَسَن الرّضا عليُّ معاتباً لبعض أصحابه أنكم تتّقون حيث لا تجب التّقية وتتركون التّقية حيث لابدّ من التّقية.

و قال الصّادق التَّلِهِ: التّقية ديني ودين آبائي، وقوله التَّلِهِ من لا تقية له لادين له.

و أمثال ذلك من الأحاديث كثيرة بل لو خالف التّقية في محلّ وجوبها فقد

أطلق بعض الأصحاب بطلان العَمَل إذاكان العمل عبادياً كالسّجود على التربة الحسيّنية مع إقتضاء التّقية بتركه فأنّ السّجود يقع منّهياً عنه النّهي فـيفسد و يفسد الصّلاة لأنّ النّهي في العبادات يوجب الفساد فيها وتفصيل الكلام في التقية موكول الى محلِّ آخر ومحصّل الكلام فيها أنّها من الواجبات عندنا ولم يخالف فيه أحدٌ من الشّيعة.

و أمّا العامّة فالظّاهر عندهم عدم وجوبها بل بعضهم شنّع على الشّيعة في القول بوجوبها وعدّها من النّفاق ولا بأس بالإشارة الى بعض كلماتهم فيها فنقول قال القرطبي عند قوله تعالى: إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقيلةً قال معاذ بن جبل و مجاهد كانت التّقية في جدّة الإسلام قبل قوّة المسلمين فأمّا اليوم فقد أعزّ اللّه الإسلام أن يتّقوا من عَذرهم و قال إبن عبّاس هو أن يتكلّم بلسانه و قلبه مطمّئن بالإيمان و لا يقتل ولا يأتي مأثماً، و قال الحسن التّـقية جـائزة للإسان الى يوم القيامة و لا تقية في القتل و قيل أنّ المؤمن إذا كان قائماً بين الكفّار فله أن يداريهم باللّسان اذاكان خائفاً على نفسه و قلبه مطمئن بالإيمان و التَّقية لا تحّل إلاّ مع خوف القتل أو القلع أو الإيذاء العظيم و من أكره على الكفر فالصحيح له أن يتقلُّب و لا يجيب الي التَّلفظ بكلمة الكفر بل يجوز له ذلك على ما يأتى بيانه في النّحل انشاء الله.

و أمَّا الطَّبري فقد حصّ التَّقية بالكفَّار و لم يجوِّزها في حقّ المسلم من مسلم آخر قال في تفسير الآية إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُـقيلةً إِلاّ أَن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم جزء ٣ العداوة و لا تشايعوهم علىٰ ما هم عليه من الكُفر و لا تعينوهم على مسلم بفعل ثمّ نقل الأحاديث فيه فمنها ما رواه بسنده عن إبن عبّاس في الآية أنّه قالً نهي اللَّه المؤمنين أن يلاطفوا الكَّفار أو يتّخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلاّ أن يكون الكّفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللّطف و يخالفوهم في الدّين و ذلك قوله إلا أنّ تتّقوا منهم تقاة إنتهي.

ثمّ ذكر عدّ أحاديث بهذه المضامين الى أن قال حدّثني محمّد بن سنان قال حدّثنا أبو بكر الحنفي قال حدّثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله: إلله أن تَتَقُوا مِنْهُمْ تُقَيْهً قال صاحبه في الدّنيا معروف الرّحم و غيره فأمّا في الدّين فلا و هذا الّذي قاله قتادة تأويل له وجه (أشار الى قوله قتادة في الخبر المتقدم حيث قال إلا أن تتقوا منهم تقاة) الرّحم من المشركين من غير أن يتولّهم في دينهم إلا أن يصل له رحماً في المشركين إنتهى قول قتادة).

قال الحَسن و هذا ليس بالوجه الذي يدّل عليه ظاهر الآية إلا تتقوا من الكافرين تقاة فالأغلب من معاني هذا الكلام إلا أن تخافوهم مخافة فالتقية التي ذكرها في هذه الآية إنّما هي تقية من الكفار لا من غيرهم و وجهّه قتادة الى أنّ تأويله إلا أن تتقوا الله من أجل القرابة الّتي بينكم و بينهم تقاة فتصلون رحمها وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم إنتهى ما أردنا نقله منه.

و به قال السّيوطي في الدّر المنشور والبيضاوي في تفسيره والزّمخشري

في الكُشاف و غيرهم من مفسري العامة فانهم حَملوا التقية في الآية على تقية المسلم من الكافر، و قال الألوسي في تفسيره الذي سمّاه برُوح المعاني قي قوله تعالى: إلا أَنْ تَتَقُوا مِنْهُمْ تُقينةً وفي الآية دليل على مشرّوعية التقية و عرضوها بمحافظة النّفس أو العرض أو المال من شر الأعداء والعدّو قسمان. الأول: من كانت عداوته مبنية على إختلاف الدّين كالكافر والمُسلم والثّاني من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيويّة كالمال و المتاع و المُلك و الإمارة و من هنا صارت التقية قسمين أمّا القسم الأوّل فالحكم الشّرعي فيه أنّ كلّ مؤمن وقع في كلّ محل لا يمكن له أن يُظهر دينه لِتعرض المخالفين وجب عليه الهجرة الى محّل يقدر فيه على إظهار دينه ولا يجوز له أصلاً أن يبقى عليه الهجرة الى محّل يقدر فيه على إظهار دينه ولا يجوز له أصلاً أن يبقى هناك و يخفي دينه و يتشبّث بعذر الإستضعاف فأنّ أرض الله تعالى واسعة نعم إنكان ممّن لهم عُذر شرّعي في ترك الهُجرة كالصّبيان و النّساء و العميان و المحبوسين الى أن قال أو بنحو ذلك فأنّه يجوز له المكث مع المخالف و

ضياء الغرقان في تفسير القرآن ﴿ \* \* \*

الموافقة بقدر الضّرورة الى أن قال في آخر كلامه فلو تلفت نفسه لذلك فأنه شهيد قطعاً ثمّ قال و ممّا يدّل على أنّها رخصة ما روى عن الحسن أنّ مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول اللّه عَلَيْ الله قال لأحدهما أتشهد ان محمّداً رسول اللّه قال نعم ثمّ دعى بالآخر فقال له كذلك قال أنّي أصّم قالها ثلاثاً وفي كلّ يجيبه بأنّي أصّم فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول اللّه عَلَيْ فقال أمّا هذا المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له و امّا الآخر فقد رخصه اللّه تعالىٰ فلا تبعة عليه.

وأمّا القسم الثّاني: فقد إختلف العلماء في وجوبه و عدمه فقال بعضهم تجب لقوله تعالى: وَ لا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١) وبدليل النّهي عن إضاعة المال و قال قوم لا تجب إذا الهجرة عن ذلك المقام مصلحة من المصالح الدّنيويّة ولا يعودمن تركها نقصان في الدّين لا تحّاد الملّة وعدّوه القّوي الدّنيويّة ولا يتعرّض له بِالسُّوء من حيث هو مؤمن و قال بعضهم أنّ الهجرة قد تجب أيضاً إذا خاف هلاك نفسه أو أقاربه الي آخر ما قال ثمّ قال وعد قومٌ من باب التّقية مداراة الكّفار والفسقة والظّلمة والانّة الكلام لهم والتّبسم في وجوههم و الإنبساط معهم وإعطائهم لكّف أذاهم وقطع لسانهم و صيانة العرض منهم و لا يعدّ ذلك من باب المولاة المنهّي عنها بل هي سنّة و أمر مشروع ثمّ ذكر الأخبار والآثار المرّوية بطرقهم على أنّ المُداراة مع النّاس مستحسنة و نقل عن رسول الله عَلَيْقَا أنّه قال أنّ اللّه تعالى أمرني بمداراة النّاس كما أمرني بإقامة الفرائض و هكذا.

و قال في آخر كلامه لكن لا تنبغي المُداراة الى حيث يخدش الدّين و يرتكب المنكر و تسئ الظّنون إنتهى كلامه في هذا المقام الّذي سمّاه بالتّحقيق بزعمه ثمّ قال بعد ذلك و وراء هذا التّحقيق قولان لفئتين متباينتين من النّاس و هم الخوارج و الشّيعة.

أمّا الخوارج فذهبوا الى أنّه لا تجوز التّقية بحالٍ و لا يراعي المال وحفظ النفس و العرض في مقابلة الدّين أصلاً ولهم تشديدات في هذا الباب عجيبة منها أنّ أحداً لو كان يصلّي وجاء سارق أو غاصب ليسرق أو يغصب ماله الخطير لا يقطع الصّلاة بل يحرم عليه قطعها وطعنوا على بريدة الأسلمي صحابي رسول الله عَلَيْهِ بسبب أنّه كان يُحافظ فرسه في صلاته كي لا يهرب ولا يخفى أنّ هذا المَذهب من التّفريط بمكان إنتهى كلامه في الخوارج.

وأنّا أقول كان هذا الرّجل لم يفهم معنىٰ التّقية وإلاّ فما ذكره في المقام من أنَّه لا يجوز قطع الصّلاة لأجل حفظ المال فهو ليس من باب التَّقية و إنَّما هو بحث آخر لا ربط له بهذا المقام أصلاً ثمّ أنّ طعنهم على بريدة الأسلمي ليس لأجل أنّه راعي التّقية بل الوجه في أنّ المصّلي يجب أن يكون في مقام الحضور قلباً وإذاكان في حال صَلواته محافظاً لفرسه فقلبه مشغول بفرسه لا بربّه و أين هذا من التّقية فأن كان الخوارج قـائلين بِـعدم التّـقية عـلىٰ قـول الألُوسي فلا محالة لهم دليل على إثبات مدّعاهم وكان على النّاقل أن يذكره فانٌ ما ذكره لا يثبت المدّعي و هو واضح ثمّ قال صاحب الكتاب و امّا الشّيعة فكلامهم مضطرب في هذا المقام فقال بعضهم أنّها جائزة في الأقوال كلّها عند الضّرورة و ربّما وجبت فيها لِضرب من اللّطف و الإستصلاح و لا تجوز فسي الأفعال كقتل المؤمن و لا فيما يعلم أو يغلب على الظِّن أنَّه إفساد في الدّين و قال المفيد أنَّها أحياناً و قد يكون فعلها في وقتٍ أفضل من تركها و قد يكون تركها أفضل من فعلها و قال أبو جعفر الطّوسي أنّ ظاهر الرّوايات يدّل علىٰ أنّها واجبة عند الخوف على النّفس و قال غيره أنّها واجبة عند الخَوف على المال أيضاً و مستحبّة لِصيانة العرض حتّىٰ يسّن لمن إجتمع مع أهل السّنة أن يوافقه في صلواتهم و صيامهم و سائر ما يدينون به و رووا عن بعض أنَّمة أهل البيت من صلَّىٰ وراء سنَّى تقَّيتةً فكأنَّما صلَّىٰ وراء النَّبي (نبيٍّ) وفي وجوب قـضاء تلك الصّلاة عندهم خلاف وكذا في وجوب قضاء الصُّوم علىٰ من أفطر تقّيتةً

حيث لا يحلّ الإفطار قولان أيضاً وفي أفضلية التقية من سنّي واحد صيانة لمذهب الشّيعة عن الطّعن خلاف أيضاً و أفتى كثير منهم بالأفضّلية و منهم من ذهب الى جواز بل وجوب إظهار الكفر لأدنى مخافة او طمع و لا يخفي أنّه من الإفراط بمكان و حملوا أكثر أفعال الأئمّة ممّا يوافق مذهب أهل السّنة و يقوم به الدّليل على ردّ مذهب الشّيعة على التّقية و جعلوا هذا أصلاً أصيلاً عندهم و أسّسوا عليه دينهم و هو الشّائع الأن فيما بينهم حتّى نسبُوا ذلك للأنبياء عليهم السّلام وجلّ غرضهم من ذلك إبطال خلافة الخلفاء الرّاشدين و يأبى اللّه تعالىٰ ذلك ثمّ قال:

فغي كتبهم ما يبطل كون أمير المؤمنين علّي وبَنيه رضي الله عنهم ذوي تقية بل ويبطل أيضاً فضلها الذي زعموه فغي كتاب نهج البلاغة الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى في زعمهم أنّ الأمير كرّم الله وجهه قال علامة الإيمان إيثارك الصّدق حيث يضّرك على الكذب حيث ينفعك و أين هذا من تفسيرهم قوله تعالى: إنَّ أَكْرَ مَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقيكُمْ بأكثركم تقية وفيه أيضاً أنّه قال أنّي والله لو لقيتهم واحداً وهُم طلاع الأرض كلّها ما باليتُ ولا إستوحشت و أنّي من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرةٍ من نفسي و يقين من ربّي والى لقاء الله تعالى و حسن ثوابه لمنتظرٌ راج، و في هذا دلالة على أنّ الأمير لم يخف و هو منفرد من حرب الأعداء و هم جموع و مثله لا يتصور أن يأتي فيما فيه هدم الدّين قال.

و روي العيّاشي عن زرارة بن أعين عن أبي بكر بن حزم أنّه قال توّضأ رجل و مسح على خفّيه فدخل المسجد فجاء عليّ فوجاء على رقبته فقال ويلك تصّلي وأنت على غير وضوء فقال أمرني عمر فأخذ بيده فإنتهى اليه ثمّ قال أنظر ما يقول هذا عنك ورفع صوته على عُمر فقال عُمر أنا أمرته بذلك فأنظر كيف رفع الصّوت وأنكر ولم يتق، ثمّ روى عن الرّاوندي شارح نهج البلاغة عن سلمان الفارسي رواية أخرى وهكذا ذكر روايات أخر وأطال الكلام في الباب

اللزقان في تفسير القرآن كم المجلد الثا

و إفترى على الشّيعة في جميع ما ذكره و نقله عنهم و ليس هذا أوّل قارورة كسرت في الإسلام بعد رسول اللّه عَيَّالِلله الله عَيَّالِلله الله عَيَّالِله الله عَيَّالِله الله عَيَّالِله الله عَيَّالله الله عَيَّالِله الله عَلَى التّواريخ والسّير ثمّ أنّهم إفتروا عليه عَيَّالله بعد موته وقبل دفنه بأنّه قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فكأن أساس الإسلام على الإفتراء والتّهمة والكذب والخيانة والظّلم و امثال هذه الأمور و لذلك ترى كتب العامّة مملؤة من الأكاذيب والأراجيف التي لا يقول بها عاقل فضلاً عن مؤمن أنظر الى ما نقله ابن حزم الأندلسي ونسبه الى الشّيعة وما نقله ابن تمّيته في كتبه وهلم جرّا الى أن وصلت النّوبة الى الألوسي وبعده الى الذين خرجوا من جامع الأزهر بمصر وهذا كلّه من أدَّل الدّليل على مظلّومية الشّيعة من أوّل الأمر ولا دليل أقوىٰ منه على مشرّوعية التّقية عندهم مظلّومية الشّيعة بغير دراية ومأخذ صحيح فنقول وننقل عنهم مثل ما يقولون وينقلون عن الشّيعة بغير دراية ومأخذ صحيح فنقول:

قوله و امّا الشّيعة فكلامهم مضطرب في هذا المقام، فنقول في جوابه ليس في كلام الشّيعة إضطراباً أصلاً فأنّهم يقولون بوجوب التّقية في موردها قولاً و فعلاً وقد بيّنا في صدر البحث معناها ومورادها ووجوبها وإجماع الشّيعة على وجوبها في محلّها ولم يخالف فيه أحدّ منهم وقوله ومنهم من ذهب الى جواز بل وجوب إظهار الكفر لأدنى مخافة أو طمع ولا يخفى أنّه من الإفراط بمكان فهو تهمة على الشّيعة وكان على النّاقل أن يسمّى المفتى بذلك وكيف يفتى بذلك من أمن بالله واليوم الأخر ثمّ كيف يعقل وجوب إظهار الكفر لأدنى مخافة أو طمع فهذا كلام تضحك به التّكلي (وقوله حتّى نسبوا ذلك الى مخافة أو طمع فهذا كلام تضحك به التّكلي (وقوله حتى نسبوا ذلك الى مخافة أو طمع فهذا كلام تضحك به التّكلي عدم جواز التّقية في النّبي لكن مهل الرّجل بعقائد الشّيعة دعاه الى الكذب والإفتراء وقوله (وجل غرضهم من ذلك إبطال خلافة الخلفاء الرّاشدين ويأبي اللّه تعالى ذلك) من أردء

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸

الم الع الع الع الع الع الم

الإِيمَانُ أَنْ تُؤثِرَ الصَّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَىٰ الْكَذِبِ حَيْثَ يَنْفَعُك وَأَنْ لا يَكُونَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ (١). فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ (١).

الأقوال وأبطلها لأنّ خلافة الخلفاء من حيث الصّحة وعدمها لا ربط لها بالتّقية نعم أن كان غرضه من هذا الكلام أنّ غصب الخلافة في صدر الإسلام و إستمراره الىٰ زماننا هذا أوجب التّقية على الشّيعة فقولهم بوجوب التّقية يدّل بدلالة الإلتّزامية على بطلان خلافتهم فهو كلام متين لأنّ الخلافة لو كانت بعد الرّسول في محلّها الّذي عيَّنه اللّه تعالىٰ وبلُّغه الرّسول الينا في غدير خم وغيره من الموارد و بعبارةٍ أخرىٰ لو كان علّى وأولاده عليهم السّلام حاكمين على النَّاس في ظاهر الأمر لم يحتج أحدُّ في الدُّنيا الى التَّقية لا الشَّيعة ولا غيرها لأنّ مورد التّقية الخوف و هو يتَّحقق في حكومة الظّالم و امّا اذاكان الحاكم عادلاً واقعاً فلا معنىٰ للتّقية و هو ظاهر و امّا قوله ويأبيٰ اللّه ذلك، فهو طريف جدّاً ومن أظلم ممّن إفترى على الله كذباً، فأن كان الله يأبى ذلك فلم قال لرسوله فِيا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ علىٰ ما سيجئ البحث فيها فكأنّ قوله هذا ممّا زلّ به القلم لأنّه أراد أن يكتب في كتابه وتأبي أصحاب السَّقيفة وأتباعهم الي يوم القيامة ذلك أي إبطال الخلافة، فزلَّ قلمه وكتب ما كتب ونسب الى الله ما نسب نعوذ بالله من هذه الجرءة ولعلّه زعم أن كلّ ما يفعله الإنسان بسوء سريرته وشهوات نفسه فهو ممّا شاء الله ويأبئ الله غيره و ليس كذلك بل ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عنها وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، و امّا نقله عن نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليَّالٍا أنَّه قال علامة الإيمان إيثارك الصِّدق حيث يضّرك على الكذب حيث ينفعك و أين هذا من تفسيرهم قوله تعالىٰ: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدُ ٱللَّهِ أَتْقِيْكُمْ بأكثركم تقيّةً.

فنقول ما نقله عن النّهج ناقص كمّاً وكيّفاً والموجود فيه هكذا. قال امير المؤمنين عاليّالد: وهذا ممّا لاربط له بالتّقية و ذلك لأنّ معنى الكلام هو أنّ الإيمان أن تؤثر أي تختار الصّدق حيث يضّرك على الكذب حيث ينفعك في أُمور الدّنيوية مثلاً اذا كان البائع بصدد بيع المبيع و قال للمشتري إشتريته بمائة وأبيعك بمائة وخمسين وفرضنا أنّه إشتراه بثمانين أو أقلّ ففي هذه الصّورة آثر الكذب على الصّدق لأجل المنفعة و هو خارج عن الإيمان لأنّ المؤمن لا يكذب لأجل النفع الدّنيوي بل وخليفة المؤمن إيثار الصّدق على الكذب وأن كان نفعه أقلّ لأنّه ليس مناط الصّدق في المعاملات النّفع دائماً بل قد يكون الصّدق موجباً للضّرر المالي والكذب باعثاً على النّفع و لذلك ترى النّاس يكذبون غالباً ولا سيّما في المعاملات فكلامه عاليم إشارة الى أنّ المؤمن ينبغي أن لا يكون كذلك بأن يختار الكذب وآثره على الصّدق لأجل الحطام الدّنيوية بل المؤمن يؤثر الصّدق على الكذب و أن كان في صدقه ضررً في دنياه وأين هذا من التّقية.

ثانياً: أنَّ القائل بالتَّقية لا يكذب في قوله أو عمله لأنَّه في قلبه منكرٌ لما يقول بلسانه خوفاً.

ثالثاً: أي نفع من هذا الكذب اللّساني لقائله والحاصل أنّ ما ذكره عليّه في ملائم لا ربط له بمورد التّقية ولذلك قال عليّه وإلاّ يكون في حدثك فضلٌ عن عملك، أي لا تقول أزيد ممّا تفعل، وأن تتّقي اللّه في حديث غيرك، أي إتّق اللّه في الرّواية عنه.

و أَمّا قُوله فأين هذا من تفسيرهم قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدُ ٱللّهِ أَتْ قَيْكُمْ بِأَكْثر تقيةً، فنسأل الألوسي ونقول من الّذي فسَّر كلام الله هكذا من الشّيعة فأن كنت صادقاً في قولك فلم لا تسميهم أليس لهذا المفسر إسم ولا رسم فهذه تفاسير الشّيعة موجودة عند العامّة والخاصّة فأين هذا التّفسير ومن هذا المفسر فأنّك لو تقحصت جميع تفاسير الشّيعة لا تجد واحداً منهم فسَّر قوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدُ ٱللهِ أَتْقيْكُمْ بأكثركم تقيّة، أمّا أوّلاً فلأن الآية ولا سيّما صدرها تنادي بأعلىٰ صوتها أن المراد بقوله أتقاكم، التّقوى لا التّقية.

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا خَلَقْتَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى وَ جَعَلْتَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبْآئِلَ لِتَعَارَفُوۤا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَيْكُمْ (١).

و هو أوضح من أن يخفىٰ على الألوسي فضلاً عن علماء الشّيعة. وأمّا نقله عن نهج البلاغة ثانياً بقوله الطِّلاِ:

أنِّي واللَّهِ لوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلِّها ما بَالَيْتُ ولا إسْتَوْحَشْت.

ليس مراده عليه ما فهمه الألوسي من كلامه حيث قال وفي هذا دلالة على أن أمير المؤمنين عليه لل يخف و هو منفرد من حرب الأعداء وهم جموع، و ذلك لأن كلام الآلوسي مشعر بأن المقصود من هذا الكلام هو أنّه عليه كان لا يبالي من حرب الأعداء وهم جموع ومن كان كذلك فكيف تتّقي، بل معنى كلامه عليه أنّه كان على الحقّ ومن كان كذلك فكيف تتّقي، بل معنى كلامه عليه أنّه كان على الحقّ ومن كان على الحقّ لا يستوحش وأن كان منفرداً فهو كقوله عليه في موضع آخر حيث قال:

لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَأِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وُجُوعُهَا طَوِيلُ أَلخ.

و أين هذا من قوله لم يخف و هو منفرد من حرب الأعداء وأين حرب الأعداء في كلامه علياً الإعداء في كلامه علياً منه عين ولا أثر والدّليل على ما قلناه واضح ومع ذلك ننقل كلامه علياً لا ثم نقول فأقض ما أنت قاض.

و من كتاب له عليه الله الله الله الله الله الأشتر لما ولأه إمارتها ( 87). أمًا بَعْدُ فإنَّ الله سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عَلَيْهِ واَلهِ نَذِيراً لِلْعالَمينَ ومُهَيْمِناً على المُرسَلينَ فَلمًا مَضَىٰ عَليْهِ السَّلاَمُ نَازَعَ المُسْلِمُونَ الأَمْرَ منْ بَعْدِهِ فَوَاللهِ ما كانَ يُلْقَي في رُوعي ولا يَخْطُرُ بِبَالي أنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الأَمْرَ منْ ن في تفسير القرآن كرنج كا

بَعْدِهِ صلىٰ اللّهُ عَلَيْهَ وَآلهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلاَ أَنَهُمْ مُنَحُوهُ عَني مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعني إِلّا إِنْثِيَالُ النَّاسِ علىٰ فُلاَنٍ يُبايِعُونَهُ فأمْسكْتُ يَدِي حتّىٰ رَأَيْتُ رَاجِعةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمَ يَدْعُونَ إلىٰ مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلىٰ اللهُ عليهِ وَآلهِ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمَ وأَهْلَهُ أَنْ أَرَىٰ فِيهِ تَلْماً أَوْ هَدْماً تُكُونُ المُصيبَةُ بِهِ فَخَشيِتُ أَنْ لَم أنصر الإسلاَمِ وأَهْلَهُ أَنْ أَرَىٰ فِيهِ تَلْماً أَوْ هَدْماً تُكونُ المُصيبَةُ بِهِ عَلَي أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَ يَتِكُم الّتي أَنْما هِي مَتَاعُ أَيًّامٍ قَلاَئِلَ ... الىٰ أَن قال عَلَيْكِ اللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ : أَنِّي واللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ : أَنِّي واللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ : أَنِّي واللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ : أَنِّي واللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ : أَنِّي واللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت الىٰ قوله عَلَيْكِ ذَا إِللّهِ لَوْ لَو عِبَادَهُ خَولاً والصَّالِحِينَ حَرْباً الىٰ أَخر كلامه عَلَيْكِ ...

وأنت اذا تأمّلت فيه لا تشّك أنّ هذا الكلام بمعزل عمّا قاله الألوسي ولعلّه فهم من قوله طلاع الأرض الجموع الذّي في كلامه ولم يعلم أنّ معنى طلاع الأرض أي ملأ الأرض وفيه إشارة الى سرِ خفّي وهي أنّه لو كانت الأرض مملّؤة من أشباه الرّجال وسلكوا مسلكاً باطلاً وكنت أنا وحيداً فريداً على طريق الحقّ ما باليت ولا إستوحشت من الوحدة والغربة لأنّ اللّه تعالى معي و هو يكفيني في الدّنيا والأخرة وفي هذا الكلام دليل على تصلّبه عليم على الحقّ وعدم وحشته من إنفراده وغربته من النّاس وليس كلامه ناظراً الى الحرب والتقية وأمثالهما أصلاً و قد فصّلنا البحث في شرح هذا الكلام و غيره في شرحنا الكبير على نهج البلاغة بما لا مزيد عليه فمن أراد الإطلاع على حقائقه فعليه بالرّجوع اليه.

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فَي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَ يَعْلَمْهُ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ (٢٩) يَـوْمَ تَـجِدُكُـلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ شَيْهً أَمَـدًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ شَيْهًا وَ بَـيْنَهُ أَمَـدًا بَـعيدًا وَ يُحَذِّرُ كُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَوُفُ بِالْعِبَادِ (٣٠)

#### ⊘ اللَّغة

تُخْفُوا: بضم التّاء مضارع من أخفى يُخفى والأصل تخفيون وهكذا الكلام في. تُبدُوه أنه من أبدَى يُبدى أي أظهر و هو ضدّ الإخفاء.

صُدُورِكُمْ: الصّدور جمع صدر و هو الجارحة ثمّ أستعير المقدّم الشّي.

#### ⊳ الإعراب

وَ يَعْلَمُ مَا فِي آلسَّمُو أَتِالخ. هو مستأنف وليس من جواب الشَّرط لأنّه تعالى يعلم ما فيها على الإطلاق.

## ⊳ التّفسير

الخطاب للنبي عَلَيْنَهُ أي قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار أو المنافقين أو جميع النّاس.

# إِنْ تُخْفُوا مَا في صُدُورِكُمْ

أَي ما في قلوبَكم بأن لا تظهروه، أَوْ تُبْدُوهُ أي تظهروا وتعلنوه، يَعْلَمْهُ ٱللّهُ لاّنه تعالىٰ عالم بالسّر والعلن وَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ أي

فياء الفرقان في تفسير القرآن  $igwedsymbol{\lambda}_{i}$  بمخ.

أنّه لا يخفى عليه شئ ممّا هو في عالم الوجود فضلاً عمّا في صدوركم وفي هذا الكلام إشارة بسعة علمه تعالى وأنّه عالم بكلّ الأشياء، والدّليل عليه من العقل هو أنّه تعالى عالم بذاته والعلم بالذّات يستلزم العلم بما سواه لأنّ الذّات علّة له والعلم بالعّلة يستلزم العلم بالمعلول كاملاً فهو عالم بما سواه وهو المطلوب.

ثانياً: لو لم يكن عالماً بشئ من الأشياء لكان جاهلاً به لا محالة لعدم الواسطة بين العلم والجهل والجهل نقص وكلّ ناقصٍ ممكن الوجود لكونه محتاجاً الىٰ غيره في رفع نقصه فيلزم أن يكون الله تعالىٰ ممكن الوجود و قد فرضناه واجباً هف و امّا قوله واللّه علىٰ كلّ شئ قدير، فهو إشارة الىٰ عموم قدرته بل نصٌّ عليه، و قد مرّ البحث فيه غير مرّةٍ وقلنا أنّ الواجب صرف النّور ومحض الوجود فهو حيٌّ و قد عرَّفوا الحيّ بالدّراك الفّعال فالدّرك إشارة اليّ العلم والفعال إشارة الي القدرة فكلُّ حيَّ عالمٌ قادرٌ وأن شئت قلت هو تعالىٰ نورٌ محض ووجود بحت والنّور ظاهر بالذّات مظهراً للغير وكونه مظهراً للغير يعبّر عنه بالفيّاضة وهي القدرة وحيث أنّ هذا النّور عين المشّية والشّعور فهو عين العلم والعلم عينه فـالنُّور أو الوجـود يـدّل عـلىٰ العـلم والقـدرة و هـو المطلوب والقدرة عند اللمتّكلمين عرّفت بصّحة الفعل وتركه، وهذا التّعريف لها باطل لأنّ الصّحة هي الإمكان والواجب، بالّذات واجبٌ من جميع الجهات فالحقّ أنّ القدرة كون الفاعل بحيث أن شاء فعل و أن لم يشألم يفعل والي هذا المعنىٰ أشار السبّرواري في المنظومة حيث قال:

> لا يلزمنها حدُوث ما إنفَعل ونفي إعطاء القوة للفِعل

وكونه نُوراً على القُدرة دلَ يُعطي عُمومها عُموم الجَعِل الىٰ أن قال فى غُرر الحياة:

بعد بيان العلم والقدرة طي

أنَّ بيان كون صَرف النُّور حَى

## يَوْمَ تَجِدُكُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدً

المراد باليوم هو يوم القيامة والمعنى أن في ذلك اليوم تجد كلّ نفس ما عملت، في دار الدّنيا من خير و ما عملت فيها من سوء وقبيح إلاّ أنّها لما وجدت سوء عملها في الأخرة، توّد، أي تحبّ لو أنّ بينها أي بين النّفس وبينه، أي وبين العمل أمداً أي أجلاً بعيداً كما بين المشرق والمغرب والحاصل أنّ النّفس اذا رأت يوم القيامة أعمالها السّيئة إستحيت منها وندمت على ما فعلت و يُحذّر كُمُ ٱللّهُ نَفْسَهُ و ٱللّهُ رَوُّفٌ بِالْعِبَادِ أي ويحذّركم الله عقابه إيّاه قاله الرّجاج و عليه فوضع نفسه مكان، إيّاه، ومعناه و يحذّركم الله عقابه على أعمالكم القبيحة وقوله و ٱللّه رَوُّفٌ بِالْعِبَادِ أي رحيم بهم ومن تمام رأفته أن حظرهم عقابه على معاصيه قال أمير المؤمنين المَيَّا لِا يرّجون أحدٌ منكم إلاّ ربّه ولا يخافنً إلاّ ذنبه الخ.

اء الفرقان في تفسير القرآن كرنج العجلد الثالث

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ يَغْفِرُ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطيعُوا اَللّٰهَ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطيعُوا اَللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ لَا يُحِبُّ اَلْكَافِرِينَ (٣٢)

#### ⊳ اللّغة

فَإِنْ تَوَلَّوْا: أي فأن أعرضوا وياقي اللّغات واضح.

#### ♦ الإعراب

فَإِنْ تَوَلُّوْا يجوز أن يكون خطاباً فتكون التّاء محذوفة أي فأن تتّولوا و يجوز أن يكون للغيبة فيكون لفظه لفظ الماضي.

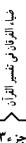
#### ⊳ التّفسير

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ

الخطاب للنبي عَلَيْكِ أَي قل يا محمد لهم أن كنتم تحبون الله، حقاً وصدقاً فَا تَبِعُونِي أَي أَطِيعُوا أَمري يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ حتىٰ يحببكم الله وَ يَعفور لَكُممُ فَاتَبِعُونِي أَي أَطيعوا أَمري يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ حتىٰ يحببكم الله وَ يَعفور لَكُممُ فَنُوبَكُمْ أَي ويغفر الله لكم ذنوبكم وَ ٱلله غَفُورٌ رَحيمٌ يغفر الذنوب ويرحم العباد.

قُلْ أي وقل لهم أُطِيعُوا ٱلله في أوامره ونواهيه والرّسول، أي وأطيعوا الرّسول أيضاً لأنّ إطاعته إطاعة الله ومعصيته معصيته فَإِنْ تَوَلَّوْا وأعَرضوا عن ذلك فَإِنَّ ٱلله لا يُحِبُّ ٱلْكافِرينَ

أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم، إعلم أنّ الحبّ و ضدّه الكراهية لمّا كانا تابعين للإدراك فينقسمان بحسب القوّة المدركة التّي هي الحوّاس الظّاهرة،





والحوّاس الباطنة، والقوّة العاملة، فمن الحبّ ممّا هو مدركٌ وملّذٌ عندها كالصُّور الجميلة المرّئية والنّغمات الموزونة والرّوائح الطّيبة و المطاعم النّفسية والملبوسات بالنّظر الى الخمس الظاّهرة.

و منه ما يتعلق بالحوّاس الباطنة بمعنىٰ أنّ المحبوب ممّا هو مدركٌ وملَّدٌ عندها و ذلك كالصُّور الملائمة الخيّالية والمعاني الجزّئية الملائمة بالنّسبة الىٰ المتّخيلة والواهمة.

و منه ما يتّعلق بالعاملة بمعنىٰ أنّ المحبوب ممّا هو مدركٌ وملّدٌ عندها كالمعاني الكلّية والذّوات المجّردة ولا ريب في أنّ العقل من الحبّ واللّذات أقوىٰ اللّذات وأبلغها اذ البصيرة الباطنة أقوىٰ من البصيرة الظّاهرة والعقل أقوىٰ إدراكاً وأشّد غوصاً ونفوذاً في حقائق الأشياء وبواطنها من الحسّ وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصّور الظّاهرة الحسنة فتكون لذّة العقل وحبّه بما يدركه من الأمور الشّريفة الإلهية التي جلّت عن إدراك الحوّاس أتم وأبلغ ولذا جعل رسول الله عَلَيْ الصّلاة أبلغ المحبوبات عنده في الدّني حيث قال حبّب الّي من دنياكم ثلاث الطّيب والنساء وقرة عيني في الصّلاة، و ذلك لأنّ الإلتذاذ بالصّلاة عقلية كما أنّ الإلتذاذ بالطّيب عني شمّية، وبالنّساء نظرية ولمسّية.

اذا عرفت هذا فأعلم أنّ أسباب الحبّ ومبادئها لمّاكانت متّعددة مختلفة فينقسم الحبّ لأجلها على أقسام:

الأول: حبّ الإنسان وجود نفسه و بقاءه و كماله و هو أشّد أقسام الحبّ وأقواها لأنّ المحبّة أنّما تكون بقدر الملائمة والمعرفة ولا شئ أشّد ملائمة لأحد من نفسه ولا هو بشئ أقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعلت نفسه مفتاحاً لمعرفة ربّه وكيف لا يكون حبّ الشّئ لذاته أقوى المراتب مع أنّ الحبّ كلّما صار أشّد جعل الإتّحاد بين المحبّ والمحبوب أكد وأبلغ وأيّ إتّحاد أشّد من الوحدة ورفع الأثنينية بالمّرة كما بين الشّئ و نفسه فالمحبّ والمحبوب واحد

ياء الفرقان في تفسير القرآن كربيكم المجلد الغا

معنىٰ حبّه لنفسه كونه محبّاً لدوام وجوده و مكرهاً لعدمه و هلاكه فالبقاء و دوام الوجود محبوب والعدم ممقوت وكما أنّ دوام الوجود محبوب فكذلك كمال الوجود محبوب لأنّ فقد الكمال نقص والنّقص عدم بالإضافة الى القدر المفقود فالوجود محبوب في أصل الذّات و بقاءه و في صفات كماله والعدم ممقوت فيها جميعاً والتّحقيق أنّ المحبوب ليس إلاّ الوجود والمبغوض ليس إلاّ العدم و جميع الضفات الكمالية راجعة الى الوجود و جميع النّقائص الى العدم. الثّانى: حبّه لغيره لأجل إلتذاذه منه لذّة حيّوانية كحبّ كلً من الرّجل والمرأة للأخر لأجل الجماع، و حبّ الإنسان للمأكولات و الملبوسات و المشروبات و أمثالها والجامع في هذا القسم هو اللذة وهي سريعة الحصول و سريعة الزّوال و أضعف المراتب لحساسة سببه و سرعة زواله وتشّبه الإنسان بالحيوان من هذه الجهة.

و سبب الحبّ غريزة في الطّباع بحكم سنّة اللّه ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً و

الثالث: حبّه للغير أيضاً لأجل الغرائز الحيّوانية بل لأجل نفعه وإحسانه فأنّ الإنسان عبيد الإحسان و قد جبّلت النّفوس على حبّ من أحسن اليها وبغض من أساء اليه و لذا قال رسول اللّه عَلَيْ اللّهم لا تجعل لفاجر علّي يداً فيحبّه قلبي، فالسّبب الجامع في هذا القسم من الحبّ هو النّفع والإحسان.

الرّابع: أن يحبّ الشّئ لذاته لا لحطً يناله منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظّه وهذا هو الحبّ الحقيقي البالغ الّذي يوثق به و ذلك كحبّ الجمال والحسن فأنّ كلّ جمالٍ حسن محبوبٌ عند مدركه و ذلك لعين الجمال لأنّ إدراكه عين اللّذة وهي محبوبة لذاتها ولا لغيرها ويدخل في هذا القسم الكمال أيضاً فأنّ الإنسان يحبّ العالم لعلمه والشّجاع لشجاعته والسّخي لسخاوته كما أنّه يحبّ الجمال والمناظر الحسنة لحسنها كما قال الشّاعر في هذا المقام:

ثلاثة تذهب عن قلب الحَزن الماء والخضراء والوجه الحَسَن

الخامس: أن تكون المحبّة لمناسبة خفّية أو مجانسة معنّوية فربّ شخصين

تتَّأكد المحبَّة بينهما من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاهٍ ومالٍ بل بمجّرد تناسب الأرواح ووجود السّنخية بينهما كما قال رسول اللّه عَلَيْواللّهُ الأرواح جنودٌ مجّندةٌ فما تعارف منها إئتلف و ما تناكر منها إختلف.

السّادس: أن تكون المحبّة لأجل الألفة و الإجتماع في بعض المواضع مثل المجاورة و المسافرة والملاقاة في بعض الأوقات.

السّابع: أن تكون المحبّة لمن يشاركه في وصفٍ ظاهر كحبّ الصّبي للصّبي والشَّيخ الى الشَّيخ لشيخوخته والتّاجر الى التّاجر والفاسق الى الفاسق وهكذا. الثَّامن: أن تكون المحبّة على أساس الأسباب والعلل مثل حبّ كلّ سبب لمسّببه وكلّ علّةٍ لمعلولها وبالعكس فأنّ المعلول لمّاكان مثالاً للعلّة وترّشحاً عنها فالعلَّة تحبُّه لأنَّه فرعها وبمنزلة بعض أجزاءها وهكذا المعلول يحبُّها لأنَّها أصله فكأنّ كلاّ منهما في حبّه للأخر يحبّ نفسه.

التّاسع: محبّة المتشاركين في سبب واحد بعضهم لبعض كمحبّة الأخوان والأقارب فكلّما كان السبب أقرب كانت المحبّة أشّد و لذلك تكون محبّة الأخوين أشَّد من محبَّة أبناء الأعمام مثلاً فهذه هي أقسام المحبّة التّي يكون المدار عليها في الإنسان وحيث علمت ذلك فأستمع لما يتلي عليك.

فنقول الحقّ أنّه لا مستّحق للحبّ غير الله تعالى و لا محبوب في الحقيقة عند ذوي البصائر إلاّ هو فلو كان غيره قابلاً للحبّ و موضعاً له في ظاهر الأمر فأنَّما هو محبوب من جهة إنتسابه اليه تعالىٰ فمن أحبُّ غيره لا من حيث نسبته اليه فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله بل لا محبوب له واقعاً مع قطع جزء ٣ ﴾ النّظر عن الإنتساب و ذلك لأنّ غيره كائناً ماكان فهو موجود به مخلوق له فهو مع قطع النّظر عن الإنتساب ليس إلاّ العدم والعدم كيف يصلح للحبّ فينبغي أن يكون حبّه لعموم الخلق بعموم النّسبة أي من حيث أنّ الخلق منه اذ بدون النّسبة لا حكم له أصلاً فأن المعدوم لا حكم له ولا عليه وتـوضيح ذلك أنّ جميع أسباب الحبّ المذكورة موجودة مجتمعة في حقّ اللّه تعالىٰ فهو

محبوب من جميع الجهات ولا توجد الأسباب مجتمعة في غيره، أمّا السّبب الأوّل أعني محبّة النّفس فمعلوم أنّ وجود كلّ أحدٍ فرع لوجود ربّه وظلّ له ولا وجود له من ذاته فوجود النّفس مثلاً و دوام وجودها وكمال وجودها من اللّه وباللّه و الى اللّه فهو الموجد المبدع لها وبقاءها أيضاً به ثم هو المكمل لوجودها بإيجاد صفات الكمال فيها فهي صرف العدم لولا فضل اللّه عليه بالإيجاد وهالكة بعد وجودها لولا فضله عليها بالإبقاء فهو العلّة الموجدة لها كما أنّه العلّة المبقية لها أيضاً فحينئذ محبّة كلّ شئ لنفسه ترجع الى محبّة ربّه و أن لم يشعر المحبّ به وكيف يتّصور أن يحبّ الإنسان نفسه ولا يحبّ ربّه الذي به قوام نفسه فأنّ من أحبّ النّور أحبّ الشّمس التّي بها قوام النّور.

وأمّا السّبب الثّاني والثّالث: أعني الإلتذاذ في الأوّل والإحسان في التّاني سواء كان متّعدياً الى المحبّ أم لا فمعلوم أنّه لالذة ولا إحسان إلا من الله فأنّه خالق الإحسان و ذويه وفاعل أسبابه و دواعيه فكلّ محسنٍ فهو حسنة من حسنات قدرته و حسن فعاله.

أمّا الرّابع: أعني به الحسن والجمال والكمال فلا ريب في أنّه تعالىٰ هو الجميل بذاته و هو الجمال الخالص و الكمال المطلق و ما يوجد في غيره منهما فهو منه و مع ذلك لا يخلو عن شوائب الخلل و النّقصان اذ النّقص شامل لجميع الممكنات والتّفاوت بالشّدة و الضّعف والكمال والنّقص لقوله تعالىٰ: في المُنه النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ (١).

أمّا الخامس: أعني به المناسبة الخفّية والمجانسة المعنّوية فلاريب في أنّ النفس النّاطقة مناسبة مجهولة خفّية مع بارئها موجدها و لذلك قال رسول اللّه عَلَيْظُ من عرف نفسه فقد عَرف ربّه و قال تعالىٰ: قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّى و قال: إِنّى جَاعِلُ فِي ٱلأَرْضِ خَليفَةً اذ لم يستّحق آدم مقام الخلافة إلا تبلك المناسبة وبها ينقطع العبد الىٰ ربّه ثمّ أنّ المناسبة علىٰ قسمين خفّية وجلّية

وأن شئت قلت، باطَّنية وظاهّرية والبّاطنية الخفّية فقد مضيّ الكلام فيها وقلنا أنّ للنّفس مناسبة مجهولة خفّية مع بارئها، و امّا المناسبة الظّاهرة فهي قرب العبد الى ربّه في الصّفات الرّبوبية والأخلاق الإلهّية كالعلم والقـدرة وَالبّر و الإحسان واللَّطف و إفاضة الخير على الخلق وإرشادهم الى الحقِّ وغير ذلك من الصّفات التّي جعل العبد مظهراً لصفات ربّه وفي هذا الباب أبحاث عميقة ولا سيّما في المناسبة الخفية التّي زلَّت فيها الأقدام وتحيّرت فيها الأفهام وكلَّت فيها عقول ذوي الألباب فضلاً عن عقول العوام حتَّىٰ وقع قـومٌ فـي التّشبيه الظّاهر و أخرون في الحلول و الإتّحاد و امّا أهل الحقّ الّذين إنكشفت لهم إستحالة التّشبيه والإتّحاد وفساد طرفى التّفريط والإفراط و إتَّحضت لهم حقيقة السِّر فهم الاقلُّون و لذلك فالسَّكوت أوليٰ.

و أمّا سائر الأسباب فأنت تقدر علىٰ إستخراجها بقدر فهمك وإستعدادك. ولنرجع الي تفسير كلامه تعالى و هو أنّ قوله:

# قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللَّهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اَللَّهُ

إشارة الني أنّ حبّ اللّه تعالىٰ لا يكون واقعاً إلاّ بمتابعة رسوله و أنت بعد ما عرفت الحبّ للّه ومعناه تقدر علىٰ فهم الآية و ذلك لأنّ الرّسول مظهر كمالات الرّب لكونه خليفته في الأرض فمتابعته متابعة الله ومخالفته مخالفته ولذلك قال يحببكم الله لأنّ اللّه تعالىٰ يحبّ المطيع والمفروض أنّ إطاعة الرّسول إطاعته فمن إتَّبع الرّسول فهو محبوب له تعالىٰ و هو المطلوب ثمّ نقول أنّ في الأية الشّريفة سر آخر يجب التّنبيه عليه وهي أنّ اللّه تعالىٰ علّق حبّه للعبد جزء ٣ كان متابعة الرّسول لا على حبّ العبد له تعالى كيف كان و لذلك لِم يقل، قل أن كنتم تحبّون الله فالله يحببكم مثلاً بل قال فَا تَبِعُوني يُحْبِبْكُمُ ٱللّهُ وعليه فالمفهوم من الكلام هو أنّ العبد اذا أحبَّ اللّه تعالى ولم يتّبع الرّسول فلا يحبّه اللّه فيكون الحبّ من جانب العبد فقط و هو ممّا لا أثرَله لأنّ المحبّة اذا لم تكن من الجانبين فهي كالعدم ألا ترىٰ أنّ العاشق اذا أحبّ المعشوق والمعشوق لا

لقرآن

يعشقه ولا يحبّه فهذا العشق لا أثر له إلاّ المحنة والحزن بخلاف ما اذا كان المعشوق أيضاً عاشقاً ومحبّاً له فأنّ في هذه الصَّورة يبدّل الفراق بالوصال والمحنة والحزن الى السّرور فمن كان محبّاً لله تعالى والله لا يحبّه لا فائدة في حبّه أصلاً فأفاد في الآية أنّه لا طريق الى جذب حبّه تعالى إلاّ من طريق متابعة الرّسول فقال، فَاتَّبِعُوني يُحْبِبُكُمُ ٱلله وعليه فمن كان محبوباً له تعالى لا يكون إلاّ تابعاً لرسوله مطيعاً لأوامره ونواهيه وفيه إيماء الى أنّ الإنسان كائناً من كان يحتاج في كسب محبّة الله إيّاه والوصول الى مقام قربه الى الرّسول فهو لا يقدر على كسب هذا النّعمة إلاّ بسبب وجود الرّسول و متابعته له فالرّسول واسطة بين الخالق والمخلوق وطريق العبّودية منحصرٌ بالتّمسك به و هو دليل عقليٌ على لزوم البعثة لحصول هذه النّعمة و لذلك قال الله بعد هذا الكلام ويغفر لكم ذنوبكم، لأنّ المغفرة تحصل بعد المحبّة فمن لا يكون محبوباً له ويغفر لكم ذنوبكم، لأنّ المغفرة تحصل بعد المحبّة فمن لا يكون محبوباً له تعالى لا يكون مغفوراً أبداً، و ٱللّه غَفُورٌ رَحيمٌ بالنّسبة الى المحبوب المتّابع للرّسول قولاً وفعلاً والى هذه الدّقيقة أشار الله بقوله:

# قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَ ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَولَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ

فجعل الملاك في صدق إطاعة الله وإطاعة رسوله وعبَّر عمَّن لا يطيعهما بالكافر ومن المعلوم أنّه لا يحبّ الكافرين:

قال الله تعالىٰ: وَ مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ (١).

قال الله تعالىٰ: وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ (٢).

قال الله تعالىٰ: مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهُ (٣).

١- النّساء=١٣.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى الْهَمَ وَ نُوحًا وَ اللَّ إِبْراهِيمَ وَ اللَّ عِمْرانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضِ وَ ٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيمٌ (٣٣)

#### ⊳ اللّغة

أَصْطَفَى: الإصطفاء الإختيار.

أَدَمَ: قيل سمّي بذلك لكون جسده من أديم الأرض و قيل لسمرة في لونه يقال رجل آدم نحو أسمر و قيل سمّي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى متفرقة يقال جعلت فلاناً، أُدَّمة أهلي أي خلطته بهم، و قيل سمّي بذلك لما طيّب به من الرّوح المنفوخ فيه، لقوله تعالىٰ: وَ نَقَحْتُ فَهِهِ مِنْ رُوحي (١) و عليه فهو مأخوذ من الإدام و هو ما يطيب به الطّعام.

ُ نُوحًا: إسم نبّي من الأنبياء والنَّوح بفتح النون مصدر يقال ناحَ يَنُوح نَوحاً، أي صاح بعويل و أصل النَّوح إجتماع النّساء في المناحة.

اَلَ إِبْراْهِيمَ: الآل مقلوبُ عن الأَهْل و يصّغر علىٰ أَهيل و آل الرّجل أقاربه. عَمْراْنَ: اِسمّ.

ذُرِّيَّةً: الذُرَّية بضّم الذّال في الأصل، الصّغار من الأولاد و قد تطلق على الصّغار والكبار معاً في التّعارف.

### ⊳ الإعراب

ذُرِّيَّةً نصبها علىٰ البدل من نوح وما عطف عليه من الأسماء ولا يجوز أن يكون بدلاً من آدم لأنه ليس بذرية و يجوز أن يكون حالاً منهم والعامل فيها، إصطفىٰ بعَصْ مِنْ بعَصْ مبتدأ و خبر في موضع نصب صفة لذرية.



#### ⊳ التّفسير

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفْى أي أنّ الله إختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، الظّاهر أنّ الله إختارهم للنّبوة و قال بعض المفسّرين أي إصطفىٰ دينهم و هو الإسلام فحذف عنه المضاف انتهىٰ.

أقول و هو خلاف ظاهر الآية والأصل عدم الحذف مضافاً الى أنّ الدّين للّه تعالىٰ لا لآدم و لا لنوح و لا لغيرهما و أنّما أضيف الآل الى إبراهيم وعمران لأنّه يضاف الى الأشرف يقال آل اللّه، و آل السّلطان، و لا يقال آل الخيّاط وآل البّقال و قلنا أنّ الآل مقلوب عن الأهل و لذلك يصّغر على أهيل والفرق بينهما هو أنّ الآل خصّ بالإضافة الى أعلام النّاطقين دون النّكرات و دون الأزمنة و الأمكنة فلا يقال آل رجل ولا آل زمان، و امّا الأهل فليس كذلك فهو يضاف الى الكلّ يقال أهل الله و أهل الخيّاط كما يقال أهل زمن كذا و في المقام قول أخر و هو أنّ الآل في الأصل إسم الشّخص ويصّغر أويلاً و يستعمل فيمن يختص بالإنسان إختصاصاً ذاتياً أمّا بقراءةٍ قريبة أو بموالاةٍ و قد تكلمنا في معنى الآل فيما مضى مفصلاً.

عَلَى ٱلْعَالَمينَ جمع العالم أي على جميع الخلق لأن العالم يطلق على الخلق كلّه و قال صاحب المفردات العالم إسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض و قال في وجه تسميته به هو في الأصل إسم لما يعلم به كالطّابع والخاتم لما يطبع بهو ويختم به وجعل بناءه على هذه الصّيغة لكونه كالألة والعالم ألة في الدّلالة على صانعه ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدّانيته فقال، أولم ينظروا في ملكوت السّموات والأرض الآية انتهى كلامه ذُرِّيَّة بعضها من ولد بعض أو بعضهامن بعض و الله سميع عليم أي ذرية بعضها من ولد بعض أو بعضهامن بعض و الله سميع عليم أي عالم بالمسموعات عليم بكل شي. عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه قال عليه إن الله المؤلى ادم و نوع أو ألله العترة في كتاب الخصال عن أبي الحسن الأول قال و نحن بقية تلك العترة في كتاب الخصال عن أبي الحسن الأول قال

سياء الغرقان في تفسير القرآن كمسيج المجلد الثالث

قال رسول الله أنّ الله تبارك وتعالى إختار من كلّ شيئ أربعة الى أن قال وإختار من البيوت أربعة فقال الله تعالى: إنّ ٱلله ٱصطَفَى الدَمَ وَ نُوحًا وَ اللهَ إِبْراهيمَ وَ اللهَ عِمْرانَ عَلَى ٱلْعالَمينَ.

و عن جعفر ابن محمد عليه عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عن النّبي أنّه قال: في وصّية له -ياعلي أنّ اللّه عزّ وجلّ أشَرف على الدّنيا فإختار ني منها على رجال العالمين، ثمّ أطلع الثّانية فأختارك على رجال العالمين بعدي ثمّ أطلع الثّالثة فأختار الأئمّة من وُلدِك على رجال العالمين بعدك ثمّ أطلع الرّابعة فأختار فاطمة على نساء العالمين.

و في كتاب كمال الدّين وتمام النّعمة بأسناده عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر محمّد بن علّي الباقر علي حديث طويل يقول فيه - فلمّا قضى محمّد نبّوته وإستكمل أيامه أوحى الله عزّ وجلّ الله أن يامحمّد قد قضيت نبّوتك و إستكملَت أيّامنا فأجعل العلم الذّي عندك والإيمان والإسم الأكبر و ميراث العلم وأثار علم النبوة عند علّي بن أبي طالب فأنّه فأنّي لم أقطع العلم و الإيمان و الإسم الأكبر و ميراث العلم وأثار علم النبوة من العقل من ذرّيتك كما لم أقطعها من بيُوتات الأنبياء الذين كانوا بينك و بين أبيك آدم و ذلك أقطعها من بيُوتات الأنبياء الذين كانوا بينك و بين أبيك آدم و ذلك قوله عزّ وجلّ :إنَّ ٱلله أصطفَى ادم و ثريع أبي أبراهيم و الله سميع عمران على العلمين (٣٣) ذرّيّة بعضها من بعضٍ و ٱلله سميع عمران على الله الممين (٣٣) فريًا الله عنه عليم.

وفي روضة الكافي عن أبي جعفر التلا مثله والأحاديث كثيرة في الكافي وغيره (١).



إِذْ قَالَتِ آمْرَأَةُ عِمْراٰنَ رَبِ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فَي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّميعُ أَلْبَ عَلَيْم (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِإِنِّي وَضَعْتُها قَالَتْ رَبِإِنِّي وَضَعْتُها أَنْفى وَ ٱلله أَعْلَم بِما وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكُو كَالْأُنْفى وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي الله أَعْينُها مِن الشَّيْطانِ الرَّجيم (٣٤)

#### ⊳ اللّغة

نَذَرْتُ: النّذر أن توجب علىٰ نفسك ما ليس بواجبٍ لحدوث أمرٍ. بَطْنَي: أصل البَطن الجارحة وجمعه بُطون والبَطن خلاف الظّهر في كلّ ئ.

مُحَرَّرًا: التّحرير جعل الإنسان حَراً و قيل في معناه هـو أنّـه جـعل ولده بحيث لا ينتفع به إلاّ الإنتفاع الدّنيوي بل جعله مخلصاً للعبادة ولهذا قيل معناه مخلصاً.

أَنْثَى: الأَنْثَىٰ خلاف الذُّكر.

مَرْيَمَ: هو إسم أعجمي غير منصرف لأنّه مؤنث معرفة قيل معناه في لغتهم، خادم الرّب.

ذُرِّيَّتَهَا: الذُرِّية أصلها الصّغار من الأولاد و امّا في العرف فقد يقع على الصّغار والكبار جميعاً.

آلشَّيْطْانِ آلرَّجِيمِ: الشِّيطان من شَطن أي تباعد قيل النون فيه أصلية و قيل زائدة و عليه فهو من شاط يُشيط، إحترَق غضباً والرَّجيم مبالغة في الرَّجم و هو الرَّمي بالرّجام أي الحجارة ومعناه المطرود من الخيرات.

#### ♦ الإعراب

إذْ قَالَتِ أي إذَّكر يا محمّد إذ قالت و قيل هو ظرف يعلم مُحَرَّرًا حال من، ما، و هي بمعنىٰ الَّذي و قيل هو صفة لموصوفٍ محذوف أي غلاماً محرّراً وأنَّما قدَّروا غلاماً لأنَّهم كانوا لا يجعلون لبيت المقدس إلاَّ الرَّجال وَضَعْتُهٰا ٓ أَنْثَى أَنْثَىٰ حال من الهاء و بدلٌ منها.

### ∕ التّفسير

لمّا قال اللّه تعالىٰ في الأية السّابقة: إنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفْيَ أَدُمَ وَ نُوحًا وَ اللَّ إِبْراْهِيمَ وَ أَلَ عِمْراْنَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ أَشَارِ في الآية وبعدها الي ما أنعَم اللّه علىٰ أَل عمران حيث بعث علىٰ قومه المنّ والسّلويٰ وإصطفىٰ لعمران، مريم بولادة عيسىٰ بغير أب ولم يكن ذلك لغيره في العالم.

# إِذْ قَالَتِ آمْرَأَةُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْني مُحَرَّرًا.

أي إذكر يا محمّد إذ قالت إمرأة عمران قيل وهي، حنَّة، بالحاء المهملة والنَّون بنت ناقود بن تنبل أمّ مريم جدّة عيسيٰ قالوا وليس بعرّبي إذ لا يعرف في العرّبية، حنَّة، إسم إمرأة، قاله القُرطبي و ذكر عبد الغني بن سعيد الحافظ، حنَّة أمّ عمرو و يروي حديثها إبن جُريح، و امّا عمران، فقيل هو عمران بـن ماشان من ولد سليمان بن داوود و هو أبو مريم البتول أم عيسيٰ عَلَيْكِ و قيل هو عمران عَلَيْكِ أَبُو مُوسَىٰ وهارون و هو عمران بن نصير قاله مقاتل والحقّ الأوّل جزء ٣ للنّص علىٰ أنّ مريم بنت عمران بن ماشان ولدت عيسىٰ وأن زكرّيا كفل مريم أمّ عيسيٰ وكان زكرّيا قد تزّوج أخت مريم، أمشاع، إبنة عمران بن ماشان فكان يحيي وعيسي إبنى خالة وبين العمرانيين أعمار كثيرة قيل ألف سنة وثمان مائة سنة و قال الطّبري في نسب عمران ما لفظه فأمّا زوجها (أي زوج حنَّة أم مريم) فأنّه عمران بن ياشهم بن أمون بن منشاءبن حزيتا بن أحريق بن يويم بن

عزاريا بن أمصيابن ياوش بن أحرنهيو بن يازم بن يهفابن أشابر أبان رجعم بن سليمان بن داوود بن إيشا، أقول أصل الإختلاف نشأ من وجود عمرانين ومريمين في كتب السير.

أحدهما: أبو موسى و هارون وكانت له بنت تسمّى مريم وكانت أكبر من موسى وهارون سنّاً.

ثانيهما: أبو مريم أمّ عيسى، أحدهما، يقال له عمران بن ماشان، والآخر عمران بن نصير، و على قول الطّبري أحدهما عمران بن ياشهم والآخر عمران بن نصير وكيف كان فالحقّ في المقام هو أنّ مريم بنت عمران الّتي كانت أمّ عيسى ليست هي مريم أخت موسى و هارون إذ لو كان كذلك لكان عيسى عليه إبن أخت موسى وهارون و لازم ذلك أن يكون بعث عيسى بعد موسى ولم يقل به أحد لأنّ ولادة عيسى بعد موت موسى بقرون كثيرة و عليه فعمران أبو موسى و هارون غير عمران الذي كان أباً لمريم و هذا الذي ذكرناه هو الحقّ الحقيق بالإتباع و يطابقه النّص أيضاً واللّه أعلم بحقائق الأمور.

قال الطّبري في تفسيره بأسناده عن محّمد بن إسحاق قال تزوج زكريا وعمران أُختين فكانت أمّ يحيئ عند زكريا وكانت أمّ مريم عند عمران فهلك عمران وأمّ مريم حامل بمريم وهي جنين في بطنها وكانت فيما يزعمون قد امسك عنها الولد حتّى أسنّت وكانوا أهل بيت من اللّه تعالى بمكان فبينما هي في ظلّ شجرة نظرت الى طائر يطعم فرخاً له فتّحركت نفسها للولد فدعت اللّه أن يهب لها ولداً فولدت (فحملت) بمريم وهلك عمران فلمّا عرفت أنّ في بطنها جنيناً جعلته للّه نذيرة والنذيرة أن تعبده للّه فتجعله حبساً في الكنيسة لا ينتفع به شئ من أمور الدّنيا انتهى.

و بأسناده عن الضّحاك في قوله أنّي نذرت لك ما في بطني محرّراً قال جعلت ولدها لله وللذّين يدرسون الكتاب و يتّعلمونه، و بأسناده عن الشّعبي في قوله: إِنّى نَذَرْتُ لَكَ ما في بَطْني مُحَرَّرًا قال جعلته في الكنيسة و فرّغته للعبادة انتهي.

أقول ذكر الطّبري في المقام أخباراً كثيرة بهذه المضامين وعلىٰ ما ذكره فالمراد يقوله تعالىٰ: مُحَرَّرًا هو أن يكون خادماً للكنيسة يخدمها ويعبد الله فيهاموافق لقول الرّاغب في المفردات حيث قال هو (أي التّحرير) أنّه جعل ولده بحيث لا ينتفع به الإنتفاع الدّنيوي بل جعله مخلصاً للعبادة وبــه قــال القُرطبي وغيره من العّامة قال القُرطبي مُحَرَّرًا مأخوذ من الحرّية الّتي هي ضدّ العبودية ومن هذا تحرير الكتاب و هو تخليصه من الإضطراب والفساد و روى عن عكرمة أنّه قال أنّ المحرّر الخالص للّه عزّ وجلّ لا يشوبه شئ من أمر الدّنيا ثمّ قال القُرطبي و هذِا معرِوف في اللّغة أن يقال لكلّ ما خَلص، حرّ، و محرّر بمُعناه فَتَقَبَّلْ مِبْتِى إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّميعُ ٱلْعَليمُ أي فتَّقبل منّى ما نذرت لك و هو أن يكون ما في بطني محرّراً، مخلصاً لعبادتك أنّك تسمع ما أقول و تعلم ما في قلبي ونيّتي من الصّدق.

# فَلَمًّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أَنْثَى

قال ابن عبّاس أنّما قالت هذا لأنّه لم يكن يقبل في النّذر إلاّ الذّ كور فقبل الله مريم، والمعنىٰ فلمًا وضعت أمّ مريم وهي حنّة زوجة عمران ما في بطنها ورأت أنَّها أُنثيٰ قالت ربِّ أنِّي وضعتها أنثيٰ، أي وضعت النَّذيرة أنثيٰ و لذلك أَنْتُ ولو كانت الهاء عائدة على، ما، التّي في قوله: إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْني لكان الكلام فلَّما وضعته قالت أنَّى وضعته أنثيٰ.

إِن قُلت أين كانت النّذيرة في الآية لتكون مرجعاً للضّمير في قوله: وَضَعْتُهآ قلتُ النّذيرة معنىٰ ومفاد، ما، لأنّ النّذر في قوله: إِنِّي نَذَرْتُ ۚ قد تعّلق بما في جزء ٣ بطنها فالمراد بقوله، ما، هو النَّذيرة فالمعنى أنَّها قُالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهُمْ أي أنَّى ولدتُ النَّذيرة أُنثى وَ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ إختلف الْقُراء في قراءة ذلك قال الطّبري قراءة عامّة القرّاء، وضعت خبراً من اللِّه عزّ وجلّ عن نفسه أي أنّه العالم بما وضعت، و قرأ بعض المتّقدمين وَ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ علىٰ وجه الخبر بذلك عن أمّ مريم أنّها هي القائلة والله أعلم بما ولدت منّى قال الطّبري

بعد ذلك وأولى القراءتين بالصّواب قراءة من قرأ، واللّه أعلم بما وضعت، ولا يعترض بالشّاذ عنها عليها فتأويل الكلام اذا، واللّه أعلم من كلّ خلقه بما وضعت، ثمّ رجع جلّ ذكره الى الخبر عن قولها وأنّها قالت إعتذاراً الى ربّها ممّا كانت نذرت في حملها محرّرته لخدمة ربّها، وليس الذّكر كالأنثى لأنّ الذّكر أقوى على الخدمة و أقوم بها وأنّ الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لذّحول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنّفاس انتهى كلام الطّبري ثمّ أنّه نقل الأخبار من طرقهم على مدّعاه و ٱللّه أعلم بيما وضعت و ٱلله أعلم بيما وضعت و الله أعلم بما وضعت من كلام الله وليس الذّكر كالأنثى، من كلامها كما والله أعلم بما وضعت، من كلام الله وليس الذّكر كالأنثى، من كلامها كما عرفت من كلام الطّبري و امّا على القول الأخر و هو قراءة، وضَعت، بضّم التّاء فهو من جملة كلامها والكلام متصلّ انتهى فهو من جملة كلامها والكلام متصلّ انتهى

أقول قال الشّيخ في التّبيان قرأ و آللّهُ أعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ابن عامر و أبو عمرو و عاصم و يعقوب بمعنى قولي فَـلَمّا وَضَـعَتْهَا قُــالَتْ رَبِّ إِنّـى وَضَعْتُهَا أَنْثَى قيل فيه قولان.

أحدهما: الإعتذار من العدول الي النّذر لأنّها أُنثيٰ،

الثّانى: تقديم الذّكر في السّؤال لها بأنّها أُنتى و ذلك أنّ عيب الأُنتى أفظع اليها أسرع وسعيها أضعف وعقلها أنقص فقدّمت ذكر الأُنتى ليّصح القصد لها في السّؤال على هذا الوجه وقوله: و لَيْسَ الدَّكَرُ كَالاَّنْتى إعتذار بأنّ الأُنثى لا تصلح لما يصلح له الذّكر و أنّما كان يجوز لهم التّحرير في الذّكور دون الأُناث لأنّها لا تصلح لما يصلح له الذّكر من التّحرير لخدمة المسجد المقدس لما يلحقها من الحيض والنّفاس و الصّيانة عن التّبرح للنّاس و قال قتادة لم يكن التّحرير إلا للغلمان فيما جرت به العادة انتهى

و قال الطّبرسي وَ ٱللّٰهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ إحبار منه تعالىٰ بأنّه أعلم

بوضعها لأنّه هو الّذي خلقها وصوَّرها وعلىٰ القراءة الأُخرىٰ، وأنت ياربّ أعلم منّى بما وضعتُ انتهىٰ و يظهر من كلام الزّمخشري في الكشّـاف أنّـه رجَّـح القول المشهور و هو سكون التّاء في، وضعت، وأنّه قول اللّه تعالىٰ لا قول أُمّ مرِيم لأنَّه قال معناه واللَّه أعلم بالشِّئِ الَّذي وضعت و ما علق به من عظائم الأُمور وأن يجعله وولده أية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تـعلم مـنه شـيئاً فلذلك تحسَّسرت ثمَّ قال وفي قراءة ابن عبّاس، واللّه أعلم بما وضعت، على خطاب الله تعالىٰ لها أي أنَّك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلّو قدره انتهيٰ كلامه.

أقول فعلى ما ذكره تكون الأقوال حول الآية ثلاثة:

أحدها: أن يكون قوله: وَ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ قول المرأة و عليه فالتّاء

الثَّانية: أن يكون من كلام الله تسليةً لنفسها و عليه فالتَّاء ساكنة.

الثَّالثة: أن يكون من كلام اللَّه علىٰ وجه الخطاب لها و عِليه فالتَّاء مكسورة و لكّل من هذه الوجوه وجه و امّا قوله: وَ لَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالْأَنْثَى ففيه إحتمالان ولا ثالث لهما:

أحدهما: كونه قول المرأة.

ثانيهما: أن يكون من كلام الله أي أنّ الله أعلم بما وضعت وأعلم بأنّ اذَّكر ليس كالأنثىٰ فهذه خلاصة كلمات المفسّرين من الخاصّة والعامّة واللّه تعالىٰ أعلم بمراده وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّيٓ أَعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ جزء ٣ كُ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجيم قال أُمّ مريم بعد مات وضعتها أَنثىٰ وأنّي سمّيتها مريم، يعني خادم الرّب في لغتهم ثمّ بعد التّسمية لها دعت لها وقالت أنّي أُعيدُها بك يعنى مريم بك وذرّيتها، أي وأعيذ ذرّيتها أيضاً بك من الشّيطان الرّجيم المطرود أي من أغواءه و أضلاله، و في هذا الكلام إشارة الي أنّ النّجاة من أغواءه لا يمكن إلا بعون الله وتوفيقه و لذلك أمرنا أن نقول، أعوذ بالله من

الشّيطان الرّجيم في جميع الأمور و لا سيّما العبادات كالصّوم و الصّلاة و الحجّ و أمثالها و ذلك لأنّ الشّيطان من أقوىٰ الأعداء بالنّسبة الىٰ أولاد آدم نعوذ باللّه من شرّه آمين قال القُرطبي في تفسير قوله: وَ ذُرِّيَّتُها يعني عيسىٰ ثمّ قال وهذا يدّل علىٰ أنّ الذّرية قد تقع علىٰ الولد خاصّة.

أنا أقول الذّرية لا تقع على الولد خاصة بل تقع على الأولاد وفي المقام أيضاً كذلك أي أستعملت في معناها اللّغوي والعرفي إلاّ أنّ الكلّي منحصر في الفرد و هو يوجد بوجود الفرد ويعدم بإنعدام جميع الأفراد فاذا قلنا مثلاً، أكرم العلماء ولم يوجد منهم إلاّ واحد فهو مصداق للعلماء فيجب إكرامه ألا ترى أنّ الإنسان قد يطلق على زيد فيقال إنسان مع أنّه بحسب المفهوم يطلق عليه و على غيره والحاصل، فرق بين صدق الكلّي على الفرد من حيث أنّه مصداق له و بين صدق الكلّي على الفرد من حيث أنّه مصداق الدّرية موضوعة لجنس الولد صغيراً كان أوكبيراً واحداً أوكثيراً مذكراً أو مؤنّناً فهي تطلق على الفرد من باب أنّه أحد المصاديق كما تطلق على المجموع فهي تطلق على الولد من فالقول بأنّ الذّرية قد تقع على الولد خاصة أن كان بعنوان أنّه أي الولد من غرضه أنّ الذّرية كما أنّها تطلق على الجميع وصفاً كذلك تطلق على الولد خاصة بالوضع فهو غلط فاحش.

قال القُرطبي وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه عَلَيْظَةُ ما من مولود يولد إلاّ نخسه الشّيطان فيَّستهل عارفاً من نخسة الشّيطان إلاّ ابن مريم وأُمّه ثمّ قال أبو هريرة إقرأوا أن شئتم وأنّي أُعيدها بك وذرّيتها من الشّيطان الرّجيم، قال القُرطبي، قال علماؤنا فأفاد هذا الحديث أنّ اللّه تعالىٰ إستجاب دعاء أمّ مريم فأنّ الشّيطان ينخس جميع ولد آدم حتّىٰ الأنبياء والأولياء إلاّ مريم وابنها قال قال قتادة كلّ مولود يطعن الشّيطان في جنبه حين يولد غير عيسىٰ وأُمّه جعل بينهما حجاب فأصابت الطّعنة الحجاب ولم ينفد

لهما منه شئ، قال: قال علماؤنا وأن لم يكن كذلك بطلت الخصّوصية بهما انتهىٰ كلام القُرطبي وأنّما نقلنا ما نقله في تفسير الآية لرفع الملالة وأن تـقرأ حديث أبى هريرة وقول علماؤهم ثمّ تضحك كما ضحكنا أو تبكي عليٰ الإسلام من هذا الدّاء الّذي لا دواء له.

نعم اذا أخذ تفسير كلام الله تعالىٰ من أبي هريرة وأنس وسمرة و امثالهم فهكذا يفسّر كلام الله ولست أدري ما ذنب الأنبياء وفيهم إبراهيم الخليل و خاتم المرسلين أنّ الشّيطان نخسهم حين الولادة ولم ينخس ابن مريم وأمّه، أكان عيسى أفضل من رسول الإسلام و جميع الأنبياء أم كان أبو هريرة من أكذب النَّاس علىٰ اللَّه و رسوله نعوذ باللَّه من هذه الأباطيل وهكذا حديث قتادة إلا أنّ ذنب أبي هريرة أعظم من ذنب قتادة لأنّ أبا هريرة نسب الحديث المجعول الي رسول الله و إفتري عليه و امّا قتادة فقال ما قال من قبل نفسه و كم له نظير من النّاس من الحمقاء والمجانين الذّين يقولون ما لا يعلمون اذ لو كان عالماً بقوله هذا لم يقل كلِّ مولودٍ يطعن الشّيطان في جنبه الخ لأنّ المولود الصّغير حين ولادته بأيّ دليلِ من العقل والنّقل يصير مورداً لطعن الشّيطان و هو ليس بمكلّف بل ولا عاقل بالفعل ثمّ أنّ الحجاب الذّي أثبته قتادة بين الشّيطان، وأمّ عيسى وعيسى من أيّ جنس كان حتّى لم ينفد منه شئ ولم لم يوجد هذا الحجاب بين الشّيطان ورسول الله أو سائر الأنبياء حين ولادتهم نقول هذا جزاء من ترك العترة التّي جعلت عدلاً للكتاب في قوله عَلَيْمُولَّهُ كتاب جزء ٣ الله وعترتي أهل بيتي الحديث وأخذ بالحشيش لئلاً يغرق ولم يعلم أنّه لا يقدر علىٰ نجاته من الغرق والحمد لِلَّه علىٰ ما هدانا.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيًّا ٱلْمِحْراٰبَ كَفَّلَهَا زَكَرِيًّا ٱلْمِحْراٰبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّلَى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسْابِ (٣٧) هُنَالِكَ دَعًا زَكَرِيًّا رَبَّهُ قَالَ بِغَيْرِ حِسْابِ (٣٧) هُنَالِكَ دَعًا زَكَرِيًّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لَي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَميعُ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَميعُ الدُّعَاءِ (٣٨)

#### اللّغة

كَفَّلَها : الكفالة الضمان تقول لكفَّلتُ بكذا وكَفَّلتُه فلاناً.

زَ كُرِيَّا: بالمَّد والنَّصب، وقرأ حفص وحمزة زَ كُرِيَّا بغير مدَّ ولا همز ومدَّه الباقون وهمزوه ونقل عن الأخفش أنّه قال فيه أربع لغات، المَّـد والقـصر و زكرّي: بتشديد الياء و الصّرف، و زَكرٍ و رأيت زكريا.

آلْمِحْراْبَ مأخوذ من الحرب ومنه محراب المسجد قيل سمّي بذلك لأنه موضع محاربة الشّيطان والهوى و قيل سمّي بذلك لكون حقّ الإنسان فيه أن يكون حريباً من أشغال الدّنيا ومن توّزع الخواطر و قيل الأصل فيه أنّ محراب البيت صدر المجلس ثمّ إتَّخذت المساجد فسمّي صدر به و قيل سمّي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد وجمعه محاريب والباقي واضحمراً الكلام في بعضه.

### ⊳ الإعراب

وَ أَنْبِتَهَا نَبْاتًا حَسَنًا نباتًا، مصدر علىٰ غير لفظ الفعل المذكور و هو نائب عن، نبات، فَتَقَبَّلُهَا أي قبَّلها زَكَرِيًّا المفعول الثّاني ٱلْمِحْراْبَمفعول، دَخَل

عِنْدُها يجوز أن يكون ظرفاً، لوجد، وأن يكوِن حالاً من الرّزق و هو صفة له في الأصل أي رزقاً كائناً عندها قالَ يا مَرْيَمُ أنّى لَكِ فهو مستأنف فلذلك لم يعطفه بالفاء ولذلك قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ ولا يجوز أن يكون قال، بدلاً، من وجد لأنّه ليس في معناه هُنْالِكُ أكثر ما يقع، هنا، ظرف مكان، و هو أصلها و قد وقعت هنا زماناً فهي في ذلك، كعند و قيل، هنا مكان أي في ذلك المكان دعا زكّريا و الكاف حرف للخطاب مِنْ لَدُنْكَ يجوز أن يتّعلق بقوله، هب لي، فيكون، من لإبتداء غاية الهبة و يجوز أن يكون في الأصل صفة، لذرّية، قدَّمت فإنتصبت على الحال سَمِيعُ بمعنى سامع.

### ∕ التّفسير

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا.

الضَّميران يرجعان الَّيْ مريمً أي قبل مريم ربَّها وأنَّما فسَّروا، تقَّبل، بقولهم، قبل لأنّ مصدر، تقّبلها، على القبول دون اِلتَّقبل لأنّ فيه معنى، تقّبلها كما يقال تكَّرم كرماً لأنَّ فيه معنى ، كرم ، و مثلها و آأنبتَها نَباتًا حَسَنًا لأنَّ فيه معنىٰ نبت و لذلك قال الزّجاج الأصل فيهما، فتَّقبلها بتَّقبلُ حسنٍ، وأنبتها إنباتاً حسناً، و لكن قبول محمول على قبلها قبولاً لا يقال قبل الشَّئ قبولاً اذا رضيه والقياس فيه الضّم كالدّخول والخروج ولكنّه جاء بالفتح وأجــازوا ضــمّ القــاف أيــضــاً، والمعنىٰ أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ قبلها أي قبل الأنثىٰ بدل الذّكر و رضي بها في النَّذر الَّذي نذرت حنَّة للعبادة في بيت المقدِّس، أو قبل دعاؤها حيث قالت جزء ٧٦ فتَّقبل منّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّميعُ ٱلْعَليمُ (١) وقوله: بقبُولٌ حَسَن أصلها بتَّقبل حسن كما مرّ و لكنّه محمول على قوله: فتَّقبلها قبولاً حسناً و قيل معناه سلَّك بها طريق السُّعداء، و قيل معناه تكُّفل بها في تربيتها والقيام بشأنها قال صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى: بِقَبُولً حَسَن فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون القبُول، إسم ما تقبل به الشّيئ كالسَّعُوط واللَّدود لما يسعط به ويلد و هو إختصاصه لها بإقامتها مقام الذّكر في النّذر ولم يقبل قبلها أنثىٰ في ذلك.

الثّانى: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف بمعنى فَتَقبلها بذي قبولٍ حسنٍ أي بأمرٍ ذي قبولٍ حسنٍ و هو الإختصاص، و يجوز أن يكون معنى، فتقبلها، فأستقبلها كقولك تعجّله بمعنى إستعجله و تقصاه بمعنى إستقصاه و هو كثير في كلامهم من إستقل الأمر اذا أخذه بأوّله و عنفوانه قال القطامي:

وخير الأمر ما إستقبلت منه وليس بأن تـــتَبعه إتــباعاً و منه المَثل، خُذ الأمر بقوابله و عليه فالمعنىٰ فأخذها في أوّل أمرها حين ولدت بقبولٍ حَسِن انتهىٰ كلامه.

وأمّا قوله: وَ أَنْبَتُهُا نَبُاتًا حَسَنًا فهو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها و قيل المعنى جعل نشؤها نشؤا حسنا، و قيل سوّى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام، و قيل أنبتها في رزقها و غذائها حتى تمت إمرأة بالغة تامة و عن ابن عبّاس قال، لمّا بلغت مريم تسع سنين صامت النّهار وقامت اللّيل و تبتلت حتى غلبت الأحبار والأحسن أن يقال المعنى أنّ اللّه تعالى و فقها لما أحبّ و رضى به و كَفَلَها زَكْرِيّا فعلى قراءة التشدّيد يتعدّى الى مغولين فالتقدّير و كفلها ربّها زكريا أي ألزمه كفالتها، و امّا على قراءة التّخفيف فمعناه، ضَمّها زكريا الى نفسه.

و عن السّدي في قول الله عزّ وجلّ: فَتَقَبَّلُها رَبُّها الى قوله: نَباتًا حَسَنًا قال فأنطلقت بها أمّها في خرقها يعني أُمّ مريم بمريم حين وَلدتها، الى المحراب و قال بعضهم إنطلقت حين بلغت الى المحراب وكان الذّين يكتبون التّوراة اذا جاؤوا اليهم بإنسانٍ يُجّربونه إقترعوا عليه أيّهم يأخذه فيعلمه وكان

زَكرِّيا أفضلهم يومئذ وكان بينهم وكانت خالة مريم تحته فلمّا أتوا بها إقترعوا عليها و قال لهم زَكَريا أنا أحقّكم بها تحتي خالتها فأبوا فخرجوا الى نهر الأردن فأقلوا أقلامهم الّتي يكتبون بها أيَّهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الأقلام و قام قلم زَكريا على كأنه في طين فأخذ الجارية و ذلك قول الله عزّ وجلّ: وَكَفَّلُها رُكُريا معه في بيته و هو المحراب.

و أمّا على رواية عكرمة فلّما خرجت بها يعني أمّ مريم بمريم في خرقها تحملها الى بني الكاهن بن هارون أخي موسى بن عمران قال و هم يومئذ يلون من بيت المقّدس ما يلي الحَجَبة من الكَعبة فقالت لهم دونكم هذه النّذيرة فأنّي حرّرتها و هي إبنتي ولا يدخل الكنيسة حائضٌ وأنا لا أردّها الى بيتي فقالوا هذه إبنة إمامنا وكان عمران يؤمّهم في الصّلاة وصاحب قربانهم فقال زَكّريا أدفعوها إلَّي فأنّ خالتها عندي قالوا لا تطيب أنفسنا هي إبنة إمامنا فذلك حين إقترعوا فإقترعوا بأقلامهم عليها بالأقلام التي يكتبون بها التّوراة فقرعهم زكّريا قالوا الكاهن في كلامهم، العالم انتهى.

و روي بعض أخر أنّ إسم أُمّ يحيى أشيع فضّمها الى خالتها أُمّ يحيى فكانت اليهم ومعهم حتّى اذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أُمّها التّي نذرت فيها قالوا والإقتراع فيها بالأقلام أنّما كان بعد ذلك بمّدة طويلة لشدة أصابتهم ضَعُف زَكّريا عن حمل مؤنتها فتدافعوا حَمل مؤنتها لا رغبة منهم و منافساً عليها وكيف كانت القصّة فلا شّك في وجُودها لما نطق القرآن بها و هو يكفي

# كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيًّا ٱلْمِحْراٰبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا.

المراد بالجواب إمّا مِحراب بيت المقدِس أي مكان العِبادة و امّا بيتها على إختلافٍ ذكرناه في معنى المِحراب والمراد بالرّزق الّذي وجده عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف في الشّتاء و قد روي عن إبن عبّاس و غيره

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🕻 ئ

أنَّ الفاكهة كانت عنباً في غير حينه، و روى عن محمَّد بن إسحاق أنَّه قال كفِّلها بعد هلاك أمّها فضمّها الى خالتها أمّ يحييٰ حتّىٰ إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أمّها الَّتي نذرت فيها فجعلت تنبت و تزيد قال ثمّ أصابت بني إسرائيل أزمة و هي عليٰ ذلك من حالها حتّىٰ ضعف زكّريا عن حملها فـخرج عـلى بنى إسرائيل فقال يا بنى إسرائيل أتعلمون والله لقد ضعفت عن حمل إبنة عُمران فقالوا و نحن لقد جهدنا و أصابنا من هذه السّنة ما أصابكم فتدافعوها بينهم و هم لا يرون لهم من حملها بدّاً حتّىٰ تقارعوا بالأقلام فخرج السّهم بحملها علىٰ رجل من بني إسرائيل نجّار يقال له جريح قال فعرفت مريم في وجهه شدّة مؤنة ذلك عليه فكانت تقول له يا جريح أحسِن باللّه الظّن فأنّ اللّه سيرزقنا فجعل جريح برزق بمكانها فيأتيها كلّ يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه اللّه وكثّره فيدخل عليها زكّريا فَيَريٰ عندها فضلاً من الرّزق وليس بقدر ما يأتيها به جُريح فيقول يا مريم أنّىٰ لك هذا فتقول: هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشْآءُ بِغَيْرِ حِسْابِ قال و امًا المحراب فهو مقّدم كلّ مجلس و مصّليٰ و هو سيّد المجالس و أشرفها و كذلك هو من المساجد.

قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللّهِ إِنَّ ٱللّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشْآءُ يِغَيْرِ حِسْابٍ أَنَىٰ، سؤال عن المذاهب والجهات والمعنى من أيّ المذاهب ومن الجهّات لك هذا قالت مريم هو من عند الله قالوا وإنّما كان زكّريا يقول لها ذلك لأنّه كان يغلق عليها سبعة أبواب ويخرج ثمّ يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف وفاكهة الصّيف في الشّتاء فكان يعجب ممّا يرى من ذلك ويقول لها تعجباً ممّا يرى أنّى لكِ هذا فتقول، أي مريم، هو من عند الله يرزق من يَشاء بغير حساب أي بغير إحصاء ولا عَدد يحاسب عليه عبده.

أقول ذكر السسيوطي في الدّر المنشور وقبله الزّمخشري في الكشّاف و بعد الألوسي في روح المعاني والحقّي في روح البيان، وأبو حيّان فـي بـحر المحيط و غيرهم من مفسّري العامّة نظير ما وقع لمريم بنت عُمران لفاطمة بنت رسول اللَّه عَلَيْكِاللَّهُ ونحن ننقل الحديث عن السّيوطي في الدّر المنشور لأنَّه نقل الحديث مسنداً بوجه أبسط قال و أخرج أبويعلى عن جابر أن رسول اللّه عَلَيْكِولَهُ أقام أيّاماً لم يطعم طعاماً حتّى شقّ ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدةٍ منهّن شيئاً فأتى فاطمة فقال يا بنية هل عندك شئ آكله فأنّى جائع فقالت لا واللّه فلّما خَرج من عندها بَعثت أليها جارية لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته في جفنةٍ لها وقالت واللّه لاؤثرّن بهذا رسول الله عَلَيْظِهُ علىٰ نفسي ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين الى شبعة طعام فبعثت حسناً أو حسيناً الىٰ رسول اللّه عَلَيْكِاللّٰهُ فرجع اليها فقالت له بأبي أنت و أمّي قد أتى الله بشئ قد خبّأته لك فقال عَلَيْ الله هلمّي يابنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فاذا هي ممَّلُوة خبزاً و لحماً فلمَّا نـظرت اليـها بـهتت و عرفت أنَّها بركة من اللَّه فحمدت اللَّه تعالىٰ و قدَّمته الىٰ النَّبي عَلَيْكِاللَّهُ فلمَّا رأه حمد الله و قال من أين لك هذا يابُنّية قالت يا أبّت هو من عند اللّه أنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب فحَمِد الله ثمّ قال الحمد لِلّه الّذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فأنّها كانت اذا رزقها الله رزقاً فسألت عنه قالت هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشْآءُ بِغَيْرِ حِسْابٍ انتهىٰ ما ذكره في الدّر جزء٣ ل المنثور.

لكن في الكشّاف بعد ما نقلناه عن السّيوطي ما لفظه ثمّ جمع رسول اللَّه عَلَيْكِاللَّهُ عَلَى بن أبي طالب والحَسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتّىٰ شبعوا وبقي الطّعام كما هو فأوسَعت فاطمة علىٰ جيراَنها انتهىٰ ما في الكشّاف.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريج العجلا الة

والعجب أنَّ الألوسي نقل الحديث عن جابر من طريق أبو يعلي كما ذكره السّيوطي طابق النّعل بالنّعل ولكن أخر الحديث مطابق لما في الكشّاف قوله و قد جمع أو ثمّ جمع علّياً والحَسن التِّللِّ والحسين التِّللِّ الخ و منه يحصل الظّن بأنَّ السّيوطي أسقط أخر الحديث أو نسّاخ الحديث أسقطوه من الدّر المنثور حتّىٰ لا تثبت الفضيلة لعلّي والحَسن والحسين مضافاً الىٰ ما ثبت لفاطمة عليَّكُ و ذلك لأنَّ فضائل البيت بُطيئة الهَضم على بعضهم، والذِّي يوقعني في التّعجب هو أنّ الألُوسي نقل هذا الحديث في المقام و هـو إقرار مـنه بأنّ فاطمة لللمُثَلِّ كانت في هذه الأمّة كماكانت مَريم بنت عمران في بني إسرائيل و قد صرّح رسول اللّه عَلَيْظِهُ في الحديث و غيره من الأحاديث بأنّها شبيهة بها أو هي أفضل منها كما ورد به النّص فلو فرضنا أنّ فاطمة لم تكن أفضل منها كما إعترف المخالف به فلا أقّل من كونها شبيهة بها ومثلها كما في هذا الحديث و هذا ممّا لم ينكره أحد، ثمّ أنّه أي الألُوسي صرَّح في (١) عند تفسيره لقوله تعالىٰ: إلا أَنْ تَتَقُوا مِنْهُمْ تُقينةً (٢) بأنّ عمر ضربها و أضرم على بابها النّار وهذهذ عباراته و ألفاظه.

في كتاب أبان بن عيّاش أنّ أبا بكر ﴿ الله عَلَي وَقُل له أجب بايَعه النّاس ولم يبايعه عليٌ و قال إنطلق الى علي وقُل له أجب خليفة رسول الله عَلَيْ فإنطلق فَبلَغه فقال له ماأسرع ما كذبتم على رسول الله عَلَيْ فأرتَددتم والله ما إستخلف رسول الله عَلَيْ فيري وفيه أيضاً أنّه لمّا يجب علي غضب عُمر و أضرم النّار بباب علي وأحرَقه و دَخَل فإستقبلته فاطمة وصاحت يا أبتاه و يا رسول الله فَرَفع عُمر السّيف و هو في غمده فوجاء به جَنبها المبارك و رفع السوط فضرب به ضرعها فصاحت يا أبتاه فأخذ علي بتلابيب عُمر و هَزّه و وَجاء أنفَه و رقبته انتهىٰ

و هذا الذِّي ذكره الألوسي لا يختُّص به بل نقله غير واحدٍ من العامَّة مع تفاوتٍ في الألفاظ و اذا كان كذلك فما العذر عند الألوسي و غيره غداً يوم القيامة اذا سُئل عنهم كيف أخذتم هؤلاء أولياء بعد نبّيكم و قد علمتم منهم ما علمتم، اللَّهم لا تكلنا الى أنفسنا طرفة عينِ أبداً، هُنْالِكَ دَعَا زَكَرِيًّا رَبَّـهُ هنالك ظرف يستعمل للزّمان والمكان و أصله للمكان و قيل هنالك في الزّمان، و هناك للمكان و قد يجعل هذا مكان هذا وكيف كان فالمعنىٰ عند ذلك الذّي رأى من فاكهة الشّتاء في الصّيف والصّيف في الشّتاء عند مَريم بنت عمران على خلاف ما جرت به العادة علم أنّ اللّه يقدر علىٰ كلّ شيئ وأن كان خارجاً عن عالم الأسباب فطمع في الولد من العاقر علىٰ خلاف مجرّىٰ العادة و سأل الله ذلك بقوله:

قَالَ رَبِّ هَبْ لَى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَميعُ ٱلدُّعْآءِ أي أعطني من عندك نسلاً صالحاً أنَّك سميع الدُّعاء، أي سامِع و قابل، و أنَّما سأل **ذُرِّيَّةً** طِّيِّبَةً لأنَّ الذرِّية أعنى بها النَّسل اذا لَم تكن طيِّبة أي صالحة لا فائدة فيها.

أقول قد فسَّروا قوله: ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً بالصّالحة أي نسلاً صالحاً أو مُباركاً و امثال ذلك من الألفاظ، ولقائل أن يقول، لِمَ لم يقل ذرّيةً صالحةً أو مباركةً و قال طيّبةً وليست كلمة، طَيبّة أفصح من كلمة، صالحة و أمثالها فما وجه العدول عنها بها ولم أجد في التفاسير ما يرفع الإبهام عن ذلك بل لم يتعرّضوا في تفاسيرهم ما تعرّضنا له وكأنّهم غفلوا عنه أو لَم يتفطّنوا لذلك، والّذي يختلج جزء٣ ﴾ بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ وجه العدول أنّما هو لنكتةٍ خفيت على أكثر العقول وهي أنَّ الصَّلاح غير الطَّيّب و بعبارةٍ أخرىٰ بين الذَّرية الطَّيبة والذَّرية الصّالحة فرق عند الدّقة و التّأمل و توضيحه أنّ الصّلاح ضدّ الفساد والطيّب ضدٌ الخبيث و الأو لان أعنى بهما الصّلاح والفساد كثيراً ما يستعملان في الأعمال الصّادرة من الإنسان:

قال الله تعالى: خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَاخَرَ سَيِّئًا (١). قال الله تعالى: وَ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ (٢). قال الله تعالى: إنَّ الله لا يُصْلِحُ عَمَلَ اَلْمُفْسِدِينَ (٣).

و أمثال ذلك من الأيات و امّا الطّيب والخبيث فلا يستَعملان في الأعمال فلا يقال هذا عملٌ طيّب أو خبيث إلاّ علىٰ سبيل التّجوز بل يقال هذا رجل طيّب أو رجل خبيث فهما أي الطّيب و الخبيث أكثر استعمالاً في الذّوات كما أنَّ الصَّلاح و الفساد أكثر إستعمالاً في الأعمال بل قيل بإختصاص الطَّيب و الخَبيث بالذُّوات و أنَّما يطلقان علىٰ غير الذَّات مجازاً و هكذا الكلام في الصّلاح والفساد إذا عرفت الفَرق فنقول في قوله تعالىٰ: ذُرِّيَّةً طَيّبَةً إشارة الي طيب المولِد بأن لا يشرك الشيطّان في النُطَّفة و انعقادها و من كان كذلك فهو يعمل عملاً صالحاً و يختم أمره بخيرٍ وصلاح وهذا بخلاف ما إذا قيل ذرّية صالحة لأنّ معناه أن يَعمل عملاً صالحاً في ظاهر الأمر و هو لا يُنافي أن لا يكون مولده طيّباً خالصاً إذ ولد الزّنا أيضاً قد يعمل صالحاً فضلاً عن المشتبه إذ لا نعنى بالعمل الصّالح إلاّ ماكان موافقاً لظاهر الشّرع مثل الصّوم والصّلاة و الحجّ و في الأقوال مثل الصِّدق والأمر بالعَدل و السّخاء و أمثالها من المواعظ الحسنة فكلّ ذلك يُعدّ عملاً صالحاً و قد يوجد هذه الأعمال في الذّوات الخبيثة أيضاً حتّى أنّ الكافر قد يعمل عملاً صالحاً قولاً و فعلاً و هذا ممّا لا ينكر و أمَّا الَّذي سَأَل زكرَيا ربِّه هو أن يَهب له ذرّيةً طَيّبةً، أي طَيّبة الذّوات بحسب النّطفة والمولد بحيث يصلح للنبوّة ولازم ذلك أن تكون الأرحام و الأصلاب منها لا خبيثة فهو من أحسن الدُّعاء والدّليل على ما ذكرناه هو أنّ اللَّه تعالىٰ أعطاه يحيىٰ النَّبي و هو هو و قد ورد في زيارة الحسين عَالْتِلْا أَشْهد

١- التوبة = ١٠٢

أنَّك كنت نوراً في الأصلاب الشَّامخة والأرحام المُطّهرة الخ ...

و ذلك لأنّ الأنبياء و الأوصياء لكونهم معصومين غير سائر النّاس من حيث الآباء والأمهات وكيّفية الولادة و سيأتي البحث فيه في موضعه والى هذه الدّقيقة أشار بعض المحققين حيث قال، الطّيب من الإنسان، من تعرّىٰ من نجاسة الجهل والفسق و قبائح الأعمال والإيمان ومحاسن الأعمال واليهم:

قال الله تعالىٰ: أَلَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمُ ٱلْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ (١).

قال الله تعالى: طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدينَ (٢).

قال الله تعالى: هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً (٣).

و غير ذلك من الأيات.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} \mathbb{F}_{\mathbf{a}} \\ \mathbb{F}_{\mathbf{a}} \end{array}
ight\}$  المجلد الثالث

فَــنْادَتْهُ ٱلْـمَلآئِكَةُ وَهُـوَ قَآئِـمُ يُـصَلّى فِـى ٱلْمِحْراٰبِ أَنَّ ٱلله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِـنَ ٱللَّه يَبشِرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِـنَ ٱللَّـهِ وَ سَـيِّدًا وَ حَـصُورًا وَ نَـبيًّا مِـنَ ٱلصَّالِحينَ (٣٩)

#### ا> اللّغة

فَنَادَتُهُ ٱلْمَلاَئِكَةُ: النّداء رفع الصّوت وظهوره، والملائكة جمع مَـلَك وأصله ملأك فزيدت التّاء للمبالغة أو لتأنيث الجمع وعن أبي عبيدة أنّ مَلاك من لاَكْإذا أُرسل و قد مرّ الكلام فيه غير مرّةٍ.

يُبَشِّرُكَ: البشارة والبُشرى الخبر السّار.

سَيِّدًا وَحَصُورًا وَ نَبِيَّا: السيّد الرّعيم المطاع في قومه والحَصُور الّذي لا يأتي النسّاء إمّا من العُنّة و امّا من العِفّة والإجتهاد في إزالة الشّهوة و النبتي مأخوذ من النبّاء وهو الخَبر.

## ⊳ الإعراب

فَنْادَتُهُ ٱلْمَلْآِئِكَةُ فعل وفاعل ومفعول إلاّ أنّ المفعول وهو الهاء قدّم على الفاعل وهو الملائكة لكونه ضميراً متصلاً هُوَ قَائِمٌ حال من الهاء في نادته، يُصَلِّى حال من الضّمير في قائم و يجوز أن يكون في موضع رفع صفة لقائم يحيْنى إسم أعجمي مصّدقاً حال منه وسيّداً وحصوراً و نبيّاً كذلك.

## ⊳ التّفسير

فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَآئِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِي ٱلْمِحْرابِ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن <

الفاء للتّفريغ وتأنيث الفعل بإعتبار لفظ الملائكة وأن كانت التّاء فيهما للمبالغة لا للتأنيث و قد زعمت الجاهليّة أنّ الملائكة أُناث قال بعض الأُدباء أنّ الملائكة مِمّن يعقل في التّكسير فجرى في التأنيث مجرى ما لا يعقل تقول هي الرّجال و هي الجذوع وهي الجمال و قالت الأعراب، أقول و قد ذكر في موضع آخر بالتذّكير:

قال الله تعالىٰ: وَ ٱلْمَلاَئِكَةُ بِاسِطُوۤا أَيْديهمْ (١).

قال اللّه تعالىٰ: وَ ٱلْمَلَآئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ باب (٢).

و هكذا و عليه فتأنيث هذا الجمع وتذكيره حَسَنات ، والمعنىٰ لمّا دعا زكريّا ربّه و قال ربّ هَب لي من لدُنك الخ.

أجاب الله دعوته فنادته الملائكة، بأمر من الله تعالى و هُو أي زكريًا قَآئِمٌ يُصَلِّى فِي الْمِحْراٰبِ أي كان في محراب عبادته لإقامة الصّلاة أَنَّ اللّه يَبْشِرُكَ أي بشروه من قبل الله تعالىٰ بِيَحْلَى مُصَدِّقًا حال لكونه مُصدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ الله يعني عيسى إبن مريم لأنّه روح الله وكلمته و المراد التصديق برسالته و سَيِّدًا الّذي يسود قومه و حَصُورًا لا يأتي النسّاء إجتهاداً و تَبِيًّا يخبر عن الله تعالىٰ مِن الصّالِحين كلمة، من، بيّانية لأنّ النبي لا يكون إلا صالحاً فهذا تفسير ألفاظ الآية و منهما مسائل ينبغي البحث عنها.

الأوّلي في ولادة يحيي و أوصافه، والثّانية، في كونه مصدّقاً بكلمةٍ من اللّه، الثّالثة، في معنىٰ سيادته، الرّابعة في معنىٰ كونه حَصُوراً.

الخامسة، في نبوّته.

أمّا الأوّلىٰ: فقد روى أهل السَّير أنَّ زكرّيا لمّا ما رأىٰ عند مريم من فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء فقال أنَّ الّذي فعل هذا بمريم قادر على أنَّ يصلح زوجتي حتَّىٰ تلد فقال: رب هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ ذرّية طيّبة أنّك

، الفرقان في تفسير القرآن كريج المج

سميع الدُّعاء فبيّنما هو يصلّي في المحراب فإذا هو برجلٍ شابٌ هو جبرائيل ففزع زكريا منه فقال له:

# أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ

يعني عيسيٰ بن مريم للتِّللِّ و يحيي أوّل من آمن بعيسيٰ وصَدَّقه و ذلك أنّ أمّه كانت حاملاً به فإستّقبلت مريم وهي حامل بعيسيٰ فقالت لهـا يـا مـريم أحاملٌ أنتِ فقالت لماذا تسأليني قالت لِما أنّي أرىٰ ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه و قيل صدّق المسيح وله ثلاث سنين و سمّاه اللّه تعالىٰ يحيى ولم يكن قبله من تسمى هذا الإسم وأنّما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين و قيل بسّتة أشهر وكان لا يأتى النّساء و لا يلعب مع الصّبيان و كان عمر زكرًيا حين ولد يحيى إثنين و تسعين و قيل مِائة و عشرين سنة وكانت امرأته إبنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك يفعل الله ما يشاء فلمًا وُلد يحيي رآه أبوه حسن الصورة قليل الشّعر قصير الأصابع مقرون الحاجبين دقيق الصّوت قوّياً في طاعة اللّه مذكان صبّياً قال اللّه تعالىٰ: **وَ اٰتَيْناهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً (١**) قيل أنّه قال له الصّبيان يوماً من الأيام يا يحيىٰ إذهب بنا نَلعب فقال ما لِلَّلَعب خلقت وكان يأكل العشب وأوراق الشَّجر و قيل كان يأخذ خبز الشَّعير و مرَّ به إبليس و معه رغيف شعير فقال أنت تزعم أنّك زاهد و قد أدخرت رغيف شعيرٍ فقال يحييٰ يا ملعون هو القوت، فقال إبليس أنَّ الأقل من القوت يكفي لمن يموت فأوحىٰ الله له اليه أعقل ما يقول لك و نبّئ صغيراً فكـان يـدعُو النَّاس الي عبادة اللَّه ولبس الشُّعر فلم يَكن له دينار و لا درهم و لا مسكن يسكن اليه أينما جنّه اللّيل أقام ولم يكن له عبد و لا أمة و إجتهد في العبادة فنظر يوماً الى بدنه و قد نَحل فبكي فأوحىٰ اللّه اليه يا يحييٰ أتَبكي لما نحل

من جسمك و عزّتي وجلالي لو اطلّعت في النّار إطّلاعة لتـدّرعت الحـديد عوض الشُّعر فبكي حتَّى أكلَت الدَّموع لحم خدِّيه و بدت أضراسه للنَّاظرين فبلغ ذلك أمّه فدخلت عليه و أقبل زكرّيا و معه الأحبار فقال يا نبّي مايدعوك الىٰ هذا قال أنت أمرتني بذلك حين قلت أنَّ بين الجنَّة والنَّار عقبة لا يجوزها إلاّ البّكاؤن من خشية اللّه فقال فأبِك و إجتهد إذاً فضعت أمّه قطعتي لبدٍ علىٰ خدّیه تواري أضراسه فکان یبکی حتّیٰ یبلّهما و کان زکرّیا إذا أراد أن يعظ النّاس نظر فأن كان يحيئ حاضراً لم يذكر جنّة و لا نار قالوا وكان سبب قتله أنّ الله تعالىٰ لمّا بعث عيسىٰ رسولاً فنسخ بعض أحكام التّوراة فكان ممّا نسخ نكاح بنت الأخ وكان لملكَهم وإسمه هيرُودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزُّوجها فنهاه يحيئ عنها وكان لهاكلِّ يوم حاجة لتفيها لها فُلمًا بَلغ ذلك أُمُّها قالت لها إذا سألك الملك ما حاجتك فقولي أن تذبح يحيى بن زكريا فلمّا دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال الملك سلى غير هذا قالت ما أسألك غيره فلمّا أبت دعى بيحيى و دعاها بطشتِ فذبحه فلمّا رأت الرأس قالت اليوم قرّت عيني فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الأرض ولها كلاب ضّارة تحته فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر فلّما قتل يحييٰ بدرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزّل تغلى حتّىٰ بَعث الله بخت نصر عليهم فجائته إمرأة فدّلته علىٰ ذلك الدّم فألقىٰ اللّه في قلبه أن يقتل منهم سبعين ألفاً جزء ٣ 🗸 حتّىٰ سكن الدّم إنتهىٰ ما ذكره إبن الأثير في تاريخه و امّا زكرّيا.

فذكر أنَّه لمَّا قتل يحيى و سمع أبوه بقتله فرّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار فأرسل الملك في طلبه فمرّ زكرّيا بالشّجرة فنادته هلّم إلىّ يا نبّى اللّه فلّما أتاها إنشّقت فدخلها فأنطبقت عليه و بقىٰ في وسطها فأتىٰ عدُّو اللَّه إبليس فأخذ هَدب رداءه فأخرجه من الشَّجرة ليصدُّقوه إذا أخبرهم

ثمّ لقى الطلب فأخبرهم فقال لهم ما تريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال أنّه سحر هذه الشّجرة فأنّشقت له فدخلها قالوا لا نُصّدق قال فأنّ لي علامة تصدّقوني بها فأراهم طرف رداءه فأخذوا الفؤوس و قطّعوا الشّجرة بأثنتين و شقّوها بالمنشار فمات زكريا فسلّط اللّه عليهم أخبث أهل الأرض فأنتقم به منهم و قيل أنّ السّبب في قتله أنّ إبليس جاء الى مجالس بني إسرائيل فقذف زكريا بمريم و قال لهم ما أحبلها غيره و هو الذي كان يدخل عليها فطلبوه فهرب و ذكر من دخوله الشّجرة نحو ما تقّدم.

المسئلة الثّانية: كونه مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ فنقول المراد بالكلمة هنا عيسى إبن مريم:

قال اللّه تعالىٰ:إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسيِحُ عيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ (١).

قال اللّه تعالىٰ:إِنَّمَا ٱلْمَسيِحُ عيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ (٢).

وسنتكلّم في معنى الكلمة هناك وفي كونه مُصدقاً، إشارة بل صراحة على أنّ يحيىٰ كان تابعاً لِعيسىٰ و مصدّقاً برسالته و قد مرّ الكلام في المسئلة الأولىٰ فيه و قلنا أنّه كان أوّل من صدّق عيسىٰ صدّقه وله ثلاث سنين وقلنا أنّه كان أكبر من عيسىٰ بِثلاث سنين و قيل بستة أشهر و في قوله: مُصدّقًا إشارة الى أنّ إيمانه بعيسى كان بقلبه و لِسانه فأنّ التصدّيق أمرّ قلّبي و هو لا يوجد إلاّ بعد تصور الموضوع و المحمول والنسبة الحكميّة فبعد تصور هذه الثلاثة يحصل التصدّيق بالنسبة بين الموضوع والمحمول فالتصديق بالنسبة والحكم بها لا يعقل إلاّ بعد معرفة عيسى و الرّسالة و بعبارة أخرىٰ التصدّيق بأنّ عيسىٰ رسول موقوف علىٰ تصّور الموضوع و هو عيسى، والمحمول و هو، رسولٌ و النسبة الحكميّة و هي نسبة الرّسالة إليه و معنّي تصوّرها معرفتها فمن لم يعرف النسبة الحكميّة و هي نسبة الرّسالة إليه و معنّي تصوّرها معرفتها فمن لم يعرف

عيسى ولم يعرف الرّسول فكيف يصدّق بأنّ عيسى رسول و لأجل ذلك قال تعالى: مُصدّقًا و لم يقل مقراً أو معترفاً بكلمة من الله مثلاً لأنّ الإقرار بسبب اللّسان و هو قد يكون بدون التّصور بل بدون الإعتقاد حتّىٰ مع الإعتقاد بخلافه و هو واضح ألا ترىٰ أنّ المُنافق يقول بِلسانه و ينكر بقلبه.

المسئلة الثّالثة: في معنىٰ السيد في قوله: و سَّيداً، قالوا السّيد الّذي يسود قومه و منتهى الىٰ قوله و أصله، سَيُود و يقال فلان أسود من فلان أفعل، من السّيادة ففيه دلالة علىٰ جواز تسمية الإنسان سيّداً كما يجوز أن يسمّى عزيزاً وكريماً وكذلك روي عن النّبي أنّه قال لِبَني قريضة قوموا الى سيّدكُم رسول الله في الحسن بن علّى عليه الله في الحسن بن علّى عليه الله في العرب و لله يصلح به بين فئتين الله في الحسن من المُسلمين قال القُرطبي بعد نقله ما نقلناه، ولا أسود ممن سوَّده الله تعالىٰ و رسوله، ثمّ نقل عن قتادة في قوله تعالىٰ: و سَّيداً قال في العلم و العبادة و قال غيره في العلم والتقيٰ وعن مجاهد، السيّد، الكريم، وعن إبن زيد الذي لا يغلبه الغُضب و قال الزّجاج السّيد، الّذي يفوق أقرانه في كلّ شي من الخير و امثال ذلك من الأقوال الّتي ترجع الىٰ قول واحد و هو الّذي يَسّود قومه و ينتهي الىٰ قوله قال رسول الله عَلَيْ اللهُ أنا سَيّد وُلد آدم ولا فَخر. ولذلك يقال له سيّد الأنبياء و لعلّي سيّد الأوصياء وللحسن والحسين سيّدا الأسباط و لفاطمة عليه المُنبياء و لعلّي سيّد الأوصياء وللحسن والحسين سيّدا الأسباط و هكذا.

المسئلة الرّابعة: في تفسير قوله: و حَصُورًا الحَصُور فعولٌ من الحَصر و جزء من الأصل الحبس ولذلك يقال لِلّذي لا يأتي النّساء أنّه حصوركأنّه محجم عنهن و إنّما قال اللّه تعالىٰ في يحيىٰ، (و حَصُورًا) أي محصوراً لأنّه كان لا يأتي النّساء فكأنّه كان ممنّوعاً ممّا يكون في الرّجال ثمّ أنّ الحَصُور و هو الّذي يأتي النّساء علىٰ قسمين.

الأول: أن يكون مَنشأ الحصر فيه العُنّة ففي هذه لا يقدر على الجّماع.

، القرقان في تفسير القرآن كرمج العجلد النا

الثّانى: أن يكون المَنشأ فيه العِفّة والإجتهاد في ازالة الشّهوة فهو في هذه الصّورة يقدر على الجّماع بحسب الطّبع بل مايل إليه أيضاً ولكّنه تركه إجتهاداً في إزالة الشّهوة عن نفسه لعلمه بأنّها منشأ الآفات والخطرات و يحيى عاليّاً كان من هذا القسم ولذلك مدحه اللّه تعالى و قال في حقّه سيّداً و حَصُوراً و من المعلوم أنّ المدح والثّناء إنّما يكون عن الفِعل المكتسب دون الجّبلة في الغالب فالمعنى أنّه كان يَحصر لِنَفسه عن الشّهوات.

الخامسة: قوله و تَبِيًّا مِنَ ٱلصَّالِحِينَ والدّليل علىٰ كونه نبّياً مُضافاً الىٰ هذه الآية قوله تعالىٰ: يا يَحْنِى خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوّةٍ وَ اتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًًا (٢) و امّا كونه من الصّالحين فمعلوم لأنّ النّبي لا يكون إلاّ صالِحاً و عليه فَمِن في قوله من الصّالحين بيانية.

قٰالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلاٰمٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَ آمْرَأَ تَى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٢٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لَى أَيَةً قَالَ أَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلتَّاسَ ثَلاثَةَ أَيُّام إِلَّا رَمْزًا وَ ٱذْكُرْ رَبَّكَ كَثيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيّ وَ ٱلَّابْكَارِ (٤١)

#### اللغّة <

أنِّي: يمعنيٰ كيف.

غُلامٌ: الغُلام بضّم الغين قيل هو مشتق من الغُلمة و هو شدة طلب النّكاح يقال أغتَلُم الفَحل غُلُمة هاجَ من شَهوة الضّراب، قالت ليلي الأُخيّلية: شفاها من الدّاء.

> العصفال آلذى بسها غلامُ إذا هَزّ القناة سقاها

والغلام الطَّار الشَّارب و هو بَيِّن الغُلومة والغُلُوميَّة والجمع الغِلمة و الغلمان.

عَاقِرٌ أي عقيم لا تلِد يقال رجل عاقر وإمرأة عاقِر بَيّنة العَقر ومعنىٰ العاقِر، أي ذات عُقر على النّسب فهو في المعنىٰ مَفعول أي معقُورة و لذلك لم يلحقه تاء التّأنيث وليس العاقِر إسم فاعل كما توهّمه بعض و ذلك لأنّ الفعل منه، عَقْر، بضمّ القاف و إسم الفاعل من فعل، فعيلة يقال عظمت فهو عظيمة و ظرفت فهي ظريفة فالفاعل منه عقيرة يقال عَقَرت فهي عَقيرة كأنّ بها عَقراً جزء ٢ أي كَبراً من السِّن يمنعها من الوَلَد و العاقِر العظيم من الرمل لا ينبت شيئاً، والعقر أيضاً مهر المرأة إذا وطئت علىٰ شُبهة.

أَنَةً، الآبة العلامة.

رَمْزًا: الرَمِّز في اللُّغة الإيماء بالشَّفتين و قد يستعمل في الإيماء بالحاجبين و العبنين و البدين و أصله الحركة. القرآن

غُلامٌ إسم يكون و، لي، خبره و يجوز أن يكون فاعل يكون، على أنّها تامّة، فيكون، لي مُتعَلقاً بها أو حالاً، من غلام أي أنّى يحدُث غُلام لي أنّى بمعنى كيف أو المعنى من أينَ، غاقِرٌ أي ذات عُقر فهو على النسّب كَذْلِكَ في موضع نصب أي يفعل ما يشاء فِعلاً كذلك آجْعَلْ لَيّ أيةً، آية، مفعول أوّل و،لي، مفعول ثان أيتُكَ مبتدأ أللا تُكلّم خبره إللا رَمْزُ اإستثناء منقطع لأنّ الإشارة ليست كلاماً كَثْيرًا أي ذكراً كثيراً بِالْعَشِيّ مفرد و قيل جمع عشية و آلاً بثكار مصدر والتقدير و وقت الإبكار يقال أبكر، إذا دخل في البكرة.

# ⊳ التّفسير

لمّا بشّر ذكّريا بِيحيى فال رَبِّ أَنّى يَكُونُ لَى غُلامٌ أي قال ذكّريا يا سيّدي أنّى يكون لي غُلام قال الكلبي الرّب هنا جَبرئيل أي أنّه قال لجبرئيل يا ربّ أي يا سيّدي و قال بعضهم، هو اللّه تعالىٰ في المقام وكلمة، أنّى بمعنى كيف و هو في موضع نصب على الظّرف و في معنىٰ هذا الإستفهام وجهان، أحدهما أنّه سأل هل يكون له الوَلد و هو و إمرأته علىٰ حاليهما أو يرّدان الىٰ حال من يلِد

الثانى: سأل هل يرزق الولد من إمرأته العاقر أو من غيرها و قيل المعنىٰ بأيّ منزلة استوجب هذا و أنا و إمرأتي على هذه الحال، على وجه التواضع، أنّه كان بين دعائه والوقت الذي بشّر فيه أربعون سنة وأختلفوا في يوم البّشارة فقيل كان إبن تسعين سنة و امرأته قريبة السّن منه و عن إبن عبّاس والضّحاك أنّه كان يوم بشّر إبن عشرين و مائة سنة و إمرأته بنت ثمان وتسعين سنة و قَدْ بَلَغَنِى ٱلْكِبَرُ أي بلغ سنّي بحيث لا يترقّب منه الوَلد عادة و آمْراً تي عاقرً أي قال أي أنّها أيضاً كذلك لأنّها عقيم لا تَلد قال كَذٰلِكَ ٱللّهُ يَفْعَلُ ما يَشاآءُ أي قال

القرقان في تفسير القرآن كرنجكم المجلد الثالد

جَبرئيل على قول الكلبي أو قال الله تعالىٰ علىٰ قول غيره والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ كلّ شئ يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد وهو لا يسأل عمّا يفعل وهُم يسئلون.

# قٰالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لَي اٰيَةً

لمّا أعلمه اللّه تعالىٰ أنّه يفعل ما يشاء علم زكّريا أنّ الأمر سيقع لا مُحالة طلب منه تعالىٰ آية و علامة تدّل علىٰ وقوع الأمر و لذلك قال ربّ اجعل لي آية قال، أي قال اللّه تعالىٰ: أيتُك ألا تُكلّم النّاسَ ثَلاثَة أيّام إلاّ رَمْزًا قيل، جعل، في قوله ربّ إجعل، بمعنىٰ، صير، لِتعدّيه الى مفعولين، قالوا لمّا بُشر بالوَلد ولم يبعد عنده هذا في قدرة الله طلب آية علامة يعرف بها صحة هذا الأمر وكونه من عند الله فعاقبه الله بأن أصابه السّكوت عن كلام النّاس لسؤاله الآية بعد مشافهة الكلام إيّاه قاله أكثر المفسّرين ونقل عن إبن زيد أنّ زكّريا لمّا التّوراة و يذكر الله تعالىٰ فإذا أراد مقاولة أحد لم يَطقه و آذْكُر ربّك كثيرًا و سبّحه أي التّوراة و يذكر الله تعالىٰ فإذا أراد مقاولة أحد لم يَطقه و آدْكُر ربّك كثيرًا و سبّحه أي سبّح بِالْعَشِيّ و آلْإبْكار إداءاً لبعض حقوق الله عليك و المرا بالذّكر في المقام مع إعتقال لسانه هو الذّكر القلبي و المراد الإبكار من طلوع الفجر الىٰ وقت مع إعتقال لسانه هو الذّكر القلبي و المراد الإبكار من طلوع الفجر الىٰ وقت مع إعتقال لسانه هو الذّكر القلبي و المراد الإبكار من طلوع الفجر الىٰ وقت الضّحي و بالعشّى من حين تزول الشّمس الىٰ أن تغيب.

قال بعض المفسرين كأنّه لّما طلب الآية من أجل الشّكر قال الله له، آيتُك جزء على أن يحبس لِسانك إلا عن الشُّكر و أحسن الجواب و أوقعه ما كان مشتقاً من السؤال و منتزعاً منه و كأنّ الإعجاز في هذه الآية من جهة قدرته على ذكر الله و عجزه عن تكليم النّاس مع سلامة البنية و إعتدال المزاج و من جهة وقوع العلوق و حصوله على وفق الأخبار، و قيل أُمِر أن يَصُوم ثلاثة أيّام و كانوا لا يتكلّمون في صومهم، و قال أبو مسلم يحتمل أن يكون معناه آيتك أن تصير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم بمجلة الثالا

سياء الفرقان في تفسير القرآن كريم المجلد الثا

مأموراً بأن لا يتكلّم الخلق و أن تشتغل بالذّكر شُكراً على إعطاء هذه الموهبة و قيل سأل اللّه أن يفرض عليه فرضاً يجعله شكراً لذلك والّذي يدّل عليه ظاهر الأية أنّه سأل آية تدّل على أنّه يولد له فأجابه بأنّ آيته إنتفاء الكلام منه مع النّاس ثلاثة أيّام إلاّ رمزاً و أمر بالذّكر والتّسبيح، ثمّ إنتفاء الكلام قد يكون تكلّف به أو بملزومه في شريعتهم و هو الصّوم و قد يكون لِمَنع قهري مدّة معيّنة لآفة تعرض في الجارحة أو لغير آفة مع قُدرته على الكلام بِذكر اللّه قال الزّمخشري و لذلك قال: وَ آدْكُو رَبّك إلى آخره يعني في أيّام عجزك عن تكلّم النّاس و هي من الآيات الباهرة إنتهى.

و أمّا إلإستثناء في قوله: إلا رَمْزًا فقيل هو إستثناء منقطع إذ الرَّمز لا يدخل تحت التكلّيم و امّا من أطلق الكلام في اللّغة على الإشارة و الدّلالة على ما في نفس المُشير فلا يبعد أن يكون الإستثناء عنده مُتّصلاً كما قيل.

فلم يك إلاّ ومؤها بـالحواجب

أرادت كلاماً فإتّقت من رقـيبها

و قال الأخر:

رددت عليها بالدَّمُوع البوادر

ولأخر:

فكأنّ من ردّه ما قال حاجبه

وكونه إستثناءً متصلاً بداء به الزّمخشري قال لمّا أدّى مؤدّي الكلام و فهم منه منه سُمّي كلاماً، و امّا ابن عطية فأختار أن يكون منقطعاً قال والكلام والمراد به في الآية أنّما هو النّطق باللّسان لا الأعلام بما في النّفس فحقيقة هذا الإستثناء أنّه مُنقطع ويَدأ به أوّلاً فقال إستثناء الرّمز و هو إستثناء منقطع ثمّ قال وذهب الفقهاء في الإشارة ونحوها الى أنّها في حكم الكلام في الإيمان و نحوها وعلى هذا يجئ الإستثناء متّصلاً.

و أمّا الرّمز هنا، فقيل المراد به تحريك الشّفتين، و قيل إشارة باليّد و الرأس، و قيل باليد خاصّة و بالإيماء و روي عن قتادة أنّه إشارة باليّد أو بالعين، رمزه الكتابة على الأرض و قيل بالإصبع السبحة و قيل باللّسان ومنه قول الشّاعر: ظلّ أيّاماً له من دهره يرمز الأقوال من غير خرس

و قيل الرِّمز الصّوت الخفّي، و قرأ علقمة من قيس و يحيى بن وثاب، رمزاً، بضّم الرّاء و الميم علىٰ أنّه جمع رموز كرسل و رسول و على أنّه مصدرٌ، كرمز، جاء علىٰ فعل و اتبعت العين الفاء كاليّسر و اليُسر.

و قرأ الأعمش رَمَز أبفتح الراء و الميم علىٰ أنّه جمع، رامز كخادم و خدم و إنتصابه اذا كان جمعاً علىٰ الحال من الفاعل و هو الضّمير في تكلّم و من المفعول و هو النّاس كما قال الشّاعر:

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن أتبي وأتبك فارس الأحزاب

أي إلا مترامزين بن كما يكلم الأخرس النّاس و يكلّمونه و في قوله: رَمْزًا دلالة على أنّ الإشارة تتنزّل منزلة الكلام و ذلك موجود في كثير من السّنة انتهى.

أقول هذه كلمات القوم حوَل الآية.

في تفسير العيّاشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله النيلا قال: أنّ زكّريا لمّا دعا ربّه أن يهب له فنادته الملائكة بما نادته به أحَبَّ أن يعلم أنّ ذلك الصّوت من الله تعالى أوحى اليه أنّ أية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيّام قال النيلا: فلمّا أمسَك لسانه ولم يتّكلم علم أنّه لا يقدر على ذلك إلاّ الله و ذلك قول الله: رَبِّ اَجْعَلْ لَيَ أَيّةً قَالَ النّاسَ ثَلاثةً أَيّام إلا رَمْزًا

و أيضاً عنه عليه الله الله الما سأل ربه أن يهب له ذكراً فَوهب الله له يَحيىٰ فدخله من ذلك، فقال :رَبِّ آجْعَلْ لَيَ اٰيَةً قٰالَ اٰيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيُّام إِلَّا رَمْزًا كان يومي برأسه و هو الرَّمز انتهىٰ وأهل البيت أدرى بما في البَيت.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كربيكم المجلد الثالة

الفرقان في تفسير القرآن كمسيم كميكم العجلا

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اَصْطَفَيْكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اَصْطَفَيْكِ عَلَى نِسْآءِ الْعٰالَمِينَ (٢٢) يَا مَرْيَمُ اَقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اَسْجُدې وَ اَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٢٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقَلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٢٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ قَالَتِ النَّهُ الْمُعَدِّمِ وَمِيهًا فِي اللَّهُ يَبَشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ السَّمُهُ الْمَسِيحُ عيسَى آبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْاخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٢٥) وَ يُكَلِمَ التَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٢٥) وَ يُكَلِمُ التَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٤)

### ∕> اللّغة

قد مرّ الكلام في معنىٰ الملائكة.

يًا مَرْيَمُ: يعني خادم الرّب في لغتهم.

أَصْطَفياكِ: أي إختارك فأنّ الإصطفاء الإختيار.

أَنْباآءِ ٱلْغَيْبِ: أنباء جمع نَبَأ و هو الخبر و منه النبّي لأنّه يخبر عن الله. نُوحيهِ: من أوحَىٰ يُوحىٰ و أصل المَوحى الإشارة السّريعة.

أَقْلاَمُهُمْ: الأقلام جمع قَلَم و هو في الأصل القصّ من الشيئ الصّلب كالظّفر و كعب الرّمح والقصب و لكنّه خُصّ بما يكتب به و بالقدح الّذي يضرب به و جمعه أقلام.

يَكُفُلُ: الكفالة الضّمان.

أَلْمَسِيحُ: أصل المَسح إمرار اليَد على الشيّ و إزالة الأثر عنه و قيل سُمي على الله على على الله على على الأرض أي ذاهباً فيها.

عيسَى: إسمٌ علم و اذا جُعل عرّبياً أمكن أن يكون من قولهم بعير أعيسَ و ناقة غُيساء و جمعها عِيس و هي إبلّ بيض يعتري باضها ظلمة أو من العيس و هو ماء الفَحل يقال عاسها ميسها.

وَجِيهًا: يقال فلان وَجيه أي ذُو جاه.

وَ كُهْلاً: الكَهل بفتح الكاف و سكون الهاء من و خطّه الشّيب والبـاقي واضح.

# ♦ الإعراب

وَ إِذْ قَالَتِ أَي و أَذكر يا مُحمّد إذ قالت و يجوز أن يكون معطوفاً على (إذ قالت امرأة عمران)، أَصْطَفيْكِ والأصل في إصطفىٰ إصتفىٰ بالتّاء ثمّ أُبدلت التَّاء طاء لتوافق الصَّاد في الإطباق و تكرار للتأكيد ذِّلكَ مِنْ أَنْبآاءِ ٱلْغَيْبِ يجوز أن يكون التقدّير الأمر ذلك و عليه مِنْ أَنْباآءِ ٱلْغَيْبِ حال من، ذا و يجوز أن يكون ذلك مبتدأ و من أنباء، خبره و يجوز أن يكون نُوحِيهِ خبر ذلك و مِن أنباء حالاً من الهاء في نُوحيه و يجوز أن يكون متعلَّقاً، بنوحيه، أي الإيحاء مبدَّوٌ به من أنباء الغيب إذْ يُكْلُّقُونَ ظرف لكان أو للإستقرار الَّذي تعلَّق به لديهم أيُّهُمْ يَكُفُّلُ مَرْيَمَ مبتدأ و خبر في موضع نصب أي يقترعون أيّهم فالعامل فيه ما دّل عليه، يُلقُون إذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَّرِئكَةُإذ بدل، من إذا، الَّتي قبلها و يجوز أن يكون ظرفاً ليختصمون والتقدّير، إذكر مِنْهُفي موضع جرّ صفة لكلمة و من، هـنا لإبتداء الغاية أسْمُهُ مبتدأآلْمَسيحُ خَبره وعيسَىبدلٌ منه أو عَطف بيانٍ أَبْنُ جزء ٣ ﴾ مَرْيَمَخَبر مُبتدأ محذوف، أي هو، وَجيهًا ومن المُقرّبين، و يكلّم، أحوال مقدّرة و صاحبها معنىٰ الكلمة و هو، مكوّن أو مخلوق فِي ٱلْمَهْدِ حال من الضّمير في يكلّم أي يكلّمهم صغيراً و يجوز أن يكون ظرفاً وكَهْلاً يجوز أن يكون حالاً معطوفة على، وجيهاً، وأن يكون معطوفاً على موضع، في المهد، إذا جعلته حالاً مِنَ ٱلصَّالِحينَ حال معطوفة علىٰ، وجيهاً.

# ⊳ التّفسير

وَ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاّئِكَةُ أَي و أذكر يا محمّد إذ قالت الملائكة و يمكن أن تكون الواو للعطف على قوله وإذ قالت إمرأة عمران، يَا مَرْيَمُ إنَّ ٱللَّهَ **أَصْطَفَيْكِ** أَى أَنَّ اللَّه إختارَكِ **وَ طُهَّرَكِ** أَى من الكفر أو من مطلق الأرجاس و الأدناس كالحيض و النّفاس و غيرهما و الحقّ أنّها كانت مطهّرة مطلقاً ظاهراً و باطناً لمكان عصمتها و أصطَّفيكِ لولادة عيسىٰ عَلَى نِسْآءِ ٱلْعَالَمينَ قال الحَسَن و إبن جريح يعني عالمي زمانها و قال بعضهم علىٰ نساء العالمين، أجمع الى يوم الصُّور و هو قول الزّجاج قال القُرطبي بعد نقله الأقوال و هو الصّحيح أي قول الأخير، قالوا وكرّر الإصطفاء لأنّ معنىٰ الأوّل الإصطفاء لعبادته ومعنى الثَّاني لولادة عيسيٰ ،و قيل كرّر عليٰ وجه التّوكيد والمبالغة، و قيل لمّا أطلَق الإصطفاء الأوّل بيّن بالثّاني أنّها مصطفاة على النّساء، و قال الزّمخشري في الكشّاف، إصطفاك، أوّلاً حين تقبلك من أمّك و ربّاك و اختصك بالكرامة السِّنة وَ طَهَّرَكِ ممّا يستقذر من الأفعال و ممّا قذفك بـ اليهود وَ أَصْطُفيْكِ آخراً علىٰ نساء العالمين بأن وهب لك عيسي من غير أب ولم يكن ذلك لأحدٍ من النّساء، و قيل هو خدمة البيت، و قيل التّحرير و لم تحرّر أنثى غير مريم، و قيل سلامتها من نخس الشّيطان، و قيل نبوّتها فأنّه قيل أنَّها نبَّئت وكانت الملائكة تظهر لها و تخاطبها برسالة اللَّه لها وكان زكرَيا يَسمع ذلك فيقول أنّ لمريم شأناً و الأقوال كثيرة و هذه الأقوال كلّها من العامّة في تفاسيرهم، و قال الشّيخ في التّبيان و أنّما كرّر لفظ اصطفاك لأنّ معنى الأوّل إصطفاك بالتّفريغ لعبادته بما لطف لك حتّى انقطعت الي طاعته و صرت متوّفرة على إتّباع مرضاته، و معنى الثّاني إصطفاكِ بالإختيار لولادة نبّيه عيسى على قول الجبائي.

اء الغرقان في تفسير القرآن كرنج المجلد الثالث

ثمّ قال: و قال أبو جعفر عليه إصطفاها أوّلاً من ذرية الأنبياء و

طّهرها من السّفاح والثّاني إصطفاها لولادة عيسى عليُّ من غير فحل انتهىٰ.

أقول عن الحكن بن عُتيبة قال سألتُ أبا جعفر عليه عن قول الله في الكتاب، وَ إِذْ قٰالَتِ ٱلْمَلْآئِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ ٱلله ٱصْطَفَاها مرّتين والإصطفاء مرّة واحدة قال فقال عليه لي يا حكيم أنّ لهذا تأويلاً و تفسيراً فقلتُ له ففسره لنا أبقاك الله فقال يعني اصطفاها أوّلاً من ذرّية الأنبياء المصطفين المرسلين وطهرها من أن يكون في ولادتها من آباءها وأُمهاتها سفاحاً وإصطفاها بهذا في القرآن يا مَرْيَمُ أَقْنُتي لِرَبِّكِ وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله وَ إِذْ قُالَتِ النَّمَلا يُكَانَ يُا مَرْيَمُ إِنَّ ٱلله آصطفيكِ

قال إصطفاها مرّتين أمّا الأوّل فإصطفاها أي إختارها والثّانية فأنّها حملت من غير فحل فإصطفاها بذلك على نساء العالمين.

و عن أبي جعفر النّيلان معنى الآية إصطفاكِ من ذّرية الأنبياء و طّهرك من السّفاح ، وإصطفاكِ لولادة عيسى من غير فحلٍ و زوج (١) و أختلفوا في المراد من قوله تعالى: أصْطَفيكِ عَلَى نِسْآءِ الْعَالَمينَ فقال: أكثر المفسّرين من العّامة أنّ الله إصطفاها على نساء العلمين من الأوّلين والآخرين بعضهم المراد بالعالمين عالمي زمانها.

و أمّا الشّيعة فإتّفقت على أفضلّية فاطمة عنها و أنّها أي مريم كانت سيّدة جزء الى تولين.

أحدهما: أنَّها كانت أفضل النَّساء الى يوم الصُّور.

ثانيهما: كانت أفضل نساء زمانها و عالمها و نحن نشير الى القولين و دلائلهما ثمّ نقول ما هو الحقّ عندنا.

، الفرقان في تفسير القرآن كم مجمع العبو

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَنْ ﴾ الما

أمّا القول الأوّل أعني به القائلين بأفَضَلية مريم على جميع النّساء الى يوم الصُّه ر.

فمنهم القُرطبي في تفسيره لهذه الآية وإستّدل علىٰ مُدّعاه بالأخبار الواردة عن رسول الله.

ما رواه عن مُسلم عن أبي موسى قال :قال رسول الله عَيْرُ اللهُ عَيْرُ اللهُ عَيْرُ اللهُ عَالِمُ اللهُ من الرّجال كثير ولم يُكمل من النّساء غير مريم بنت عمران و آسية إمرأة فرعون وأنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام، ثمّ قال قال علماؤنا الكمال هو التّناهي و التّمام و يقال في ماضيه، كمَل بفتح الميم و ضمّها و يكمل في مضارعه بالضمّ و كمال كلّ شيّ بحسَبه و الكمال المطلق أنّما هو لِلّه تعالى خاصّة ولا شكّ أنّ أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثمّ يليهم الأولياء من الصّديقين و الشّهداء و الصّالحين و اذا تقّرر هذافقد قيل أنّ الكمال في الحديث يعنى به النّبوة فيلزم عليه أن تكون مَريم عليها السّلام وآسية نَبِّيتين و قد قيل بذلك والصّحيح أنّ مريم نبّية لأنّ الله تعالىٰ أوَحىٰ اليها بواسطة الملك كما أوجى الى سائر النّبيين حسب ما تقدم و يأتى بيانه أيضاً في مَريم و امّا آسية فلم يرد ما يدّل علىٰ نبّوتها دلالة واضحة بل على صدّيقيتها و فضلها على ما يأتى بيانه فى التّحريم وروي من طرق صحيحة أنّه عليَّا قال فيما رواه عنه أبو هريرة خير نساء العالمين أربع مَريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمّد و من حديث ابن عبّاس عن النّبي عَيْنِ أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خویلد و فاطمة بنت محمّد و مَریم بنت عمران و آسیة بنت مزاحم إمرأة فرعون.

# و في طريق أخر عنه عَيَّ إلله سيدة نساء أهل الجنّة بعد مَريم فاطمة و

فظاهر القرأن والأحاديث يقتضي أنَّ مَريم أفضل من جميع نساء العالم من حوّاء الى أخر إمرأةٍ تقوم عليها السّاعة فأنّ الملائكة قد بلغتها الوحى عن اللّه عزّ وجلّ بالتكلّيف والأخبار والبشارة كما بلُّغت سائر الأنبياء فهي اذاً نبّية و النبي أفضل من الوّلي فهي أفضل من كلّ النّساء الأوّلين و الأخرين مطلقاً ثمّ بعدها في الفضيلة فاطمة ثمّ خديجة ثمّ آسية وكذلك رواه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عبّاس قال قال رسول الله سيّدة نساء العالمين مَريم ثمّ فاطمة ثمّ خَديجة ثُمَّ آسية، وهذا حديث حَسن يرفع الإشكال و قد خصِّ الله مَريم بما لم يؤته أحداً من النّساء و ذلك أنّ روح القدس كلّمها و ظهر لها ونَفْخ في دِرعها ودنا منها للنّفخة فليس هذا لأحَدِ من النّساء و صدّقت بكلمات ربّها ولم تسأل أية عند ما بُشرّت كما سأل زكريا و لذلك سمّاه الله في تنزيله صدّيقة وساق الكلام بتكرار ألفاظه مرّةً بعد أُخرى الى أن قال وكذلك شأن مريم لم تنل شهادة الله في التنزّيل بالصدّيقة والتصدّيق بالكلمات إلاّ لمرتبةٍ قريبة دانية و من قال لم تكن نبّية قال أنّ رؤيتها للملك كما رؤي جبرئيل في صفة دحية الكلبي حين سؤاله عن الإسلام والإيمان ولم تكن الصّحابة بذلك أنبياء والأوّل أظهر و عليه الأكثر واللّه أعَلم انتهىٰ كلام القُرطبي و أنّما نقلنا عين عباراته و ألفاظه أمّا أوّلاً فلأجل حفظ الأمانة في نقل كلام الغير و ثانياً لأنّه لا يظُنّ ظانّ أنّا جزء ٣ نسبنا اليه غير ما قال و بهذه المقالة قال الطّبري أيضاً و ذكر في تفسيره أخباراً من طرقهم من شاء الإطّلاع عليها فعليه بكتابه و مثله السّيوطي في الدّر المنثور فَأَنَّهُ رَوِي عَنَ عَبِدَ الرَّحَمْٰنِ بِنَ أَبِي لِيلَىٰ قَالَ: **وَ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ** أَصْطَفَيْكِ وَ طَهَّرَكِ<sup>(١)</sup>.

يقرآن

قال رسول الله عَلَيْهُ: فاطمة سيّدة نساء العالمين بعد مَريم ابنة عمران وآسية إمرأة فرعون وخديجة بنت خويلد.

وبه قال الفَخر الرّازي في تفسيره و هكذا قال كثير من مفسّري العامّة ومنهم من سكت عن البحث في هذا الموضُوع كالزّمخشري في الكشّاف والقاضي البيضاوي في تفسيره و الحقّي في رُوح البيان والرّشيد رضا في تفسير المنار و امثالهم ومنهم من تردّد في المقام ولم يرجّح من الأربعة واحدة منهنّ و قال هو طريق الإحتياط والذّي عليه أكثر المفسّرين من العامّة أفضّلية مريم على سائر النّساء الى أخر الدّنيا بقولٍ مطلق

و أمّا الشّيعة فلا خلاف عندها أنّ فاطمة بنت رسول اللّه أفضل النسّاء في الدّنيا والأخرة ولا يقاس بها أحد وحيث إنّجر الكلام الى هذا المقام فلا بأس بالإشارة الى بعض ما وَرد في فَضلها سلام اللّه عليها وعلى أبيها وبعلها و بَنيها و قبل الحوض في أصل الموضوع لابدّ لنا من الجواب عمّا قاله القُرطبي و أمثاله في إثبات أفضّلية مَريم.

فنقول أمّا الحديث الأوّل و هو ما رواه عن أبي موسى قال رسول الله عَيْرِ الله عَيْرِ الله عَيْرِ مريم بنت عمران و آسية إمرأة فرعون وأنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام.

ففيه، أنّ هذا الحديث ينادي بأ على صوته أنّه مجعول اذ لا يُؤيده العقل و لا النّقل.

## أمّا العقل:

فلاَّنه لم يدّل دليلٌ منه علىٰ فضل الثّريد بقولٍ مطلق اذكثيراً ما يكون غير الشّريد من الطّعام أفضل منه و هو واضح.

ثانياً: أنَّ الكمال في الإنسان لا يحصل إلاَّ بالعصمة فمن لا يكون معصوماً

لا يكون كاملاً في الحقيقة و لازم الحديث هو أنّ آسية كانت معصُومة ولم يقل به أحَد.

ثالثاً: يلزم منه أن تكون عائشة فوق الكمال وأن شئت قلت فوق العصمة و لم يقل أحد بعصمتها فضلاً عن كونها فوق مقام العِصمة بل هي أيضاً لا ترضى بهذا القول.

# أمّا النّقل.

فلأنّ إجماع الأمّة وإتّفاقهم على عدم إنحصار الكمال فيها مضافاً الى الأخبار الواردة فيه من الطّرفين و قد نقل القُرطبي و غيره كثيراً من الأخبار عن رسول اللَّه أنَّه قال خير نساء العالمين أرَبع فهذا الخبر مطروحٌ لا يعوِّل عليه و بما ذكرناه يندفع كلّ ما فرّعَه على الحديث من أنّ الكمال يعني به النبوّة فيلزم أن يكون مريم و آسية نبيّتين و قد قيل بذلك اذ يقال له و من قال بذلك من المسلمين في حقّهما نعم قال بعض العامّة أنّ مريم كانت نبّية والقُرطبي أيضاً منهم وامّا آسية فلم يقل بنبّوتها أحدّ فيما نَعلم فهذا القول بالنّسبة الي آسية لا قائل به و امّا مريم البتُول فهي أيضاً كذلك و القائل بنبوّتها مجنُون أو قريبٌ به لأنّ منصب النبوّة و الرّسالة و الوصاية و القضاوة و أمثالها مختصّ بالرّجال فاذا منع الشَّارع من قضاوة المرأة فكيف يمكن القول بجواز نبُوتِّها، و أوهَن من أصل المُدّعيٰ إستدلالة بأنّ الله أوّحيٰ اليها بواسطة الملك كما أوحى الين سائر النّبيين، و ذلك لأنّه لو كان الوَحى الي موجود من الموجودات دليلاً على النبوّة لكان النَّحل نبّياً لقوله تعالىٰ: و أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبْالِ **بُيُوتًا<sup>(١)</sup> ب**ل يلزم كون نبوّة النّحل أقوى و أفضل مـن نـبّوة مَـريـم و ذلك لأنّ الوَحى بالنّسبة الى مَريم كان بسبب الملائكة لقوله: وَ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاّئِكَةُ يَا مَرْيَمُ بالنّسبة الى النّحل كان بغير واسطة الملك بل اللّه تعالىٰ هو الّذي أوَحىٰ

، الغرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ مَنْ ﴾ المجلد ال

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَنْ ﴾ الد

اليه لقوله و أوحى ربّك الى النّحل الآية فيلزم أن يكون من أفضل الأنبياء على مذهب القُرطبي و منه غير بعيد، ثمّ أنّ القُرطبي كيف قال ما قال وكتاب الله بين يديه يكذّب دعواه:

قال الله تعالىٰ: وَ هٰ ٓ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجْالًا نُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ اللهِ تعالىٰ: وَ هٰ ٓ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجْالًا نُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ اللهِ اللهِي

قال الله تعالىٰ: وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحَى إِلَيْهِمْ فَاسْطُوا أَهْلَ اللهُ تعالىٰ: وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحَى إِلَيْهِمْ فَاسْطُوا أَهْلَ الدِّكُو (٢).

فهذه الأيات تُصَرح بأن يكون الرّسول إلاّ من الرّجال هذا مضافاً الى إتّفاق الأمّة على عدم صلاحيّة المرأة كائنة ماكانت للنّبوة فالقول بأنّها نَبِية عاطلٌ باطلٌ. و أمّا مارواه عن أبي هُريرة قال رسول اللّه عَلَيْهِ : خير نساء العالمين أربع.

و ما رواه عن ابن عبّاس عنه عَيَّالِيلُهُ أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد.

الحديث ففي هذين الحديثين ليس ما يدّل على أفضّلية مريم لأنّ الرّسول قال فيهما أنّ هذه الأربعة خير نساء العالمين أو خير نساء أهل الجنّة و هو مُسلم لاكلام فيه و أنّما الكلام في الأفضّلية فلو كان الأمر كما ذكره القُرطبي لقال رسول الله و مَريم أفضّلهن في الدّنيا أو في الأخرة و لم يقل دليل على العدم، و امّا حديثه الأخر:

سيّدة نساء أهل الجنّة بعد مَريم فاطمة وخديجة، فهو على فرض صحتّه لا يثبت مدّعاه لأنّه خبر واحد تفرّد بنقله القُرطبي و لذلك لا يصلح للإستدلال به و لم ينقله الطّبري و السّيوطي و أمثالهما مع أنّ تفسير الطّبري والسّيوطي أساسهما علىٰ ذكر الأخبار فلو كان الخبر صحيحاً لذكراه.

و ثانياً على فرض صحّة الحديث فهو خارج عن البحث و ذلك لأنّ البحث في قوله تعالى: آصْطَفيْكِ عَلَى نِسْآءِ ٱلْعالَمينَ وكون مريم سيّدة نساء أهل الجنّة أوّلاً لا بحث لنا فيه فعلاً.

و أمّا قوله فظاهر القرأن والأحاديث يقتضي أنّ مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء الى أخر امرأة تقوم عليها السّاعة، فهو المُدّعىٰ فأين الدّليل و إستناده الى ظاهر القرأن و الأحاديث فقد عرفت الكلام فيه، وقوله بعد ذلك فأنّ الملائكة قد بلّغتها الوحي عن الله، فهو تكرار لما سبق و قد مرّ الجواب عنه، وقوله فهي إذا نبّية و النبّي أفضل من كلّ النسّاء من والأولين والآخرين مطلقاً، ففيه أنّ ما ذكره فرغ على نبوّتها و قد تكلّمنا فيها فقوله فهي إذاً نبيّة الخ أشبه بكلام الجاهل بمقام النبوّة بل هو من سنخ كلام المتجانين الّذي لا ينبغى التوجّه اليه فضلاً عن ردّه.

و قوله و قد خصَّ اللَّه مريم بما لم يؤته أحَداً من النَّساء الخ..

فقد ظَهر جوابه عمّا سبق القول به ولا حاجة الى إطالة الكلام في الباب إذ ليس له دليل من العقل والنّقل على إثبات مدّعاه سوى الأحاديث المجعولة والتأويلات المُنكرة الموهوبة الّتي لا تليق بالبّحث والتَّحقيق والعجب من الرّازي حيث قال.

الخامسة رُوي أنّه عليه الصّلوة والسّلام قال: حسبك من نساء العالمين أربع، مريم وآسية إمرأة فرعون، وخديجة و فاطمة فقيل أنّ هذا الحديث دلّ على أنّ هؤلاء الأربع أفضل من سائر النساء وهذه الآية دلّت على أنّ مريم أفضل الكلّ وقول من قال المراد أنّها مصطفاه على عالمى زمانها فهذا ترك الظّاهر انتهى.

أمًا قوله أنّ هذا الحديث دلّ علىٰ أنّ هؤلاء الأربع أفضل من سائر النّساء كلام معين و امّا قوله وهذا الآية دلّت علىٰ أنّ مريّم أفضل الكلّ فهو إستنباط



من نفسه و مع ذلك يُعدّ من تفسير القرآن بالرأي و ذلك لعدم صراحة الآية فيما قال و أنّما دلّت على كونها أفضل نساء العالمين في زمانها هذا هو الظّاهر من الأية و دُونه خرط القتاد هذا أوّلاً و امّا ثانياً أنّ أقصى ما يمكن أن يُدّعىٰ في قوله: سيّدة نساء العالمين، أنّه أعمّ من عالمي زمانها و عليه فتفسير الآية من المتشابهات الّتي يرجع فيها الى الرّاسخين في العلم وفي رأسهم رسول الله عَيَّمِ الله عَيَّمِ الله عَيَّمِ الله عَلَيْ فَقد صرّح الرّازي بأنّها ما كانت من الأنبياء و هو أمثاله، و امّا في مسألة النبوة فقد صرّح الرّازي بأنّها ما كانت من الأنبياء و هو كذلك إذا عرفت هذا فأعلم أنّ فاطمة عليها لله سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين و وافقنا على ذلك كثير من فُحول علماء العامة الذين أخرجوا نفوسهم عن قيّد التعصّب و العناد و قالوا الحقّ و أن كان على خلاف أميالهم خوفاً من المعاد و نحن نُشير أوّلاً الى شطرٍ ممّا روته العامة ثمّ نُردفه بما قالته خوفاً من المعاد و نحن نُشير أوّلاً الى شطرٍ ممّا روته العامة عن كتاب ذخائر العقبى فلا.

قال روي الملا في سيرته أنّ النبّي عَيَّرُولُهُ قال: أتاني جبرائيل بتفاحةٍ من الجنّة فأكلتها و واقعت خديجة فحملت بفاطمة فقالت أنّي حملت حملاً خفيفاً فإذا خرجت حدّثني الذي في بطني فلمّا أرادت أن تضع بعثت الى نساء قريش لتأتّينها فيلين منها ما تلي النساء ممّن تكد فلم يفعلن و قلن لا نأتيك و قد صرت زوجة محمّد فبينما هي كذلك إد دخل عليهما أربع نسوة عليّهن من الجمال و النّور ما لا يوصف فقالت لها إحدايّهن، أنا أمّك حوّاء وقالت الآخرى أنا آسية بنت مزاحم وقالت الأخرى أنا كلثوم أخت مُوسى وقالت الأخرى أنا مريم بنت عُمران أمّ عيسى جئنا لنلي من أمرك ما تلي النساء قالت مريم بنت عُمران أمّ عيسى جئنا لنلي من أمرك ما تلي النساء قالت

فؤلدت فاطمة سلام الله عليها فوقَعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها انتهى (١).

أقول إذا تأملت في هذا الحديث لا تشكّ في أفضليّة فاطمة على مريم و غيرها و ذلك لأنّ مريم و آسية و حَوّاء و كُلثُوم جعلن كالقوابل لفاطمة و من قال أنّ القابلة الخادمة أفضل من مَخدومتها فهو مجنون بلاكلام بل يظهر من الحديث أفضليّة خديجة أيضاً، اللّهم إلاّ أن يقال أنّ أفضلية خديجة لأجل حملها بفاطمة وكيف كان فالأفضليّة ثابتة لفاطمة.

و روي الخوارزمي و هو من أعيان العامة في فضل الحسين، باب فضائل فاطمة، عن أبي هريرة أنّ النّبي عَلَيْكُ قال: أقل شخص يدخل عَلَى الجنّة فاطمة، مثلها في هذه الأمّة كمَثَل مريم بنت عمران في بني إسرائيل انتهى.

أقول معنى الحديث أنّ فاطمة أفضل نساء هذه الأُمّة كما أنّ مريم كانت أفضل نساء بني إسرائيل و لا شكّ أنّ هذه الأمّة أفضل من بني إسرائيل فَمن كان أفضل نساء بني إسرائيل بطريق أولَىٰ المطلوب(٢).

و روي في المناقب عن كتاب حلية الأولياء وكتاب الشيرازي روي عمران بن حصين وجابر بن سمرة أنّ النّبي دَخل على فاطمة فقال كيف تَجدينك يا بنيّة قالت أنّي لوجعة وأنّه ليزيدني أنّه مالي طعام آكله، قال عَلَيْ الله ينيّة أما تَرضين أنّكِ سيّدة نساء العالمين قالت يا أبة فأينَ مَريم بنت عمران قال عَلَيْ الله تلك سيّدة نساء عالمها وأنتِ سيّدة نساء عالمها وأنتِ سيّدة نساء عالمكِ أمّ واللّه زوجتكِ سيّداً في الدّنيا والأخرة انتهى "".

نياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثالد

١- فضائل الخمسة ج ٣ص ١٢٥
 ٣- مقاتل الخوارزمي ج ١ ص ٧٥٠
 المناقب لأبن شهر أشوب ج ٣ص ٣٥٣

وجه الدّلالة في الحديث ظاهر و ذلك لأنّ سيّدة نساء المسلمين أفضل من سيّدة نساء بني إسرائيل.

وروي الخطيب في تاريخ بغداد (١) بأسناده عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله عَلَيْ باب الجنة محتوباً لا إله إلاّ الله محمّداً رسول الله، عليّ حِبّ الله والحسَن مكتوباً لا إله إلاّ الله محمّداً رسول الله، عليّ حِبّ الله والحسَن والحُسين صفوة الله وفاطمة خيرة الله على باغضهم لعنة الله انتهى وجه الدّلالة فيه أنّ المراد بقوله فاطمة خيرة الله، أي خيرة الله من خلقه من النسّاء وإلاّ فرسول الله وأمير المؤمنين كانا أفضل منها.

و أمّا من طريق الخّاصة فالأخبار في ذلك أكثر من أَن تحصى و مع ذلك نذكر بعضها تيمً +ناً و تبرّكاً.

ما رواه في البحار بأسناده عن المفضل قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه المنظر أخبرني عن قول رسول الله عليه أله المنظر في فاطمة أنها سيدة نساء العالمين أهى سيدة نساء عالمها فقال عليه ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها و فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين انتهى (٢).

مارواه في طوالع الأنوار عن أبي عبد الله عليَّلا: عن قول رسول الله في فاطمة أنّها سيّدة نساء العالمين و هي سيّدة نساء عالمها فقال ذاك لمريم كانت سيّدة نساء عالمها وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والأخرين انتهى

و عن مناقب محمّد بن شاذان قال: رسول الله عَلَيْسُ لو كان الحَسن شخصاً لكان فاطمة.بل هي أعظم الحديث.

ما رواه عن أبي عبد الله لِمَ سُمّيت الزّهراء فقال عليّه الأنها كانت اذا قامت في محرابها زَهَر نورها لأهل السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض و قد رؤيت أنّها سُمّيت الزّهراء لأنّ الله خلقها من نور عظمته.

و مَريم كانت لا تحيض و لا ترى دم و فاطمة أيضاً كانت كذلك و مَريم كانت بضعة عمران و فاطمة كانت بضعة الرّسول و الفرق واضح هذاكله مضافاً الى ما وَرَد في فاطمة، من قوله عَلَيْشُهُ: من أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذائي

و قوله: أنّ اللّه ليغضب لغضب فاطمة ويَرضى لِرضاها، وقوله أنّها ثَمرة فؤادي وبَهجة قلبي و روحي التّي بين جَنبَي و امثال ذلك ممّا قاله الرّسول في حقّها و عليه فقياس كلّ مرأةٍ في عالم الوجود الىٰ يوم القيامة

يا، الفرقان في تفسير القرآن نج المجا فاطمة الزّهراء قياس مع الفارق بل هو من الظّلم والذّنب لأنّه إنكارٌ لحقّها بل إخفاءٌ لفضيلتّها التّي فضَّلها اللّه تعالىٰ بها علىٰ جميع النّساء و أنّي لا أظنّ أنّ هذه الأخبار الواردة في فضائلها من العامّة والخاصّة خفيّت علىٰ القُرطبي و الرّازي و أمثالهما من منكري أفضليتها على مريم و غيرها من نساء العالم و لكنّهم أخفوا فضائلها كما أخفوا فضائل بَعلها و بنيها لمصلحة إقتضاها التكلّيف في دار الدّنيا فأنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة وحُبّ أهل البيت و الإقرار بفضائلهم لا يجتمع مع حُبّ من أضرم النّار علىٰ بابها فمن تابع الظّالمين علىٰ آل محمّد الغاصبين لحقوقهم في باب الولاية بعد النّبي كيف يقول الحقّ فيهم أعاذنا اللّه منه.

وامّا قوله تعالى: يا مَرْيَمُ ٱقْنُتَى لِرَبِّكِ وَ ٱسْجُدى وَ ٱرْكَعِى مَعَ ٱلرُّاكِعِينَ أَمْرِهَا اللّه تعالى بالقنُوت و هو لزوم الطّاعة مع الخضوع، والسّجود و هو في الأصل التّطامن والتذلّل للّه تعالى، والرّكوع و هو الإنحناء في الأصل يستعمل في القواضع والتذلّل إمّا في في الهيئة المخصوصة في الصّلاة و قد يستعمل في التّواضع والتذلّل إمّا في العبادة و امّا في غيرها فالمأمّور به في الأية، القنُوت، والسّجود، و الرّكوع.

فقوله تعالىٰ: آقْتُتي معناه أخلصَي لربّك العبادة و قيل معناه، أديمي الطّاعة، و قيل أطلبي القيام في الصّلاة لأنّ أصل القنوت لزوم الطّاعة علىٰ الدّوام.

و قوله: وَ آسْجُدي أي أخضعي و قيل أصل السّجُود الإنخفاض الشدّيد للخضوع ومنه قول الشّاعر:

فكلتاهما خَرّت وأسجد رأسها كما سَجَدت نصرانة لم تُحَنَف وكذلك القول في الرّكوع إلاّ أنّ السّجود أشّد إنخفاضاً قال بعض المحققين: قال اللّه تعالىٰ: كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ.

قال الله تعالىٰ: وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتينَ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قيل خاضعون و قيل طائعون و قيل ساكتون ولم يعن به كلّ السّكوت و أنّما عني به ما قال عَلَيْكُولَهُ أنّ هذه الصّلاة لا يصّح فيها شئ من كلام الأدميّين أنّما هي قرأنٌ و تسبيحٌ و على هذا قيل أيّ الصّلاة أفضل فقال طول القنوت أي الإشتغال بالعبادة و رفض كلّ ما سواه:

قال الله تعالى: إنَّ إِبْراهيمَ كانَ أُمَّةً قَانِتًا (١).

قال الله تعالىٰ: أَمَّنْ هُوَ قَانِتُ انْآءَ ٱللَّيْل<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: و القانتين و القانتات (٣) انتهى.

و أمّا قوله: مَعَ ٱلرُّاكِعِينُ فقيل فيه إشارة الى صلاة الجماعة أي لا تصلّي وحدة حتّى الإمكان لأنّ مع الجماعة أكثر ثواباً منها بدونها أقول هذا يصّح بناءً على أن يكون المراد بالرّكوع الهيئة المخصوصة في الصّلاة كما هو أحد الإحتمالين وأمّا أن أريد به التّواضع والتّذلُل في غير العبادة فالمعنى أخضعي و تذللي لِله تعالى مع الخاضعين المتذلّلين، ثمّ أنّ الآية الشّريفة بعد قوله تعالى و إذْ قالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللّه ٱصْطَفيٰكِ تشعر بأنّ الشّكر على النّعمة ممدوح مأمورٌ به و لذلك أمرت مريم بالقنوت والسّجود و الرّكوع عقيب الإصطفاء و التّطهير فكأنّه علّمها الله تعالى كيفيّة الشّكر على النّعمة التّي أنعمها بها كما أمّر رسوله بذلك في قوله: إنّ أَعْطَيْناكَ ٱلْكُوثَوَ، فَصَلّ لِرَبّكَ وَ ٱنْحَرْ (٢) و سيأتي الكلام في هذا المعنى عند تفسيرها إن شاء اللّه تعالى،

و قوله تعالىٰ: ذَلِكَ مِنْ أَنْهَآءِ ٱلْغَيْبِ أَي ذلك الذّي ذَكرناه لك من حديث زَكريا و يحيىٰ و مَريم من أخبار الغَيب نُوحيهِ إِلَيْكَ أي نُلقيه اليك علىٰ سبيل الوحي و هو أي الوَحي في الأصل الإشارة السّريعة و لتضمّن السّرعة قيل أمرّ

۱- النحل = ۱۲۰ ۳- الاحزاب = ۳۵ ۴- الكوثر = ۱/۲

وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز و التّعريض و قد يكون بـصوتٍ مجّرد عن التركّيب وبإشارةٍ ببعض الجَوارح وبالكتابة و لذلك جاء في الكتاب علىٰ أقسام:

أحدها: التكلّم بالسرّ و منه قوله تعالى: فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١).

ثانيها: الإنزال ومنه قوله تعالى: وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ٱلْقُرَّانُ لِأَنْذِرَكُمْ بِه (٢) يعني أنزل على هذا القرأن

ثالثها: بمعنى الكتاب ومنه قوله:قُلْ إِنَّمَآ أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ<sup>(٣)</sup> أي بالكتاب

رابعها: بمعنىٰ الرّسالة ومنه قوله: وَ أَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسْنَ إِذِ ٱسْتَسْقَيْهُ قَوْمُهُ <sup>(۴)</sup> أي أوحينا اليه برسالة جبرئيل.

خامسها: الإشارة و منه قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إليهم (۵) يعني أشار اليهم.

سادسها: الإعلام ومنه قوله: وَ مَا كَانَ لِبَشَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْـيًا (٤) أي اعلاماً

سابعها: بمعنىٰ الإلهام ومنه قوله: وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوارِيِّنَ أَنْ أَمِنُوا بِي وَ

قال اللّه تعالىٰ: وَ أَوْحَيْنآ إِلٰىَ أُمِّ مُوسٰىَ أَنْ أَرْضِعِيهِ <sup>(٨)</sup> أي ألهمناها

ثامنها: التّسخير كقوله تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذي مِنَ ٱلْجِبْالِ **بُيُوتًا (٩)** يعني سخَّرها لإتّخاذ العَسَل.

تاسعها: بمعنىٰ الأمر كقوله تعالىٰ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهٔا(۱۰) يعني أمرها.

> ۲- الأنعام=۱۹ ١- النّجم=١٠

٣- الأنبياء=٣٥

٥١ = الشورى = ٥١ ۵- مریم=۱۱ ٧- المائدة=١١١

٩- النّحل=۶۸

۴- الأعراف=۱۶۰

٨- القصص=٧

١٠ الزّلزال=4/٥

عاشرها: الوسوسة و منه قوله: **وَ إِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَــىَ أَوْلِـيَائِهِمْ<sup>(١)</sup> يعني ليوسوسون في صدورهم.** 

اذا عرفت معنى الوحي و أقسامه فأعلم أنّ قوله نوحيه اليك الوحي هنا بالمعنى الأوّل و هو التكلّم بالسرّ و يمكن أن يكون بمعنى رسالة جبرئيل أي نوحيه اليك برسالته والأوّل أولى.

# وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ

أي وماكنت يا محمد عند الذين إختلفوا وتنازعوا في تربية مريم اذ يلقون أي يطرحون أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة إختاروها للقرعة تبركاً بها، أيهم يكفل مريم و ماكنت لَدَيْهِم يامحمد إذْ يَخْتَصِمُونَ في شأنها تنافساً في كفالتها حتى كفلها زكريا على ما تقدم الكلام فيه.

# إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلْآثِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْـمَسيحُ عيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

أي و أذكر يا محمد اذ قالت الملائكة يا مريم أنّ الله يبَّشرك أي يخبرك بخبرٍ سارّ فأنّ البَشارة الخبر السّار يقال أبشرتُ الرّجل و بشَّرته و بشرته أخبرتُه بسار بسط بَشرة وجهه و ذلك أنّ النّفس اذا سُرّت إنتشر الدَّم فيها إنتشار الماء في الشّجر:

قال الله تعالىٰ: لَهُمُ ٱلْبُشْرٰى فِي ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيٰا وَ فِي ٱلْأَخِرَةِ (٢٠). قال الله تعالىٰ: وَ هُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا (٣٠).

أي تبشّر بالمَطر و قال الفّراء اذا ثقّل الفعل فمِن البُشرىٰ و اذا خفّف فمن السرور بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسيحُ عيسَى ٱبْنُ مَـرْيَمَ لم يـقل إسـمها لأنّ

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ اللَّمْ اللَّهُ السَّجلدُ الثَّال

۲- يونس=۶۳

المقصود من الكلمة هنا الوّلد وهو عيسى فالضّمير في إسمه الى معنى الكلمة لا لفظها، ثمّ أنّهم إختلفوا في قوله بكلمة منه، لا في معناها لأنّ المقصود بها الولد عيسى بل في التّعبير عنه بكلمة و بعبارة أخرى لم سُمّي عيسى، كلمة، مع إمكان أن يقال بمولُود إسمه المّسيح مثلاً أو بوَلدٍ و هكذا و قد قالوا في وجه تسمّيته بها وجوهم!

أحدها: ما ذكره الفَخر الرّازي في المقام، قال أنّ كلّ علوق وأن كان مخلوقاً بواسطة الكلمة وهي قوله، كن، الآ أنّ ما هو السّبب المتعارف كان مفقوداً في حقّ عيسى وهو الأب فلا جرم كان إضافة حدوثه الى الكلمة أكمل و أتم فجعل بهذا التّأويل كأنّه نفس الكلمة كما أنّ من غلب عليه الجُود والكرم و الإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة أنّه نفس الجُود و محض الكرم وصريح الاقبال فكذا هاهنا.

ثانيها: ما ذكره أيضاً، قال الوجه النَّاني أنّ السلطان العدل قد يُوصف بأنّه ظل الله في أرضه و بأنّه نور الله لما أنّه سببٌ لظهور ظلّ العدل ونور الإحسان فكذلك كان عيسى عليَّا سبباً لظهور كلام اللّه بسبب كثرة بياناته و إزالة الشّبهات فلا يبعد أن يسمّى بكلمة الله على هذا التَّاويل انتهى كلامه.

ثالثها: أنّ المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمّه فقوله بكلمة منه، معناه بخبرٍ من عنده أو بشارة و هو قول القائل ألقي إلي فلان كلمة سرّني بها بمعنى أخَبرني خبراً فَرحتُ به قاله ابن جرير و استشهد له بقوله، و كلمة ألقاها الى مريم، يعني بشرىٰ الله مريم ألقاها اليها.

رابعها: أنّ الله سبحانه قد كان كرَّر ذكر المسيح في الكُتب المتقدّمة لميلاده و وعَد بمبعثه و بشَّر بنبوّته فلمّا خَلَقه و بعثه قال هذا كلمتي أي هذا ما كنت أخبر به و أكَّر ذكر مورده و ذلك كقول القائل اذا كان قد تقدّم أخباره بأمر متوقّع و إنذاره بحادثٍ منتظر ثمّ وقع المتّوقع و ورد المنتظر قد جاءكم قولي و قد رأيتم كلامي و يقال له أيضاً هذا قولك أو هذا كلامك أي ما كنت تعد به و تخوّف منه.

خامسها: أن يكون معنى ذلك أنّ الله سبحانه قال نُبّشرك بكلمةٍ يعني بوَلَدٍ ذكر يكون نبّياً يهتدي به كما يُهتدي بكلمات الله سبحانه فلذلك سمّاه كلمة على التّشبيه بالكلمة الموضوعة للبيان والدّلالة لأنّ الكلمة في الحقيقة عين الكلام و عيسى عليها ليس بكلام ولا من جنس الكلام ولمثل هذا أيضاً سمّاه اللّه روحاً لأنّ العباد يَحيون به فيِّ أديانهم كما يَحيون بالأرواح في أبدانهم.

سادسها: أن تكون الكلمة هي الوَعد فكأنّه تعالىٰ قال، يُبشّرك بوَعد الله الَّذي سبق و مثل ذلك في القرآن كثير لا تَبْديلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ(١).

أي لما وعد الله به و قال تعالىٰ: **وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَدَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ (٢)** قال الله تعالىٰ: حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ (٣). والقول والكلمة بمعنىٰ واحد وهذا قول أبي مسلم بن بحر انتهيٰ.

و عليه فالعبارة بها عن المسيح مجاز لأنّه لا يجوز أن نقول أنّ المسيح وعد الله إلا و نحن نريد أنَّه موعود الله كما قال الشَّاعر:

و أنَّــى لأرجــوكم عــلىٰ بُــطوء سَعيكم كما في بطون الحاملات رجاء أي مَرجُّو سابعها: قيل أنّما وصف بأنّه كلمة من حيث كانت البشارة الّتي هي كلمة إبتداء معرفته و المطرّقة بين يَدي مورده، و قد إعترض على هذا القول بأنّه لو جاز هذا لجاز أن يُوصف الإنسان بأنّه نطفة بعد تسوية خلقه و تكامل أجزاء جسمه لأنه إبتداء خلقه من نطفة و هذا ممتنع.

ثامنها: ما حكى عن النظّام و هو أنّه وُصف بذلك علىٰ طريق اللّعب إذ لا معنى يشار اليه يمكن أن يقال لأجله وصف بذلك كما يمكن أن يذكر في جزء ٣ ﴾ وصفه بأنّه المسيح على إختلاف الناس في هذه اللّفظة وأنّه روح اللّه وما يجرى هذا المجرى فأنّ ما تحت ذلك أجمع من المعاني معقول فجري وصفه بأنّه كلمة مجري وصف أبي إبراهيم بأنّه آزر انتهيٰ.

 $Y = (a_0 = 1)^{-1}$ ١- يونس = ۶۴

و هذا القول كما ترى لا يغني من الحقّ شيئاً وهذه الأقوال لا بأس بها إذ لكلّ واحدٍ منها وَجه ولكن أحسَن الأقوال على ما قال بعض المحققين هو أن يقال أنّ الكلمة بمعنى الوّعد وإستدّل عليه بقوله تعالى:

وَ جَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَى وَ كَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا (١).

فأنّ المراد بقوله، كلمة الذين كفروا، في الآية ما سبق مِن وعدهم بإطفاء نُور رسول الله، وكلمة الله هي العلياء، ما سبق من وعده تعالى بإعلاء بنيانه و رفع أعلامه و إبعاد صيته و تشريف بيته و كفاية أمر أعداءه، أقول و قد تجيئ الكلمة بمعنى الشريعة و الأوامر المفترضة كقوله:

وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ (٢).

أي بشرائعه و أوامره ومثل ذلك قوله سبحانه:

يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ (٣).

أي أوامر اللّه و فرائضه وأنا أقول إذا عرفت أقوالهم في معنى الكلمة فأعلم أنّ الكلمة تطلق على معنيين، التّكوينية، والتشرّيعية، و امّا الكلمات التشرّيعية فهي عبارة عمّا بين الدَّفتين من القرآن و التّوراة والإنجيل و غيرهما من الكتب السّماوية المتضمّنة للأوامر و النّواهي و جميع الأحكام الدّينية و أتّما عبّرنا عنها أي عن الكتب السّماوية بالكلمات التشريعية لأنّ الأديان شرّعت بها فقوله تعالى: و أقيمُوا الصّلوة و أدُوا الزّكوة (\*) و هكذا و امّا الكلمات التّكوينية فهي عبارة عن كلّ الموجودات الّتي أبدَعها اللّه تعالى بكلمة، كُن، المشار اليها:

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىٰءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (<sup>۵</sup>). قال اللّه تعالىٰ: سُبْخانَهُ إِذَا قَضٰى ٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (<sup>9</sup>).

۵- النّحل = ۴۰

۲- التّحريم = ۱۲

۴- البقرة = ۴۳

۳۵ = مریم = ۳۵

٣– الفتح = ١٥

قال الله تعالى: إِنَّمْآ أَمْرُهُ إِذآ أَرادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١).

و قد يعبر عن هذه الكلمة بالكلمة الوجودية، وعن قوله، كُن، كُن، الوجودي لا بمعنىٰ أنّ هناك لفظ مرّكب من الكاف و النّون فأنّ اللّه تعالىٰ منزّه عن التكلّم بسبب الحروف بل معنىٰ التكلّم فيه إيجاد الكلام كما أنّ الكلمات التشرّيعية أيضاً كذلك وسيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالىٰ ثمّ أنّ هذه الكلمة التّكوينية الّتي هي عين إرادته تعالىٰ بالإيجاد وأن كانت في عالم الأسباب سَبباً لوجود الأشياء و الموجودات في الخارج بمعنىٰ أنّ الموجودات مُسبّبة عنها في وجودها إلاَّ أنَّ صدق الكلمة عليها علىٰ وجه التشكيك لا علىٰ وجه التّواطئ وأن شئت قلت مفهوم الكلمة لا يمتنع فرض صدقها علىٰ كثيرين فهي بحسب المفهوم كُلِّي تصدِّق على كلِّ الموجودات إلاَّ أنَّ صدقها عليها يتفاوت بالشدّة والضّعف والكمال والنّقص والأولّية والأخرّوية والأولوية وعدمها، فأنّ صدق الكلمة مثلاً على العقل الّذي هو الصّادر الأوّل لقوله عَيَّكُولِلهُ أوّل ما خَلق الله العَقل، أو أوّل ما خلق الله من الرّوحانيين العَقل مقدّم على صدقها على ا النَّفس و صدقها عليها مقدِّم على صدقها على الجسم و ذلك لسبق وجود العقل علئ النّفس و سبق وجود النّفس علىٰ الجسم و الهيولي و هكذا صدقها علىٰ العقل أولىٰ من صدقها علىٰ النَّفس، او صدقها على العقل عليه أكمل و أشّد و أقوى من صدقها على النّفس وهكذا الأمر في سلسلة الموجودات على ا حسب تفاوتها و مراتبها وهذا هو المراد بقولنا أنّ مفهوم الكلمة كلّي فشكلك فعلى هذا صدق الكلمة على الإنسان أولى من صدقها على الحيوان فضلاً عن النّبات و الجماد لكون الإنسان أشرف وأقرَب الى الخالق من الحيوان لوجود العقل والنَّفس النَّاطقة في الإنسان و هو واضح ثـمَّ أنَّ أفراد الإنســان أيـضاً متفاوتة محتلفة في الكمال والنّقص لتفاوت عقولهم و استعداداتهم فبعض

، القرقان في تفسير القرآن حربي المجلدا

الأفراد من مصاديق الكلمات التّامات لِلّه تعالى وبعضهم ليس كذلك و الى هذا المعنى أشار الصّادق، بقوله نحن الكلمات التّامات، و مفهوم هذا الكلام أنّ غيرنا كائناً من كان وأن كان من الكلمات الوّجودية له تعالى لكونه مخلوقاً له إلا أنّه ناقص وليس بتّام ولهذا يحتاج في سلوكه الى اللّه وبلوغه الى كماله الممترقّب الى الهادي و هو الرّسول والوّصي والعلماء الذّين هم ورثة الأنبياء ولذلك قسّموا الكلمة التكوينية الى التّامة والنّاقصة فتّحصل ممّا ذكرناه أنّ الكلمات التّامات في عالم الوجود من حيث التّكوين الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسيحُ عيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ إشارة الى أنَ هذا الموجود كلمة من كلماته وإسِمه في عالم الكثرات والأسماء المسيح عيسىٰ بن مَريم، ولأجل هذه الدّقيقة قال،بكَلِمَةِ مِـنْهُ حـيثَ نكّر الكـلمة، والتّنكير يفيد النّوعية أي أنّه نوعٌ خاصّ من كلمات اللّه لأنّ سائر الكلمات من أفراد الإنسان لهم أب و أمّ في عالم الأسباب لقوله تعالىٰ :إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكر وَ أَنْثَى وامّا هذه الكلمة فلا سبب لها في عالم المادّة و هو نطفة الأب مثلاً بل وجدت بدون الأب لتدلّ على قدرته تعالىٰ و أنّه علىٰ كلّ شي قدير، ولأجل هذا فهو أي عيسيٰ ابن مَريم كلمة خاصّة أو نوع خاصّ منها لا نظير له ولعلّ هذا هو السِّر في تنكير الكلمة حيث لم يقل إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ بل قال بِكُلِمَةٍ وفي قوله: مِنْهُ إشارة الىٰ دقيقةٍ أُخرىٰ وهي أنَّ هذه الكلمة من اللَّه تعالىٰ بمعنىٰ أنّ تعالىٰ قادر علىٰ إيجاد هذا النُّوع من الكلمة لا غيره هذا ما فَهمناه من الآية مُضافاً اليٰ ما ذَكره القوم والله تعالىٰ أعلم بمراده فأفهم وتأمّل في المقام فأنّه دقيق، وامّا قوله: أَسْمُهُ ٱلْمَسيحُ عيسَى آبْنُ مَرْيَمَ فقيل سُمّى بالمَسيح لأنّه مَسَح الأرض أي ذَهب فيها و قيل سُمّي بذلك لأنّه مسح بالطّهر من الذُّنوب و قيل سُمّي به لحسنه يقال مَسَحه اللّه أي خَلَقه خلقاً حسناً مباركاً

و قيل غير ذلك فأن هذه الوجوه استحسانية لا دليل على صحتّها أو ترجيح بعضها علىٰ بعضٍ أخر إلاّ العَقل والنَّظر وَجيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلاَّخِرَةِ وَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبينَ أي عَزيزاً شريفاً مُوّجهاً عند الخالق والخلق في الدّنيا والأخرة ومن المقرّبين عند الله تعالىٰ:

# وَ وَ يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ

أثبت الله تعالىٰ له أوَصافاً ستّة و شهد بها وكَفيٰ به شهيداً.

الأول: أنه وجيهٌ في الدّنيا.

الثّاني: أنّه وجيهٌ في الأخرة.

الثّالث: أنّه من المقرّبين.

الرّابع: أنّه كلّم في المَهد.

الخامس: أنّه كان كهلاً.

السّادس: أنّه كان من الصّالحين ومن المعلوم أنّ هذه الخصال لا تجمع إلاّ في الإنسان الكامل المُؤيّد من عند الله المشمول لعناياته الخاصّة المستّعد ذاتاً لقُبولها و توضيح ذلك إجمالاً هو أنّه يقال فلان وجَه القوم كقولهم عَينهم و رأسهم فالوجيه بمعنى الرّئيس والمُطاع والمحبوب و امثال ذلك ثمّ أنّه قـد يتّحقق للإنسان في الدّنيا عند أهل الدّنيا كما اذا كان صاحب مالٍ أو جاهٍ أو علم أو عدالة و امثال ذلك من الأوصاف الحسنة في نظر أهل الدّنيا وأن لم يقصُّد صاحبها بها اللَّه تعالىٰ و بعبارةٍ أخرىٰ و أن لم يصرفها في طريق الشّرع و جزء ٣ الرّب فهو محبوب موّجه في الدّنيا دون الأخرة، و قـد يكـون الأمر بالعكس بمعنىٰ أنّ الإنسان بسبب عبادته و طاعته صار موّجهاً عند الله في الأخرة وامّا في الدّنيا فلاكما نرى ونشاهد ذلك بالحّس بل ربما يكون الإنسان بسبب مخالفته لأهواء النّاس و أميالهم مَبغُوضاً عندهم و هو عند اللّه من المقربين، و قد يكون فاقداً لكِلتا المَرتَبتين أي لا يكون وجيهاً في الدّنيا عند

أهلها و لا في الأخرة عند ربّه و هذا من أشقى النّاس، و قد يكون جامعاً لهما أي أنّه محبوب موّجه عند الخلق في الدّنيا و مُوّجه عند الرّب في الأخرة وهذا من أسعد النّاس و قلّما يتّفق جمَع المرتبتين في الإنسان الاّ بتوفيقٍ منه تعالىٰ و الأنبياء و الأوصياء كانوا كذلك لأنّهم كانوا يهدون الخلق الي ربّهم و يُجنّبونهم عن الشّيطان ومن كان كذلك فهو موجّهٌ في الدّنيا عند من يعرفه و حيث أنّهم لم يقصدوا بما قالوا أو عملوا إلاّ اللّه تعالىٰ فهُم كانُوا موجّهين عنده أيضاً فقوله تعالىٰ في عيسىٰ عَلَيْكِ أَنَّه وجيه في الدِّنيا والأخرة، لا يفيد الحصر لأنَّ إثبات شئ لشئ لا ينفى الشَّئ عمّا عداه فاذا قلنا زيد عالمٌ عادلٌ مثلاً ليس معناه أنّ عمرواً ليس كذلك ولو أردنا الحَصر فحقّ العبارة أن يقال العالم زيـد أو أنّـما العالم زيد بتقديم الخَبر مع أداة الحصر و هكذا المقام قيقال انَّما الوجيه في الدُّنيا و الأخرة هو عيسى حتّىٰ لا يصدق علىٰ غيره و لم يقل ذالك بل قال وجيهاً في الدّنيا والأخرة بمعنىٰ أنّ هذا الحكم ثابت له ويمكن أن يكون ثابتاً لغيره أيضاً اذ لا يستفاد من كلامه تعالىٰ الحَصر و اذا ثبت هذا في المعطوف عليه ثبت في المعطوف أيضاً لأنّه من حيث الحكم تابع للمعطوف عليه فهذه الأوصاف ثابتة لعيسىٰ عَلَيْكِ و لأمثاله من الأنبياء و المُرسلين و أوصيائهم المعصُومين سلام اله عليهم أجمعين، و امّا كونه عَلَيْكِ مِن المقرّبين فمعناه أنّه مقرّبٌ عند الله لكونه واجداً لمقام العبّودية و من كان عبداً لله حقّاً فلا محالة مقرّت عنده.

و أمّا: وَ يُكلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ فهو إشارة الى قوله تعالى حكاية عنه، قال: قال إِنِّي عَبْدُ ٱللهِ اتينِي ٱلْكِتَابَ وَ جَعَلَني نَبِيًّا (١) و سيأتي الكلام فيه في موضعه، و قوله: و كَهْلاً أي وخَطَه الشّيب و لذلك قيل، الكهل بين حال الغلومة وحال الشّيخوخة فالمعنى أنّه كان يكلّم النّاس في المَهد، أية، و

يكلُّمهم كهلاً، بالوَحي والرّسالة و بعبارةٍ أخرى أنّه كان يدعوهم الى الله في الصِّغر والكَبر لو كانوا يعقلون و هو من الصّالحين قولاً و فعلاً ثمّ أنّ في قوله تعالىٰ في الآية الأولىٰ و من المقربين وفي الثّانية ومن الصّالحين، إشارة اليٰ أنّ عيسىٰ ابن مريم كان جامعاً بين التّقرب والصّلاح وأنّما قال تعالىٰ في الأولىٰ من المقربين وفي الثّانية من الصّالحين لأنّ من كان وجيهاً في الدّنيا والأخرة فهو مقّرب عند الله لا محالة و هو معلوم و امّا في الآية الثّانية فحيث أشار الي تكلُّمه في المَهد وكَهلاً قال و من الصّالحين أي أنّ عيسىٰ كان صالحاً لا ن يتَّكلم في المَهد وكَهلاً اذ لو لم يصلح له لم يكن رسولاً و هذه الصّلاحية مُختّصة بالمُرسلين، فالملائكة مثلاً من المقّربين حَسَب مراتبهم و ليسوا من الصّالحين للرّسالة و النبوّة و في الإتيان بكلمة مِن، في الأيتين و هي للتّبعيض في المقام إشارة الي أنّ التّقرب عند الله وكونه صالحاً للرّسالة أو العَمل الصّالح لا يختّصان به بل هما لغيره أيضاً ثابتان أي أنّه منهُم و إلاّ فجميع الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم من المقّربين ومن الصّالحين حَسب مَراتبهم و قابلياتهم، تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض الأية.

، القرقان في تفسير القرآن كم الم

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لَى وَلَدٌ وَ لَمْ يَـمْسَسْنِى بَشَرُ قَالَ وَلَمْ يَـمْسَسْنِى بَشَرُ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشْآءُ إِذَا قَـضَىٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴۷)

#### اللّغة

وَ لَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ : المَّس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة الله مس وكُنّى به عن النّكاح فقيل مسَّها وماسها، والبَشْر، الإنسان و هو مأخوذ من المبَشَرة و هي ظاهر الجلد سُمّي الإنسان بالبَشَر إعتباراً بظهور جلده من الشّعر بخلاف الحيوانات التّي عليها الصُّوف أو الشَّعر أو الوبر و استوى في لفظ البَشر الواحد والجمع.

إذا ْقَضْيّ: (اذا قَضَىٰ) أي اذا أمَر.

### ⊳ الإعراب

كُنْ فَيَكُونُ موضع يكون الرّفع علىٰ الأخبار بأنّه سيقُوم و يجوز في قوله، أن يقول له كُن فيَكون، النّصب عطفاً علىٰ يقول.

# ⊳ التّفسير

لمّا قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسبِحُ عَبِسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَالَتْ أَي مريم رَبِّ أَنّى أي كيف يَكُونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي اَبْنُ مَرْيَمَ قَالَتْ أي مريم رَبِّ أَنّى أي كيف يَكُونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالوا أنّما قالت ذلك إستفهاماً وإستعظاماً لقدرة الله لا إستبعاداً وإستنكاراً فكأنّه تعجّبت من ذلك لأن في طبع البشر التعجّب ممّا خرج عن المعتاد وقيل أنّما قالت ذلك لتعلم أنّ الله تعالىٰ يرزقها الولد وهي علىٰ حالتها أو يقدر لها زوجاً ثمّ يرزقها الولد علىٰ مجرىٰ العادة قال كَذَلِكَ ٱللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاآءُ أي روجاً ثمّ يرزقها الولد علىٰ مجرىٰ العادة قال كَذَلِكَ ٱللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ أي



قال جبرئيل كذلك الله يخلق ما يشاء أي أنّه تعالىٰ قادر علىٰ أن يخلق بَشراً من غير أب بل من غير أب ولا أُمّ مثل آدم أبو البَشَر وحوّاء إذا قَضَى آُمْرًا فَإِنّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أي اذا أراد الله تعالىٰ إيجاد موجود من الموجودات يقول له كُن فَيكُون، ليس معناه أنّ الله يقول كُن، واقعاً أي أنّه يتلفّظ بالكاف و النون لتنزّهه تعالىٰ عن التلفّظ بهذه الحروف و غيرها بل إرادته و قضاءه فعله و قد تكلّمنا في معنىٰ القضاء وأقسامه في سورة البقرة و سيأتي تفصيل الكلام في قصّة مريم وعيسىٰ إن شاء الله تعالىٰ.

اء الفرقان في تفسير القرآن كريم.

ارین جزء؟ اتج وَ يُسعِلِّمُهُ ٱلْكِتْابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرِيٰةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ (٤٨) وَ رَسُولاً إِلٰي بَنِيَ إِسْرا آئيلَ أَبِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْيَةِ مِنْ رَبِّكُمْ أَبِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُحُ فيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَ أُبُرِئُ ٱلْأَكْمَهُ وَ ٱلْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ ٱلْمَوْتَى اللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ في بيؤِذْنِ ٱللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ في بيؤِذْنِ ٱللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ في بيؤِذْنِ ٱللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ مَن بيؤِذْنِ ٱللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ مَن بيؤِذْنِ ٱللهِ وَ أُنْبِئُكُمْ بِعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ مُصَدِّقًا لِما بَينْ يَعْدَى مِن مَن مَن اللهَ وَ أَطْيعُونِ جَنْتُكُمْ بِاللهِ وَ لَأَجِلَ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ اللهِ وَ أَطْيعُونِ جِئْتُكُمْ بِاللهَ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ فَاقَقُوا ٱلله وَ أَطيعُونِ جِئْتُكُمْ بِاللهَ رَبِّى وَ رَبِّكُمْ فَاعَبُدُوهُ هٰذا صِراط وراط وراط وراط وراط وراط وراط مُسْتَقيمٌ (٥٥)

#### ∕ اللّغة

قد مرّ الكلام في معنىٰ التوراة والإنجيل أَخْلُقُ، الخَلق أصله التقدّير المستقيم و يستعمل في إبداع الشّئ من غير أصل كما يستعمل في ايجاد الشّئ من الشّئ وهو المراد هنا.

مِنَ ٱلطِّينِ: الطَّين، التّراب والماء المُختلط و قد يُسمّىٰ بذلك وأن زال عنه نوّة الماء.

فَأَنْفُخُ: النّفخ نفخ الرّبح في الشّئ قال تعالىٰ:يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ<sup>(١)</sup> وَ أُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهُوَ ٱلْأَبْرَصَ: الإبراء مأخوذ من البُرء والبَرَاء والتّبَري، و معناه التّفصي ممّا يكره مجاورته ولذلك قيل برَ أَتُ من المَرَض و أَبرَأَتُ زيداً من دينه، والأكمه الذّي يولد أعمىٰ و قال مجاهد هو الذي يبصر بالنّهار ولا يُبصر باللّيل، و قال عَكرمة هو الأعمَش والأبرَص ،البَرَص معروف و هو بياض يعتري الجلد أُنبَّنُكُمْ من النّبَا و هو الخَبر أي أخبركم و الباقي واضح.

### ⊳ الإعراب

وَ يُعَلِّمُهُ في موضع الحال معطوفة علىٰ، وَجيهاً رَسُولاً فيه وجهان.

أحدهما: هو صفةٍ مثل صبور وشكور فيكون حالاً أو مفعولاً به علىٰ تقدير و يجعله رسولاً و فعول هنا مفعل أي مرسلاً.

ثانيهما: أن يكون مصدراً و عليه فَيجوز أن يكون في موضع الحال و أن يكون مفعولاً معطوفاً على الكتاب أي و نُعلّمه رسالة.

أُنِّي في موضع الجملة و فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جرّ أي بأنّي، و ذلك مذهب الخليل.

الثَّاني: نصب على الموضع و هو مذهب سيبويه.

الثّالث: رفع أي هو أنيّ قد جئتكم بأية، في موضع الحال أي محتجّاً بأية. مِنْ رَبِّكُمْ يجوز أن يكون صفة لأية و أن يكون متعلّقاً بجئت أَبْنَىٓ أَخْلُقُ في موضعه ثلاثة أوجه.

أحدها: جرّ بدلاً من أيةٍ ، والثّاني، رفع أي هي أنّى.

الثَّالث: أن يكون بدلاً من أنِّي الأولىٰ.

كَهَيْئَةِ ٱلطَيْرِ الكاف في مُوضَع نصب نعتاً لمفعولِ محذوف أي هيئة كَهيئة الطّير (فيه) الهاء تعود على معنى الهيئة و يجوز أن تعود على الكاف لأنّها إسم بمعنى، مثل ُ وأن تعود على المفعول المحذوف فَيكُونُ أي فيصير فيجوز أن تكون، كان، هنا تامّة و أن تكون ناقصة طَيْرًا على الأوّل حال و على الثّاني خبر بإذْنِ آلله يتعلّق بيكون تَدَّخِرُونَ والأصل فيه تذتخرون إلاّ أنّ الذّال مجهّورة و

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم كم المجلد

٦

التّاء مهموسة فَلم يجتمعا فأبدلت التّاء دالاً لأنّها من مخرجها لتقرب من الذّال ثمّ أبدلت الذّال دالاً و أدغمت مُصَدِّقًا حال معطوفة على قوله بآية أي جئتكم بآية و مصدّقاً مِن آلتّو ريْة في موضع نصب على الحال من الضّمير المستتر في الظّرف و هو، بين، و يجوز أن يكون حالاً من، ما، فيكون العامل فيها مصدّقاً وَ لِإُحُلَّ هو معطوف على محذوف تقدّيره لإخفّف عنكم و جِثْتُكُمْ بِاليّةٍ تكرير للتّوكيد.

#### ⊅ التّفسير

لما أشار الله تعالى الى خَلقه وأنّه نوع خاصّ منه لأنّه وجد من غير أَبِ دليل على كونه آية من آيات الله و مظهراً لقُدرته أشار في هذه الأيات الى ما أعطاه بعد إيجاده من النّعم و لمّا كان العلم من أشرَفها و أجلّها و لا فضيلة للموجود أحسَن منه بَدء به في كلامه فقال:

### وَ يُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرِيٰةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ.

قال المفسّرون المراد بالكتاب الكتابة والخطّ، و قيل هو كتاب غير التّوراة و الإنجيل مثل الزّبور و صحف إبراهيم وأمثالهما من الكتب السّماوية، و المراد بالحكمة قال بعض المُفسّرين علم الفقه وعلم الحلال و الحرام و قيل الفقه بالمعنى الأعّم ليشمل علم الأصول في الإعتقادات و امّا علم التّوراة و الإنجيل فمعلومٌ لأنّ العلم بما فيهما من الأحكام هكذا قالوا في تفسير الآية و الحقّ أنّ فهم الآية يحتاج الى تأمل و دقّة فنقول لا شّك أنّ العلم عبارة عن إدراك الشّي بحقيقته و الإدراك تارة يتعلّق بذات الشّي بمعنى أنّ العالم عالم بذات المعلوم وحقيقته و أخرى يتعلّق بوجود الشّي بمعنى أنّه موجود وليس بمعدوم وبعبارة أُخرى العِلم تارة يتّعلق بماهيّة الشّي و أُخرى بوجوده مثلاً اذا بمعدوم وبعبارة أُخرى العِلم تارة يتّعلق بماهيّة الشّي و أُخرى بوجوده مثلاً اذا قيل زيد عالم بالإنسان معناه أنّه عالمٌ بحقيقة الإنسان و أنّه حيوان ناطق ماذا

سأل عنه ما الإنسان يقول في الجواب الإنسان حيوان ناطق و هذا هو العلم بماهيّة الشّي وامّا اذا قيل زيد عالم بعقله ونفسه أي أنّه يعلم وجودهما فيه لا أنّه يعلم ماهيّة العقل و النّفس و لذلك اذا سُأل عنهما بما الحقيقة كقولهم ما العَقل وما النّفس لم يقدر على بيان ماهيّتهما كما كان قادراً على بيان ماهيّة الإنسان و ذلك لخفاء ما هيّتها عَليه وهذا واضح ثمّ أنّ العـلم بـذات الشّـئ يتّعدىٰ الىٰ مفعولِ واحد:

قال الله تعالى: لا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ (١).

قال الله تعالى: و لَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فيهمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ (٢).

قال الله تعالىٰ: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ (٣).

قال الله تعالى: و لَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولِي (٢).

و امّا العلم بوجود الشيّي فَهُو يتعدّى الى مفعولين كقوله تعالى: وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرِيٰةَ وَ ٱلْانْجِيلَ ... وَ عَلَّمْنَاهُ صَـنْعَةَ لَبُوس لَكُمْ ... وَ مَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّيعْرَ وَ مَا يَنْبَغَى لَهُ.

والأيات كثيرة جدّاً فعلى هذا، قوله تعالىٰ: وَ يُعَلِّمُهُ ٱلْكِتْابَ وَ ٱلْحَكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرِيٰةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ معناه و يعلُّمه الحكمة و يعلُّمه التّوراة و يعلُّمه الإنجيل بحكم العطف أي و يعلّمه الله تعالىٰ العلم بوجود هذه الأشياء لا بحَقيقتها وأن شئت قلت بظواهرها لا بما هيَأتها وحقائقها و ذلك لأنّ التّوراة و الإنجيل والقرأن و بالجملة جيمع الكُتب السماوية الإلهية كلام الله تعالى وحقيقة جزء ٣ > كلامه تعالىٰ مجهولة علىٰ الخلق كما أنّ حقيقة ذاته مجهولة علىٰ ماسواه لأنّ صفاته عين ذاته والكلام و التكلّم من صفاته فاذا قلنا أنّه تعالى متكلّم ليس معناه أنّ هناك موجوداً أو ذاتٌ عرض له التكلّم كما هو كذلك في الخلق بل

٢٣= الأنفال = ٢٣

١- الأنفال=٢٠

معناه أنّ التكلّم مثل العلم والقدرة، و غيرها من الصّفات عين ذاته و اذا كانت الصّفات عين ذاته و قد ثبت عقلاً ونقلاً أنّه لا يمكن لأحدٍ من خلقه كائناً من كان أن يصل الى كنه صفاته مع فرض العَيّنية فثبت و تحقّق أنّ العلم بكلامه اللّه معناه العلم بظاهر كلامه و امّا العلم بحقيقة كلامه فهو محال لما ذكرناه و هذا الّذي ذكرناه حكم كلّي لا يستثنى منه أحد من المخلوق ولأجل هذه الدّقيقة قال و يعلّمه الكتاب الخ ولم يقل و يعلم الكتاب و الحكمة الخ.

أن قلتُ هذا الذِّي ذكرت يتِّم في الكتاب اعنى به التّوراة والإنجيل لأنّهما منه و معلوم أنّ الكتاب كلام اللّه والفرق بينهما أي بين الكلام والكتاب هُنا بالإعتبار كما حقّق في محلّه فكلامه كتابه وكتابه كلامه وحيث أنّ التكلّم عين ذاته و قد ثبت أنّ العلم بذاته محال فالعلم بحقيقة كلامه محال فتحصّل ممّا ذكرناه أنَّ قوله تعالى ويُعلِّمه إشارة الى أنَّ هذا العلم الَّذي علَّمه الله تعالىٰ عيسي و غيره من الأنبياء فضلاً عن سائر النّاس هو العلم بوجود الكتاب و أنّه من اللَّه تعالىٰ أنزَّله على عَبده لإرشاد خلقه و امَّا حقيقة الكتاب و الكلام فقد خفيت علىٰ كلّ ما سواه و لذا قال و يعلّمه ولم يقل ويعلم الكتاب و الحكمة الأية، ثمّ هاهنا بحث و هو أنّه ما وَجه هذا التّفصيل في الآية حيث أفَرد كلّ واحدٍ من الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل بـالذّكـر و ذلك لأنّ التّـوراة و الإنجيل داخلين في مفهوم الكتاب بمعنىٰ أنّه يشملها و غيرهما من مصاديق الكتاب أن كانت اللام في الكتاب للجنس كما هو الحقّ و عليه فذكره في مُغن عن ذكر التّوراة والإنجيل بل و عن الحكمة أيضاً لأنّها علىٰ ما فسرّها المفسّرون الفقه، أو علم الحلال والحرام و هو داخل في الكتاب الإلْهي و على ما فسرّها بعض آخر فهي جميع ما علَّمه من أصول الَّدين كما ذكره الطّبرسي مَنْيُّنُّ و هو أيضاً يستفاد من الكتاب فذكر الكتاب يُغنى عن الثّلاثة، وأن قلنا أنّ الحكمة

تشمل الكتاب بمعنى أنّها أعمّ منه كما هو ظاهر كلام بعضهم فذكرُ الحكمة يغني عن ذكر غيرها وعلىٰ أيّ تقدير لا وجه لهذا التّفصيل ظاهراً، قال الطّبرسي مَنْيَّنُّ ما هذا لفظه، أن قيل لِمَ أفردهما بالذُّكر مع.

دخولهما في الحكمة (أي دخول التّوراة والإنجيل) قيل تنبيهاً عن جلالة موقعهما كقوله و ملائكته ورُسله وجبريل وميكال انتهي كلامه أقول يظهر من كلامه مَتَّنِّنُّ أنَّ التّوراة والإنجيل كانا داخلين في الحكمة لأنَّه قال مع دخولهما في الحكمة، ثمّ أجاب عنه بما أجاب ولقائل أن يقول، الحكمة أيضاً داخلة في الكتاب بناء على ما فسَّرتموها من أنَّها علم الحلال والحرام لأنَّ الكتاب فيه الحلال والحرام و غيرهما من المعاد والأخلاق والحقوق وغيرها من المسائل، فعلىٰ هذا ما أجاب به في المقام يلزم أن يكون ذكرها أيضاً للتنبيه عن جلالة موقعهما كالتّوراة والإنجيل، و هو بعيدٌ و ممّن تصدّى لهذا البحث والجواب عنه، هو الفخر الرّازي في تفسيره لهذه الأية.

قال المسألة الثّانية في هذه الآية أمور أربعة معطوف بعضها على بعض بواو العطف والأقرب عندى أن يقال المراد من الكتاب تعليم الخطّ والكتابة ثمّ المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأنّ كمال الإنسان في أن يعرف الحقّ لذاته والخير لأجل العَمل به ومجموعهما هو المُسمّىٰ بالحكمة ثمّ بعد أن صار عالماً بالخطّ والكتابة ومحيطاً بالعلوم العقّلية والشّرعية يعلّمه التّوراة وأنّما أخّر تعليم التّوراة عن تعليم الخطّ والحكمة لأنّ التّوراة كتاب إلْهيّ جزء ٣ ل و فيه أسرار عظيمة والإنسان ما لم يتّعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية ثمّ قال في المرتبة الرّابعة والإنجيل و أنّما أخرّ ذكر الإنجيل عن ذكر التّوراة لأنّ من تعلّم الخطّ ثمّ تعلّم علوم الحقّ ثمّ أحاط بأسرار الكتاب الّذي أنزَله الله تعالىٰ على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزَل الله تعالىٰ عليه بعد ذلك كتاباً آخر و أوقفه

على أسراره فذلك هو الغاية القصوى والمرتبة العُليا في العلم والفهم و الإحاطة بالأسرار العقلية و الشّرعية و الإطّلاع على الحكم العلوّية والسفّلية فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة انتهى كلامه بألفاظه و عباراته.

وأنا أقول ما ذكره الرّازي مِن التّرتيب في أخذ العلوم وكسبها أنّما هو يجري في علوم غير الأنبياء و امّا في حقّهم فلا و ذلك لأنّ العلم على قسمين، حضّوري وكسّبي، و نعني بالحضوري حُضور المدرك بفتح الدّال لدى المدرك بكسرها من غير تحصيل و كسب بل بأفاضة من مبدأ الفيّاض على ذات العاقل، الكسّبي فهو الذي يحصل بالتّحصيل و الإكتساب و لذلك قد يُعبّر عنه بالعلم الحصولي و الكسّبي و الإكتسابي فالأوّل أعني العلم الحضوري فمِثل علم النفس بذاتها بل وعلم كلّ إنسانٍ بوجوده فأنّه لا يحتاج الى تحصيل وكسب لأنّ ثبوت الشئ لنفسه ضروري.

و من هذا العلم علم الأنبياء و الأوصياء والأصل في الكلّ علم الله تعالى بما سواه فأنّه حُضوّري لا حُصولي إذ معنى الحصول الوجود بعد العدم أي لم يكن فكان أو لم يكن حاصلاً فَحَصل و هو يستلزم الحدوث لأنّ العلم مسبوق بالعدم وكلّ حادث ممكن فيلزم أن يكون اللّه تعالى ممكنا لحدُوث علمه و المفروض أنّه واجب فثبت و تحقق أنّ علمه بالأشياء حُضوري و هكذا علم الأنبياء و الأوصياء و الملائكة فأنّه حضوّري في الكلّ على ما هو الحقّ عندنا لأنّه فيهم لم يوجد إلاّ بالإضافة الإشراقية لا بالكسب و التّحصيل كما هو فينا كذلك إلاّ أنّه في كلّ نبّي أو وصّي بحسب إستعداه، و أنزلنا من السّماء ماء فسالت أودية بقدرها، إذا عرفت هذا فنقول ما ذكره الرّازي من الترتيب لا يتأتّى إلاّ في العلم الحصولي فأنّ قوله ثمّ وثمّ وثمّ، ليس في العلم الحضوري و نحن نسأل عنه ونقول أيّها الرّازي، من أيّ شخص تعلّم الخطّ عيسى عليّاً في الكتابة و غيرها حتّى أمكن له أن يَخُوض في البحّث على أسرار الكتب الإلهية

و هكذا فأن كان المُعلّم لعيسىٰ هو الله تعالىٰ كما هو كذلك فما الدّليل علىٰ هذا الترتّيب نعم هو فينا كذلك فإنّا نتعلّم الكتابة و الخطّ أوّلاً ثمّ علم الصّرف ثانياً ثمّ علم النحو و هكذا الىٰ أن نَصِل الىٰ مقام نـقدرُ عـلىٰ الخـوض فـي غوامض العلوم و هل كان عيسىٰ عليُّهِ كذلك فأن كان كذلك فما الفرق بينه و بيننا في العلم وكيّفيته وليت شعري ألم تقرأالرّازي قوله تعالىٰ حكايةً عنه التِّللِّ حيث قالَ إنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ التينِيَ ٱلْكِتَابَ وَ جَعَلَني نَبِيًّا (١) و هو في المَهد أليسَ قوله هذا دليلاً علىٰ أنَّه التِّلْإِ كان عالماً بالكتاب وما فيه في طُفوليَّته فضلاً عن كبره والحاصل أنَّ هذه التَّوجيهات الواهية المُبتِّنية على الأوهام الفاسَدة لا تصلح لتفسير كلام الله تعالى، والّذي حَصَل لنا في المقام في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة هو أنّ الكتاب أن أريدَ به الكتابة والخطّ كما ذهب اليه المُفسّرون فذكرُ التّوراة والإنجيل في محلّه وأن أريد بـ الجنس أي جنس الكتاب كما قويّناه في صدر البحث فذكر التّوراة و الإنجيل من قبيل ذكر الخّاص بعد العام أو هو تفصيل بعد الإجمال وهذا ممّا لا إشكال فيه أو يقال أنَّ إفرادهما بالذَّكر من بين الكُتب من جهة التّنبيه على جلالتهما و عظم شأنهماكما نقلناه عن الطّبرسي، و امّا الحكمة فهي العلم بأحوال الموجودات الخارجية على ما هي عليه بقدر الطّاقة البشرية و قيل هي العلم بالحقائق الخّارجية بقدر الطَّاقة و قيل هي معرفة الموجودات و فعل الخيرات و هـذا المعنى هو الّذي أشار اليه تعالى:

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ (٢).

قال الله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كَثِيرًا (٣).

إذا علمت هذا فأعلم أنّ العلم بالكتاب وما فيه من الأحكام لا يلزم منه

۲- لقمان = ۱۲۰

۱ - مریم = ۳۰

، الغرقان في تفسير القرآن كريم المجلد الثال

العلم بالأعيان و الموجودات الخَارجية فأنّ العلم بالكتاب التدّويني غير العلم بالكتاب التّكويني و بالعكس ولا يمكن لأحد الجمع بين العلمين بسبب التّحصيل و الكسب و الجامع بينهما هو النّبي والوّصي بافاضة الرّب فقوله تعالىٰ: وَ يُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابِ إشارة الىٰ أنّ عيسىٰ عليه عليه بالكتاب وما فيه من الأحكام و قوله: وَ ٱلْحِكْمَةَ إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ علّمه العلم بحقائق الموجودات الخّارجية وبذلك جَمع بين هاتين المَرتبتين من العِلم فهو عليه كان عالماً بالكتاب التّكويني معاً، و لذلك عطف بالواو المفيد للجمع ولو كان الأمر كما ذكره الرّازي فكان حق العبارة العَطف بشم، المُفيد لِلتّرتيب الإنفصالي واللّه أعلم.

### وَ رَسُولاً إِلَى بَنتِ إِسْرَآئيلَ

قيل أي و نجعله رسولاً، أو يكلّمهم رسولاً و قيل هو معطوف على قوله: وَجِيهاً أي وجيهاً في الدّنيا والأخرة ورسولاً الى بني إسرائيل بعض المُفسّرين هو وصف بمعنى المرسل أي مُرسلاً الى بني إسرائيل أنّ الرّسول بمعنى الرّسالة و هو معطوف على الكتاب أي ويُعلّمه رسالة الى بني إسرائيل فتكون الرّسالة داخلة في ما يُعلّمه اللّه عيسىٰ قيل و أحسن الوجوه الأوّل أي و يجعله رسُولاً أنّى قَدْ جِئْتُكُمْ معمول لرسول أين ناطق بأنّي قد جئتكم على قراءة الجمهور و امّا على قراءة من كسر الهمزة و أي ناطق بأنّي قد جئتكم على قراءة الجمهور و امّا على قراءة من كسر الهمزة و هي قراءة شاذة فهو معمول لقول محذوف أي قائلاً أنّي قد جئتكم و يحتمل أن يكون محكياً بقوله: و رَسُولاً لأنّه في معنى القول و ذلك على مذهب الكوفّيين، و الأية في الأصل العلامة و المراد بها في المقام آية الرّسالة و علامتها و في قوله: مِنْ رَبِّكُمْ إشارة الى أنّ هذه العلامة من جانب الرّب كما أنّ عيسىٰ هو الرّب أو أبنه إذ لو كان الأمر كما زعموه كان قادراً على كلّ شئ و حيث لم يقدر فهو مخلوق محتاج و أنّما قال

ربّكم ولم يقل من ربّي، لأنّهم أي بني إسرائيل كانوا يعتقدون بأنّ موسىٰ كان رسولاً من جانب اللّه الى الخلق، فكأنّه قال عيسىٰ لهم، إنّ الرّب الّـذي تعتقدونه بزعمكم هو الّذي أرسَلني اليكم و أقدرني علىٰ ما أعمل من المعجزات و الكرامات ثمّ أوضح الآية المشار اليها و بيّنها لهم فقال عليّلاً.

أَبِّيَ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فهِهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللهِ.

الخكق بفتح الخاء مصدر وأصله التقدير المستقيم ويُستعمل في إبداع الشّي من غير أصلٍ ولا إحتذاء ومنه قوله تعالى: خَلَقَ السَّموٰاتِ وَ الأَرْضِ أي أبدَعهما بدلالة قوله: بَديعُ السَّمواتِ وَ الأَرْضِ و قد يُستعمل في إيجاد الشّي من الشّئ و منه:

قال الله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِ وَاحِدَةٍ.

قال الله تعالى: خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ.

قال الله تعالى: خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ.

قال الله تعالىٰ: وَ خَلَقَ ٱلْجُآنَّ مِنْ مَارِجٍ.

و غيرهما من الآيات إذا ظهر لك هذا فأعلم أنّ الخلق الّذي بمعنىٰ الإبداع ليس إلاّ لِلّه تعالىٰ و لهذا قال في الفصل بينه تعالىٰ و بين غيره أَفَعَنْ يَخْلُقُ كَعَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلاْ تَذَكَّرُونَ (١). لا يَخْلُقُ أَفَلاْ تَذَكَّرُونَ (١).

و امّا الّذي يكون بالإستحالة أي إيجاد الشّيُ من شيّ فقد جعله الله تعالىٰ لغيره في بعض الأحوال والمقام من هذا القبيل قال اللّه تعالىٰ: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّين كَهَيْئَةِ ٱلطّين كَهَيْئَةِ ٱلطّين كَهَيْئَةِ ٱلطّين كَهَيْئَةِ ٱلطّين كَهَيْئَةِ ٱلطّين عَهَيْئة والطّين بإذني (٢).

ثمّ أنّ الخَلق لا يستعمل في كافّة النّاس على وجهين. أحدهما: في معنىٰ التّقدير. الفرقان في تفسير القرآن كريم

الثَّانى: في الكذب كقوله تعالىٰ: وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا (١) أي كذِباً، وهذه الكلمة أي الخَلق جاء في الكتاب العزيز علىٰ معانٍ، الأوّل بمعنىٰ الّذين ومنه قوله تعالىٰ: وَ لَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيّرُنَّ خَلْقَ ٱللهِ (٢).

يعنى فَليُغّيرن دين الله:

الثَّاني: بمعنىٰ الإيجاد عن مادّةٍ وهو إيجاد الشَّئ،

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طينِ (٢٠).

قال الله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَـفْسٍ واحدة إ (٥). يعني من صُـلب آدم والأيات كثيرة.

الثَّالث: بمعنىٰ الجعَل ومنه:

قال الله تعالى: **وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواْجِكُمْ (<sup>9)</sup> أَ**ي تَذرون ما جعل لكم ربّكم من فروج نسائكم.

الزابع: بمعنى التّقدّير.

قال الله تعالى: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا اخْرَ فَتَبَارَكَ اَللَهُ أَحْسَنُ اَلْخَالِقِينَ (٧) يعنى أحسن المقدّرين.

الخامس: بمعنىٰ التّصوير ومنه:

قال الله تعالى: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ (^).

قال الله تعالى: و الدّنِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْمُ يُخْلَقُونَ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ الهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

٨- المائدة=١١٠

١- العنكبوت = ١٧ ٢ النسّاء = ١١٩

٣- الرّوم=٣٠ - المؤمنون=١٢

- الروم - ١ - الموصول - ١١ - الموصول - ١١ - الشّعواء - ١٩٤

٧- المؤمنون=١۴

٩- النحل = ٢٠

السّادس: بمعنىٰ النُطِّق ومنه:

قال اللّه تعالى: قَالُوٓا أَنْطَقَنَا ٱللّٰهُ ٱلَّذِيٓ أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (١) يعنى و هو أنطقكم أوّل مرّةٍ في الدّنيا.

السابع: بمعنى الكذب و منه:

قوله تعالىٰ: وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا (٢) أي كَذِباً.

الثّامن: بمعنى البعث و منه:

قوله: أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُواتِ وَ الْأَرْضَ بِقَادِرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مثْلَهُمْ <sup>(٣)</sup>.

يعني علىٰ أن يبعث مثلهم في الآخرة إذا عرفت الخَلق و معانيه في الكتاب فلنَرجع الى تفسير الآية ونقول الخلق في هذه الآية بمعنى التَصوير و هو الخامس من الوجوه فقوله: أُبِّي أُخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْتَةِ ٱلطَّيْرِ معناه إنِّي أَصُّور لكم من الطّين و هو الماء المُختلط بالتّراب كهيئة الطّير أي كَصُورة الطّير أو كشكله، فأنفخ فيه، أي فأنفُخ في الشّكل والصُّورة، فالضّمير في قوله (فيه) الىٰ الكاف أي أنفخ في ذلك الشِّئ المُماثل شكلاً وصُورةً، فيكون طيراً بإذن اللَّه، بعد النَّفخ وفي قوله بإذن اللَّه إشارة في الحقيقة اليٰ أنَّه ليس معلولاً لِلنَّفخ بما هو نفخ بل هو معلولٍ لإرادة الحقِّ وموجود بأذنه ولذلك قال بإذن الله ولم يقل بإذني إذ لو قال بإذني لم يوجد الطَّير، ثمَّ أنَّهم إختلفوا في هذا الطُّير و المشهور عندهم أنَّ الطَّير الخَّفاش و قيل كان ذلك بإقتراح منهم لأنَّهم جزء ٣ ل طلبوا من عيسى عليُّ أن يَخلق لهم خفّاشاً على سبيل التعنت جرياً على عاداتهم مع أنبيائهم و خصّوا الخّفاش لأنّه عجيب الخَلق و هو أكمل الطَّير خلقاً له تُدي وأسنان و آذان و ضرع يخرج منه اللّبَن و لا يبصر في ضوء النّهار و

لا في ظلمة اللّيل إنّما يرى في ساعتين بعد غروب الشّمس ساعة و بعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًا و يضحك كما يضحك الإنسان و يطير بغير ريش و تحيض أنثاه و تلد روي عن أبي سعيد الخدري أنّه قال لهم عيسى عاليًا إلى ماذاً تريدون قالوا الخفاش فسألوه أشّد الطير خلقاً لأنّه يطير بغير ريش و يُقال ما صنع غير الخفاش قال المفسرون أنّ الطّائر الّذي خلقه عيسىٰ كان يَطير ما دام النّاس ينظرون اليه فإذا غاب عن أعينهم سَقط مَيتاً ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وكان بنو إسرائيل مع معاينتهم لذلك الطّائر يطير، يقولون في عيسىٰ هذا ساحر".

# وَ أُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهُ وَ ٱلْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللهِ

إخــتلفوا فـي الأكـمه، فـقال مـجاهد هـو الأعشـيٰ، و قـال عكـرمة هـو الأعمش الزّمخشري هو الّذي وُلد أعمى و قيل هو الممنوع العَين قالوا ولم يكن في هذه الآية أكمه، غير قتادة بن دعامة السّدوسي صاحب التفسّير، و قال إبن عبّاس والحَسن و السّدي هو الأعمىٰ عـلىٰ الإطـلاق، وحَكـي عـن النَّقاش أنَّه قال: ٱلْأَكْمَهَ هو الأبكم الَّذي لا يفهم ولا يُفهم، الميَّت الفؤاد، قيل و قد كان عيسى يبرء بدعائه والمسح بيده كلّ علّةٍ و لكن لا يقوم الحجّة على ا بني إسرائيل في معنىٰ النّبوة إلاّ بالإبراء من العِلل الّتي يعجز عن إبرائها الأطّباء حتّى يكون فعله ذلك خارقاً للعادات والإبراء من العَشي والعمش والقمش ليس بِخارقٍ و امّا العمي فالأبلغ الإبراء من عمى الممسوح العَين قالوا أنّه ربّما إجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاه و من لم يطق أتاه عيسى و ماكانت مداواته إلاّ بالدّعاء وحده وخصّ بالذِّكر الأكمه والأبرَص لأنَّهما داءان مُعضلان لا يقدر على الإبراء منهما إلاَّ اللَّه تعالىٰ وكان الغالب على زمان عيسى الطّب فأراهم الله المُعجِزة من جنس علمهم كما أرى قوم موسىٰ إذ كان الغالب عليهم السِّحر المُعجزة بالعَصا واليَد البيضاء وكما أرىٰ العرب إذ كان الغالب عليهم البلاغة المعجزة بالقرآن، رُوي أنّ جالينوس كان

في زمان عيسي وأنّه رحل اليه من رومية الي الشّام ليلقاه فمات في طريقه و امّا الأبرَص فهو الَّذي به برص وهو بياض في الجلد يتَطير به و اذا إستحكم فلابُرء له و لا يزول بالعلاج ولم تكن العرب تَنفّر من شـئ نِـفرتها مـنه ونـقلوا عـن جالينوس أنّه قال إذا ولد أعمى لا يبرء بالعلاج وكذًا الأبرص إذاكان بحال و غُرزت الأبرة فيه لا يخرج منها الدّم لا يقبل العلاج فرجع الي عيسي وجاؤوا بالأكمه والأبَرص فمسح يَده بعد الدّعاء عليهما فأبصر الأعمىٰ وبَرَء الأبرَص فآمن به البعض و جحد البعض وقالوا هذا سِحرٌ.

و قوله: وَ أَحْي ٱلْمَوْتٰي بِإِذْنِ ٱللَّهِ قيل سأل جالينوس عنه فقال الميّت لا يُحييٰ بالعلاج فأن كان هو يحي الموتيٰ فهو نبّي وليس بطبيب فَطلبوا أن يحي الموتى فأحيى أربعة أنفس أحيى العاذر وكان صديقاً له فأرسل أخته الى عيسىٰ أنّ أخاك العاذر يموت فأتته وكان بينه و بينه مسيرة ثلاثة أيّام فأتاه هو أصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيّام فقال لأخته أنطلقي بنا الى قبره فإنطلقت معهم الى قبره و هـو فـي صخرةٍ مطبقة فـقال عـيسىٰ اللّـهم ربّ السّموات السّبع و الأرضيين السّبع أنّك أرسلتني الي بني إسرائيل أدعوهم الي دينك وأخبرهم أنيّ أحى الموتىٰ فأحى العاذر فقام العاذر و خرج من قبره و بقى و ولد له و أحيى ابن عجوز قربه ميتاً على عيسى على سرير يحمل فدعا اللّه عيسى فجلس علىٰ سريره و نزّل عن أعناق الرّجال ولبس ثيابه وحمل السّرير على عنقه و رجع الى أهله فَبقىٰ و وُلد له و أحيىٰ إبنتة العاشر الذّي يأخذ العشور قيل له أحيها و قد ماتت فَدعا اللّه تعالىٰ فعاشت و بقيت و ولد جزء ٣ كلها، فقالوا يُحي من كان قريب العهد بالموت فلعلُّهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحيى لنا سام بن نوح فقال عيسى دلُوني علىٰ قبره فخرج و القوم مَعه حتّىٰ انتهىٰ الىٰ قَبره فدعا اللّه تعالىٰ بالإسم الأعظم فَخرج من قَبره و قد شاب رأسه فقال عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعتُ صوتاً يقول أجب روح الله فظننتُ أنّ القيامة قد قامت

فَمِن هَول ذلك شاب رأسي فسأله عن النزع فقال يا روح الله مرارته لَم تَذهب مِن حنجرتي و قد كان من وقت موته أكثر من أربعة ألاف سَنة فقال للقوم صدّقوه فأنّه نبّي فأمَن به بعضهم وكذّب به أخرون ثمّ قال له مت بشرط أن يُعيذني الله من سكرات لاموت فدَعا الله فَفَعل ثمّ طَلبوا منه أيةً أخرى دالّة على صدقه فقال:

وَ أُنَبِّتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ من أنواع المأكل وَ مَا تَدَّخِرُونَ أي وما تَخبئون لِلغد في بُيُوتِكُمْ فكان يخبر الرّجل بما أكل قبل وبما يأكل بعد قالوا وكان يُخبر الصّبيان بما يصنع أهلهم وبما يأكلون ويخباؤن لهم وكان الصبي ينطلق الىٰ أهله ويبكي عليهم حتّىٰ يعطوه ما خبأوا له ثمّ قالوا لصبيانهم لا تلعبُوا مَع هذا السّاحر و جمعوهم في بيتٍ فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في هذا البيت فقال عيسيٰ فَمن في هذا البيت قالوا خنازير فقال للنِّلْإِ كذلك يكونون فاذا هم خنازير إنَّ في ذٰلِكَ أي ما ذكر من الخوارق والأمور العظام من خلق الطّير و إبراء الأكمه و الأبَرص وإحياء الموتىٰ و الأخبار بماكانوا يأكـلون و يدخّرون لأيّةً عظيمة لَكُمْ يا بنى إسرائيل على صحّة رسالتي إِنْ كَـنْتُمْ مُؤْمِنينَ بما تأكلونه و تدخّرونه و ذلك أنّهم لمّا أحيى لهم الموتى طلبوا منه أية أُخرىٰ وقالوا اخبِرنا بما نأكل في بيُوتنا وما ندَّخر للغد، فأخبرهم فقال يا فلان أنت أكلت كذا وكذا وإدخّرت كذا وكذا و قيل المعنىٰ أن كنتم مؤمنين بالله اذكان لا يصّح العلم بمدلول المعجزة إلاّ لمن آمَن بالله لأنّ العلم بالمُرسل لابدٌ أن يكون قبل العلم بالرّسول قالوا وفي الآية دلالة علىٰ أنّ عيسيٰ كان مبعُوناً الىٰ جميع بني إسرائيل والحقّ أنّه كان مبعُوناً الىٰ كافّة الخلق لأنّه كان من أولى العزم كموسىٰ عَلَيْكُ ِثُمَّ أَنَّه يستفاد من الآية نَ العبد يـمكن له صدور هذه الأيات منه كما صدرت من عيسىٰ إلاّ أنّه بأذن اللّه تعالىٰ من غير أن يستّقل العبد بشئ من ذلك وحكم الأمثال واحد والعجب كلّ العجب من العامّة فأنّهم يقرأون هَّذه الأيات في الكتاب و يثبتونها في عيسيٰ أو موسىٰ أو

غيرهما لا محالة، و ينكرون ذهه الأمور من غير من نصّ عليه القرأن أو لم يكن من الأنبياء و الرسل كالأئمّة المعصومين عليهم السّلام ولم يعلموا أنّ الأمر اذا أمَكن صدوره من العبد بأذن الله فهو لا يختّص بشخص دون شخص وأنّما الملاك العبُودّية وإمكان الصّدور في حدّ نفسه فمتىٰ وجدت العبودّية الكاملة وشاء اللَّه فقد تمَّ السّبب و لا مدخلِّية للشّخص فيه فاذا قيل لهم أنّ عـيسي تكلُّم في المهد كما نَطق به الكتاب، يقولون لا إشكال فيه لأنَّ اللَّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيّ و هو الّذي أقدر عيسىٰ على التكلّم في المَهد في إبراء الأكمه والأبَرص و إحياء المَوتيٰ و خلقه الطّير و الأخبار ممّاكانوا يأكلون أو يدخّرون و هكذا في موسى و غيرهما و امّا اذا قيل لهم أنّ علّى بن أبي طالب تكلّم حين الولادة و هكذا غيره من الأئمة و أنّهم كانوا قادرين على ماكان عيسي و موسى و غيرهما من الأنبياء قادرين عليه يقولون هذا قول من أشرك في دينه و جعل للحقّ شريكاً في ملكه و امثال ذلك من الكلمات ولم يعلموا أنّ الله الّذي أقَدر عيسى على التكلّم في المهد مثلاً هو الذّي أقدر علّياً و غيره من الأتّمة عليه فأيَن الشِّرك وللبحث فيه مقام أخر وسيجئ إن شاء الله تعالى:

وَ مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَى مِنَ ٱلتَّوْرياةِ.

قوله: مُصَدِّقًا عطف علىٰ قوله: و رسُولاً، و قيل المعنىٰ وجئتكم مصّدُقاً لما بين يدِّي ُ أي لما قبلي مِنَ ٱلتَّوْريٰةِ وهو كتاب مُوسىٰ وفيه دلالة علىٰ أنّ كلّ نبّى كان صاحب كتاب و شريعة كان مُصدّقاً لمن كان قبله بالنبوّة والمُصدّق جزء ٣ ﴾ بالنبوّة مصدّق لكتابه أيضاً و أن كانت شريعته ناسخة لشريعة النّبي المتقدّم لأنّ النّسخ ليس معناه إبطال الدّين السّابق بالكلّية نعم هو يوجب تبديل بعض الأحكام ببعض و تغيير بعضها عمّا كان عليه و امّا الأصل فهو محفوظٌ والى هذا المعنىٰ أشار بقوله: وَ لِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذيحُرِّمَ عَلَيْكُمْ أي أُبدّل لكم الحرام بالحَلال أو أغيّر الحكم من الحرام الى الحَلال وَ جِئْتُكُمْ بِلَيَةٍ مِـنْ

ياء الغرقان في تفسير القرآن كالم رَبِّكُمْ فَا تَقُوا الله وَ أَطيعُونِ قيل ظاهر اللفظ يقتضي أن يكون قوله: وَ جِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ من ربّكم المتأسيس لاللتَّوكيد لقوله قد جئتكم بأيةٍ من ربّكم الآية الأولىٰ هي المُعجزة أعني بها خلق الطير وقوله: و قد جِئْتُكُمْ بِأَيةٍ في مقام البحث المراد بها الإنجيل فإختلف متعلق المجئ و يحتمل أن يكون التكرار للتأكيد أي جئتكم بأيةٍ بعد أُخرىٰ مما ذكرتُ لكم من خلق الطير و الإبراء والإحياء و الإنباء بالخفيات و ولادتي من غير أب وكلامي في المَهد و سائر الأيات وفي قوله فَاتَّقُوا الله و أَطيعُونِ أي أطيعُوني، و المعنى أن بعد مشاهدة الأيات والمُعجزات التي لا يقدر عليها أحد إلا من كان مؤيداً من عند الله مأذوناً من قبله ينبغي لكم أن تتقوه و تطيعوني فيما يأمركم به و أنهاكم عنه و فيه إشارة الى أن إطاعة الرّسول إطاعة الله كما أن معصيته معصية الله و فيه إشارة الى أن إطاعة الرّسول إطاعة الله كما أن معصيته معصية الله و لذلك قال أطيعون ولم يقل أطيعُوه كما قال الله تعالىٰ:قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحبُونَ الله فَاتَبُعُوني بُحْبُهُ اللهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَلهُ أَلهُ أَللهُ أَلهُ أَله

## إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ.

من كسران فعلى الإستئناف ومن فتح فقيل، التقدير لأنّ اللّه ربّي وربّكم فأعبدُوه فيكون متعلّقاً بقوله فأعبدُوه و قوله: هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ أي طريق واضح لمن يسلكه لا إعوجاج فيه والمشار اليه بقوله، هذا، قوله: إنَّ ٱللّه رَبّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ والأحسن أن يكون المشار اليه قوله: فَاتَّقُوا ٱللّه وَ رَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ والأحسن أن يكون المشار اليه قوله: فَاتَّقُوا ٱللّه وَ الطبيعُونِ لأنّ الصّراط المستقيم في إطاعة الرّسول وأن شئت قلت مجموع التّقوى وإطاعة الرّسول والعبودية لِلّه تعالىٰ هو الصّراط المستقيم الّذي لا إعوجاج فيه كما نقول في كلّ صلاةٍ أهدنا الصّراط المستقيم.

### ⊳ اللّغة

فَلَمْ آ أَحَسَّ: الحاسّة القوّة الّتي بها تدرك الأعراض الحسّية و حقيقة الأحساس الإدراك بالحاسّة والمقصود منه هنا أنّه قد ظَهَر منهم الكفر ظهُوراً بأن لِلحسّ فضلاً عن الفهم.

قَالَ ٱلْحَوارِيُّونَ: جمع حَوارِّي قيل أنّما سمّوا به لأنّهم كانوا يطهّرون نفوس النّاس بإفادتهم الدّين والعِلم و هو مأخوذ من الحور بفتح الحاء بمعنى التردّد يقال نعوذ باللّه من الحور بعد الكور أي من التردّد في الأمر بعد المضّي فيه.

وَ مَكَرُوا: المَكر صرف الغير عمّا يقصده بحيلةٍ.

### ⊳ الإعراب

مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ يجوز أن يتعلق، مِن، بأحس، و يجوز أن يكون حالاً من الكفر هو جمع أنْصارى تصير كأشراف جمع شريف و قال قوم هو جمع نصر و هو ضعيف والئ، في موضع الحال متعلقة بمحذوف و تقديره من أنصاري مضافاً الئ الله أو الئ أنصار الله ٱلْحَوارِيُّونَ الجمهور على تشدّيد الياء و هو الأصل لأنها ياء النسّبة و يقرأ بتخفيفها فراراً من تضعيف الياء.

ے ہے سیاء الفرقان فی تفسیر القرآن کے کہاکے العجلد ال

### ⊳ التّفسير

قَلَمُّا آَحَسُّ عيسٰى مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قيل معنىٰ أحسَّ علم و وجد و قيل معناه، عرف، و قيل معناه ظهر، أي لمّا ظَهَر لعيسىٰ منهم الكُفر باللّه، قيل سمع منهم كلمة الكُفر و قال الفرّاء أرادوا قتله وكيف كان فقد علم عيسىٰ ذلك منهم (قال من أنصاري الىٰ اللّه) أي مع الله و قال الحسن المعنىٰ مَن أنصاري في السّبيل الىٰ اللّه، و قيل المعنىٰ من يضم نُصرته الىٰ نُصرة الله عزّ وجل قال السّبيل الىٰ الله، و قيل المعنىٰ من يضم نُصرته الىٰ نُصرة الله عزّ وجل قال آلحواريون تحن أنصار ألله وكانوا أثني عشر رجلاً على ما قيل وإختلف في تسمّيتهم بذلك فقال ابن عبّاس سمّوا بذلك لبياض ثيابهم وكانوا صيّادين و قيل كانوا قصّارين فسمّوا بذلك لتبيضهم النّياب و قيل سمّوا بذلك لأنهم كانوا خاصّة عيسى و حواري كلّ نبّي خاصّته و ذكر بعض المحقّقين أنّ إشتقاقه من خار يحور اذا رجع فكأنّهم الرّاجعون الىٰ الله و قيل هو مشتّق من نقاء القلب و خلوصه و صدقه.

### رَبُّنَا أَمَنًّا بِمَا أَنْزَلْتَ

أي يقولون ربّنا آمنًا بما أنزّلت، على عيسى في كتابك و آتَبَعْنَا آلرّسُولَ يعني عيسى فَاكْتُبْنَا مَع آلشّاهِدينَ أي فأكتبنا مع الذّين شهدوا لأنبياءك بالصدّق و مَكَرُوا و يعني كفّار بني إسرائيل الّذين أحسَّ عيسى منهم الكفر و ذلك أنّ عيسى عليه الحرّجه قومه و أُمّه من بين أظهرهم عاد اليهم مع الحواريّين و صاح فيهم بالدّعوة فهموا بقتله و تواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم (و مكر اللّه) مكر الله إستدراجه لعباده من حيث لا يعلمون و قال الزّجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمّي الجزاء بإسم الإبتداء كقوله الله سيهزؤا بهم و هو خادعهم، و قد تقدّم في البقرة.

قال الرّاغب في المفردات بعد ما عرَّفه بصرف الغير عمّا يقصده بحيلة،

اء الغرقان في تفسير القرآن كربيكم المجلد الثالة

ضربان مكرٌ محمودٌ و ذلك أن يتحرّى بذلك فعلٌ جميل و على ذلك قوله تعالىٰ: وَ ٱللّٰهُ خَيْرُ ٱلْماكِرِينَ ، و مكر مذمومٌ و هو أن يتحرّى به فعلٌ قبيح قال تعالىٰ: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ (١) و قال في الأمرين، و مكروا مكراً و مكرنا مكراً، و قال بعضهم من مكر الله إمهال العبد و تمكينه من أعراض الدّنيا كما قال أمير المؤمنين عليه إلى وسّع عليه دنياه ولم يَعلم أنّه مُكر به فهو مَخدوعٌ عن عقله.

و المقصود من هذه الآية أنّ بني إسرائيل قد مكروا أي كذبوا في قولهم لعيسى إنّا أمنّا بك لأنّهم قد هَّموا بقتله بعد ذلك و لا معنى للمكر إلاّ هذا و حيث كانواكذلك فلا جرم يجزون جزاء الماكرين وليس هذا من الظّلم عليهم بل كانوا أنفسهم يظلمون فأنّ كلّ نفسٍ بماكسبت رهينة وما ربّك بظّلام للعبيد.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمسيم المجلد الثاك

إِذْ قَالَ ٱللّٰهُ يَا عَيِسْتَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ اللّٰهِ يَا عَيِسْتَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذَينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلذّينَ الْتَبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ ثُمَّ الْبَيْعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ ثُمَّ اللَّهَ عُرُم فَيهِ إِلَى مَرْجِعُكُم فَيهَ اللَّذينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُم عَذَابًا تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلّذينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُم عَذَابًا شَديدًا فِي ٱلدُّنْيا وَ ٱلاخرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٥) وَ أَمَّا ٱلَّذينَ امنتُوا وَ عَمِلُوا لَعَلَيكَ مِنَ ٱللهُ لا يُحِبُّ لَلْقُالِمِينَ (٥٥) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱللهُ لا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱللهُ لا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱللهُ لا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَياتِ وَ ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ (٨٥)

### ∕> اللّغة

مُتُوَفِيْكَ: المُتُوَفى إسم فاعل من توّفىٰ، و مصدره التَّوفي قيل معناه القبض من توَّفيت مالي، قبضته، و قيل معناه النّوم.

وَ رَافِعُكَ: الرَّفع خلاف الوضع و هو في الأجسام حقيقة في الحركة و في المعاني محمول على ما يقتضيه المقام.

وَ رَافِعُكَ: هو إسمٌ فاعل من طهّر و مصدره التطهّير و هو في الأجسام إزالة النّجس والقذر و في القلب إزالة الرّجس و في كلّ شيّ بحسبه.

### ⊳ الإعراب

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يجوز أن يكون الذّي مبتدأ فَأُعَذِّبهُمْ خبره و يجوز أن يكون، الذّي، في موضع نصب بفعل محذوف يفسّره، فأعذّبهم ذلك نتْلُوهُ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: ذلك مبتدأ و نتلوه خبره.

الثّاني: المبتدأ محذوف و ذلك خبره أي الأمر ذلك و نتلوه في موضع الحال و من الأيات حال من الهاء.

الثّالث: ذلك مبتدأ و من الأيات خبره و نتلوه حال والعامل فيه معنى الإشارة.

### ⊳ التّفسير

إِذْ قَالَ ٱللّٰهُ يَا عَيْسُمَ إِنِّي مُتَوَقِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذَيْنَ كَفَرُوا هنا ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: إنِّي مُتَوَفِّيكَ.

المسألة الثّانية: في قوله: وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ.

المسألة الثَّالثة: في قوله: وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا.

أمّا الأُولىٰ: أعني بها قوله: إِذْ قَالَ ٱللّهُ يَا عَيسَٰى إِنّى مُتَوَفِّيكَ فقيل في معناه إنّي مستوفِ أجلك وقيل معناه إنّي قابضك من الأرض من توفَّيتُ مالي قبضتُه، وقيل المراد بالتوفّي هنا النّوم لما روي أنّه رُفع قائماً قال الرّاغب في المفردات وتوفّية الشّي بذله وافياً أي كاملاً تامّاً واستيفاؤه تناوله وافياً وهذه الكلمة قد كثر إستعمالها في القرأن:

قال الله تعالىٰ: إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّيٰهُمُ ٱلْمُلْآئِكَةُ (١).

قال الله تعالىٰ: حَتَّى إِذا جْآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَقَّتْهُ رُسُلُنا (٢٠).

قال الله تعالىٰ: فَلَمَّا تَوَقَّيْتَني كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقيبَ عَلَيْهِمْ (٣).

قال الله تعالى: أَلله يَتَوَقَّى ٱلْأَنْفُسَ حينَ مَوْتِهَا (٢).

َ السجلة المنا قان في تفسير القرآن كُنُّ السجلة المنا

٢- الأنعام= ١٩

و غيرها من الأيات و قد ذكروا في معنىٰ قوله: إِنِّى مُتَوَقِّيكَ وجوهاً:

الأوّل: أنّ معناه أنّي متمم عمرك فحينئذ أتوفّاك فلا أتركهم حتّى يقتلوك بل
أنا رافعك الى سمائي و مقرّبك بملائكتي و أصونك عن أن يتمكّنُوا من قتلك.

الثّانى: إِنِّى مُتَوَقِّيكَ أي أنّي مميتك و هو مرّوي عن ابن عبّاس قال و
المقصود أن لا يصل أعداءُه من اليهود الىٰ قتله.

الثالث: ما نقل عن أبي بكر الواسطي و هو أنّ المراد إِنِّي مُ تَوَفّيكَ عن شهواتك و حُظوظ نفسك و ذلك لأنّ من لم يصر فانياً عمّا سوى الله لا يكون له وصول الى مقام معرفة الله و أيضاً فعيسى لما رفع الى السّماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشّهوة و الغضب و الأخلاق الذّميمة.

الزابع: أنّ التوفّي أخذ الشّيّ وافياً أي بتمامه فقوله: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ بروحك و جسدك أي أنّي رافِع الى السّماء بهما معاً.

الخامس: إِنِّى مُتَوَفِّيكَ أَي أَجَعلك كالمُتَّوفي لأَنّه اذا رُفع الىٰ السّماء و انقطع خبره و أثره عن الأرض كان كالمتوفّي و إطلاق إسم الشّئ على ما يشابهه في أكثر خواصه، حسن شائعٌ.

أمَّا الثَّانية: في تفسير قوله: وَ رَافِعُكَ إِلَىَّ وفيه أيضاً وجوه:

أحدها: أنّ المعنىٰ رافع عملك إلّي كقوله تعالىٰ: إلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ الطّيّبُ (١) و عليه فكأنّه تعالى بشرّه بقبول طاعته و أعماله و عرّفه أنّ ما يصل اليه من المصائب والمشاق من الأعداء في طريق رسالته فهو لا يضيع أجرَه ولا يُهدم ثوابه.

ثانيها: أنّ الواو في قوله: وَ رَافِعُكَ لا يفيد التّرتيب فالأية تدّل علىٰ أنّه تعالىٰ يفعل به هذه الأفعال و امّا كيف يفعل ومتىٰ يفعل فالأمر فيه موقوف علىٰ الدّليل.

ثالثها: ما ذكره صاحب الكشاف و هو أن معنى رافِعُكَ إِلَى آي رافِعك الى سمائي و مقّر ملائكتي كما هو ظاهر الآية.

رابعها: أنَّ معنى متوفَّيك وَ رَأَفِعُكَ إِلَىَّ واحد ذكره الطَّبري في تفسيره. أمَّا النَّالثة: في تفسيره قوله: وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وفيه أيضاً أقوال: احدها: أنَّه تعالىٰ جعل الَّذين كفرُوا دنساً و نجساً فطهِّره منهم لأنَّ صحبة الأشرار و خلطة الفجّار تتنزّل منرلة الدّنس في الثّوب و عليه فالمعنىٰ أنّه تعالىٰ يخلُّصه منهم فكنَّىٰ عن إخراجه منهم و تخليصه بالتَّطهير و أتى بلفظ الطَّاهر لا بالضّمير فقال من الّذين كفروا، إشارة الين علّة الدّنس و النّجس و هو الكُفر كما قال أنَّما المشركون نَجس الأية، وكما في الحديث المؤمن لا ينجس فجعل علَّة تطهيره الإيمان.

ثانيها: معناه و مطهّرك من أذي الكفرة.

ثالثها: معناه ومطهّرك من الكفر والفواحش.

رابعها: و مطهّرك ممّا قالوا فيك و في أُمّك.

خامسها: أنّ معناه تخليصه من قتلهم لأنّ ذلك نجس طهره الله منه و قال أبو مسلم التّخليص والتّطهير واحد إلاّ أنّ لفظ التّطهير فيه رفقة للمخاطب كما أنَّ الشَّهود والحضور واحد وفي الشَّهود رفقة ولهذا ذكره اللَّه في المؤمنين و ذكر الحضور و الأحضار في الكافرين.

أقول و سيأتي البحث في المراد بالتطهّير في تفسير أية التطهّير إن شاء اللّه جزء ٣ كيفيّة القّصة على ما نقل عن بعض أربا السّير هو أنّه لما أرادوا قتل عيسى إجتمع الحواريون في غرفة وهم أثني عششر رجلاً فدخل عليهم المسيح من شكاة الغرفة فأخبر إبليس جمع اليهود فركب منهم أربعة ألاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحوارّيين أيّكم يخرج و يقتل و يكون معي في الجنّة فقال رجل أنا يانبّي اللّه فألقىٰ اليه مِدرعة من صوف و عمامة من صوف و

ناوله عكازه و ألقى عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه و صلبوه و امّا المسيح فكساه الله الرّيش و ألبسه النّور و قَطع عنه لذّة المطعم و المشرب فطار مع الملائكة.

ذكره القُرطبي في تفسيره ونقل القصّة بعض أخر بطريق أخر أبسط و أفيد ممًا ذكر و هو أنَّ عيسي إستقبله ناس من اليهود فلمّا رأوه قالوا قد جاء السّاحر ابن السّاحرة الفاعل ابن الفاعلة و قـذفوه و أُمّه فسـمع ذلك و دعـا عـليهم فإستجاب الله دعاءه و مسخهم خنازير فلمًا رأى ذلك رأس بني إسرائيل فزع و خاف و جمع كلمة اليهود علىٰ قتله فإجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود أنَّ اللَّه يبغضكم فغضبوا من مقالته و صاروا اليه ليقتلوه فبعث اللَّه اليه جبرئيل فأدخله في خوخة الي بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السّماء من تلك الرُّوزنة فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه إسمه نطليا نوس أن يدخل عليه فيقتله فدخل عليه فلم ير أحد و ألقىٰ اللّه عليه شبه المسيح فخَرج اليهم فَظُنوه عيسى فقتلوه و صلبوه، و قيل أنّ عيسى قال لأصحابه أيّكم يحبّ أن يلقى عليه شبهي و هو مقتول وساق الحديث كما ذكره القُرطبي و قيل غير ذلك و الإنصاف أنَّ التُّواريخ وكتب السِّير في أمثال هـذه القضايا لا يـمكن الإعتماد عليها إلاَّ أن يكون المذكور فيها مستنداً الى النَّبي أو الوصَّى فأن وجدنا في أمثال هذه الأمور رواية صحيحة أخذنا بها و إلاّ فـلانـتجاوز عـن ظواهر الكتاب و أنت خبير بأنّ القرأن يُصّرح بأنّهم ما قَتلوه وما صَلَبوه و لكن شُبّه لهم الآية كما سيأتي و امّاكيفيّة القصّة فالكتاب ساكت عنها.

## وَ جاعِلُ ٱلذَّبِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤ اللَّهِ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ.

إختلفوا في المخاطب بالكاف من هو، فقال القُرطبي المخاطب بها محمد عَلَيْظُ ثُمّ نقل عن الضّحاك و محمد إبن أبان، أنّهما قالا المراد بهم الحواريُون و به قال غيره من مفسري العامّة والخاصّة قال الطّبرسي مَنْفُ معناه

جاعل الّذين آمنوا بك فوق الّذين كذبوا عليك وكذّبوك في العزّ والغلبة والظَّفر و النَّصرة و قيل في البرهان و الحجة والمعنّي به النّصاري و ساق الكلام الى أن قال و قيل المعنّى به أمّة محمّد عَيَّةً إلله و أنّما سمّاهم تبعاً وأن كانت لهم شريعة علحيدة لأنه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى أمّا صورة فأنه يقال فلان يتبع فلاناً إذا جاء بعده و امّا معنىً فلأنّ نبّيناكان مقدّماً بعيسيٰ و بكتابه و يقال لمن يصدّق غيره أنّه يتبعه على أنّ شريعة نبّينا وسائر الأنبياء متّحدة في أبواب التوحيد فعلىٰ هذا هو متّبع له إذاكان مُعتّقداً إعتقاده وقائلاً بقوله وهذا القول أوجه لأنّ فيه ترغيباً في الإسلام ودلالة علىٰ أنّ أُمّة محمّد يكونون ظاهرين اليٰ يوم القيامة و لأنّ من دعاه إلٰهاً لا يكون في الحقيقة تابعاً له انتهيٰ كلامه. أقول أمّا أنّ الكلام ذو إحتمالين بحسب الظّاهر فلابحث فيه ولذلك لانلوم من حمل اللَّفظ علىٰ أنَّ المراد به أمَّة محمَّد إلاَّ أنَّ ما ذهب اليه الطَّبرسي مَتَّيَّنَّ من أنّ محمّداً عَيُكُولُهُ كان تابعاً لعيسيٰ صورةً و معنى أما صورةً فلأنّه جاء بعده معنىٰ فلأنّه كان مُصدّقاً بعيسي ويكتابه فهو محلّ نظر بل منع و ذلك لأنّ رسول اللَّه عَلَيْكِاللَّهُ قال لو أدركني أخي موسىٰ ما وَسعه إلاَّ إتَّباعي و اذاكان موسىٰ كذلك فعيسى مثله لأنّ حكم الأمثال واحد، هذا أوّلاً و امّا ثانياً نقول لا نسلّم أنّ مجيئ محمّد عَلَيْوللهُ بعد عيسىٰ و تصديقه أيّاه دليل علىٰ أنّه كان تابعاً له صورةً و معنىً وأيّ دليلٍ من العقل والنّقل واللّغة دلّ علىٰ أنّ المتأخر زمـاناً يكون تابعاً للمتقدّم و ما الدّليل على أنّ التصدّيق بعيسي وكتابه معناه المتابعة و امَّا قوله أنَّ شريعة نبّينا و سائر الأنبياء متّحدة في أبواب التّوحيد فعلىٰ هذا أنَّ الأنبياء كانوا مُشتركين في الدّعوة الين التّوحيد لأنَّه أساس الأديان والعَّلة الغائية لجعلها و عليه فكلُّهم كانوا تابعين لهذا الأصل و هو التّوحيد و بعبارةٍ أخرى كلامه هذا يدّل على أنّ الأنبياء من أوّلهم الى آخرهم كانوا يدعون النّاس الى التّوحيد و هذا ممّا لاكلام فيه لكنّه ليس دليلاً على المتابعة كما هو

المدّعي و إلاّ يلزم أن يكون عيسيٰ تابعاً لإدريس النّبي أو هـود و صـالح و امثالهم و اذا كان كذلك فأينَ معنىٰ أولىٰ العَزم من الرّسل و قوله تعالىٰ: **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**(١) و من الواضح أنَّ كلّ متبوع أفضل من التَّابِع لأنَّه إمام و هذا مأموم والإمام أفضل من المأموم وأعجبً من ذلك كلُّه قوله يقال لمن يصدّق غيره أنّه يتبعه و لم يُبيّن أنّ الّذي يقول هذا من هو و لعلُّه مَنْتِنُّ أراد به نفسه ضرورة وجود الفرق من حيث المعنىٰ بين المصدَّق و التَّابِعِ أَلا ترىٰ إنَّا نصدَّق جميع الأنبياء قبل محمّد عَلَيْظِيَّهُ ولا يجوز لنا متابعتهم في شرائعهم و سنتهم فمعنى التصدّيق الإعتقاد بكون عيسىٰ أو موسىٰ أو غيرهما من الأنبياء مبعوثين الى الخلق من قبل اللّه تعالىٰ في زمانهم و معنى المتابعة تبعيّته أديانهم وشرائعهم لنا في هذا العَصر فإذا قيل فلان تابع لفلان معناه تابع له في قوله و فعله أي يعَمل بما أمرَه و ينتهي عمّا ينهي عنه نعم ما ذكره حقّ في حقّ الأنبياء بالنسّبة الي المرسلين الّذين كانوا صاحب شريعةٍ و دين مستّقل كأنبياء بني إسرائيل الّذين كانوا تابعين لموسى و هكذا و امّا أولوا العزم من الرّسل فليسُوا كذلك، ثمّ أنّ ما ذكره الطّبرسي مَنْزِيٌّ يغاير مـا ذكـره القرطبي و أمثاله من العّامة و ذلك لأنّ الخطاب في قوله وجماعل الَّذين إتَّبعوك، علىٰ قول الطَّبرسي اليٰ عيسيٰ علىٰ قول القُرطبي و غيره اليٰ النَّبي، فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة وأنّي جاعل الّذين أتبعوك يا عيسىٰ، لأنّ المخاطب بالكاف هو عيسىٰ في قوله متوفّيك، و رافعك، و مطهّرك و هكذا في المقام بحكم العطف والمراد بمن أتّبعه أمّة محمّد الي يوم القيامة، و امّا على الثاني و هو قول القرطبي و غيره فالمعنىٰ أنّي جاعل الّذين اتبعوك يا محمّد فوق الّذين كفروا بك الي يوم القيامة، بالكاف هو محمّد عَلَيْكِاللهُ لا عيسي و لازم ذلك أنّ اللّه تعالى عدل عن الخطاب بعيسيٰ الى الخطاب بالرّسول و بشّره بأنّ الّذين إتَّبعوك يا محمّد من المسلمين فوق الَّذين كفروا بك، والَّذي ظهر لنا في المقام

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كملم بمجل

هو أنّ الخطابات جميعها الى عيسىٰ كما هو الظّاهر من الآيـة والعـدول مـن خطاب الى خطاب يحتاج الى دليل وإذ ليس فليس فقول القرطبي و أمثاله من العامّة والخاصّة من أنّ المخاطب بها الرّسول لا عيسىٰ لا نفهم معناه و لا نعلم من أين جاء هذا الإحتمال فأنّ اللّه تعالىٰ يُبيّن في هذه الأيات كيّفية و لادة عيسىٰ و بعثه و رفعه الي السّماء و هذه الآية الّتي نبحثُ فيها نزلت في الرّفع ألا ترىٰ أنّ اللّه يقول فيها أنّى متوفّيك و رافعك و مطهّرك فهكذا قوله: آتّبَعُوكَ. و امّا قول الطّبرسي ومن تابعه وأن كان موافقاً لظـاهر الآيـة مـن حـيث الخطابات حيث أنّه جعل المخاطب بقوله وإتّبعوك عيسي إلاّ أنّه فَسّرا مُتابعيه بمحمّدِ عَلَيْكِاللهُ و أمّته لا بالنصاري و هو ممّا لا دليل عليه من العقل والنقل وما ذكره من الدليل لا يصّلح لأنّه مجرّد إستنباطٍ و حدس كما أوضحناه، اذا عرفت هذا فنقول معنىٰ الآية والَّله أعلم هو أنَّى متوفّيك و رافعك الّي و مطهّرك من الكفّار و جاعل الذّين الخ أي وأنّي جاعل الذّين إتّبعوك من النّصاريٰ حقّاً لا كذباً و نفاقاً فوق الذِّين كفروا بك بأن أنكروك أو خدعوك من اليهود و غيرهم الىٰ يوم القيامة فكأنّ قوله: وَ جاعِلُ ٱلذِّينَ ٱتَّبَعُوكَالخ بشارة منه تعالىٰ الىٰ عيسى وإيماء الى أنّ الحقّ يدوم والباطل لا يدوم لأنّ للحقّ دولة وللباطل.

و لعلّ المراد بالفّوقية في الآية الفُوقية الحسّية الدّنيوية فأنا نرى و نشاهد في زماننا هذا ذلّة اليهود و عزّة النّصارى بالنسّبة الى اليهود و هكذاكان الأمر في طول الزّمان بشهادة التّاريخ و ذلك لأنّ اللّه تعالى قال في اليهود.

قال الله تعالى: قُلْ جْآءَ ٱلْحَقُّ وَ زَهَقَ ٱلْباطِلُ إِنَّ ٱلْباطِلَ كَانَ زَهُوقًا (١٠).

قال الله تعالى: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَ ٱلْمَسْكَنَةُ وَ بَآءُو بِغَضَبٍ مِنَ ٱلله (٢).

و هذا ظاهر بحسب الرّئاسة والمُلك في الدّنيا و عليه تحمل الفّوقية و امّا بحسب الأخرة فلا هذا و لا هذا لأنّ الدّين عند اللّه الإسلام و من يبتغ غير

الإسلام ديناً فلن يقبل منه في الأخرة من الخاسرين و إن حملت قوله: **الذَّينَ** التَّبَعُوكَ على من اتَّبعه في الحقّ لأنَّ عيسىٰ عليَّلاِ كان على الحقّ، ليشمل كلّ من تابع الحقّ بعده الى يوم القيامة لا بأس به و من المعلوم أنّ المسلمين على الحقّ فالأية تشملهم هذا ما فهمناه من الآية واللّه أعلم.

ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فيما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ أَسْار في هذا الكلام الي أمرين لا مرّد لهما:

الأوّل: أنّ مرجع النّاس بل كلّ المخلوق الى اللّه تعالى غداً يوم القيامة. الثّاني: أنّ الحكم في ذلك اليوم هو اللّه تعالى لا غيره.

أَمَا الأَوْل: فهو مُؤيّدٌ بالعقل والنّقل،أمّا العقل فلاّنه قد دلّ على رجوع كلّ شيّ الى أصله و حيث أنّ الأصل في جميع الخلق هو الخالق المُوجد إيّاهم من العَدم الى الوجود فلا جرم رجوع كلّ مخلوقٍ اليه والى هذا المعنى أشار الشّاعر العارف حيث قال:

لنَّهاية فقلتُ هي الرَّجوع الى البدايـة

لقــد سألوا وقــالوا مــا النّـهاية

ألا ترى أنّ إبتداء الدّائرة من النقطة و إنتهائها أيضاً اليها ففي دائرة الوجود أيضاً كذلك لأنّ إبتداء وجود المخلوق من الخالق و إنتهاء مراتب سيره أيضاً ينتهي به والسّر فيه هو أنّ المخلوق حادث و علّة حدوثه تغيّره كمّاً وكيفاً فكل مخلوق في عالم الوجود مصيره الى الفناء ولذلك كلّ مخلوق ينتهي اليه وأنّما قلناكلّ مخلوق ولم نقل كلّ موجود لأنّ واجب الوجود موجود وليس مصيره الى الفناء لعدم تغيّره وحدُوثه و امّا المخلوق فلابد له من الإنتهاء الى العدم ولذلك قال الله تعالى: كلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ، وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الإِكْرامِ (١) لله فوجوده ينتهي الى الفناء الذي كان متصفاً به قبل الوجود و أن شئت قلت المخلوق كان فانياً قبل وجوده و صار فانياً بعده.

### وأمّا النّقل

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١).

قال الله تعالىٰ: ثُمَّ يُميِتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢).

قال الله تعالىٰ: وَ اَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى اَللَّهِ (٣).

قال اللّه تعالىٰ: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِدُهُ (٢٠).

قال الله تعالى: ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَيِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥) و أمثالها من الأيات.

الثّاني: أعني قوله تعالىٰ: فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ وأنّ الحكم يوم القيامة مُختصّ به فلِلأيات النّاصة عليه:

قال الله تعالىٰ: فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَـيْنَهُمْ يَـوْمَ ٱلْـقِيْمَةِ فَـي مَـا كَـٰانُوا فَيِهِ يَخْتَلِفُونَ (۶).

قال الله تعالىٰ: فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ (٧).

قال الله تعالىٰ: وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ فَيِمَا كَانُوا فَيِهِ نَخْتَلَقُونَ (^^).

والأيات كثيرة و يمكن الإستدلال عليه من العقل أيضاً بأنّ اللّه تعالىٰ هو مالك يوم الدّين فهو الحاكم فيه.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاٰبًا شَديدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرينَ

٢- البقرة=٢٨	١- البقرة=١٥۶
۴- يونس= <b>۴</b>	٣- البقرة=٢٨١
۶- البقرة=۱۱۳	۵- لقمان=۱۵
٨- النّحل=١٢٤	۷- النّساء=۱۴۱

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

كم المجلد الثالث

جزء٣/

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريم العجلد الثا

قيل أنّ المراد بعذابهم في الدّنيا قتلهم و صلبهم و سبيهم والجزية عليهم وفي الأخرة بالنّار هكذا قالوا في معنىٰ الآية ولم أر في تفاسير الموجودة عندنا من العامّة والخاصّة من فسرّه بغير ذلك مع أنّ الحسّ و المشاهدة يكذّب هذا التّفسير فأنا نرىٰ الكفّار في زماننا هذا علىٰ خلاف ذلك في الدّنيا فأيَن عذابهم فيها ثمّ أين قتلهم و أسرهم و صلبهم والجِزية عليهم فأنّ هذه الشّدائد في المسلمين أكثر من الكفّار هذا اذا قلنا بأنّ المراد بقوله أنّ الذّين كفروا، أي كفروا باللّه تعالىٰ وهذا هو الذي فهموه من ظاهر الآية فأن كان الأمر علىٰ هذا المنوال فقولهم في معنىٰ الكلام لا يستقيم لأنّ العِزّة والرّئاسة و الحكومة اليوم في الدّنيا بيد الكفّار وليس للمسلمين في هذه الأمور حظّ ولا نصيبٌ فالعذاب في الدّنيا للمؤمنين والمُسلمين لا الكفّار فما معنىٰ الآية ولعلّ الأمركان في زمانهم بالعكس و لذلك فسّروا الآية بما ذُكر والّذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال أمران:

أحدهما: أن يكون المراد بقوله: فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بنبوة عيسى و هموا بقتله وهم اليهود و عليه فتقدير الكلام أن الذين كفروا بك فأعذبهم عذاباً شديداً في الدّنيا بتسليط بخت النّصر و أمثاله من الظّالمين عليهم و قد روي أنه قتل من بني إسرائيل سبعين ألفاً في الموضع الذّي قتلوا يحيى فيه حتّى سكن الدَّم و يحيى كان نبّياً داعياً الى شريعة عيسى كما مرَّ هذا مضافاً الى تشريد اليهود في البلاد مع الذّلة والمسكنة حتّى في زماننا هذا و على هذا فالمراد بالكفّار في الآية اليهود لا مطلق الكافر لأنّهم كفروا بعيسى و اتَّهموه و رموه بالكفر والإلحاد و غير ذلك فعذَبهم الله في الدّنيا بالقتل بأيدي الظّلمة و الأشرار والذّلة و الحقارة بما لا مزيد عليه و ظاهر الآية يؤيد ما ذكرناه لأنّ الله تعالى في هذه الآية بصدد بيان ما فعل الكفّار بعيسى ثمّ تبشيره بعذاب الكفّار في الدّنيا و الأخرة و عليه فالكفّار منصرف الى اليهود.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ثانيهما: أن يكون المراد بهم مطلق الكفّاركما قاله المفسرون و عليه فيمكن أن يكون المراد من عذابهم بعد ظهور دَولة الحقّة في أخر الزّمان حيث يملأ الله الأرض بصاحبها قسطاً وعَدلاً بعد ما مُلأت ظلماً وجُوراً و هنا إحتمال ثالث و هو أن يكون المراد بعذابهم في الدّنيا عذابهم حين مَوتهم على ما وردت به الأخبار في كيفيّة قبض أرواحهم الخبيثة و قوله: وَ مَا لَـهُمْ مِنْ فَاصِرينَ معناه واضح.

وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُوَهِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ ٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ففيه نصِّ علىٰ أنّ الله تعالىٰ يوَّفيهم أجورهم بالتمام والكمال لأنّ التَّوفية بذل الشّئ كذلك قال الرّاغب و توفية الشّئ بذله وافياً وإستيفاءه تناوله وافياً:

قال اللّه تعالىٰ: وَ وُفِيَتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ (1).

قال الله تعالىٰ: وَ إِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ (٢).

قال الله تعالىٰ: إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصِّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣).

أمّا قوله: و الله لا يُحِبُ الظّالِمينَ فالوجه فيه هو أنّ محبّة اللّه للعبد أنعامه عليه كما أنّ محبّة العبد له طلب الزّلفي لَدَيه فلو كان اللّه تعالىٰ مُحبّاً للظّالم معناه أنّه تعالىٰ أنعَم عليه والأنعام على الظّالم ظُلم لأنّه إعانة عليه والمعين على الظّالم ظالم فلام فيلزم أن يكون الله ظالماً وهو كما ترىٰ.

جزء ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيْاتِ وَ ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ قوله: ذَٰلِكَ إِسَارة الىٰ جزء ﴿ الْأَخبار عن عيسى و زكريا ويحيىٰ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيْاتِ أَي ما نتلوه ﴿ الْأَخبار عن عيسى و زكريا ويحيىٰ الله علىٰ اله علىٰ الله على اله على الله على اله على الله على الله على اله على اله على ا

۲- اَل عمران = ۱۸۵

أيضاً و ذلك لأنّ هذه الأخبار و القِصص لا يعلمها إلاّ قـارئ كـتاب أو مـعلم ولست بواحدٍ منها فلم يَبَق إلاّ أنّك عرفته من طريق الوّحي هكذا قالوا و هو كذلك.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كمياً

إِنَّ مَثَلَ عيسٰى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَل اٰدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراْبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) ٱلْحَقُّ مِنْ رَبّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرينَ (٤٠)

#### ∕ اللّغة

مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ: الإمِتراء والمُماراة، المحاجّة فيما فيه مِريةٌ وتَرَّدُدٌ و المِرية بكسر الميم أخصّ من الشّك ولا عكس.

### √ الإعراب

خَلَقَهُ مِنْ تُراْبِ هذه الجملة تفسير للمَثَل فلا موضع لها و قيل مَوضعها حال من آدم، و قد، مَعه، مقدرةٌ والعامل فيها معنى التّشبيه والهاء لآدم و من، متعلَّقة بخلق ثمَّ ثُمَّ قَالَ لَهُ هاهنا لترتيب الخبر لا لترتيب المخبر عنه لأنّ قوله كُن، لم يتأخّر عن خلقه و أنّما هو في المعنىٰ تفسير لمعنىٰ الخلق و قد جاءت، ثمّ، غير مقيّدة بترتيب المخبر عنه كقوله:**فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهيدُ<sup>(١)</sup>.** 

### ⊳ التّفسير

قد مرّ الكلام في سورة البَقَرة في آدم وقلنا أنّه سُمّي به لكون جَسَده من أديم الأرض و قيل لسُمرةٍ في لونه و غير ذلك ممّا قيل فيه. إنَّ مَثَلَ عيسى جزء ٧ عِنْدَ ٱللّهِ كَمَثَلِ أَدَمَ شبّه اللّه تعالىٰ خلقة عيسىٰ بخلقة آدم قيل التّشبيه واقع علىٰ أنّ عيسى خُلق من غير أبِكآدم لا علىٰ أنّه خُلق من تراب لأنّ عيسىٰ لم يُخلق من تُراب و الشّيئ قد يبشبه بالشّيئ وأن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصفٍ واحدٍ فأنّ آدم خُلق من تُراب وعيسىٰ لم يُخلق منه فكان

بينهما فرق من هذه الجهة ولكن شبّه ما بينهما أنّهما خلقهما من غير أب و لأنّ أصل خلقتهما كان من تراب لأنّ آدم لم يُخلق من نفس التّراب ولكنّه جعل التّراب طيناً ثمّ جعله صلصالاً ثمّ خلقه منه فكذلك عيسى حوَّله من حالِ الى حالِ ثمّ جعله بشراً من غير أب انتهىٰ ذكره القُرطبي في تفسيره و قال البيضاوي أي أنّ شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب، جملة مفسّرة للتّمثيل مبيّنة لما له الشّبه و هو أنّه خلقه بلا أب كما خلق آدم من التّراب بلا أب و أمّ شبّه حاله بما هو أغرب إفحاماً للخصم وقطعاً لموّاد الشّبه و المعنىٰ خلق قالبه من التّراب انتهىٰ.

و بهذه المقالة قال الرّازي والطّبري والألوسي وغيرهم من العامّة و قال الطّبرسي مناً. إِنَّ مَثَلَ عيسىٰ في خلق الطّبرسي مناً. إِنَّ مَثَلَ عيسىٰ في خلق اللّه ايّاه من غير أبٍ و لا أُمّ فَليس هو بأبدع ولا أعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا و أقرّوا بذلك انتهىٰ.

أقول فكأنهم إتَّفقوا على هذا التفسير و ذلك لأنهم قالوا نزلت الأيات في وفد نجران، العاقب والسّيد و من معهما قالوا لرسول الله هل رأيت ولداً من غير ذكر فنزّل أنّ مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم فشّبه الغريب و هو الذي ليس له أب، بالأغرب و هو الذي ليس له أب و لا أمّ و هو آدم، ليكون أقطع للخصم و أحسم لمادّة شُبهته و عليه فيكون وجه الشّبه في المشبه به و هو آدم أقوى منه في المشّبه و هو عيسىٰ لأنّ الخلقة من غير أب ولا أمّ أغرب من الخلقة من غير أب ولا أمّ أغرب من الخلقة من غير أب فقط فالتّشبيه وقع صحيحاً و لا إشكال فيه ولنرجع الىٰ تفسير ألفاظ الأية فنقول لا شك أنّ آدم خلقه الله من تراب و قد مرّ الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله تعالىٰ: فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَ نَفَحْتُ فيهِ مِنْ رُوحي (١) و امّا قوله ثُمّ قالَ البقرة عند قوله تعالىٰ: فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَ نَفَحْتُ فيهِ مِنْ رُوحي (١) و امّا قوله ثُمّ قالَ له كُنْ فَيَكُونُ قال بعضهم في الآية إشكالان:

أحَدهما: أنّ تعالىٰ قال: خَلَقَهُ مِنْ تُراْبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدّماً علىٰ قولً الله: لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أنّما قال ذلك لأنَّ ثمَّ يفيد التّراخي فاذا قلنا جاء زيد ثمّ عمرو معناه التأخّير في مجئ عمر اذ لو كان مجيئه متّصلاً بمجئ زيد لقال جاء زيد فعمرو قال ابن مالك في الألفّية: والفاء للترتيب بإتصالِ و ثــمّ للــتّرتيب بـإنفصال

ثانيهما: أنّه كان ينبغى ن يقال، ثمّ قال له كُن فكان، فَلِمَ لم يقل كذلك بل قال كُن فيكُون.

والجواب عن الأوّل: ما نقله الرّازي عن أبى مُسلم و حاصله أنّ الخلق بمعنى التقدّير والتسويّة ويرجع معناه اليٰ علم اللّه تـعالىٰ بكـيفيّة وقـوعه و ارادته لايقاعه علىٰ الوجه المخصوص وكلّ ذلك متقدّمٌ علىٰ وجود آدم عَلَيْكِا تقديماً من الأزل الى الأبد و امّا قوله: كُنْ فهو عبارة عن إدخاله في الوجود فثبت أنّ خلق آدم متقدّم علىٰ قوله: كَنْ.

والجواب الثّاني: ما نقل عن القاضي و هو أنّه تعالىٰ خلق آدم من الطّين ثمّ قال له كُن أي أحياه كما قال ثمّ أنشأناه خلقاً أخر فأن قيل الضّمير في قوله: خَلَقَهُ راجع الىٰ آدم و حين كان تراباً لم يكن ادم عَليَّكِ مُوجُوداً، أجاب عنه و قال بل كان موجوداً و أنّما وجد بعد حياته وليست الحياة نفس آدم قال الرّازي بعد نقله ما نقلناه و هذا ضعيف لأنّ آدم ليس عبارة عن مجرّد الأجسام المتشكّلة بالشكّل المخصوص بل هو عبارة عن هويّة أخرىٰ مخصوصة و هي أمًا المزاج المعتدل أو النّفس ثمّ قال والجواب الصّحيح أن يقال لمّا كان ذلك جزء ٣ الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سمّاه آدم قبل ذلك تسميته لما سيقع

والجواب الثّالث: ما ذكره أيضاً و هو أنّ قوله: ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ يفيد تراخى هذا الخبر عن ذلك الخبر فكذا قوله خلقه من تراب أي صيّره خـلقاً سوّياً ثمّ أنّه يخبركم أنّى أنّما خلقته بأن قلت له كُن.

و أجاب عن الإشكال الثّاني بأن تأويل الكلام ثمّ قال له كُن فيكون، فكان و أعلم يا محمّد أنّ ما قال له ربّك كُن، فأنّه يكون لا محالة انتهى كلامه

وأنا أقول أمّا الجواب عن الإشكال الأوّل فما نقله الرّازي عن أبي مُسلم من أنّ الخلق هنا بمعنى التقدّير والتسويّة و امّا قوله: كُنْ فَيَكُونُ فهو إشارة أو عبارة عن إدخاله في الوجود فهو صحيح بالنّسبة الى معنى الخلق لأنّه بمعنى التقدّير والتسّوية و هذا ممّا لاكلام فيه و امّا قوله: كُنْ فَيَكُونُ فهو عبارة عن إدخاله في الوجود، ففيه، أنّ آدم لوكان هو الجَسَد فهو كان موجوداً قبل قوله كُنْ و أن كان الرّوح فقط أو الجسد مع الرّوح فالحقّ أن يقال أنّ قوله: كُنْ فَيَكُونُ عبارة عن نفخ الرّوح فيه و هو حياته و وجوده اذ المفروض أنّه قبل تعلّق الرّوح بالجسد لم يكن موجوداً ثمّ به صار موجُوداً و هذا الذّي ذكرناه يستفاد من الآية الشّريفة:

قال الله تعالى : وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَحْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سُاجِدِينَ (١).

و قال تعالىٰ في موضع أخر:إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلْآئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَحْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ (٢).

و يظهر من هذه الأيات أن خلقه آدم وتسوية جَسده قبل نفخ الرّوح فيه و يستفاد أيضاً أنّ هوّية آدم بروحه لا بجسده و بعبارة اخرى قبل تعلق الرّوح كان جسداً و جسماً لا إسم له و بعد تعلق الرّوح به سمّاه آدم و لذلك أمر الملائكة بالسّجدة له أي لآدم لا للجسد كما قال: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمُ (٣) و هذا بعد تعلق الرّوح بالجَسَد فآدم آدم بروحه لا بجسده ألا ترى أنّه تعالى قبل تعلق

١- الحجرأية ٢٨ و ٢٩

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ كُمْ.

الرّوح بالجسد عبَّر عنه بالبشر فقال أنّي خالق بشراً من طين ولم يقل أنّي خالق آدم من الطّين و ممّا ذكرناه قد ظهر لك أنّ تسوية الجسد كانت متقدّمة على تعلّق الرّوح به والأخبار به مصرّحة ولا خلاف فيه ظاهراً بين المسلمين والأيات من أقوى الشّواهد عليه و هو ظاهر و عليه فالتّعبير بكملة، ثمّ، المفيد للتّراخي و التّرتيب الإنفصالي ممّا لا إشكال فيه بوجود التّأخير والتّرتيب الإنفصالي في المقام كما عرفت و امّا الإشكال الثّاني و هو أنّه ينبغي أن يقال له كُن فكان، فَلِم لم يقل كذلك بل قال: كُنْ فَيكُونُ.

فالجواب عنه، أنّ، قوله أي قول المستشكل كُن، فكان، غلطٌ بيّن وحقّ الكلام كُن فيكون و ذلك لأنّ الموجود وجُد بقوله: كُن و امّا قبله فلم يكن و هو واضح فاذا قال: كُن، فهو يكون أي يوجد لا أنّه كان اذ لو كان فلِمَ قال كُن فما قاله الرّازي في الجواب من أنّه يكون لا محالة لا نفهم معناه هذا.

قال أمير المؤمنين عليَّا لِإ في الخطبة التَّوحيدية:

يَقُولُ لِمَا اَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لاَ بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَاِنَّـمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلُ مِنْهُ أَنْشَاهُ وَمَثَّلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ اِلْهاً ثَانِياً الخ (١).

أقول هذا الكلام منه عليه المناه على أنّه لا يكون هناك لفظ و لا نداء و لذلك قال عليه و أنّما كلامه سبحانه فعل والمقصود أنّه ليس هناك كلام مرّكب من الحروف أعني الكاف والنّون وأنّما عُبّر عن كلام الحقّ الّذي هو فعل بهذه الحروف في عالم الألفاظ فقال كُن فيكون، صدق ولي الله باب مدينة العلم فأنّ هذه الرمّوز و الدّقائق بل الأسرار الخفيّة تحت الحروف لا يقدر على كشفها و إستخراجها إلاّ من قال: سَلُونِي قَبْلَ اَنْ تَفْقِدُونِي فأنّ هذا الّذي ذكره في

الباب هو الأصل المعتمد عند العرفاء الشّامخين المقتبسين من أنوار ولايته والذّي يظهر لنا من هذا الكلام هو إسقاط الحروف بالكلّية وحذفها في مقام الإيجاد فالبحث في التّقديم والتّأخير وأنّه يلزم أن يكون الخلق قبل قوله كن فيكون فيلزم تقدم الشّي على نفسه و امثال هذه المسائل حَول الآية أنّما هو بحسب ألفاظ الآية لابحسب الواقع كما عرفت من كلام أمير المؤمنين عليه وقد فصّلنا البحث في شرح هذه الخطبة الشّريفة المسّماة بالخطبة التّوحيدية وهكذا سائر الخُطب في شرحنا الكبير على نهج البلاغة بما لا مزيد عليه أن شئت الإطّلاع عليه فعليك بمراجعته.

قال بعض المُفسّرين الخطاب للنّبي عَيْكِاللَّهُ والمراد أُمّته لأنّه عَيْبُولُهُ لم يكن

### ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرينَ

شَاكاً في أمر عيسى عَلَيْكِ ، و قال صاحب الكشّاف، الحقّ من ربّك، خبر مبتدا محذوف تقديره هو الحقّ ونَهيه عن الإمتراء وجلّ رسول اللّه عَلَيْكِ أَنْهُ أن يكون ممترياً، من باب التَّهيج لزيادة النّبات والطمّأنينة و أن يكون لطفاً لغيره انتهى. و تبعه البيضاوي ولآلوسي و غيرهما من مُفسّري العامة إلا أنهم غيروا ألفاظ صاحب الكشّاف لئلا يظن ظان أنهم أخذوه عنه، و امّا الطّبري و هو إمامهم في التّفسير فقد أخذ بظاهر الآية و قال، أي فلا تكن من الشّاكين في أنّ ذلك كذلك ثمّ نقل عن قتادة أنّه قال يعني فلا تكن في شك من عيسى أنّه كمثل ادم عبد الله ورسوله وكلمة الله ورُوحه و أيضاً بأسناده عن الرّبيع قوله: المحقق مِن رَبّك فَلا تكن في شك ممّا قصصنا عليك أنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه ورُوح وأنّ مثلَه عند الله كمثل عليك أنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه ورُوح وأنّ مثلَه عند الله كمثل آدم خلقه من تُرابِ ثمّ قال له كُن فيكون و قال الطّبرسي مُنْتُ معناه، فلا تكن، أيّها السّامع، من المُمترين و عليه فالخطاب للسّامع أيّ شخص كان.

أقول أمّا قوله ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فهو أشارة الىٰ إنحصار الحقّ فيه تعالىٰ وأنّ ما سواه باطل و ذلك لأنّ الحقّ عبارة عن الدّائم الثّابت الّذي لا يتّغير ولا يَتّبَدل قولاً كان أو فعلاً خلافاً لمن زعم أنّ الحقّ في الفعل فقط، ومن المعلوم أنّ الحقّ بهذا المعنىٰ منحصر باللَّه تعالىٰ فهو حقٌّ لأنَّه ثابت غير متغيّر و من كان كذلك في ذاته فكذلك في صفاته فهو الحقّ ذاتاً و صفةً وإن قلنا أنّ الحقّ هو الّذي لا سبيل للبطلان اليه كما فسّره بذلك كثير من المحققين فهو تعالىٰ أيضاً كذلك لأنَّ اللَّه تعالىٰ لا سبيل للبطلان اليه فهو الحقِّ وما سواه باطل وكيف كان فصّح القول بأنّ الحقّ من ربّك و هو المطلوب و امّا قوله فَلا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرينَ فالإمتراء ليس بمعنىٰ الشُّك بل هو أخصّ منه ومعناه التردّد في الأمرالشُّك فهو إعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما و ذلك قد يكون لوجود إمارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الإمارة فيهما و لذلك قد يكون الشُّك في أصل الوجود بمعنى أنّ الشّي موجود أم لا وربما يكون في جنس الشّي وربما يكون في بعض صفاته و امّا الإمتراء فَليس كذلك لأنّ التَرّدُد بعد الوجود إذا عرفت هذا فنقول قوله تعالىٰ: فَلا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ معناه لا تكن من المردّدين و هو لا يُنافى العِصمة حتّىٰ نحتاج الىٰ التّأويل في الآية و يـقال هو عَلَيْكِاللهُ أُجِلُّ مِن أَن يكون ممترياً كما قال الزّمخشري أو يقال أنّ الخطاب للنبي و المراد أمته كما قاله القُرطبي:

قال الله تعالىٰ: يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَالْا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُعْتَرِينَ (١). الْمُعْتَرِينَ (١).

قال اللّه تعالى: لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاْ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٢٠). قال اللّه تعالى: فَلا تَكُ في مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَوُّ لآءِ (٣).

۱- الأنعام = ۱۱۴ ۳- هود = ۱۰۹

قال الله تعالى: فَلا تَكُ في مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ (١).

و امثال ذلك من الأيات والمعنى في الكلّ ، لا تكُن مُردداً فيه هذا أوّلاً و امّا ثانياً على فرض كونه أي الإمتراء مُضَراً بالعِصمة وأنّ النّبي لا يكون مُمتّرياً، فوجوده مُضّرٌ بالعِصمة ولَم يَثبت في الآية شئ من الإمتراء بل نَهاه الله عنه فهذا مثل قولك لزيد لا تكُن بخيلاً ليس معناه أنّه بخيل ثمّ نَهيته عنه بل النّهي عن الإتّصاف به وهكذا في الآية و أمثالها.

قال الله تعالى: وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٢).

قال الله تعالىٰ: وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفًا وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ اللهُ تَعلَىٰ: وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفًا وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ (٣).

قال الله تعالى: لَعِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الله تعالى: لَعِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (\*).

ولا شكّ أنَّ الشَّرك أقبح من الإمتراء وسنتكلم فيها في مواضعها نعم وجود الشّك والإمتراء والظّن فضلاً عن الشّرك يُنافي العِصمة و امّا عدمها أو النّهي عن الإتّصاف بها فأيّ إشكالٍ فيه وما نحن فيه من هذا القبيل فالأية على ظاهرها ولا نحتاج فيها و أمثالها الى التّأويل.

٢- الأنعام = ١٤

۱- هود = ۱۷

۴- الزّمر = ۶۵

فَمَنْ حَآجَكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعْالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَ أَبْنَآءَكُمْ وَ نِسْآءَنَا وَ أَبْنَآءَكُمْ وَ نِسْآءَنَا وَ أَبْنَآءَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ نِسْآءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱلله عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ (٤١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ لَعْنَةَ ٱلله عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ (٤١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَ مَا مِنْ الله إِلَّا ٱلله وَ إِنَّ ٱلله لَهُ وَ أِنَّ ٱلله وَ إِنَّ ٱلله وَ الله وَالله وَاله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَاله وَالله وَالل

#### ∕ اللّغة

فَمَنْ حَآجَّكَ: المُحاجّة أن يطلب كلّ واحدٍ أن يَرّد الأخر عـن حجّته ومحجّته.

ثُمَّ نَبُتُهِلْ: مضارع إبتهَل ومصدره الإبتهال وهو مأخوذ من البهَل والبهَل كون الشَيْ غير مراعي والباهل البعير المخلّى من قيّده أو من سمة أو المُخلّي ضرعها من صرار يقال أبهَلتُ فلاناً أي خلّيته وأرادته تشبيهاً بالبعير الباهِل والبهكل والإبتهال في الدّعاء الإسترسال فيه والتّضرُع و مَن فسَّر الإبتهال باللّعن فلأنّ الإسترسال في هذا المكان لأجل اللّعن قال الشّاعر:

نظر الدّهر اليهم فأبتهل أي إسترسَلَ فيهم فأفناهم فأناهم فأوناهم فأوناهم فأن تُولُو الله التولي الإعراض أي فأن أعرضوا.

#### ⊳ الإعراب

فَ مَنْ حَآجَّكَ الهاء ضمير عيسى، و من شرطية، والماضي بمعنى المستقبل ما جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ما بمعنى الذي و من العِلم حال من ضمير الفاعل و لا يجوز أن تكون، ما، مصدّرية على قول سيبَويه والجمهور لأنّ ما

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد المصدرية لا يعود اليها ضمير تَغَالُوْا الأصل فيه، تعاليُو، لأنّ الأصل في الماضي، تعالى والياء منقلبة عن واو لأنّه من العلو فأبدلت الواوياء لوقوعها رابعة ثمّ أبدلت ألفاً فإذا جاءت واو الجمع حذفت الباء للإلتقاء السّاكنين ويقيت الفَتحة تدّل عليها نَدْعُ جواب لشرطٍ محذوف، نَبتُهِلْ فَنجْعُلْ معطوفان عليه ونجعل المتعدّية الى مفعولين أي نصير، و المفعول الثّاني، على الكاذبين، لَهُو آلْقُصَصُ مبتدأ و خبر في موضع خبر، أنّ، إلاّ آللهُ خبر من إله تقديره و ما إله إلاّ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا يجوز أن يكون اللّفظ ماضياً و أن يكون مستقبلاً تقديره، يتولّوا هكذا قال النّحاس ضعيف لأنّ صَرف المضارعة لا محذف.

#### ⊳ التّفسير

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ أَي فَمِن جَادِلُكُ وَ خَاصَمُكُ يَا مَحَمَدُ فِي أَمْرَ عَيْسَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بَأَنَهُ عَبْدِ اللّه و رسوله فَقُلْ أَي فقل لهم تَعْالَوْا أَي إِنَّهُ وَانْفُسَنَا وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ وَابَدُو بَيْنَ اللّهُ عَلَى الدّعاء و قيل نلتعن فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ مَنا إِنَّ هٰذَا أَي أَنْ هذا الّذي أُوحَينا اليك في أمر عيسى و غيره.

لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُ أيلهو الحديث الصدّق فمن خالفك فيه مع وضوح الله و ألْقَصَصُ ٱلْحَقُ أيلهو الحديث الصدّق فمن خالفك فيه مع وضوح اللهمر فهو مُعانِد و ما مِنْ إله إلا آلله فلا يطلق اسم الإله على غيره وأنّ عيسىٰ ليس باله كما زعموه و أنّه عبد الله و رسوله و إنّ ٱلله لَهُو ٱلْعَزينُ الله والتقديم أي أنه القادر علىٰ الكمال، والحكيم في الأقوال والأفعال والتقدير والتدبير، فَإِنْ تَوَلَّوْا وأعرضوا عن الحقّ.

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدينَ فيجازيهم علىٰ إفسادهم وأنَّما ذكر ذلك علىٰ

جهة الوعيد فهذا تفسير ألفاظ الأيات إعلم أنّ قوله: فَمَنْ حآجُّكَ فيه مِنْ بَعْدِ ما جُآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْم يسّمىٰ بالمباهلة ولذلك سُميّت واشتهرت الآيـة بـها فيقال آية المباهلة و نحن نذكر أصل القصّة ثمّ نتكلّم في الآية فنقول قال إبن كثير الدمشقي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه وكان سبب نزول المباهلة وما قبلها من أوّل السّورة الى هنا في وَفد نجران.

و هو أنَّ النَّصاريٰ لما قدموا فجعلوا يحاجُّون في عيسي و يزعمون فيه ما يزعمون من النبوّة، و الإلهية فأنزل الله صدر هذه السّورة ردّاً عليهم كما ذكر محمّد بن اسحاق بن يسار و غيره قال إبن إسحاق في سيرته المشهورة و غيره و قدم علىٰ رسول اللّه وفد نصاريٰ نجران ستّون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم اليهم وهُم العاقب وإسمه عبد المسيح والسيّدالأيهم، و أبو حارثة بن علقمة أخو بكربن وائل، وأويس بن الحارث و زيد و قيس و يزيد و إبنيه و خويلد و عمرو و خالد و عبد الله و مُحسن و أمَر هؤلاء يؤول الى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم واذا رأيهم وصاحب مشورتهم والَّذي لا يصدُّون إلاَّ عن رأيه والسيِّد وكان عالمهم و صاحب رحلهم و مجتمعهم وأبو حارثة بن عَلقمة وكان إسقفهم صاحب مدارستهم وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكنّه تنصُّر فعظّمته الرّوم و ملوكها و شرّفوه و بنوا له الكنائس و أخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينه و قد كان يعرف أمررسول الله عَلَيْظُهُ و صفته و شأنه ممّا عَلِمه من الكُتب المتقدّمة حمله ذلك جزء ٣ > على الإستمرار في النصرانية لما يرى من تَعظيمه فيها و جاهه عند أهلها قال إبن إسحاق و حدّثني محمّد بن جعفر بن الزّبير قال قد قدموا على رسول الله عَلَيْهِ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلَّى العَصر و عليهم ثياب الحبرات جباب وأردية من جمال رجال بني الحارث بن كَعب قال، يقول من رآهم من أصحاب النّبي عَلَيْظِهُ ما رأينا بعدهم وفدٌ مثلهم و قد حانت صلاتهم

فقاموا في مسجد رسول اللّه عَيَّمُ فقال رسول اللّه عَلَيْ دُعُوهم، فصلّوا الى المشرق قال فكلّم رسول اللّه منهم أبو حارثة بن عَلقمة والعاقب عبد المسيح و السيّد الأيهم وهم من النّصرانية على دين الملك مع إختلاف أمرهم يقولون هو اللّه، ويقولون هو ولد اللّه ويقولون هو ثالث ثلاثة تعالى اللّه من قولهم علواً كبيراً وكذلك النّصرانية فهم يحتجّون في قولهم هو اللّه بأنّه كان يُحيي الموتى و يبرئ الأكمه والأبرص والأسقام و يخبر بالغُيوب و يخلق من الطّين كهيئة الطّير فينفخ فيه فيكون طَيّراً و ذلك كلّه بأمر اللّه و ليَجعله اللّه آيةً للنّاس و يحتجّون على قولهم بأنّه ثالث ثلاثة بقول اللّه تعالى فعلنا و أمرنا و خلقنا و قضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ و أمرتُ و قضيتُ و خلقت و ككنّه هو و عيسى و مريم، تعالى اللّه وتقدّس عمّا يقول الظّالمون.

و يحتجّون في قولهم بأنّه إبن اللّه يقولون، لم يكن له أبّ يعلم و قد تكلّم في المهد بشيّ لم يصنعه أحد من بني آدم قبله وفي كلّ ذلك من قولهم نزّل القرآن فلّما كلّمه الجران قال لهما رسول اللّه أسلما، قالا قد أسلمنا، قال أنكما لم تسلما فأسلِما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال عَيْنَا للله كذبتما يمنعكما من الإسلام إدّعائكما للله ولَداً و عبادتكما الصّليب و أكلكما الخنزير.

قالا فمن أبوه يا محمد، فصمت رسول اللّه عَيَّرُالله عَمَدُا فلم يجيبهما فأنزل اللّه في ذلك من قولهم وإختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران الى بضع و ثمانين أية منها ثمّ تكلّم ابن إسحاق على تفسيرها الى أن قال فلمّا أتى رسول الله الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم و أمر بما أمر به من ملاعنتهم أن ردّوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دَعنا ننظر في أمرنا ثمّ نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ثمّ إنصرفوا عنه ثمّ خلّوا بالعاقب وكان ذارأيهم فقالوا يا عبد المسيح ماذا ترى فقال واللّه يا معشر النّصارى لقد عرفتم أنّ محمّداً لنّبيّ مرسل و لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم

أنّه، ما لا عن، قوم نبّياً قطّ فبقي كبيرهم ولا بنت صغيرهم و أنّه الاستئصال منكم أن فعلتم فأن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم و الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرّجل وإنصرفوا الى بلادكم، فأتوا النّبي فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا فلا عنك ونتركك علىٰ دينك ونرجع علىٰ ديننا و لكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء إختلفنا فيها في أموالنا فأنكم عندنا رضى فقال رسول الله أئتوا في العشّية أبعث معكم القوّي الأمين فكان عمر بن الخطاب يقول ما أحببت الإمارة قطُّ يومئذِ رجاء أن أكون صاحبها فرحت الى الظّهر مهجراً فلمّا صلّىٰ رسول اللّه عَلَيْظِهُ ثُمَّ نَظر عن يمينه و شماله فَجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتّىٰ رأىٰ أبا عبيدة بن الجرّاح فدعاه فقال أخرج معهم فأقض بينهم بالحقّ فيما إختلفوا فيه قال عُمر فَذهب بها أبو عبيدة انتهىٰ ما ذكره ابن كثير في هذا النّقل ثمّ روي رواية أخرى عن البخاري أثبت فيها أنّ أبا عبيدة صار أمين هذه الأمّة من ذلك اليوم ونقل عن البيهقي القصّة بوجه أبسط لا حاجة لنا الى ذكرها والّذي يحصل من مجموع كلماتهم أنّهم على صنفين، صنفٌ منهم أنكر خروج رسول الله لهاكما عرفت ممّا نقلناه عن ابن كثير و غيره كالبخاري و التّرمذي و أحمد و غيرهم علىٰ ما نقل عنهم ابن كثير و قال صالحوه علىٰ الجزية، وصنف منهم أثبت ذلك و قال خرج رسول اللَّه عَلَيْظِيُّهُ لها إلاَّ أنَّها لم تَقع لخوف النَّصاريٰ عـلميٰ أنفسهم فصالحوه على الجزية و امّا الشّيعة فقد إتَّفقت علىٰ خروج رسول جزء ٣ > اللَّه عَلَيْواللهُ في الغد للمباهلة، و لكنَّها لم تقع لخوف النَّصاري و نحن نذكر القِصّة من طريق الشّيعة أيضاً فنقول:

في تفسير علّي ابن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله علي أنّه قال: أنّ نصاريٰ نجران لمّا و فدوا علىٰ رسول الله وكان سيّدهم الأهتم (الأيهم) والعاقب والسيد و حضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون

بالنَّاقوس وصَلُّوا فقال أصحاب رسول اللَّه يا رسول الله هذا في مسجدك فقال دَعُوهِم فلمّا فرغوا دَنوا من رسول اللَّه فـقالوا الىٰ ماتدعونا فقال عَلِيْنِهُ الى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّى رسول اللّه وعيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث قالوا فمن أبوه فنزل الوَحى على رسول الله عَلَيْظِهُ فقال قل لهم ما تقولون في آدم أكان عبدأ مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح فسألهم النبى فقالوا نعم قال عَيْكِاللهُ فمن أبوه فبهتوا فأنزل الله أنّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم خَلَقه من تراب الآية و امّا قوله فَمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين فقال رسول الله عَلَيْكِاللهُ فباهلوني فأن كنتُ صادقاً أنزلت اللّعنة عليكم و أن كنتُ كاذباً أنزلت عَلَّى فقالوا أنصفت فتواعدوا للمباهلة فلمّا رجعوا الى منازلهم قال رؤوساءهم السبيد والعاقب والأهتم (والأيهم) أن باهلنا بقَومه باهَلناه فأنّه ليس بنّبي وأن باهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله فأنّه لا يقدم على أهل بيته إلاّصادق فلمّا أصبحوا جاءوا الى رسول الله عَلَيْظِهُ و معه أمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فقالت النّصاري من هؤلاء فقيل لهم أنّ هذا ابن عمّه ووصّيه وختنه علّى ابن أبي طالب وهذه إبنته فاطمة وهذان إبناه الحَسن والحسين ففَرّقوا وقالوا لرسول الله نعطيك الرّضا فأعفنا عن المباهلة فصالحهم رسول الله على الجَزية وإنصرفوا انتهیٰ

و في تفسير العيّاشي عن حريز عن أبي عبد الله عليّه قال: أنّ أمير المؤمنين سُأل عن فضائله فذكر بعضها ثمّ قالوا له زدنا فقال عليّه!

أنّ رسول الله أتاه حبران من أحبار اليهود من أهل نجران فتكلّما

في أمر عيسى عليه فأنزل الله هذه الآية أنّ مثل عيسى عند الله كُمثل آدم الى أخر الآية فَدَخل رسول الله عَلَيْظِهُ فأخذ بيد علّي والحسن و الحسين و فاطمة ثمّ خرج و رفع كفّه الى السّماء و فرّجً بين أصابعه ودعاهم الى المباهلة قال و قال أبو جعفر عليه وكذلك المباهلة يشبك يَده في يَده ثمّ يَرفعها الى السّماء فلمّا رأه الحبران قال أحدهما لصاحبه والله أن كان نبّياً لتهلكنّ وأن كان غير نبّي كفانا قومه فكَّفا و أنصر فا انتهىٰ.

أقول فهذه رواية الشّيعة وجمهور العامّة وافَقُونا عليه أي علىٰ أنّ رسول اللّه أُخَذَ بيد علَّى وفاطمة والحَسن والحسين إلاَّ أنَّ المباهلة لم تَقع لخوف النّصاري و لذلك صالحوا رسول اللّه على الجَزية فأنّ الآية الشّريفة تدّل على أنَّ أمير المؤمنين كنفس النّبي بدليل قوله و أنفُسنا كما يأتي تفصيل الكلام فيه وجمهور المفسّرين من العامّة نقلوا في تفاسيرهم ما نقلناه عن الصّادق عليُّكالٍ في المقام بطرق مختلفة مع تفاوتٍ يسير في ألفاظ الحديث وعباراته كمّا وكيّفاً و أمّا ابن كثير الدّمشقي فهو لعناده و تعصّبه لم ينقل هذا و قال صالحوه على ا الجزية و طلبوا منه رجلاً يحكم بينهم الى أخر ما قال حتى أثبت لأبي عبيدة أنَّه أمير هذه الأمَّة و أظنَّ ظنًّا قوياً قريباً من القطع أنَّه أسقط من الرَّواية ما هو الأصل فيها لبغضه وعداوته لأهل البيت وكونه من أشياع معاوية كأكثر أهل الشَّام وكيف كان فلا يضّرنا مخالفته مع تصريح أعلام العامّة بخلافه ولا سيّما جزء ٣ ل المُفسّرين منهم بل لا أعرف منهم من وافقه فيما بأيدينا من التّفاسير نشير الي أقوالهم فيها ثمّ نردفه بما ذكره أصحابنا في تفسير الآية فنقول:

روي الطّبري في تفسيره لهذه الآية بأسناده عن زيد بن علّى في قوله تعالىٰ: نَدْعُ أَبْنَا ٓءَنَا وَ أَبْنَا ٓءَكُمْ قال: كان النّبي عَلَيْكِاللهُ و علّي و فاطمة و الحَسَن و الحسين.

و بأسناده عن السّدي، فَمَنْ خَآجَكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جَآءَكَ مِن الْعِلْمِ فأخَذ يعني النّبي عَلَيْ الله بيد الحَسَن و الحسين و فاطمة و قال: لعلي أتبعنا فَخرج معهم و لم يخرج يومئذ النّصارى و قالوا أنّا نخاف أن يكون هذا هو النّبي عَلَيْ الله و ليس دعوة النّبي كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ فقال النّبي عَلَيْ الله لو خَرجوا الإحترقوا فصالحوه على صلح معلى أنّ له عليهم ثمانين ألفاً فما عجزت الدّراهم ففي العروض الحلّة بأربعين وعلى أنّ له عليهم ثلاثاً و ثلاثين درعاً و ثلاثا و ثلاثين بعير أو أربعة وثلاثين فرساً غازية كلّ سنة و أنّ رسول الله ضامن لها حتّى نؤديها اليهم.

و بأسناده عن علباء بن أعمر اليشكري قال: لمّا نزلت الآية فقل: تَعُالُوْا نَدْعُ أَبْنَا ءَنْا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسْآءَنْا وَ نِسْآءَكُمْ أَرسَلَ رسول الله عَيْنِ الله عَيْنِ و فاطمة و إبنيهما الحسّن و الحسين و دعى اليهود ليلاً عنهم فقال شابّ من اليهود وَيحَكم أليس عهدكم بالأمس أخوانكم الذين مُسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فأنتهوا.

و قال الزّمخشري في الكشّاف و رُوى أنّهم لمّا دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع و ننظر فلمّا تخالوا قالوا للعاقب و كان ذارأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النّصارى أنّ محمّداً نبّيٌ مُرسَل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم واللّه ما بأهل قومٌ نبياً قطّ فعاش كبيرهم و لا نَبت صغيرهم و لأن فعلتم لتهلكن فأن أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرّجل و انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله و قد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفه وعلّيٌ خَلفها و هو يقول إذ أنا دعوتُ فامّنوا فقال أسقَف نجران يا معشر النّصارى إنّي لا أرى وجوهاً لو شاء اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزالَه بها فلا تباهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه

الأرض نصراني الى يوم القيامة فقالوا ياأبا القاسم رأينا أن لا نباهلك و أن نقر ك على دينك و نثبت على ديننا قال عَيَيْ فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما عليهم فأبوا، قال فأنى، أناجزكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة و لكن نصالحك على أن لا تغزونا و لا تخيفنا و لا تردنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلّة، ألف في صفر و ألف في رجب و ثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك و قال عَيَيْ الله والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة و خنازير و لإضطرم عليهم الوادي ناراً و لإستأصل الله نجران و أهله حتى يهلكوا ثم قالوا و عن عائشة الشّجر و لما حال الحول على النّصاري كلّهم حتى يهلكوا ثم قالوا و عن عائشة أن رسول الله عَيْنِيلُهُ خرج و عليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم قاطمة ثم على ثم قال: إنّما يُريدُ اللهُ لِيُدْهِبَ فأدخله ثم عالى أله المُ الله عَلَي ثم قال الله عَيْنِيدُ اللهُ لِيُدْهِبَ

فأن قلت ماكان دعاءُه الى المباهلة إلا ليبيّن الكاذب منه و من خصمه و ذلك أمرٌ يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضمّ الأبناء والنّساء.

قلتُ ذلك أكد في الدّلالة على ثقته بحاله وإستيقانه بصدقه حيث إستَجرأ على تعريض أعزَّته وأفلاذ كَبده وأحبّ النّاس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له و على ثقته بكذب خصمه حتّىٰ هلك خصمه مع أحبّته و أعزّته هلاك الإستئصال أن تمّت المباهلة و خصّ الأبناء والنسّاء لأنّهم أعزّ الأهل و ألصقهم بالقلوب و ربما فداهم الرّجل بنفسه و حارب دُونهم حتّىٰ يُقتل و من ثمّة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظّعائن في الحروب لتمنعهم من الهَرب و يسمون الذّادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق و قَدَّمهم في الذّكر على الأنفس أى قال تعالىٰ:

أَبْنَآ ءَنَا وَ أَبْنَآ ءَكُمْ وَ نِسْآ ءَنَا وَ نِسْآ ءَكُمْ ثُمَّ قال تعالىٰ: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ

الفرقان في تفسير القرآن كرنج العجلا

لينبه على لُطف مكانهم وقرب منزلتهم وليُؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شي أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السّلام وفيه برهان واضح على صحّة نبّوة النبي عَلَيْوَالله لأنّه لَم يروا أحد من موافق و لا مخالف أنّهم أجابوا الى ذلك انتهى كلامه و أنا أقول لقد أجاد صاحب الكشّاف في المقام فليس كلام لنا فوق كلامه و أنّما نقلنا كلامه بطوله لما فيه من الحقّ ما ليس في كلام غيره من العامّة.

و قال السّيوطي في الدر المنتُور في التفسّير بالمأثور بأسناده الى الشّعبي قال كان أهل نجران أعظم قوم من النّصاري قولاً في عيسى بن مَريم فكانوا يجادلون النّبي عَيَّا لِللهُ فيه فأنزّل اللّه هذه الأيات في سورة آل عمران إنَّ مَثلَ عيسى عِنْدَ اللهِ الى قوله: فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَاذِبينَ فأمر بملاعنتهم فواعدوه لغد فغد النّبي و معه الحسن و الحسين و فاطمة فأبوا أن يلاعنوه و صالحوه على الجزية فقال النّبي لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطّير على الشّجر لو تّموا على الملاعنة انتهى.

و بأسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: لمّا نزلت هذه الآية فَـقُلْ تَعْالَوْا نَدْعُ أَبْنَا ءَنَا دعا رسول الله عَلَيْكُ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلى انتهى.

و بأسناده عن علباء بن أحمر اليشكري قال: لمّا نزلت هذه الأية: فَقُلْ تَعْالَوْا نَدْعُ أَبْنَا ءَنَا أرسل رسول الله الى علّي و فاطمة وإبنيهما الحسنن والحسين و دعا اليَهُود ليلا عنهم فقال شَابٌ من اليَهُود ويحكم أليس عَهدكم بالأمس أخوانكم الذّين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فأنتهوا انتهى.

و من أعَجب ما ذكره السّيوطي في هذا الكتاب ما رواه عن أبي عساكر عن جعفر بن محمّد عن أبيه في هذه الآية فَقُلْ تَعْالَوْا نَدْعُ أَبْنَا عَنَا قال فَجاء بأبي بكر وولده و بعُمر و ولده و بعثمان و ولُده و بعلّي و وُلده انتهىٰ ماذكره.

أقول لو كان واضع هذا الحديث عاقلاً لما أسنده الى جعفر بن محمد لأنّ ابن عساكر الدّمشقي حاله معلوم و عداوته و عناده بل ونصبه لأهل البيت لا يخفى على أحدٍ و امّا جعفر بن محمّد عليّ فهو من أهل البيت الذّين طَهَرَهم الله تطهيراً هذا أوّلاً

أمًا ثانياً: فيكف نقل الحديث عن جعفر بن محمّد ولم يكن في زمانه و لا قريباً منه.

ثالثاً: إجماع أهل البيت على أنّ المراد من أبناءنا الحسن و الحسين و من نساءنا فاطمة و من أنفسنا أمير المؤمنين و أين هذا من أبي بكر و عمر و عثمان و أولادهم أكان أولادهم أولاد الرّسول و أنفسهم نفسه ولم يذكر في الحديث من النّساء شيئاً و ذلك لأنّ الوُلد غير النّساء فلو كان المراد بأبناءنا أولاد أبى بكر و أولاد عثمان و أولاد عُمر فما المراد بالنّساء في قوله: وَ نِسْآءَنُا وَ نِسْآءَكُمْ كأنّه نسي الواضع عن قوله وَ نِسْآءَنَا وَ نِسْآءَكُمْ وهكذا يكون شأن الكذّابين. قال الفخر الرّازي في تفسيره لهذه الأية:

المسألة الرّابعة: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين عليهما السّلام كانا ابني رسول اللّه عَلَيْظُهُ وعَد أن يدعو أبناءه فدَعا الحسن و الحسين فوجب أن يكون إبنيه وممّا يؤكّد هذا قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: و من ذرّيته داود وسليمان الىٰ قوله: وزَكريا ويحيى وعيسىٰ و معلوم أنّ عيسىٰ أنّما إنتسب الى إبراهيم بالأمّ لا بالأب فثبت أنّ ابن البنت قد يسمّىٰ إبناً واللّه أعلم

قال و روى أنّه عَيَّمَا الله لله الله الله عنها ثمّ على رضي الله عنها ثمّ قال: إنّها يُريدُ الله عنها ثمّ قال: إنّها يُريدُ الله عنها ثمّ قال: إنّها يُريدُ الله عنها ثمّ قال الرّازي وأعلم أنّ هذه ليُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطهّرَكُم تطهيراً ثمّ قال الرّازي وأعلم أنّ هذه الرّواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير و الحديث انتهى كلامه و هو متين جداً وقال في موضع أخر بقي في الأيات سؤالات أربع:

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثال

ياء الفرقان في تفسير القرآن كرني العجلد

السّؤال الأوّل: الأولاد اذاكانوا صغاراً لم يجز نزول العذاب بهم و قد وَرد في الخبر أنّه صلوات الله عليه أدخل في المباهلة الحَسن والحسين فما الفائدة فيه.

والجواب أنّ عادة الله جارية بأنّ عقوبة الإستئصال اذا نزلت بقوم هلكت معهم الأولاد و النّساء فيكون ذلك في حقّ البالغين عقاباً و في حقّ الصّبيان لا يكون عقاباً بل يكون جارياً مجرى إماتتهم وإيصال الألام والأسقام اليهم و معلوم أنّ شفقة الإنسان على أولاده و أهله شديد جدّاً فربّما جعل الإنسان نفسه فداءً لهم و جُنّةً لهم و اذاكان كذلك فهو عليَّا إحضر صبيانه و نساءه مع نفسه و أمرهم بأن يفعلوا مثل ذلك ليكون ذلك أبَلَغ في الزَّجر و أقوى في تخويف الخصم و أدّل علىٰ وثوقه صلوات اللّه عليه و على أله بأنّ الحقّ معه انتهى كلامه و هو أيضاً متينٌ و قد ذكر الألُوسي في تفسيره بعد ما نقله معنى الإبتهال عن الرّاغب في المفردات عن البخاري و مسلم قصّة نصاري نجران طبقاً لما نقله ابن كثير في تفسيره و قد مرّ ذكره ثمّ نقل عن الدّلائل من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّ وفد نجران قدموا على رسول اللّه عَيَّكِاللَّهُ و ساق الحديث الىٰ أن قال وكان رسول اللّه خرج و مَعه عـلّي و الحَســن و الحسين و فاطمة فقال رسول اللَّه أنا دعوت فأمنوا أنتم فأبـوا أن يــلاعنوه و صالحوه على الجزية انتهي.

و روي عن الشّعبي أيضاً مثل ذلك مع تفاوت في ألفاظ الحديث ثمّ قال بعد نقله الأحاديث و في هذه القصّة أوضح دليلٍ على نبوّته عَلَيْكِالله و إلاّ لما امتنعوا عن مباهلته و دلالتها على فضل آل الله و رسوله عَلَيْكِالله ممّا لا يمتري فيها مؤمن والنّصب جازم الإيمان انتهى.

ثمَّ أنَّ غير هؤلاء مِمَن نقلنا أقوالهم من تفاسيرهم أيضاً سلكوا هذا المسلك و قالوا بمقالتهم و هو أنَّ رسول الله عُلَيِّاللهُ أَخَذَ بيد الحَسن و الحسين و فاطمة و

أمير المؤمنين ليباهلهم فأبوا عنها وصالحوه علىٰ الجزية.

و به قال البيضاوي و أبوحيان في تفسيره و صاحب روح البيان و من المتأخرين صاحب تفسير الجواهر و امثالهم ممن أعرضنا عن نقل كلامهم حذراً من التّطويل ثمّ أنّ هذا الّذي نقلناه عنهم مختّص بمفسّريهم و امّا غيرهم من أرباب الحَديث فذكروا في كُتبهم أضعاف ما ذكره أهل التفسّير و امّا مفسّري الشّيعة و محدّيثيهم فلم يختلف فيه أحَد و أجمعوا على أنّ الآية نزّلت في فضيلة أصحاب الكساء والمراد بقوله: أَبْنا عَنّا الحَسن والحسين، و بقوله نساءنا، فاطمة و بقوله أنفسنا، أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب ولا نرئ في إثبات ذلك الى نقل الكلمات والأحاديث من طريق الشّيعة لعدم وجود المخالف فيهم بل إستدّلوا بهذه الآية على أنّ علياً علياً علياً علياً كان أقرب النّاس الى النّبي فهو أحق بالخلافة من غيره اذ لم يُوجد في النّاس من عدّ نفسه عَيَّوالله إلا أمير المؤمنين و الأية أصدق شاهدٍ عليه فهو أولى به من غيره.

قال الألُوسي في تفسيره لهذه الآية بعد نقله ما نقلناه عنه ما هذا لفظه:

و إستدل الشّيعة بها على أولّوية علّي كرّم اللّه وجهه بالخلافة بعد رسول اللّه بناءً على رواية مجئ علّي مع رسول اللّه و وجّه أنّ المراد حينئذ بأبناءنا الحسن والحسين و بنساءنا فأطمة وبأنفسنا الأمير و اذا صار نفس الرّسول و ظاهرٌ أنّ المعنى الحقيقي مستحيلٌ تعيّن أن يكون المراد المساواة و من كان مساوياً للنّبي عَلَيْ الله فهو أفضل وأولى بالتّصرف من غيره ولا معنى للخليفة إلا مساوياً للنّبي عَلَيْ الله الله الله الله المناه ال

و أجيب عن ذلك أمّا أوّلاً فبأنّا لا نُسلم أنّ المراد بأنفسنا الأمير بل المراد نفسه الشّريفة و يجعل الأمير داخلاً في الأبناء و في العرف يعّد الختن ابناً من غير ريبةٍ ويلتزم عموم المجاز أن قلنا أنّ إطلاق الإبن على ابن البنت حقيقة و أن قلنا أنّ مجاز لم يحتجّ الى القول بعمومه وكان إطلاقه على الأميروإبنيه على أ

عسه: ولسه العجلا العران على العجلا العران على العجلا العران على العران القران من تأسير القران القران

حدٍّ سواء في المجازّية ثمّ قال و قول الطّبرسي و غيره من علماءهم أنّ أراد نفسه الشّريفة من أنّفسنا لا تجوّز لوجود (نـدعُ) و الشّخص لا يـدعو نـفسه هذيانٌ من القول اذ قد شاع و ذاع في القديم و الحديث دعته نفسه الي كذا و دعوتُ نفسي الي كذا وطوعت له نفسه وأمرتُ نفسي و شاورتها الي غير ذلك مِن الإستعمالات الصّحيحة الواقعة في كـلام البُّـلغاء فـيكون حـاصل نَــدْعُ أَبْنَا ءَنَا نحضر أنفسنا وأي محذورٍ في ذلك الى أن قال وأمّا ثانياً: فبأنّا لو سلّمنا أنّ المراد بأنفسنا نفس الأمير لكن لا نسلّم أنّ المراد من النّفس ذات الشّخص اذ جاء لفظ النَّفس بمعنى القريب والشِّريك في الدِّين والملَّة اليِّ أن قال فلعلُّه كان للأمير إتَّصال للنَّبي في النَّسب والمصاهرة و اتَّحاد في الدِّين عبّر عنه بالنَّفس و لا تلزم المساواة التِّي هي عماد استدلالهم علىٰ أنه لو كان المراد مساواته في جميع الصّفات يلزم الإشتراك في النّبوة والخاتّمية والبعثة الى كافَّة الخلق و نحو ذلك و هو باطل بالإجماع وأطال الكلام بما لا فائدة في نقله إلاّ تسويد الأوراق الىٰ أن قال ولضعف الإستدلال به في هذا المطلب بل عدم صحتّه كالإستدلال به على أفضّلية الأمير علىٰ الأنبياء والمُرسلين لِزعم ثبوت مساواته للأفضل منهم فيه لم يقمه مُحقِّق الشّيعة علىٰ أكثر من دعوىٰ كون الأمير والبتول والحسنين أعزّة على رسول الله كما صَنع عبد الله المشهدي في كتابه إظهار الحقّ انتهي .

**فنقول** أمّا قوله لا نسلم أنّ المراد بأنفسنا الأمير بل المراد نفسه الشّريفة، ففيه.

أَمَا أَوْلاً: أَنَّ أَنفُسنا صيغة الجمع وإتَّفق أهل الأدب على أنَّ أقل الجَمع أثنان ثانياً: فلو قلنا أنّ المراد بأنفسنا نفسه الشّريفة يلزم إطلاق الجمع على الواحد وهو ممّا لم يقل به أحد فيما نعلم غير الألُوسي وأن قلنا بأنّ المراد به نفس أخر غير نفسه الشّريفة كما هو الحقّ فهو نفس الأمير قطعاً اذ لم يكن مع

رسول الله في المباهلة غير علّي و فاطمة و الحسنينِ أمّا فاطمة فهي المراد من قوله و نساءنا، و امّا الحسنين فهمّا المرادان من قوله: أَبْنَا ءَنّا ولم يبق في المقام إلاَّ علَّى عَلَيَّكِ فلا جرم هو المراد بقوله و أنفسنا، ولو لم يكن فمن المراد منه و أعجب منه قوله ويجعل الأمير داخلاً في الأبناء وفي العُرف يعدّ الختن إبناً، و ذلك لأنَّ الإبن لا يطلق علىٰ الخَتن أصلاً إلاَّ في عُرف العوام وعمليٰ فـرض إطلاقه عليه لاكلام لنا فيه وأنَّما البحث في أنفسنا مضافاً الي أنَّه لو كان كما زعمه فمن المراد بأنفسنا هذا مع إتّفاق أهل العلم علىٰ عدم دخول علّي في الأبناء و أنّ هذا الإطلاق باطلٌ من أصله وليس هذا من قبيل إطلاق الإبن على إبن البنت و ذلك لأنّ إبن البنت ابنّ حقيقة وكلام رسول اللّه عَلَيْظِهُ فيه حجّة حيث قال أنّ إبني هذا سيّد ولعلّ الله يصلح به بين فئتين مسلمتين كما يأتي الكلام فيه فالقياس مع الفارق و امّا ما نقله عن الطّبرسي مُنِّيٌّ و هو من أكابر العلماء وأعاظم المفسّرين عند الموافق والمخالف، أنّه قال لا تجوز أراد نفسه الشّريفة من قوله أنفسنا لوجود نَدْعُ والشّخص لا يدعو نفسه فهو كلام متينٌ لا غبار عليه و نسبة الهذيان الى كلامه هذيان كما أنّ نسبة الهذيان الى رسول اللّه عَلَيْظَهُ هذيان في قول القائل دعوه أنّ الرّجل ليهجُر و اذا نسب رسول اللَّه عَلَيْظِهُ فَى كلامه الى الهذيان فحال الطَّبرسي و أمثاله معلوم، و قوله اذ قد شاع و ذاع في القديم والحديث دَعته نفسه الى كذا الى أخر الأمثلة ففيه:

أمّا أوّلاً: أنّ هذا الإستعمال مجاز لأنّ الإنسان في الحقيقة ليس إلاّ نفسه جزء ٣ الجسد فهو خارج عن حقيقة الإنسان كما ثبت في محلّه .

ثانياً: فرقٌ واضح بين قولنا دعوتُ نفسي، ودَعَتني نفسي.

ثالثاً: لو صحّ القول بهذا الإستعمال ولو على سبيل المجاز لا بحث لنا فيه و أنّما البحث في (ندعُ أنفسنا) بحكم العطف و الأنفس صيغة الجمع وكذلك، ندعُ. مفيد للجمع لإضمار، نحن، فيه والذّي يستفاد من الآية هو دعوة الرّسول

باء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ ﴾ الدجلد ا

إيّاهم بالمباهلة ولم يكن الدّاعي هو الرّسول وحَده، بدليل قوله: نَدْعُ ولو كان وحدة لقال، أدعُ نفسي وحيث قال أنفسنا فلا محالة يكون الدّاعي هو عَلَيْوالله وغيره، وأمّا قوله ذلك من الإستعمالات الصّحيحة الواقعة في كلام البلغاء، فيقال له وأينَ يُوجد هذا في كلام البُلغاء و أيّ بليغ يقول بصّحة إستعمال الدّعوة في معنى الحضوري حتّى يكون معنى قولنا (فدعُ أنفسنا) أي نحضر أنفسنا، و هل استعملت الدّعوة في الحضور فالأية على.

ما قاله الألوسي دلّت على المحاضرة لا على المباهلة، إذ الدّعوة بمعنى الحضور على ما قال و هذا معنى قول الطّبرسي للنُّونُ و الشخّص لا يدعو نفسه لا ما فهمه من كلامه لقلّة فهمه و دركه.

وأمّا قوله لو سلمّنا أنّ المراد بأَنْفُسَنا نفس الأمير لكن لانسّلم أنّ المراد من النَّفس ذات الشَّخص إذ قد جاء لفظ النَّفس بمعنى القريب والشّريك في الدّين و الملَّة، فلعلُّه لمَّا كان للأمير إتَّصال للنَّبي في النَّسَبِ و المصاهرة وإتَّحاد في الدِّين عبّر عنه بالنّفس ، فالجواب عنه أنّ النّفس لا تطلق على مـا ذكـره إلاّ بضرب من المجاز و هذا صحيح لا خلاف فيه إلاَّ أنَّه لم يفهم ما قال وكأنَّه نقَّله من غيره و ذلك لأنّ إطلاق النّفس علىٰ مـا ذكـره ليس مـعناه أنّ القـريب و الشّريك في الدّين و الملّة من معاني النّفس بل النّفس في هذه الموارد أطلقت على ذات الشّخص إلاّ أنّ الإطلاق بإعتبار قربه وشركته في الدّين مثلاً فقوله إذ قد جاء لفظ النّفس بمعنىٰ القريب كلام لا محصّل له و إذا كان كذلك فالمراد بقوله و أنفسنا، نفي الأمير شخصاً و ذاتاً إلاّ أنّ هـذا الإطـلاق بـإعتبار قـربه بالرّسول أوكونه شريكاً له في الدّين أو لأجل المصاهرة و إتّصاله للنّبي أو ما شئت فسمّه فهو ممّا لا يضر بالإستدّلال إذ لم يقل أحد بأنّ علّياً كان نفس الرّسول حقيقةً ضرورة أنّ نفسه عَلَيْظِلَهُ غير نفسه عَلَيْظِهُ فالمقصود من الوَحدة و الإتّحاد هو القُرب المعنوي بالرّسول و هذا ممّا لا إشكال فيه، فقوله مخ لا تلزم

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

جزء٣

المساواة الّتي هي عماد إستدلالهم فرع على الأصل الّذي ذكره وحيث بطل الأصل بطل الفرع قهراً فتلزم المساواة قطعاً لأنّ المراد من النّفس ذات الشّخص كما مرّ و أمّا قوله لو كان المراد مساواته في جميع الصّفات يلزم الإشتراكات في النّبوة والخّاتمية والبعثة الى كافّة الخلق و هو باطل بالإجماع، فالجواب أنّ كلامنا ليس في إثبات المساواة للنّبي و عدمها بل الكلام في أنّه عليه النّبي عَلَيْ الله ولو فهم منه المساواة فلا إشكال فيه و نقول أنّ فيه عليه إلى النبق و النبوة و العدالة و غيرهما و امّا النبوة و الخاتمية و البعثة فهي خارجة عن البحث أمّا أوّلاً فلاته عَلَيْ الله قال: له يا علي النابقة و أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبّي بعدي و هو حديث مشهور أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبّي بعدي و هو حديث مشهور أننيا أنّ الله تعالى نصّ على خاتميّته في كتابه العزيز حيث قال: ها كان مُحَقّدُ أَبا أَنْ الله تعالى نصّ على خاتميّته في كتابه العزيز حيث قال: ها كان مُحَقّدُ أَبا أَدُو مِنْ رَجُالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللّه وَ خَاتَمَ النّبيّينَ (۱).

و اذا كان الرّسول خاتم الأنبياء بنّص الكتاب ويقوله عَلَيْ الله إلاّ أنّه لا نبّي بعدي فإثبات المساواة للنّبي عَلَيْ الله لا يشمل النبّوة فهو عليّا إلى مساوله في غيرها من الصّفات و نحن نقول به و امّا الإجماع فهو قائم على أنّه لا نبّي بعده ونحن نقول به و لا نحتاج فيه الى الإجماع بعد الآية والأخبار إذ هو أمر مسلم و أمّا الإجماع على أنّ علياً لا يساوي النبي في سائر الصّفات فهو منتف قطعاً لأنّ قوله: و أَنْفُسَنا يدّل على المساواة.

و أمّا قوله في آخر كلامه ولضعف الإستدلال به في هذا المطلب بل عدم صحته كالإستدلال به على أفضلية الأمير على الأنبياء و المرسلين لزعم ثبوت مساواته للأفضل منهم فيه لم يقمه محقّق الشّيعة على أكثر من كون الأمير و البتول و الحسنيين أعزّة على رسول الله عُلَيْقِيدٌ فنقول له لا شّك للشّيعة في كون

الأمير و أولاده المعصومين أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين من آدم الي خاتم المرسلين و امّا جدُّهم رسول اللّه عَلَيْظِهُ فهو أفضل منهم ومن غيرهم من الأنبياء ولم يخالف فيه أحد من علماء الشّيعة و هذه كتبهم مشحونة بالإستدلال عليه من الأيات والأخبار والأدّلة العقّلية فقوله لم يقمه محقّقوا الشّيعة علىٰ أكثر من كونهم أعزّة علىٰ رسول الله دليل علىٰ عدم إطّلاعه علىٰ كتبهم وتحقيقاتهم أو تجاهله فيه لَمصلَحةٍ رآها، و امّا قوله كما صَنع عبد اللّه المشهدي في كتابه إظهار الحقّ فنحن لا نعرف من علماء الشّيعة عبد اللّه المشهدي بل ما سمعنا بإسمه و إسم كتابه إلاّ من الألُوسي و لذلك لا نعلم ما صنع عبد الله المشهدي و من هو وأين هو و في أيّ زمان كان و ما حسبه و نسبه بل نسأل عن الألُوسي ونقول من أين وجدت هذا الشّخص الّذي لا يعرفه أحدُّ من علماء الشَّيعة ثمَّ أخذت عقيدة الشَّيعة من كتابه، و نسيت أو تركت المفيد والسيّد المرتضى والشّيخ الطّوسي والعلاّمة الحلّي والمحقّق الطّوسي و أمثالهم من الفحول و أخذت من كتاب إظهار الحقّ وما اخذتَ من الشّافي للمرتضى و تلخيصه للشيخ الطُّوسي ومنها الكرامة للعلامة الحلِّي و أمثالها من الكُتب الموجودة المنتشرة في البلدان و لعمري هذا من قلّة الإنصاف لو لم يكن من العناد و اطفاء نور الحقّ واللّه متّم نوره ولو كره الكافرون: وَ سَيَعْلُمُ **ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ (١)** و نعم الحكم اللّه يوم القيامة وحيث إنجر الكلام الى هنا فلا بأس بالإشارة الى ما ذكره بعض المعاصرين في الدّيار المصّرية في تفسيره لهذه الآية والجواب عنه علىٰ سبيل الإجمال فنقول قال صاحب تفسير المنار في المقام ما لفظه.

قال الأستاذ الإمام ، الرّوايات متّفقة على أنّ النّبي عَلَيْظُهُ إختار للمباهلة علياً و فاطمة و ولديهما، و يحملون كلمة نساءنا على فاطمة وكلمة أنفسَنا على

علَّي فقط و مصادر هذه الرّوايات الشّيعة و مقصدهم منها معروف و قــد إجتهَّدوا في ترويجها ما إستطاعوا حتَّىٰ راجت على كثيرِ من أهل السَّنة ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية فأنّ كلمة نساءنًا لا يقولها العَربي و يريد بها بنته لا سيّما إذا كان له أزواج ولا يفهم هذا من لُغتهم و أبعد من ذلك أن يراد بأنفسنا علَّى ثمَّ أطال الكلام بما حاصله أنَّ النَّبي كان مأموراً من اللَّه تعالىٰ أن يدعو المحاجّين والمجادلين في عيسىٰ من أهل الكتاب الي الإجتماع رجالاً ونساءً و أطفالاً و يجمع هو، المؤمنين رجالاً و نساءً و أطفالاً و يبتهلون الى الله الى أن قال ولا إشكال في دعوة الأنفس وأنّما الإشكال فيه على قول الشّيعة ومن شايعهم علىٰ التّخصيص انتهيٰ (١).

أقول مراده بالأستاذ الإمام، هو الشّيخ محمّد عبدُه.

و الَّذي نفهم من مجموع كلامه هو أنَّ الآية لا إختصاص لها بهؤلاء الحمسة بل أمر النّبي بالمباهلة بجمعه الرّجال والأطفال، وأنت ترى أنّ هذا القول مخالف لإجماع الأمّة كما عرفت من الأحاديث و امّا قوله أنّ مصادر هذه الرّوايات الشّيعة و مقصدهم منها معروف، فنقول في جوابه أنّ الرّاويات الواردة في الباب من طريق أهل السّنة إضعاف ما ورد من طريق الشّيعة فكيف يكون مصادر هذه الرّوايات الشّيعة و على فرض التّسليم كيف قبلتم منّا هذه الرّوايات إذا علمتم أنّها مجعولة موضوعة و أعجب من هذا قوله واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية فأنّ كلمة نساءنا لا يقولها العربي ويريد بها بنته لا سيّما إذا كان له أزواج و لا يفهم هذا من لغتهم، و ذلك لأنّهم أي الشّيعة لم جزء ٧ يحملوا نساءنا على فاطمة و أبناءنا على الحسنين، و أنفسنا على علَى عَلَيْ الْمِالْا من عند أنفسهم بل حملوا هذه الألفاظ على المعاني المعلومة بالأحّاديث الواردة من الطّرفين فأنّ الشّيعة لا يفسّر القرآن برأيه و امّا قوله لا يقُولها العَربي الخ.

فالجواب عنه أنّ رسول اللّه عَلَيْوِاللهِ لم يتّعلم العرّبية من عـلماء مـصر فـي الجامع الأزهر ولذلك قال هذه الكلمة وأراد منها بنته فأن كان هذا صحيحاً فهو و أن كان غير صحيح فما ذنب الشّيعة و امّا قوله و لكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الأية، فجوابه أنّ الأحاديث الواردة في تفسير الآية من العامّة و الخاصّة أكثر من أن تعدّ و تحصىٰ ثمّ أنّ هـذه الرّوايـات تـختلف ألفـاظها و تتفاوت أسنادها فكيف يعقل أن تكون موضوعة والحديث الموضوع لا يكون كذلك ألا ترى أنّ حديث نحن معاشر الأنبياء لا نؤرث ما تركناه صدقة، لم تختلف ألفاظه في طول التّاريخ و لم ينقل إلاّ من طريقٍ واحدٍ بسندٍ واحدٍ و شاهدِ واحد و هو أبو بكر و امّا ما نحن فيه فليس من هذا القبيل لإختلاف ألفاظ الأحاديث وتفاوت أسنادها وهو ظاهر واممًا قوله في آخر كلامه و أنَّما الإشكال فيه على قول الشِّيعة ومن شايعهم علىٰ القول بالتّخصيص، فحاصل كلامه أنَّ الإشكال فيه على كلِّ المسلمين على قولهم بالتَّخصيص و أنَّما قلنا ذلك لأنّ القول بالتّخصيص ورد في روايات العّـامة أكـثر مـنه فــي روايــات الخّاصة كما لا يخفي على المتّتبع في الأخبار.

قال الحافظ الحَسكاني و هو من أعيان علماء العّامة و مشاهيرهم في كتابه المُسمّىٰ بشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في هذه بأسناده عن عمرو بن سعيد بن معاذ أنّه قال قدم وَفد نجران العاقب والسيّد فقالا يا محمّد أنك تذكر صاحبنا فقال النّبي عَيَّانً هو عبد الله ونبّيه و رسوله، قالا فأرنا فيمن خَلق الله مثله و فيما رأيت و فيما سمعت فأعرض النبي عنهما يومئذ ونزل عليه جبرئيل بقوله أنّ مثل عيسىٰ عند الله كَمثل آدم خَلقه من تراب فعادا وقالا يا محمّد هل سمعت بمثل صاحبنا قطّ قال نعم قالا مَن هو قال عَيْنِ الله آدم ثمّ قرأ إن مَثل عيسىٰ عند الله كَمثل أدم حَمقل ادم وقال عَيْنَ الله كم تقول فقال الله تعالى ندع أبناءنا و أبناءكم الآية فأخذ رسول فقال لهم رسول الله تعالى ندع أبناءنا و أبناءكم الآية فأخذ رسول

الله بيد علَّى ومعه فاطمة وحَسن وحُسين و قال هـؤلاء أبناءنا و نساءنا و أنّفسنا، فهما أن يفعلا ثمّ أنّ السيّد قال للعاقب ما تصنع بملاعنة الحديث شواهد التّنزيل(١).

و أيضاً بأسناده عن إبن عبّاس الىٰ أن قال: فخرج رسول الله و أخذ بيد على و مَعه فاطمة و حَسن و حسين فقال هؤلاء أبناءُنا و نساءناً و أنفسنا الحديث<sup>(٢)</sup>.

و أيضاً بأسناده عن جابر بن عبد الله قال: قَدِم وَفد أهل نجران على لله النّبي و ساق الحديث الى أن قال جابر، أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة و أنفسنا علّى بن أبي طالب الخ.

و أيضاً عن عامر بن سعيد عن أبيه قال: ولمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله علّياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللّهم هـؤلاء أهـلي انتهیٰ <sup>(۳)</sup>.

و رواه الحاكم في المستدرك أيضاً (۴).

الى غير ذلك ممّا رواه الحَسكاني و غيره من علماء الحديث بل روي الحسكاني عن أبي البختري أنّ رسول الله أراد أن يلاعن أهل نجران بالحَسَن و الحسين و فاطمة، و لنختم البحث بذكر ما قاله الرّازي في تفسيره لهذه إتماماً للحجّة.

المسألة الخامسة: كان في الرّي رجل يقال له محمود بن الحسن الحُمَصى و كان معلّم الأثنى عشرية وكان يزعم أنّ علّياً عليَّا الشِّهِ أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد عَلَيْكِاللهُ قال والّذي يدّل عليه قوله تعالىٰ وأنفسنا وأنفسكم وليس جزء ٣ المراد بقوله و أنفسنا نفس مُحمّد عَلَيْكِاللهُ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره و أجمعوا علىٰ أنّ ذلك الغيركان علّى بن أبي طالب فدّلت الآية علىٰ أنّ نفس علّي نفس محمّدٍ.

۲-ص ۱۲۲ ۴ – ج ۳ ص ۱۵۰ ۱- ج ۱ ص ۱۲۱ ۳-ص ۱۲۴ و لا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النّفس هي عين تلك النّفس فالمراد أنّ هذه النّفس مثل تلك النّفس و ذلك يقتضي الإستواء من جميع الوجوه ترك العمل بهذا العموم في حقّ النّبوة وفي حقّ الفضل لقيام الدّلائل على أنّ محمّداً عَيَّا للله كان نبياً و ما كان عليّ كذلك و لإنعقاد الإجماع على أنّ محمّداً عَيَّا للله كان أفضل من علي و من سائر الأنبياء فيبقى فيما وراءه معمولاً به ثمّ الإجماع على أنّ محمّداً كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم أن يكون علي ثمّ الإجماع على أنّ محمّداً كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء فهذا وجه الإستدلال بظاهر الآية ثمّ قال ويُؤيّد الإستدلال بهذه الأبياء فهذا وجه الإستدلال بطاهر الآية ثمّ قال ويُؤيّد وهو الإستدلال بهذه الأبياء الحديث المقبول عند الموافق والمخالف و هو قوله علياً إلى من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في خلّته و موسى في هيبته و عيسى في صفوته فلينظر الى علي بن أبي طالب فالحديث موسى في هيبته و عيسى في صفوته فلينظر الى على بن أبي طالب فالحديث حميع الأنبياء سوى محمّد.

و أمّا سائر الشّيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدّلون بهذه الآية على أنّ عَلياً أفضل من سائر الصّحابة و ذلك لأنّ الآية لمّا ذلّت على أنّ نفس علّي مثل نفس مُحمّد إلاّ فيما خَصّه الدّليل وكان نفس مُحمّد أفضل من الصّحابة فوجب أن يكون نفس علّي أفضل أيضاً من سائر الصّحابة هذا تقرير كلام الشّيعة انتهى ما نقله الرّازي.

و هو من أحسن الدّلائل ومَعَ ذلك أبلغ تقريرٍ في المقام والى هذا المعنىٰ أشار إبن حماد حيث يقول:

وسمّاه ربّ العرش في الذّكر نفسه فحسبك ه وقال لهم هذا وصبّي و وارثي ومن ش علّيُ كرزّي من قميص إشارةُ بأن ليس و قال الجماني:

وأنسزله مسنه النببي كنفسه

فحسبك هذا القَوم أن كنت ذا خُبرٍ ومن شدّ ربّ العالمين به أزري بأن ليس يستغني القميص عم الزّر

روايــــة أبـــرارٍ تأدّت الىٰ بـــرّ

ف من نفسه فيكم كنفس محمّد الله بأبينفس المُطّهر والطّهر

و قال العَوني:

وألحقه يوم البهال بنفسه بأمرٍ أتى من رافع السموات

فمن نفسه منكم كنفس محمّدٍ

و قال الأخر:

الله سمّاه نفس أحمد في القرآن يومالبهال إذ نَـدبا

فكيف شبَّهه بطائفةٍ ذو المعارج الخَشَبا

بنى الأفك والبهتان والفجرات

و لأخر:

مــن نفسه من نفسه وجنسه من جنسه

وعــــرسه مـــن عـــرسه فـــهل له مـــعادلُ

من هذه الأشعار يُعرف أنّ علّياً عليّاً كان مشهوراً بأنّه نفس النبّي في الشّريفة و الحمد لله على ما هدانا.

إِنَّ هٰذا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْـعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

أي أنّ هذا الّذي ذكرناه لك من قصّة زكريا و يحيى و عيسى و مريم لهو القصص الحقّ ويمكن أن يكون هذا إشارة الى القرآن لإشتماله على القصص، وما مِن إله الله كلمة، ما، للنّفي أي ليس من إله إلاّ الله و قيل ، من، زائدة أي ليس إله إلاّ الله، وأنّ الله لهو القاهر فوق كلّ شئ إله إلاّ الله، وأنّ الله لهو القاهر فوق كلّ شئ حكيمٌ في أفعاله فأن تولّوا أي فأن أعرضوا عن الحقّ وأقبلوا الى الباطل فأنّ الله عليمٌ المفسدين أي من كان كذلك فهو مُفسدٌ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثال

قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعْالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوْآءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ٱللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا آشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ (٤٤)

#### ∕ اللّغة

تَعَالُوا: جمع تَعالى، قال بعضهم أصله من العُلُو وهو إرتفاع المنزلة فكأنّه دعى الى ما فيه رفعة و قيل أصله أن يدعى الإنسان الى مكانٍ مرتفع ثمّ جعل للدّعاء الى كلّ مكان.

أَرْبِابًا: جمع رَبِّ وهو في الأصل التربية.

#### ⊳ الإعراب

سَوْآء: الجمهور على الجرّ صفة للكلمة ويقرأ بالنّصب على المصدر بَيْتُنَا وَ بَيْنَكُمْ ظرف لسواء أي لتستوي الكلمة بننا أَلَّا نَعْبُدُ في موضعه وجهان. أحدهما:جرّ بدلاً من سواء أو من كلمة تقديره تعالوا الى ترك عبادة غير الله

الثَّاني: هو رفع تقديره هي أن لا نعبُد إلاَّ اللَّه، و ان مصدّرية.

#### ⊳ التّفسير

لمّا بيّن اللّه تعالى القصص الحقّ في زكريا و يحيى و عيسى و بيّن أيضاً إختلافهم في عيسى و أقام الحجّة على بطلان دعاويهم الفاسدة في عيسى بجعله ربّاً و الها أو إبناً له أو ثالث ثلاثة و امثال ذلك من الأقاويل الباطلة والإعتقادات الفاسدة حتّى انتهى.



الأمر الى المباهلة، أمر نَبّيه بأن يدعوهم الى الحقّ فقال: قُلْ يا محمّد يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ من اليهود والنّصارى و غيرهم تَعٰالَوْا أي أقبلوا الينااللي كَلِمَةٍ سَوٰ آءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ وهي كلمة التّوحيد الّتي هي سواء بين الفريقين أي عدل و وسط لا يرجّح فيه طرف على آخر هكذا قيل و يمكن أن يكون المراد أنّ جميع الملل يقولون بوجود الإله إذ الخطاب لأهل الكتاب فالكلّ مساوٍ من هذه الجهة وأن إختلفوا في سائر الجهات ألّا نَعْبُدَ إِلّا ٱللّه الواجب الوجود المستَجمع لجميع الصّفات و لا نُشْرِكَ بِه شَيْئًا لأنّه متّفرد بذاته و لا يَتَّخِذَ المستَجمع لجميع الصّفات و لا نُشْرِكَ بِه شَيْئًا لأنّه متّفرد بذاته و لا يَتَّخِذُ فيما حَلَم الله أو حرّمه وهو نظير قوله تعالى: اَتَخْذُوا أَخْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْبابًا فينْ دُونِ ٱللهِ أي أعرضوا عمّا دُعوا اليه فَقُولُوا آشْهَدُوا بِأَنّا مِنْ دُونِ الله عرضين أشهدوا بإنّا مسلمون، أي مطيعون منقادون منقادون الله و لا نتّخذ ربّاً غيره للعبادة والإطاعة.

و في هذه الآية أبحاث:

# الأوّل: في قوله تعالىٰ: قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ الىٰ قوله :بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ.

ضياء القرقان في تفسير القرآن حريج } المجلد الن

ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوْآءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ في الحقيقة دعوة عامّة و تخصيص أهل الكتاب بالذّكر لأنهم أقرب الى قبول هذه الدّعوة لكونهم مُوّحدين ظاهراً.

# الثَّانى: قوله أَلُّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.

أنّ هذا الكلام في الحقيقة تفسير وتوضيح لقوله: إلى كَلِمَةٍ سَوا أَءٍ كأنّه قيل وما هذه الكلمة التي تدعونا اليها، فقال هي أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً، كما قال لقمان لإبنه: فيا بُعْنَى لا تُشْمُونُ بِالله إِنَّ الشّبَوْنُ المَطُلُمُ عَظِيمُ (١) والمراد بالشّرك معناه العام الشّامل للجلّي والخفّي فقوله، ألّا نَعْبُدَ إلاا الله التوحيد وقوله لا نُشرك به شيئاً ينفي عنه الشّرك و فيه إشارة الى أنّ التوحيد الحقيقي لا يحصل للعبد إلاّ بنفي الشّريك عنه، قال النّبي عَلَيْهِ للمعاذ بن جبل يا معاذ هل تدري ما حقّ الله عز وجل على العباد يقولها ثلاثاً قال قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله عَلَيْهِ في الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ثمّ قال على العباد أن لا يعذبهم أو قال أن لا يدخلهم فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال أنّ لا يعذبهم أو قال أن لا يدخلهم النّار انتهي.

## الثَّالث: قوله لا يَتَّخِذَ بَعْضُنًّا بَعْضًا أَرْبَّابًا مِنْ دُون ٱللَّهِ.

أي لا نتَّبع بعضنا بعضاً في تحليل شئ أو تحريمه من غير دليل و ذلك لأنّه روي عن الصّادق عليًا في قوله تعالى: آتَخَذُوۤا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْ قال أما واللّه ما دعوهم الى عبادة أنفسهم ولو دَعوهم الى عبادة أنفسهم ما أجابوهم أحلوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

قال القُرطبي في تفسيره عند قوله: و لا يَتَّخِذَ بَعْضُنْا بَعْضًا أَرْبَابًا مِـنْ دُونِ ٱللَّهِ معناه أنَّهم أنْزَلوهم منزلة ربّهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لَم يحرّمه اللّه و لم يحلّه اللّه و هذا يدّل علىٰ بطلان القول بالإستحسان المجّرد الذِّي لا يستند الى دليل شرّعى قال الطّبري مثل إستحسانات أبي حنيفة في التّقديرات التّي قدّرها دون مستندات بيّنة قال و فيه ردٌّ على الرّوافض الّذين يقولون يجب قبول قول الإمام دون إبانة مستند شرّعي و أنّه يحلّ ما حرّمه اللّه من غير أن يبين مستنداً من الشريعة انتهى.

أقول مراده بالرّوافض الشّيعة و أنّما يسمّونهم بالرّوافض لأنّهم تركوا عمر و أبابكر و عثمان و غيرهم من الخلفاء وإتَّبعُوا أهل بيت نبيّهم و لذلك قال:

الَّذين يقولون يجب قبول قول الإمام الخ وغرضه من هذا الكلام أنَّ الشَّيعة إتَّخذوا أئمَّتهم أرباباً من دون الله لأنّهم يقولون يجب قبول قول الإمام الخ ولم يعلم القُرطبي أو علم وتجاهل أنّ الشّيعة تقول بعصمة الأئمّة كما تقول بعصمة الرَّسِول ولا فرق بين الرّسول والوَصّي من هذه الجهة فكما يقبل قول الرّسول من دون إبانة مستند شرعى لعلمه بأنّه لا ينطق عن الهَوىٰ إن هـو إلاّ وَحـيّ يُوحىٰ كذلك يقبل قول الوصّى لانّه أيضاً معصوم لا يقول إلاّ من اللّه تعالىٰ و الأصل فيه قوله عَيَّةً إلله أنّى تارك فيكم التّقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً لن يفترقا حتى يردا على الحَوض، فالشّيعة عارفٌ بالله الذِّي ليس إلاَّ هو و لذلك مطيع لأمره ونهيه بلسان رسوله الأمين فاذا قال الرّسول من كنت مَولاه فهذا علّى مولاه أو علّي مع الحقّ والحقّ مع جزء ٣ حلِّي، أو مَثَل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجَّى ومن تَخَّلَف عنها هلكً و امثال ذلك من الأخبار المتواترة عند الفريقين الحاثّة على وجوب متابعة أهل البيت بعد الرّسول فلو أخذ الشّيعة بها و عمل بها لقوله تعالىٰ: وَ مَا اتنكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهنِكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(١) فيما ذنب الشّيعة و بقولك

الرّوافض، أيّها القُرطبي بل نقول أن كان طريقة الشّيعة في متابعتهم لعلّي وأولاده حقّاً فما تقول وأن كان باطلاً وضلالة كما زعمت فالذّنب على الرّسول لا على الشّيعة لأنّه عَلَيْ الله حرّصهم و رغّبهم بل أمرَهم بمتابعة أهل بيته لا الشّيعة فقط بل كلّ المسلمين إلاّ أنّ الشّيعة أطاع الرّسول وأنتم عصيتموه و أمّا قوله دون إبانة مستند شرّعي، فيقال له عصمة الإمام مانعة عن الخطأ و النّسيان والسّهو في جميع الأُمور فضلاً عن تحليل الحرام وتحريم الحلال الذي هو من البدعة المحرّمة فكلّ ما قاله المعصوم مستند بالشّريعة قطعاً و لذلك لا يُطلب منه الدّليل على الحكم و أيّ إمام من أئمة الشّيعة حلّل حراماً أو بالعكس فالشّيعة لم يتّخذ أرباباً من دون الله و أنّما إتّخذ ربّاً أو أرباباً من دون الله من النّبي أنا أحرّمُهما و أعاقب عَليهما. هذا صريحٌ في تحريم الحّلال وهكذا قوله الصّلاة خير من النّب وقوله في هذا صريحٌ في تحريم الحّلال وهكذا قوله الصّلاة خير من النّب وقوله في من النّب عن دون الله من هذا صريحٌ في تحريم الحّلال وهكذا قوله الصّلاة خير من النّب وقوله في المنافق الم

هذا صريحٌ في تحريم الحّلال وهكذا قوله الصّلاة خير من النّوم، وقوله في صلاة التّراويح هذه بدعة و نعم البَدعة و قول صديقه نحن معاشر الأنبياء لا نوّرت ما تركناه صَدقة رَدّاً علىٰ كتاب اللّه كما يأتي البحث فيه و هكذا الفتاوي التي صدرت من مالك والشّافعي و ابن حنبل و أبى حَنيفة ممّا يستقبح ذكره فمن تبعهم علىٰ هذه البدع فهو ممّن إتَّخذ بعض النّاس ربّاً من دون اللّه غير الشّعة فأقول:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم ركبت على إسم الله في سفن النجاة وأمسكت حبل الله و هو ولائهم اذا إفترقت في الدين سبغون فرقة ولم يك ناج مسنهم غير فرقة أفسي الفرقة الهلكك آل محمد فأن قلت في الناجين فالقول راشد اذا كان قولي القوم منهم فأنني

مناهبهم في أبحر الغي والجهل وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل ونيف كما قد جاء في محكم النقل في بها ياذا التفكر والعقل أم الفرق اللائي نجت منهم قبل لي وأن قلت في الهلاك بعد عن العدل رضيت بهم لا زال في ظِلَهم ظِلَى

فحُلوا عسلياً لى ولسياً ونسله وأنــتم مــن البـاقين فــى أوسَـع الحِـلّ و لنعم ما قيل أيضاً:

اذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً ينجيك يوم البعث من لَهب النّار فدع عنك قول الشّافعي ومالكاً وأحمد والمرّوى عن كعب الإحبار وال أنـــاساً قــولهم وحَــديثهم روى جــ تنا عن جبرئيل عن الباري

الرّابع: قوله فَإِنْ تَوَلُّوا فَقُولُوا آشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

أي فأن أعرضوا عمّا دُعوا اليه فقولوا لهم أشهدوا بأنّا مسلمون وفيه إشارة الىٰ أنّه لا إكراه في الدّين وما علىٰ الرّسول إلاّ البلاغ و قال اللّه تعالىٰ:إنَّا هَدَيْناهُ ٱلسَّبيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا (١) لِيَهلِك من هَلَك عَن بَيِّنةٍ ويَحيىٰ مَن حَىّ عنها. و لنذكر في المقام رواية رواها المجلسى سَنِّنَّ في المجلد الثّاني من كتاب بحار الأنوار عن الرّضا العَلِي تناسب المقام - في علل الفضل عن الرّضا عليه فأن قال: قائل لِمَ أمَرَ اللّه الخلق بالإقرار بالله و برسله و بحججه وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ، قيل لعلل كثيرة أنّ مَن لَم يقّر بالله عزّ وجلّ لَم يجتنبه معاصيه ولَم ينته عن إرتكاب الكبائر ولَم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستّلذ من الفساد والظّلم فإذا فعل النّاس هذه الأشياء و ارتكب كلّ إنسانِ ما يشتهي ويهواه من غير مراقبةٍ لأحدٍ كان في ذلك فساد الخلق أجمعين و وثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء و السِّياء و قتل بعضهم بعضاً من غير حقٍّ و لا جرم فيكون في ذلك خراب الدّنيا و هلاك الخلق وفساد الحرث والنّسل الىٰ أن قال المَيُّلاِ فأن قال فَلِم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنّ الله تعالى واحد أحَد قيل لعلل.

أنّه لو لم يجب الإقرار والمعرفة لجاز أن يتّوهموا مُدبّرين أو أكثر من ذلك و اذا جاز ذلك لم يهتدوا الى الصّانع لهم من غيره لأنّ كلّ إنسانٍ منهم لا يدري لعلّه أنّما يعبد غير الّذي خلقه ويطيع غير الّذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم و خالقهم ولا يثبت عندهم أمر آمرٍ ولا نَهىٰ ناهٍ إذ لا يعرف الأمر بعينه و لا النّاهي من غيره و منها أنّه لو جاز أن يكون إثنين لم يكن أحَد الشّريكين أولَىٰ بأن يعبد و يطاع من الأخر و في إجازة أن يطاع ذلك الشّريك، إجازة أن لا يطاع الله و في أن لا يطاع الله و بجميع كتبه ورُسله وإثبات كلّ باطل و ترك كلّ حقٍّ و تحليل كلّ حرامٍ و تحريم كلّ حلال والدّخول في كلّ معصية والخروج من كلّ طاعةٍ وإباحة كلّ فساد وإبطال كلّ حقّ.

أنّه لو جاز أن يكون أكثر من واحدٍ لجاز لأبليس أن يدّعي أنّ ذلك الاخر حتّى يضاد اللّه تعالىٰ في جميع حكمه ويصرف العباد الىٰ نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر و أشّد النّفاق الىٰ أخر الحديث (١١).



يا آ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحاجُّونَ فَى إِبْراهيمَ وَ مَا أَنْزِلَتِ ٱلتَّوْرِيٰةُ وَ ٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِمَ أَفَلا أَنْزُلَتِ ٱلتَّوْرِيٰةُ وَ ٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِمَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٥) هَا آَنْتُمْ هَوُلا إِ خاجَجْتُمْ فَيِما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ الله فَلِمَ تُحاجُّونَ فَيِما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ الله يَعْلَمُونَ (٤٥) ما كَانَ إِبْراهيمُ لَلله يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٥) ما كَانَ إِبْراهيمُ لَلله يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٥) ما كَانَ إِبْراهيمُ مَا كُانَ مِنَ ٱلنَّهُ مُركِينَ (٧٥) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٥) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بَالْمُوا وَ الله وَلِيُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٥)

#### ⊳ اللَّغة

تُحْآجُونَ: قد مرّ فيما مضى معنىٰ المحاجّة و قلنا المُحاجّة أن يطلب كلّ واحدٍ أن يَردّ الأخر عن حجّته و محجّته.

حَنيفًا: الحَنف هو ميل عن الضّلال الى الإستقامة والجنف بعكسه يقال تحرّي طريق الإستقامة.

#### ⊳ الأعراب

لِمَ تُحْآجُونَ الأصل لِما فحُذفت الألف إِلا مِنْ بَعْدِه من يتعلّق بأنزلت هٰ أَنْتُمْ ها، للتّنبيه و قيل هي بدل من همزة الإستفهام فيما هي بمعنى الّذي أو نكرة موصوفة و عِلْمٌ مبتدأ ولكم، خبره و به، في موضع نصب على الحال لأنه صفة، العلم، في الأصل قدّمت عليه بِإِبْر أهيمَ الباء تتّعلق باولى و خبر، أن للذّينَ إتَّبعوه و أولى أفعل مَن وكلي يلي وَ هذَا النبّي معطوف على خبر أنّ،

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🗸

المجلد الخاك

## ⊳ التّفسير

يٰآ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحْآجُّونَ فَهِى إِبْراٰهـيمَ وَ مٰآ أُنْــزِلَتِ ٱلتَّــوْرِيٰةُ وَ الْاِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهٖۤ أَفَلاٰ تَعْقِلُونَ.

قلنا أنّ الأصل في، لِمَ، لِما فحُذفت الألف فَرقاً بين الإستفهام والخبر قيل هذه الآية نزلت بسبب دعوى كلّ فريق من اليهود و النّصاريٰ أنّ إبراهيم كان علىٰ دينه فأكذبهم اللّه تعالىٰ بأنّ اليهوديّة و النصرانيّة أنّماكانتا من بعده فذلك قوله تعالىٰ: وَ مٰٓا أَنْزِلَتِ ٱلتَّوْرِيٰةُ وَ ٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِمَ كلمة، ما، فـى قوله وَ مَا أَنْزِلَتِ نافية، أي لم تكن التّوراة و لا الإنجيل في زمان إبراهيم و أنّما كانتا من بعده قال الزّجاج هذه الآية أبيّن حُجّةٍ على اليهود والنّصاري إذ التّوراة و الإنجيل أنزلا من بعده وليس فيهما إسم لواحدٍ من الأديان و إسم الإسلام في كلّ كتاب و يقال كان بين إبراهيم و موسىٰ ألف سنة و بين موسىٰ و عيسىٰ أيضاً ألف سَنة قاله القُرطبي في تفسيره و قيل نزّلت الآية فـي إخـتصاص اليُـهود والنَّصاريٰ في إبراهيم و إدَّعاء كلِّ فريق منهم أنَّه كان منهم فقد نقل الطَّبري عن محمّد بن إسحاق بأسناده عن إبن عبّاس أنّه قال إجتمعت نصاريٰ نجران و أحبار يهود عند رسول اللَّه عَلَيْظِهُ فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ماكان إبراهيم إلاّ يهودّياً و قالت النّصاري ماكان إبراهيم إلاّ نصرّانياً فأنزل اللّه فيهم: يٰٓ أَهْلَ ٱلْكِتُنَابِ لِمَ تُحْآجُونَ فَمِي إِبْراهيمَ أي إنّ اليّــهودية و النّـصرانـية كـانتا مـن بعدهأنّ إبراهيم سأل اللّه أن يجعل له لسان صدقٍ في الآخرين فأستجاب اللّه دعاءه حتَّىٰ أدَّعته كلِّ فرقةٍ قالوا و معنى، في، في إبراهيم في شرعه و دينه قوله أفلا تعقلون أي هذا كلام من لا يعقل إذ كيف يعقل إنتساب المتقدّم الي المتأخر في شرّعه و دِينه، ثمّ الدّليل علىٰ أنّ إبراهيم ماكان منهما هـو أنّ المتابعة أمّا في العقائد و امّا في الأحكام أمّا أنّه لم يكن منهما في العقائد فلأنّ النّصاريٰ عبدوا عيسيٰ و قالوا بألوهيّته و أنّه اللّه أو قالوا أنّه إبن اللّه أو ثالث

، الفرقان في تفسير القرآن  $\left\langle \begin{array}{c} \mathbf{r} \\ \mathbf{r} \end{array} \right
angle$  المجلد الثالث

ثلاثة و امّا اليهو د فأنّهم قالوا أنّ عزيراً إبن اللّه ومن المعلوم أنّ إبراهيم كان بريئاً من هذه العقائد الباطلة و الأوهام الكاسدة الفاسدة هذا من حيث العقائدمن حيث الأحكام فلأنّ التّوراة والإنجيل فيهما أحكام مخالف للأحكام الّتي كانت عليها شريعة إبراهيم و من ذلك:

قال الله تعالى: فَبِظُلْمِ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ

قال اللَّه تعالى: إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ (٢٠).

و غير ذلك فلا يمكن أن يكون إبراهيم علىٰ دين حدث بعده بأزمنة متطاولة و ذكر بعض المؤّرخين أنّ بين إبراهيم و موسىٰ ألف سنة و بينه و بين عيسىٰ ألفان و قيل كان بين إبراهيم و موسىٰ خمس مِائة سنة و خَـمس و سبعون سنة وبين موسى و عيسى ألف سنة وست مائة وإثنان و ثلاثون سنة و قيل غير ذلك.

أن قلت يلزم على هذا أن لا يكون إبراهيم مسلماً أيضاً بالدّليل المتقدّم و هو أنّه كيف يعقل أن ينسب المتقدّم الي المتأخّر، ومن المعلوم تقدّم إبراهيم و شريعته على محمّد عَلَيْظِهُ وشريعته بزمانِ أكثر و اذاكان كذلك فكيف قال اللّه تعالىٰ: وَ لَٰكِنْ كَانَ حَنيفًا مُسْلِمًا كما سيأتي، قلت سيأتي الجواب عنه إن شاء اللَّه فثبت وتحقَّق أنَّ إبراهيم عَاليُّكِ ما كان منهما و شريعته كـانت غـير شريعتهما وهو المطلوب ثمّ أن هيهنا كلام مع اليَهُود و إدّعائهم أنّهم على ملّة جزء على الله على السّرع، وقولهم بأنّ إبراهيم ما كان إلاّ يَهوّدياً مع إنكارهم النّسخ في الشّرع، فيقال لهم أن كان النَّسخ في الشّريعة غير جائز فكان موسىٰ نبّياً تابعاً لإبراهيم في شريعته و مُرّوجاً لها ولم يكن صاحب شريعةٍ مُستّقلةٍ و أنتم لا تقولون به وأن كان صاحب شريعةٍ ودينِ مُستّقل كما تقولون فكيف تنكرون النّسخ

لقرآن

ضرورة أنّ النَّسخ هو الذي يُثبت الشّريعة المُستقلة و اذا قلتم بجواز النَسخ بل وقوعه في دينكم فَلِمَ لا تقولون به في دين الإسلام و تقولون بإستحالة النَسخ و بعبارة أخرى معنى قولكم أنّ إبراهيم كان يهوّدياً هو أنّ دينكم دينه و عليه فدين إبراهيم لم ينسخ و اذا كان كذلك فموسىٰ تابع له في دينه فليس بنبّي مُرسلٍ و لا صاحب شريعة وليس لليهود جواب عن هذا الإشكال إلا على القول بجواز النسخ و وقوعه و اذا جاز و وقع لموسىٰ فقد وقع لمحمّد عَلَيْقِيْلُهُ المُضاً بعد موسىٰ وعيسىٰ وثبت المطلوب.

هٰ آ أَنْتُمْ هَوُ لا ءِ خَاجَجْتُمْ فيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُخَاجُّونَ فيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَمَ تُخاجُّونَ فيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ ٱلله يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ.

هاللتنبيه و أنتم، مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم حاججتم فيما لكم به علم ممّا نَطق به التّوراة و الإنجيل فَلِمَ تحاجّون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم و قيل، الذّي لهم به علم هو أمر محمّد عَلَيْظَالُهُ لأنهم وجدوا نعته في كتبهم فجادلوا بالباطل و امّا الذّي ليس لهم به علم هو أمر إبراهيم.

وقل المعنى أي زعمتم أنّ شريعة التوراة والإنجيل مخالفة لشريعة القرأن فكيف تُحاجّون فيما ليس لكم به عِلم وهو إدّعائهم أنّ شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة مُحمّد عَلَيْ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ.

أمّا قوله: **وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ لأنّه** عالم بكلّ شيّ ومع ذلك هُو الّذي خَلَق الأنبياء و غيرهم ثمّ بعثهم ِالىٰ الخلق و هو الّذي جعل الأديان و الشّرائع.

و أَمَا قُوله: وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فهو واضح لقوله تعالىٰ: وَ مَا أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلْيلًا (١) ففي الآية دلالة على قبح الإحتجاج في صورة عدم العلم لأنّه دليل على الحَماقة والسّفه ولنعم ما قيل:

وأجسادهم قبل القبور قبور فليس له حتى النشور نشور

و في الجهل قبل المَوت موتُ لأهله و أنّ إمرؤاً لم يُحيين بالعلم قلبه

مَا كَانَ إِبْراْهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْراْنِيًّا وَ لَكِنْ كَانَ حَنيفًا مُسْلِمًا وَ مَا كَانَ منَ ٱلْمُشْركينَ.

ما، للنَّفي نفيٰ اللَّه تعالىٰ عن إبراهيم اليَّهودية والنَّصرانية وأثَّبت له عَلْيُكْلِا الميل الن الإسلام خالصاً ثمّ نفي عنه الشّرك في الأية، ثلاث مسائل: الأولى: ماكانَ إبْراهيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا.

الثَّانية: وَ لَكِنْ كَانَ حَنيفًا مُسْلمًا.

الثَّالثة: وَ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ.

أمّا المسألة الأولى: فأعلم أنّه لما عاتَب اللّه اليّهُود و النّصاري في محاجّتهم وٍ قال: يٰٓآ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحْآجُّونَ فَهِي إِبْراْهِيمَـٰتُمَ أَكـٰذِبهم بـقوله: وَ مُآ أَنْزِلَتِ ٱلتَّوْرِيٰةُ وَ ٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِمْ وعا تبهم ثانياً بقوله: فَلِمَ تُحْاِّجُونَ فيمًا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ يعني في أمر إبراهيم و قال: وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَكَأَنَّه سائلاً يسأل ويقول فما كان شأن إبراهيم من حيث الدّين فقال اللَّه تعالىٰ في الجواب مُاكَانَ إِبْراْهِيمُ يَهُودِيًّا ، خلافاً لليهود حيث زعموا أنَّه منهم وَ لا نَصْرانِيًّا خلافاً للنَّصاري حيث زَعموا أنَّه منهم فأعلم اللَّه تعالى براءة إبراهيم من هذه الأديان وبَدأ بإنتفاء اليّهودية لأنّ شريعة اليّهودكانت أقدم من شريعة النّصاري وكرَّر، لا، لتأكيد النّفي عن كل واحدٍ من الدّينين أمّا أنّه لم يكن من اليهود لأنّ اليهُود جعل عُزيراً ابن اللّه و امّا أنّـه لم يكن من جزء ٣ النّصاري لأنّ النّصاري جعل عيسيٰ إلٰهاً و معبُوداً أو أنّه ابن اللّه والخليل كان

منزّهاً عن هذه الخرافات. المسألة الثّانية: وَ لٰكِنْ كَانَ حَنيفًا مُسْلِمًا كأنّه قيل فعلى أيّ دينِ كان فقال تعالى و لكن كان حنيفاً أي مايلاً الى الحقّ معرضاً عن الباطل، مُسلماً، أي مُطيعاً و مُنقاداً لِلَّه تعالىٰ مُوَّحِداً إيّاه.

القرآن

المسألة الثَّالثة: وَ مَا كَانَ مِن أَلْمُشْرِكِينَ أَي وما كان إبراهيم من المُشركين بالله أصلاً يحتمل أن يكون المراد بالمشركين في المقام اليهُود و النّصاري وذلك لأنّ اليهود زعمت أنّ عُزيراً ابن اللّه فهُم مُشركون و قالت النَّصاريٰ بالوهِّية عيسيٰ و قال بعضهم أنَّ عيسيٰ ابن اللَّه فهُم أيضاً مُشركون، و امًا الخليل فكان منزّهاً عن الشّرك به فكيف يقولون أنّ إبراهيم كان منهم، و يحتمل أن يكون المراد بالشُّرك في الآية معناه العامِّ الشَّامل لليَهود والنَّصاريٰ و غيرهم من الكفّار و عليه فالمعنىٰ أنّ إبراهيم كان مُعرضاً عن الشّرك مُطلقاً و كيف كان ففي الآية دلالة علىٰ أنّ إدّعائهم أنّ إبراهيم كان منهم باطلٌ بل هو إفتراء عليه و أيضاً فيها إشارة الى أنّ الدّين الواقعي هو الإسلام والأنبياء كلّهم كانوا عليه إلاَّ أنَّ النَّاسِ إختلفوا بعدهم وخَرجُوا عمَّا كان نَبيهم عليه بعد موته فإبراهيم عَلَيُّكُ كَان مسلماً و هكذا الأنبياء بعده إلاّ أنّ الأمم غيّروا الأديان عمّا كانت عليه من التّوحيد والتّسليم و الإنقياد لِلّه تعالىٰ و بذلك خَرجُـوا عـن الإسلام و دخلوا في الكُفر و الشّرك من حيث لا يعلمون فأولى النّاس بإبراهيم المؤمنين به والى هذا أشار الله تعالىٰ بقوله:

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْراهِم لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ في توحيده وإنقياده لِلَه سواء كان من اليهود أم من النصارى وَ هٰذَا ٱلنَّبِيُّ أي نبّي الإسلام وَ ٱلَّذِينَ المَنُوا به وُ وَاللّه وَ ٱللّهُ وَلِيُّ ٱلنَّهِ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ كما قال تعالىٰ:اَللّهُ وَلِيُّ ٱلنَّذِينَ امَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الطَّلُهَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ (١) وسيأتي الكلام في إبراهيم وتوحيده مفصلاً إن شاء الله تعالىٰ.

وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ مَا يُضِلُّونَكُمْ وَ مَا يُضِلُّونَ (٤٩) يَآ أَهْلَ يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٤٩) يَآ أَهْلَ ٱلْكِستَابِ لِم تَلْسِسُونَ ٱلْحَقَّ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَآ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْسِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِل وَ تَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

#### ⊘ اللّغة

وَدَّتْ: الْوُد بضمّ الواو محبّة الشّئ و تمنّي كونه و يستعمل في كلّ واحدٍ من المعنّيين على أنّ التّمني يتضمّن معنى الوُّد لأنّ التّمني هو تشتهي حصول ما توَّده. طَآئِفَةٌ: الطّائفة من النّاس جماعة منهم و من الشّئ القطعة منه.

تَلْبِسُونَ: لَبَسَ الثّوب، إستتربه و أَلْبَسه عنيره، و اللّبُس، مـا يُــلبس و مـنه اللّباس : واللّبُوس.

تَكْتُمُونَ: الكتمان ضدّ الإظهار.

### ⊳ الإعراب

لِمَ تَكْبِسُونَ لِمَ أصله، لِما، حُذفت الألف لاتصالها بالحرف الجارّ مع وقوعها ظرفاً ولدلالة الفتحة عليها وكذلك بم وعَمَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ في موضع الحال.

#### ⊳ التّفسير

وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتٰابِ أَي تَمَّنَت جماعة منهم لَوْ يُضِلُّونَكُمْ عن دينكم وَ مَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ أَي لا يَرجع وبال إضلالهم إلا على أنفسهم و لا يلحق ضرره إلا بهم و ما يَشْعُرُونَ أي وما يعلمون عَود الوبال اليهم و قيل معناه و ما يعلمُون أنّ الله يدّل المؤمنين على ضلالهم و اضلالهم، و قيل معناه

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

اللاء بخد الناد

وما يشعرون، أنِّهم ضُّلال لجهلم وحماقتهم عن أبى علَّى الجبائى، قيل أنَّها نزلت في معاذ و حذيفة و عمّار، دَعاهم يهود بني النّضير وقريظة وقينقاع الي ا دينهم و قيل دعاهم جماعة من أهل نجران و من يهُود و قال ابن عبّاس هم اليهُود و قالوا لمعاذ و عمّار تركتما دينكما و اتَّبعتما دين محمّد عَلَيْكِاللَّهُ فنزّلت الأيةبعض المفسّرين عيَّرتهم اليهُود بوقعة أحد، قال أبو مُسلم، ودَّ بمعنى تمّنيٰ فتستعمل معها، لو، وأن، و ربما جمع بينهما فيقال وددتُ أن لو فعل و مصدره الودادة والإسم منه، ودّ، و قد يتداخلان في المصدر والإسم، و قال الرّاغب اذا كان وُدّ، بمعنى أحبّ لا يجوز إدخال لو فيه أبداً، و قال على بن عيسىٰ اذاكان، وَدّ، بمعنى تمّنىٰ صلح للماضي و الحال و الإستقبال و اذاكان بمعنىٰ المحبّة و الإرادة لم يصلح للماضي لأنّ الإرادة كإستدعاء الفعل و اذا كان للحال و المستقبل جاز أن. ولَو، و اذا كان للماضي لم يُجز، أن، لأنّ أن، للمستقبل، ثمّ أنّ مفعول، وُدّ، محذوف و جواب، لو محذوف، حُذف من كلِّ من الجملتين ما يدُّل عليه والتقدّير، يردُّوا إضِلالكم لو يضلُّونكم، لسَّروا بذلك، قال بعض المفسّرين في قوله: وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أَن كان معنيٰ الإضلال الإهلاك فالمعنى أنهم يهلكون أنفسهم وأشياعهم لإستحقاقهم بإيثارهم إهلاك المؤمنين، سخط الله و غضبه.

و أن كان معناه الإخراج عن الدّين فذلك حاصل لهم بجحدهم نبوّة رسول اللّه و تغيير صفته فصاروا بذلك كفّاراً و خرجوا عن ملّة موسى و عيسىٰ.

و أن كان المعنى الإيقاع في الضّلال فذلك أيضاً حاصل لهم لتمكّنهم من إنّباع الهدى بايضاح الحجج و انزال الكتب وإرسال الرُسُل و قال في قوله: وَ مَا يَشْعُرُونَ أَنَّ ذلك الضّلال هو مختّص بهم أي لا يفطنون لذلك لما دق أمره و خفي عليهم لما إعترى قلوبهم من القساوة فهم لا يعلمُون أنّهم يضلّون أنفسهم ودلّ ذلك على أنّ مَن أخطأ الحقّ جاهلاً، كان ضّالاً و قيل أي لا يصلون الى إضلالكم، أو ما يشعرون أنّ اللّه يدّل المسلمين على حالهم و يطلّعهم على إضلالكم، أو ما يشعرون أنّ اللّه يدّل المسلمين على حالهم و يطلّعهم على

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثال

مكرهم و ضلالتهم هذا ما قاله المفسّرون في الآية قُـل: يَآ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكُفُّرُونَ بِاياتِ ٱللَّهِ المراد بأهل الكتاب هو اليهُود والنَّصارى وبـالكتاب التُّوراة والإنجيل أي قل لهم يا محمّد عَلَيْظِيُّهُ، لم تكفرون بأيات اللّه، أي لِـمَ تُحَرِّفُون الكتاب و تُغَيّرون أحكامه عمّا هي عليه من وصف النّبي أو مـطلقاً بتحليل الحرام وتحريم الحرام و يحتمل أن يكون المراد من الكفر بأيات الله،الكفر بأيات اللَّه في القرأن من جهة قولهم أنَّما يعلمه بشر إن هذا إلاَّ إفك أساطير الأوّلين، هذا إذا قلنا بأنّ المراد من الأيات الأيات الشّريفة في التّوراة والإنجيل والقرآن كما هو الظّاهر ولا يبعد أن يكون المراد بالأيات الأعمّ من التّكوينية و التّشريعية لتشتمل إنكارهم إنشّقاق القمر، وحنين الجذع و تسبيح الحصى في كفّه عُيِّكُولُهُ و في رأسها النبوّة والرّسالة، و قيل المراد كفرهم بما كان يتلو عليهم الرّسول من أسرار كتبهم و غريب أخبارهم وفي قوله و أنْتُمْ تَشْهَدُونَ أي والحال أنَّكم تشهدون أنَّها آيات الله، و قيل وأنتم تشهدون بما يدّل على صحتها من كتابكم الّذي في البشارة، أو أنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء الّتي تقرّون بها، و قيل تكفرون بها بألسنتكم و تشهدون بصحتّها بقلوبكم و عقولكم ولذلك قال تعالى:

يْ آَهُلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَي لِمَ تَستَرُونِ الحقّ بالباطل أو تخلطون الحقّ بالباطل و تَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ أَي تسترونه و أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أي والحال أنتم تعلمون إخفاء الحقّ و إظهار الباطل ثمّ أنّهم إختلفوا في تفسيرمن جهة إختلافهم في تفسير الحقّ، فقال قوم المراد بالحقّ هو ماكانوا يجدونه في كتبهم من صفة الرّسول والمراد بالباطل هو الذي يكتبونه بأيديهم و يحرّفونه: قال اللّه تعالى: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدُهُمْ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ وَ ٱلْإِنْجِيلِ(١).

قال الله تعالى: يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَواٰضِعِهٖ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا لَهُ اللهِ عَالَى: المُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَواٰضِعِهٖ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا للهُ اللهُ عَالَى: اللهُ عَالَى: اللهُ عَالَى: اللهُ عَالَى: اللهُ عَالَى اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَالَى اللهُ عَالَى اللهُ عَالَى اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ عَلَيْ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَلَيْكُولُوا اللهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهِ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُوا عَلْمُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلْمُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَي

قال الله تعالى: يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِه (١).

و قيل المراد إظهار الإسلام و ابطال اليّهودية والنّصرانية قاله قتادة وإبن جرير والثعلبي ُ و قيل الإيمان بموسىٰ و عيسىٰ و الكفر بالرّسول، و قال أبو علّى كانوا يتأولون الأيات الّتي فيها الدّلالة علىٰ نبوّة محمّدٍ عَلَيْكِاللهُ على خلاف تأويلها ليظهر منها للعوام خلاف ماهي عليه، و أنتم تعلمون، بطلان ما تقولون، أقول يظهر من كلمات المفسّرين أنّ المناديٰ في الأيتين الأخيرتين اليَهُود و النّصاري لأنّهم كفروا بآيات اللّه و لبسوا الحقّ بالباطل وكتموا الحقّ علىٰ مرّ بيانه، و لا دليل لهم على تخصيص الآيتين بهم و ذلك لانٌ قوله تعالىٰ: يٰٓا أَهْلُ ٱلْكِتَابِ يشمل كلّ من له كتاب فهو شامل للمسلمين أيضاً و التخصّيص بهما يحتاج الى دليل متصّل أو منفصل و إذ ليس فليس فيؤخذ لعموم اللّفظ هذا بالنظّر الى ظاهر اللّفظ و امّا بالنّظر الى المعنىٰ فالشّمول أوضح لأنّ تـلبيس الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ مع العلم بكونه حقّاً ليس منحصراً بهم أي بـغير المسلمين فانّهم أيضاً كفروا بأيات اللّه بعد الرّسول و لبسوا الحقّ بـالباطل و كتموا الحقّ أشدّ و أكثر من اليهود والنّصاريٰ فالذّم شامل لهم أيضاً وأيّ حقٍّ . كان أظهر و أبين و أجلى من حقّ أهل البيت ولا سيّما أمير المؤمنين عليُّلاِّ الّذي قال رسول اللّه فيه من كنت مولاه فهذا علّى مولاه الخ.. و أمثاله من النّصوص الجلِّية الَّتي لا خفاء بها أصلاً، ثمّ أيّ كتمان للحقّ.

أفجع و أفظع من كتمان حقّه عليُّا لا وحقّهم بعد الرّسول في جميع الأديان ولنعم ما قال الشّاعر:

فلم أر مثل داك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيغاً

وأمّا تحريفهم الكلم عن مواضعه فسيأتي بيانه في محلّه قال اللّه تعالى:أَتَأْمُرُونَ ٱلنّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ (٢)

وَ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ الْمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ الْمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهْارِ وَ ٱكْفُرُوَا اخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٧) وَ لا تُؤْمِنُوۤ اللَّالِمِنْ تَبِعَ دينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدٰى هُدَى ٱللَّهِ أَنْ يُـوْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتيتُمْ أَوْ يُخآجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَ ٱللَّهُ والسِعُ عَليمُ (٧٧) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِه مَنْ يَشَآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظيم (٧٢)

#### ⊘ اللّغة

طْآرِنْفَة: الطائفة الجماعة.

وَجْهَ ٱلنَّهَارِ: أي أوَّلَه سُمِّي وجهاً لأنَّه أحسَنه والباقي واضح.

#### ⊳ الإعراب

وَجْهَ ٱلنَّهَارِ الوَجه ظرف لآمنوا و يجوز أن يكون ظرفاً، لأُنزِل إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ فيه وجهان.

أحدهما: أنّه إستثناء عما قبله والتقدّير ولا ولا تقرّوا إلاّ لمن تَبع فعلى هذا اللاّم غير زائدة و يجوز أن تون زائدة و أن تكوت محمولاً على المعنىٰ أي أجحدوا وكلّ أحَد إلاّ من تبع.

الثّانى: أنّ النّية التّأخير و التقدّير و لا تصدّقوا أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم إلاّ من تبع دينكم فاللاّم على هذا زائدة و من، في موضع نصب على الإستثناء من، أحَد.

المجلد الثالث

قُلْ إِنَّ ٱلْهُدى معترضٌ بين الكلامين لأنّه مشدّد أَنْ يُـؤْتِي أَحَـدٌ في موضعه ثلاثة أوجه:

أحدها: جرّ تقديره ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد.

الثَّاني: نصب على تقدير حذف حرف الجرِّ.

الثّالث: أن يكون مفعولاً من أجله تقديره ولا تُؤمنوا إلاّ لمن تَبع ديـنكم مخافة أن يُؤتى أحد.

أَوْ يُحْآجُوكُمْ معطوف عَلىٰ، يُؤتى، وجمع الضّمير لأحدِ لأنّه في مذهب الجمع، ويقرأ أن يُؤتى علىٰ الإستئناف وموضعه رفع علىٰ أنّه مبتدأ تقديره إتيان أحد مثل ما أُوتيتم يُمكن أو يُصدق ويجوز أن يكون في موضع نصب تقديره أتصدّقون ن يُؤتيهِ مَنْ يَشْآءُيجوز فيه الإستئناف ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو يُؤتيه.

#### ⊳ التّفسير

وَ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ قيل أَنْ المراد بهم اليَهُود أي قال بعضهم لبعض أمِنُوا بِالَّذِي أَنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ الْمَنُوا أي قالوا لهم أمِنوا بالكتاب القرأن و بالكتاب الذي أنزل على من آمن به و هم المُسلمون و المراد بالكتاب القرأن و بعبارة أخرى قالوالهم، أمِنُوا بالقرأن ويما جاء به محمّد عَيَّ اللهُ وَجُهَ ٱلنَّهارِ أي اللهار وَ ٱكْفُرُوا به وبما جاء به أخِرَهُ أي أخر النهار لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عمّا كانوا عليه من الإسلام قيل نزلت الآية في كعب بن الأشرف و مالك بن الصيف وذلك لأنهم قالوا للسفلة من قومهم، أمنوا بالذي أنزل على محمّد أي أظهروا الإيمان بمحمّد في أول النهار ثمّ أكفروا به أخره فأنكم اذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه إرتياب في دينه فيرجعون عن دينه الى دينكم و يقولون أنّ أهل الكتاب أعلم به مِنًا.

ضياء القرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} \mathbf{x} \\ \mathbf{y} \end{array}
ight\}$  الدجلا الثالث

و قيل المعنى أمنوا بصَلاته في أوّل النّهار الى بيت المقدّس فأنّه الحقّ و أكفروا بصلاته أخر النّهار الى الكعبة لعلّهم يرجعون الى قبلتكم، و قال مقاتل معناه أنّهم جاءوا محمّداً عَلَيْوَاللهُ أوّل النّهار و رجعوا من عنده فقالوا للسَّفلة هو حقّ فإتَّبعوه ثمّ قالوا حتّى ننظر في التّوراة ثمّ رجعوا في أخر النّهار فقالوا قد نظرنا في التّوراة فليس هو به يقولون أنّه ليس بحقّ و أنّما أرادوا أن يلبسوا على السَّفلة و أن يشككوا فيه

و عن تفسير علّي بن إبراهيم في قوله: وَ قَالَتْ طَآيَفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ قَالَ نزلت في قومٍ من اليهُود قالوا أمنًا بالذّي أنزل على محمّدِ بالغداة وكفروا به بالعَشى.

و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عاليّا في قوله: و قالَتْ طَآتِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتْابِ قال عاليّا أنّ رسول اللّه عَيَالِيّه لما قدِم المدينة و هو يصلّي نحو البيت المقدّس أعجب من ذلك اليهود فلمّا صَرفه اللّه عن بيت المقدّس الى بيت الله الحرام وجدت اليهود من ذلك وكان صرف القبلة صلاة الظّهر فقالوا صلّى محمّد الغداة و إستقبل قبلتنا فأمنوا بالّذي أنزل على محمّد وجه النّهار و أكفروا أخره يعنون القبلة حين إستقبل رسول اللّه عَيَالِيّه المسجد الحرام، لعلّهم يرجعون، الى قبلتنا انتهى.

# وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دينَكُمْ

الظّاهر أنّه من كلام طائفة اليهُود بحكم العطف أي أنّهم قالوا للسَّفَلة لا تؤمنوا إلاّ لمن تَبع دينكم و هو دين اليَهُود فيرجع معناه لا تُؤمنوا إلاّ باليهود و من تابع اليَهُود في دينهم قُلْ إِنَّ ٱلْهُدى هُدَى ٱللّهِ أي قُل لهم يا محمّد أنّ الهدى هدى الله لا ما رُمتم من الخداع بتلك المقالة وذاك الفعل لمخافة أَنْ يُوْ تَي أَحَدُ مِثْلَ مَا أُو تيتُمْ أُو يُحاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يعني أنّما قلتم ذلك القول و دبَّرتم تلك المكيدة حسداً و خوفاً من أن تذهب رئاستكم و يشارككم

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الثالد

، الفرقان في تفسير القرآن كي كي العجا

فيها أحد غيركم أو يحاجّوكم عند ربّكم أي يقيمون الحجّة عليكم عند الله اذ كتابكم و هو التّوراة أو الإنجيل طامح بنبّوة رسول الله عَيَّ الله مُلزمٌ لكم أن تؤمنوا به و تتبعوه و يؤيد هذا المعنى قوله: قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللهِ يُؤْ تيهِ مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللهُ والسِعُ أي أنه واسع الرّحمة عَليمٌ بكلّ شئ.

إعلم أنّ هذه الآية أشَكَل ما في السُّورة بل وفي القرأن و لذلك نقل عن الواحدي أنّه قال أنّ هذه الآية من مشكلات القرأن و أصعبه تفسيراً و لذلك إختلفوا في تفسيرها.

فروي عن الحَسن و مجاهد أنّ معنىٰ الآية وَ لا تُؤْمِنُوۤا إلّٰا لِــمَنْ تَــبعَ دينَكُمْ ولا تؤمنوا أن يحاجُوكم عند ربّكم لأنّهم لا حجّة لهم فأنكم أصَّح منهم ديناً و أن يحاجُّوكم، في موضع خفض أي بأن يحاجُّوكم أي بإحتجاجهم، أي لا تصدّقوهم في ذلك فأنّهم لا حجّة لهم أنْ يُؤْتنيّ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُو تيتُمْ من التّوراة و المَّن والسَّلوي و فرق البحر و غيرها من الأيات و الفضائل فيكون أنُّ يُؤْتَى مؤخراً بعد أَوْ يُحْآجُّوكُمْ و قوله: إِنَّ ٱلْهُدٰي هُدَى ٱللَّهِ إعتراض بين كلامين هذا وقال الأخفش المعنى ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم و لا تصدّقوا أن يحاجّوكم، يذهب الىٰ أنّه معطوف و قيل المعنىٰ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يُؤتى أحد مثل ما أوتيتم فالمدّعى الإستفهام أيضاً تأكيداً للإنكار الذّي قالوه أنّه لا يُؤتى أحد مثل ما أوتوه لأنّ علماء اليّهُود قالت لهم، لا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم أن يُؤتى أحد مثل ما أوتيتم أي لا يؤتى أحَد مثل ما أوتيتم فالكلام على نسقه و، أن، في موضع رفع في قولك أزيد ضربته والخبر محذوف تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تصدَّقون أو تقرّون أي إيتاء موجود مصدّق أو مقرّ به أي لا تصدَّقون بذلك، و في الآية أقوال مختلفة من أراد الإطّلاع عليها فليطلبها من مظّانها، و نقل الطّبرسي مَثِّئُ قولاً أخر و هو أن يكون الكلام من أوّل الآية الى أخرها لِلّه تعالىٰ و تقديره و لا تؤمنوا أيها المؤمنون إلاّ لمن تبع دينكم و هو دين الإسلام و لا تصدّقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدّين فلا نبّي بعد نبّيكم و لا شريعة بعد شريعتكم الىٰ يوم القيامة و لا تصدّقوا بأن يكون لأحد حجّة عليكم عند ربّكم لأنّ دينكم خير الأديان و أنّ الهدىٰ هدى الله و أنّ الفضل بيد الله فتكون الأية كلّها خطاباً للمؤمنين من الله تعالىٰ عند تلبيس اليَهُود عليهم لئلا يزّلُوا و يدّل عليه ما قاله الضّحاك أنّ اليَهُود قالوا أنّا نحاج عند ربّنا من خالفنا في ديننا فَبَيّن الله تعالىٰ أنّهم هم المدحضون المغلّوبون و أنّ المؤمنين هم الغالبُون انتهىٰ كلامه رُفع مقامه.

أقول ما ذكره مَنْ أَنُّ لا بأس به بل هو متينٌ جدًا اذ لا دليل على أنّ الكلام كلام ليهُو د.

# يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَصْٰلِ ٱلْعَظهِمِ

فقيل المراد بالرَّحمة هنا النّبوة أي يفرد بنّبوته من يشاء و قيل المراد بالرّحمة الإسلام والقرأن، والحقّ أنّ المراد بها معناها العامّ الشّامل لهما و لغيرهما وأن كانت النّبوة والإسلام من أكمل مصاديقها و ذلك لأنّ الخير كلّه بيّده وما سواه محتاج اليه ثمّ أنّ هذه الأيات قد تضمّنت من البديع، التّجنيس المماثل، و التّكرار في أمنوا و أمنوا، و في الهّدى، هُدىٰ اللّه، وفي يُـوتى و أوتيتم، والتّكرار في إسم الله في أربعة مواضع، والطّباق في أمنوا، و أكفروا، و في وجه النّهار لأنّه وقت إجتماعهم في وجه النّهار لأنّه وقت إجتماعهم بالمثالهم من الكفّار.

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🗲 🕏 ئې

ضياء الغرقان فى تفسير القرآن كمسيح العا

#### اللّغة

بِقِنْطْارِ: قال في المفردات القَنطرة من المال ما فيه عبور الحياة تَشبيها بالقَنطَرة وُذلك غير محدود القدر في نفسه وأنّما هو بسبب الإضافة كالغَنّي ولما قلنا إختلفوا في حدّه فقيل أربعون أوقية و قال الحَسن ألّف ومائتا دينار، وقيل مِلّ مَسك ثِور ذهباً الىٰ غير ذلك.

يُؤَدِّهَ: من أُدَّىٰ يُؤدّى و مصدره التّأدية.

دُمْتَ: فعل أمرٍ من دامَ يَدُوم والباقي واضح.

#### ⊳ الإعراب

مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ من، مبتدا و مِنْ أَهْلِ آلْكِتَابِ خبره قدّم عليه والشّرط و جوابه صفة لِمَن، لأنها نكرة وكما يقع الشّرط خبراً يقع صلةً وصفةً وحالاً بقينظار الباء بمعنى، على إلّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ ما، في موضع نصب على الظّرف أي إلاّ مدة دوامك و يجوز أن يكون حالاً لأنّ، ما، مصدّرية و المصدر قد يقع حالاً والتّقدير إلاّ في حال ملازمتك ؤ ذٰلك بِأنّهُمْ أي ذلك مستحق فأنّهم في آلاً مُبّن صفة سَبِيلٌ قدّمت عليه فصارت حالاً و يقُولُون عَلَى آلله يجوز أن يتعلّق، على، بيقولُون لأنّه

بمعنى يفترون و يجوز أن يكون حالاً من الكِذب مُقدّماً عليه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ جملة في موضع الحال.

#### ⊳ التّفسير

أخبر الله تعالىٰ أنّ في أهل الكتاب الخائن و الأمين و جمهور المفسّرين على أنّ المراد بأهل الكتاب اليّهُود والنّصاري و قيل أهل الكتاب عني به القرأن قاله ابن جريح و قيل المراد اليَهُود لأنّ هذا القول: لَيْسَ عَـلَيْنَا فِـي ٱلْأُمِّيِّنَ سَبيِلٌ لَم يقله و لَم يعتقده إلاّ اليَهُود؛ و قيل: مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارِ هم النّصاري لغلبة الأمانة عليهم و مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدينَارِ هَـم اليَـهُودُ لَغَـلَبَةً الحيانة عليهم و قال ابن عبّاس مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارِ هُو عبد الله بن سلام إستودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوَقية ذهباً فأدّاه اليه و مَنْ إِنْ تَأَمَـنْهُ بِدينارِ لا يُؤَدِّهَ إِلَيْكَ فخاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديـناراً

وَ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ من للتَّبعِيض أي بعضهم كذلك مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارِ منِ المال يُؤَدِّمَ إِلَيْكَ أي يُؤدِّي المال اليك ومنهم، أي من أهل الكتاب مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدينَارِ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كما هو شأن الخائن إلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا إختلفوا في تفسيره فقال قتادة و مجاهد والزّجاج و الفّراء و ابن قتيبة معناه، متقاضياً بأنواع التقاضي من الخفر و المرافعة الى الحكّام فليس المراد هيئة جزء ٣ ل القيام أنّما هو من قيام المرء على أشغاله أي إجتهاده فيها، و قال السّدي و غيره، قائماً برأسه و هي الهيئة المعروفة و ذلك نهاية الخفر لأنّ معنىٰ ذلك أنّه في صدد شغل أخر يريد أن يستقبله وذهب الي هذا التّأويل جماعة من فقهاء العامّة و انتزعوا من الآية جواز السّجن لأنّ الّذي يقوم عليه غريمه هو يمنعه من تصّرفاته في غير القضاء و لا فرق بين المَنع من التّصرفات و بين السّجن،

معنىٰ الكلام أي قائماً بوجهك فيهابك و يستحي منك و امثال ذلك من الإحتمالات كثيرة والظاهر من قوله: إلا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً أنّه كناية عن الملازمة والمواظبة على المديُون بحيث اذا تركته لا يُؤدّي المال اليك ذلك بأنّهُم قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي اللاَّمِينَ سَبِيلٌ رُوي أنّ بني إسرائيل كانوا يعتقدون استحلال أموال العرب لكونهم أهل أوثان فلمّا جاء الإسلام و أسلم من العَرب بقي اليَهُود فيهم على ذلك الإعتقاد فنزلت الآية مانعة من ذلك وقال رسول الله عَيَّالَهُ كُلُ شِئ من أمر الجاهلية فهو قدمي إلاّ الأمانة فأنها مؤدّاة الى البّر والفاجر والإشارة بذلك الى تَرك الأداء الذي دلّ عليه لا يُؤدّي أي كونهم لا يُؤدّون الأمانة وَ يَقُولُونَ عَلَى اللهِ النّوراة إحلالاً لهم أموال الأمين وابن جريح وغيرهما إدّعت طائفة من أهل الكتاب أنّ في التّوراة إحلالاً لهم أموال الأمين كذباً منها و هي عالمة بكذبها (بلئ) جواب لقولهم لَيْسَ عَلَيْنا فِي الأُمّيين سبيلٌ وهذا متقض لدعواهم والمعنى بلى عليهم في الأميين سبيل.

## مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَ ٱتَّقَى فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقينَ.

يحتمل أن يكون الهاء في ، بعهده عائدة على ، إسم الله في قوله و يَقُولُونَ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ الله الي عباده أمره ونهيه ، ويحتمل أن يكون عائدة الى من ، أوفى و المعنى بعهد نفسه لأنّ العهد يضاف تارة الى العاهد وتارة الى المعهود له وإتّقى أي وإتّقى الخيانة و نقض يضاف تارة الى العاهد قَإِنَّ الله يُحبّه إلا أنه عَدل الى ذكر العتهد قَإِنَّ الله يُحبّه إلا أنه عَدل الى ذكر المتقين ليبين الصّفة التي يجب لها محبّة الله و هذه صفة المؤمن فكأنّه قال والله يحبّ المؤمنين و لا يحبّ اليّهود قاله الطّبرسي في تفسيره، قال رسول الله يحبّ المؤمنين و لا يحبّ اليّهود قاله الطّبرسي في تفسيره، قال رسول الله عَلَيْ أُربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً و من كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّى يدعها، اذا إئتمن خان، و اذا أحَدث كذب، عاهد غذر، و اذا خاصم فجر.

قال بعض العرفاء دلّت الآية على تعظيم أمر العرفاء بالعَهد و ذلك لأنّ الطّاعات مقصورة على أمرين، التّعظيم لأمر الله، والشّفقة على خَلق اللّه والوفاء بالعَهد مشتمل عليهما معاً.

إذ ذلك سبب لِمنفعة الخَلق فهو مشفقة على خلق الله، ولّما أمر الله به كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله.

ياء القرقان في تفسير القرآن كربيكم السجلد الثالث

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَ أَيْـمَانِهِمْ ثَـمَنَّا قُليلاً أُولٰئَكَ لا خَلاٰقَ لَـهُمْ فِـى ٱلْأخِـرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْـقِيمَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَـذابُ أليـمُ (٧٧) وَ إِنَّ مِـنْهُمْ لَفَريقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتْابِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)

#### ∕ اللّغة

أَيْمَانِهِمْ: بفتح الألف جمع يَمين واليَمين في الأصل الجارحة وإستعماله في الحَلِف مُستعارٌ من اليَد إعتباراً بما يفعله المعاهد والمُحالِف و غيره.

لا خَلاقَ: الخلاق ما أكتَسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال الله تعالى: فا لَهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلاقِ<sup>(١)</sup> أي من فضيلة توجب الحظّ والنّصيب من حيث الأجر. يَكُوُونَ والماضي منه، لُويْ يقال، لُويْ يَلُوي لَيْنَّا، وأصل يَكُوون حُـذفت الياء ويقال لُويٰ لسانه بكذا إذا كذب في الحديث و قيل هو كناية عن الكَذِب و تخّرص الحديث.

#### √ الإعراب

يَكُوُونَ في موضع نصب صفة لَفريق و جمع على المعنى و لو أُفرد جـاز علىٰ اللَّفظ و الجمهور علىٰ إسكان اللاّم و إثبات واوَين بعدها و يُقرأ بفتح اللاّم و تشدّيد الواو و ضمّ الياء على التّكثير و يقرأ بضمّ اللاّم و واو واحدة ساكنة بِالْكِتَابِ في موضع الحال من الألسنة أي ملتبسة بالكتاب أو ناطقة به مِنَ آلْكِتَابِ هو المفعول الثّاني، لحسب.

#### ⊳ التّفسير

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللهِ إختلفوا في سبب نزولها فقال مجاهدو عامر الشّعبي أنّها نُزلت في رجل حَلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته وقال إبن جريح أنّها نزّلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله و قصّته على ما قال القُرطبي أنّ الأشعث قال كان بيني و بين رجل من اليَهود أرض فجحدني فقدّمته الى النّبي عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله هل لك بينة قلت، لا، قال لليَهو دي.

أقول و قد نقل الشّيخ مَثِّئُ قصّته الأشعث في التّبيان إجمالاً.

قال مَنْتِئُ قال إبن جريح نزّلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض، قام ليحلف عند رسول الله فنزّلت الآية فنكل الأشعث و أعترف بالحق ورَدّ الأرض.

أقول ما ذكره الشّيخ أَصّح لأنّ الأشعث كان في رأس المنافقين في الإسلام. وقال عَكرمة نَزلت في جماعة من اليَهُود حيّ إبن أخطب وكعب بن الأشرف و أبي رافع وكنانة بن أبى الحقيق، وقال الحسن كتبوا كتاباً بأيديهم ثمّ حلفوا أنّه من عند الله فيما أدّعوا، من أنّه ليس علينا في الأُميّين سبيل، أقول

الق التعلق التع

ياء الفرقان في تفسير القرآن كرنيم.

الذّم في الآية يتّوجه الى كلّ النّاس وأن كان شأن نزولها مورداً خاصاً و ذلك لأنّ خصوص المورد من جهة النّزول لا ينافي عموم الآية من حيث الشّمول و لنرّجع الى تفسير الآية فنقول إنَّ ٱلّذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَنًا فَلَيلًا الإضافة في بعهد الله، إمّا للفاعل و امّا للمفعول أي بعهد الله إيّاه من الإيمان بالرّسول الذي بُعِث مُصدّقاً لما معهم ويأيمانهم التي حلفوها لِنُوْمنن به ولَنتَصرنَه أو بعهد الله و الإشتراء هنا مجاز والثّمن القليل متاع الدّنيا من الرّشوة والرّئاسة ونحو ذلك والظّاهر أنّها في أهل الكتاب من اليهود و النّصاري بقرينة الأيات الّي قبلها وبعدها هكذا قالوا و امّا على المختار فهي شاملة بقرينة الأبات الّي قبلها وبعدها من عرض الدّنيا بأنّه ثَمن قليل مع ما قرن به الوعيد لأمرين.

أحدهما: أنّه قليل في جنب ما يُؤدّي اليه من العقاب والعذاب.

الثّانى: أنّه مع كونه قليلاً، الإقدام فيه على اليمين مع نقض العهد عظيم أُولِيِّكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ معناه لا نصيب لهم وَ لا يُكَلِّمُهُمُ ٱللّهُ فيه قولان.

أحدهما: لا يُكَلِّمُهُمُ بما يسَّرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم لأنّ الغرض أنّما هو الوعيد.

الثانى: لا يُكلِّمُهُمُ أصلاً و تثبت المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله أيّاهم فيكون على العادة في إحتقار إنسان على أن يكلمه الملك لنقصان المنزلة، و ذكرهما الشّيخ في التبّيان أقول يحتمل أن يكون المراد عدم التّوجه اليهم و الإعراض عنهم على سبيل الكناية كما يقال أنّي لا أكلمك بعد اليوم وهكذا قوله: و لا ينظر اليهم بنظر الرّحمة و في ذلك دلالة على أنّ النظر مع تعديته بحرف، الى، لا يفيد الروّية لأنّه لا يجوز حملها في الآية على أنّه لا يراهم بلا خلاف ومن المعلوم أنّ التكلّم بالجارحة وهكذا النظر في حقّه تعالى محال يَوْمَ ٱلْقِينِمَةِ عند الحساب و لا يُؤكّم يّهِمْ

قالوا معناه لا يحكم بزكاتهم دون أن يكون معناه لايفعل الإيمان الّذي هو الزّكاة لهم لأنّهم في ذلك و المؤمنين سواء و قيل معناه، ولا يُثنى عليهم أو لا يُنمى أعمالهم أو لا يطهّرهم من الذّنوب و لَهُم عَذابٌ أليمٌ أي عذابٌ موجع يوم القيامة أعاذنا الله منه.

## وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَريقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ

مِن، للتبعيض و الضمير في مِنْهُمْ يرجع الى أهل الكتاب أي بعضهم كذلك و المعنى أنّ جماعة منهم يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ أي يحرّفونه بالتغيّير و التّبديل وأن شئت قلت ينسبون ما يتّلفظون به الى الكتاب وليس منه نقل عن إبن عبّاس أنّه قال أنّ جماعةً من اليهود قدموا علىٰ كعب بن الأشرف غيّروا التّوراة وكتبواكتاباً بدّلوا فيه صفة رسول اللّه ثمّ أخذت قريظة ماكتبوه فخلطوه بالكتاب الّذي عندهم، وقال الزّمخشري، يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتاب لتحسبوه من الكتاب أي يفتلونها بقراءته عن الصّحيح الى المحرّف، و قال إبن عطية يحرّفون ويتحيّلون لتبديل المعاني من جهة إشتباه الألفاظ و إشتراكها و تشّعب التّأويلات فيها وليس التّبديل المَحض انتهي.

و الحقّ أنّ التحريف والتبدّيل وقع في الألفاظ والمعاني تبعّ للألفاظ ومن طالع التّوراة علم يقيناً أنّ التّبديل في الألفاظ والمعاني جميعاً لأنّها تضمّنت أشياء يجزم العاقل أنّها ليست من عند الله و لا أنّ ذلك يقع في كتاب إلهي من جزء ٣ كثرة التّناقض في الأخبار والأعداد ونسبة أشياء الى الله من الأكل والمصارعة و غير ذلك ونسبة أشياء الى الأنبياء من الكذب و السّكر و الخمر و الزّنا و غير ذلك من القبائح الّتي ينزه العاقل نفسه عن أن يتّصف بشيّ منها فضلاً عن منصَب النّبوة هذا مع خلّوها من ذكر الأخرة والبعث والحشر والنّشر والعذاب و النّعيم الأخرويّين والتّبشير برسول اللّه و أين هذا:

قال الله تعالىٰ: أَلَّذَيِنَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِى ٱلْأُمِّى ٱللَّمِ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى ٱلتَّوْرِيَّةِ وَ ٱلْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَيْهُمْ عَنِ ٱلْمُثْكَرِ وَ يُحِلُّلَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَآئِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ الْمُثْكَرِ وَ يُحِلُّلُهُمُ ٱلطَّيِبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَآئِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ الْمُثْكَرِ وَ يُحِلُّلُهُمُ ٱلطَّيِبَاتِ عَلَيْهِمُ الْمُثَالِقِمُ الْمُثَالِقِمُ اللَّهُ عَنْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ أَلْ اللَّهَ عَلَيْهِمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ أَلْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ أَلْ اللَّهُ عَلَيْهُمُ أَلْ اللَّهُ عَلَيْهُمُ أَلْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ أَلْ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ الْهُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعُلِّمُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ اللْمُعُلِّلُ اللَّهُ اللْمُعِلْمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعِلِيْلُولُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللْمُعِلِمُ اللْمُعْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْمُ ال

و سيأتي الكلام فيها قال الله تعالى: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا (٢).

و الأيات الدّالة علىٰ المُدّعىٰ كثيرة و لذلك قال اللّه تعالىٰ:وَمْا هُـوَ مِـنَ الْدُياتِ الدّالةِ وَ يَقُولُونَ عَلَى الْمُكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ.

أي و ما المُحرّف والمُبدّل الّذي لوّوه بألسنتهم من التّوراة ولا هو من عند الله، قال أبوبكر الرّازي في هذه الآية دلالة على أنّ المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنّها لو كانت من فعله كانت من عنده و قد نفى الله تعالىٰ نفياً عاماً لكون المعاصي من عنده، و قال إبن عطية و ما هو من عند الله نفي أن يكون منزّلاً كما إدّعوا و هو من عند الله بالخلق و الإختراع والإيجاد ومنهم بالتّكسُب ولم تعن الآية إلا معنىٰ التّنزيل فَبَطل تعلق القدرية بظاهر قوله وما هو من عند الله انتهىٰ.

و أنا أقول ما ذكره الرّازي حقّ لا مرية فيه و امّا ما ذكره إبن عطّية فهو و هم خالص لا يساعده العقل فضلاً عن النّقل و ذلك لأنّ النّفي في قوله ( ولا هو من عند اللّه) عام شامل للإيجاد والإنزال و ذلك لأنّ الإيجاد فعله كما أنّ الإنزال فعله والعِندّية ليست بمعناها اللّغوي العُرفي الّذي يلازم المكان والجَهة بل معناها في حقّه تعالى النسّبة، والفعل فإذا قلنا، نزل القرآن من عنده معناه أنّه

كلامه وكلامه فعله إذ لا قديم سوى الله تعالى فلا فرق بين قولنا الكتاب من عنده و قولنا الموجودات من عنده و حيث أنّ الله تعالى قال و لا هو من عند الله، بالنّفي العّام فتخصيص النّفي بالإنزال دُون الخلق والإيجاد تحكّم محض لا دليل عليه و ذلك لأنّ المعاصي لو كانت من عنده فعلاً أو خلقاً لم يجز إطلاق النّفي بأنّها ليست من عند الله.

ياء القرقان في تفسير القرآن كي المجلد الثالث

ماكان لِبَشَرٍ أَنْ يُوْتِيَهُ ٱللهُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحُكْمَ وَ النَّكُمُ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لي مِنْ دُونِ اللهِ وَ لَكِنْ كُونُوا وَبُانِيّنَ بِللهَ كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ اللهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبُّانِيّنَ بِلمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)

#### ا اللّغة

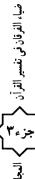
قد مرّ الكلام في البشر غير مرة وقلنا أنّه يقال للواحد والجمع لأنّه بمنزلة المصدر رَبَّانِينَ منسوب الى الرّب والرّباني الّذي يُرّبي النّاس بصغار العلم قبل كباره وكأنّه يقتدي بالرّب سبحانه في تيسير الأُمور و قيل المراد بهم العلماء يقال فلان ربّاني هذه الأُمّة و في دين اليّهُود كانوا يطلقون الرّباني على الحِبر وفي دين النّصاري على القسّيس والرّهبان.

#### ⊳ الإعراب

ثُمَّ يَقُولَ هو معطوف على، يُؤتيه و يقرأ بالرّفع على الإستئناف بِما كُنْتُمْ في موضع الصّفة لرّبانيين و يجوز أن تكون الباء بمعنى السّبب فتتّعلق بكان ، وما، مصدّرية أي يُعلّمكم الكتاب و يجوز أن تكون الباء متعلّقة بربانيّين تعُكِلّمُونَ بالتشدّيد أي تعلّمونه غيركم و بالتّخفيف أي تعرفون تَدْرُسُونَ بالتخفيف أي تدرسون الكتاب فالمفعول محذوف و يقرأ بالتشدّيد و ضمّ التّاء أي تدرسون الكتاب.

#### ⊳ التَّفسير

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحُكْمَ وَ ٱلنَّبُوَّةَ ثُـمَّ يَـقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ ٱللَّهِ.



. القرآن

ما، نافية أي لا ينبغي أو ما ينبغي لبشر، قيل المراد به عيسى النَّالِ أن يؤتيه الله الكتاب و هو الإنجيل والحُكم والنّبوة لأنّه بعث الى الخلق من عند الله، ثمّ يقول للنَّاس كونوا عباداً لي، أي كان مدّعياً للإلَّوهية، وفيها رَدٌّ على النَّصاريٰ لْأَنَّهم كانوا معتقدين بالوهِّية عيسيٰ فقال اللَّه تعالىٰ رَدًّا عليهم ماكان لبَشَر أن يقول كذا و فيه إشارة الى أمرين:

أحدهما: أنّ عيسىٰ كان بَشراً والبَشَر لا ينبغي له أن يقول كذا.

ثانيهما: أن ما نَسَبُوه الى عيسى عَلَيْكِ من الإلُوّهية أو أنّه ابن اللّه كان إفتراءً عليه من عند أنفسهم و عيسى عليه لم يقل بهذه المقالة ولاكان راضياً بها.

أمّا الأمر الأوّل: أعنى لا ينبغى للبشر أن يقول للنّاس كونوا عباداً لى من دُون اللَّه فالوَجه فيه أنَّ البَشر مخلوق مثل غيره من أحاد النَّاس فأنَّ هذا اللَّفظ يطلق علىٰ كلِّ إنسان إعتباراً بظهور جلده من الشُّعر ولا فرق بين أفراد الإنسان من هذه الجهة فقوله لغيره من أمثاله كونوا عباداً لي كذبٌ مَحضٌ وخروجٌ عن طور البَشّرية والعاقل لا يقول به والمجنون لاكلام لنا فيه كيف و قد ثبت أنّ حكم الأمثال واحد و اذاكان كذلك فكيف يُعقل أن يكون فرداً من أفراد البَشَر الهاً و سائر الأفراد من النَّاس عبيده وأنَّما قال تعالىٰ لبَشَر ولم يـقل لإنسـانِ للإشارة الى جنَّة الإنسان و ذلك لأنَّ الفَرق بين الإنسان والبَشَر هو أنَّ هذا الموجود يقال له الإنسان بإعتبار روحه ونفسه النَّاطقة والبَشَر بإعتبار جُنَّته و ظهور الشُّعر في جلده و لذلك قالوا أنَّ النَّاس يتَساوون في البُّشَرية و أنَّما يتفاضلون بما يَخَتَّصُون به من المعارف الجليلة والأعمال الجميلة: جزء ٣

قال الله تعالىٰ: قُلْ إِنَّمْاۤ أَنَا بَشَرُ مِثْلُكُمْ (١). قال الله تعالى: مَا أَنْتَ إلَّا بَشَرُ مِثْلُنَا (٢).

و أمثالها إشارة الي مقام البَشّرية الظّاهرة في الكلّ وقوله بعد ذلك (يُوحيٰ

إِلِّي) إشارة مقام الإنسّانية الكاملة و أن شئت قلت الى مقام الفَضيلة ولا شكّ أنَّ الإنسان بهذا الإعتبار أعني جَسَده وجئَّته من الموجودات المادّية المرّكبة من الأجزاء والأعضاء كما أنّه بإعتبار رُوحه من الموجودات المجّردة عن الأجزاء والأعضاء اذا عرفت هذا فنقول أنّ الإنسان بإعتبار كونه بَشَراً له جَسد ولجَسده أعضاء و جوارح وكلّ عضو من أعضاءه محتاج اليٰ عُضوه الأخر في حياته و بقاءه و الإحتياج مساوق للإمكانالأنّ كلّ محتاج ممكن و كلّ ممكن محتاج مخلوق لإحتياجه في الخروج عن حدّ الإستواء و هو تساويه في مقام ذاته بين الوجود و العدم اليٰ غيره فهو مخلوق لغيره أي لغير المُمكن و غير المُمكن لا يكون إلا واجب الوجود مخلوق للواجب و هو المطلوب.

و من طريق أخر الجَسد المادّي حادث لا محالة لكونه مسبوقاً بالعَدم مسبوقِ بالعدم حادث فهو حادث ثمّ نقول كلّ حادثِ في حدوثه محتاج الي غيره فأن كان غيره حادثاً أيضاً فالكلام فيه كالكلام فيه لأنّ حكم الأمثال واحد و أنكان غير حادثٍ فهو قديم لا محالة اذ لا واسطة بين الحدوث و القدم، و لا قديم سوى اللّه تعالىٰ و هو المطلوب، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: **مَا كَانَ لِبَشَ**رِ

**أن قلت** هذا الّذي ذكرت في البَشَر ثابت بالنّسبة الى غير الأنبياء من سائر أفراد البَشَر و امّا في حقّ من أتاه اللّه الكتاب و الحكم و النبوّة مثل عيسيٰ عَلَيَّاكِمْ من المرسلين فلا.

قلتُ أنَّ النبوّة و الرّسالة و العلم و أمثالها من المواهب لا تحرج البّشر عن كونه بَشراً ولا عن كونه محتاجاً فقيراً و بعبارةٍ أخرىٰ هذه الفضائل و العطايا من الخالق مرتبطة بمقام الإنسانية ولا ربط لها بمقام البَشرية و لذلك نقول أنّها لا تزيد على البشريّة ولا تنقص منها في صورة عدمها و أنّما تزيد في الإنسانيّة اذا وجدت ولا بحث لنا في الإنسان من جهة الإنسانية و أنّما البحث فيه من جهة



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ ا

كونه بَشراً و هو في الإنسان لا يزيد و لا ينقص و أن شئت قلت الإنسانية في الإنسان مقولة بالتشكيك والبَشّرية فيه بالتّواطئ و عليه فالأنبياء والأوصياء من حيث كونهم من البَشر لا فرق بينهم وبين غيرهم من البَشَر و امّا من حيث الإنسّانية فالفرق من الثّري الى الثّريا وهذا كلّه يستفاد من قوله تعالى: قُلْ إِنّما أَنا بَشَرُ مِثْلُكُمْ إشارة الى عَدم الفرق بينهم وبين غيرهم من هذه الجهة و أنّ صدق البَشَر على جميع الأفراد على حدِّ سواء بلا تفاوت في الصّدق و قوله يوحى اليّ، إشارة الى وجود الفرق في بعد الإنساني حيث أنّ بعض مصاديقه مِمّن يوحى اليه و بعضه ليس كذلك و من المعلوم أنّ الوحي و النبوّة و الرّسالة و الوصاية و الولاية و أمثالهما للإسان الكامل النّاقص منه فلا و لذلك قلنا صدق الإنسان على مصاديقه على سبيل التّشكيك صدق البَشر على سبيل التّشكيك صدق البَشر على سبيل التّواطئ فأفهم وأغتنم ولأجل هذه الدّقيقة.

قال الله تعالى: و ما كُانَ لِيَشَرِ أي بَشَرِ كان، أن يُؤتيه الله الكتاب والحُكم والنّبوة ثمّ يقول للنّاس كونوا عباداً لي من دون الله، وحيث أنّ عيسى و هكذا غيره من الأنبياء كانوا بَشراً فلا يَصلح لهم التقول بهذه المقالة اذ لو جاز لهم ذلك القول لجاز لغيرهم أيضاً اذ لا فرق فيهم من جهة البَّشرية كما مَرّ و امّا الفضائل النّفسانية و الكملات المعنوية و أمثالها لا تُؤثّر في ذات البَشر بمعنى أنّها لا تخرج الذّات عمّا هي عليه من الإمكانية والفقر وكونه مخلوقاً لغيره في مقام ذاته و صفاته فالقول بإلوّهية كلّ مخلوق كائناً من كان عاطلٌ باطلٌ من رأسه و لَكِنْ كُونُوا رَبّانِينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ اللّهِ تنزلت في نصارىٰ نجران وقال بعضهم أنّ السُّورة كلّها كذلك الى قوله: و إذ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ (٢) و لكن فرّج معهم اليّهُود لأنّهم فعلوا من الجحد و العناد ما فعلوا و

لأجل ذلك أي أنّها نزلت في نصارى نجران، قالوا أنّ المراد بالبَشَر هنا عيسى، ثمّ أنّ الرّبانيين، و احدهم الرّباني منسوب الى الرّب قيل لأنّه يرّبي النّاس و قال بعضهم كان في الأصل رَبّي فأدخلت الألف والنّون للمبالغة كما يقال للعظيم اللّحية، لَحيّاني ولعظيم الجُمّة جمّاني و لغليظ الرّقبة، رقباني، و قال المبرد الرّبانيون أرباب العلم واحدهم، ربّان، من قولهم ربّه يرّبه فهو ربّان اذا دبّره و أصلحه فمعناه على هذا يدّبرون أمور النّاس و يصلحونها والألف والنّون للمبالغة كما في رَيّان و عطشان ثمّ ضُمّت اليها ياء النّسبة كما قيل، لحيّاني و ربّاني وجمّاني قال الشّاعر:

لوكُنتُ مُرتَهِناً في الجَوّ أَنزَلني منه الحديث وربّاني أحباري

فمعنىٰ الرّباني العالم بدين الرّب الذّي بعمل بعلمه و قال مجاهد الرّبانيون فوق الأحبار و قال النّحاس و هو قول حَسن لأنّ الأحبار هم العلماء والرّباني الذّي يجمع الىٰ العلم البصر بالسّياسة والأقوال فيه كثيرة فقوله: وَ لَكِنْ كُونُوا الذّي يجمع الىٰ العلم البصر بالسّياسة والأقوال فيه كثيرة فقوله: وَ لَكِنْ كُونُوا الذّي يَما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ إشارة الىٰ مقام التعليل فكأنّه قيل لم كانوا كذلك فقال لتعليمهم الكتاب و تدريسه ويظهر منه أنّ الرّباني هو المعلم والمدّرس للكتاب الإلهي والفرق بين التّعليم والتّدريس فهو أنّ التّعليم يطلق على تعليم ظاهر الكتاب وتعليم معانيه و امّا التدريس فهو مختص بالثّاني أي أنّكم تعليم ظاهر الكتاب وتعليم معانيه و امّا التدريس فهو للصّبيان والمعاني للكبار ومحصّل الكلام في الآية أنّ النّبي يقول للنّاس هكذا ولا يقول كونوا عباداً لي من دون اللّه فمن نسب الىٰ نبّي من الأنبياء سواء فيه عيسىٰ وغيره غير هذا فهو كاذبٌ في قوله ألا لعنة اللّه على الكاذبين.

# وَ لَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ٱلْمَلآئِكَةَ وَ ٱلنَّبِيّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)

#### ⊳ اللّغة

اللّغات فيها واضحة و قد مرَّ بعضها.

#### ⊳ الإعراب

وَ لا يَأْمُرُ كُمْ يقرأ بالرّفع أي ولا يأمركم الله أو النّبي، وبالنّصب عطفاً على، يقول، فيكون الفاعل ضمير النّبي أو البشر، ويقرأ بإسكان الرّاء فراراً من توالي الحركات إِذْ في موضع جرّ بإضافة، بعد، اليها أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ في موضع جرّ بإضافة، بعد، اليها أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ في موضع جرّ بإضافة، اذ، اليها.

#### ⊳ التَّفسير

وَ لَا يَأْمُرَكُمْ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفاً على أَنْ يُؤْتِيَهُ أَي ها كان لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهُ ٱلله ٱلْكِتَابَ وماكان لبشر أن يأمركم وإستدلوا على صحّة هذه القراءة بأنّ اليهود قالت للنبي عَلَيْ الله الريد أن نتّخذك يامحمد ربّاً، فقال الله تعالى: ها كان لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهُ ٱلله الْعِتَابَ الى قوله: وَ لا يَأْمُرَكُمْ وفيه ضمير البشر أي ولا يأمركم البشر يعني عيسى وعزيراً.

و قرأ الباقون بالرّفع على الإستئناف والقطع من الكلام الأوّل وفيه ضمير إسم الله عزّ وجلّ أي و لا يأمركم الله أن تتَّخذوا و قال ابن جريح وجماعة، ولا يأمركم محمّد عَلَيْ الله وهذا قراءة أبي عمرو والكسائي وأهل الحرمين أَنْ تَتَّخِذُوا الْمُلآئِكَة و النّبين أَرْبابًا قيل هذا موجود في النّصارى لأنهم يعلّمون الأنبياء والملائكة حتى يجعلوهم لهم أرباباً أَيَا مُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ

ياء الفرقان في تفسير القرآن كم بم المجلد الثالث

الفرقان في نفسير القرآن كيكم العجا **أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** الإستفهام للإنكار أو التّعجب فعلى **الأوَل**: المعنىٰ لا يأمركم و على الثّاني معناه التّعجب من هذا القول أي كيف يأمركم بالكفر و قد بعث لأن يأمركم بالتّوحيد وكيف كان فيرجع المعنىٰ أنّ النّبي لا يأمركم بـالكفر بـعد الإسلام أي بعد ما دعاكم الى الإسلام في أوّل الأمر لأنّ هذه الدّعوة مناقضة للدَّعوة الأولىٰ وهي مستلزمة لتكذيب قوله أوَّلاً، والعاقل لا يكذَّب نفسه واضح. و قال بعض المفسّرين الأمر بالكفر علىٰ كلّ حالٍ منكر إلاّ أنّه بعد أمرهم بالإسلام أفحش وأقبح ومعناه أنّه لا يأمركم بالكفر لا بعد الإسلام ولا قبله سواء كان الأمر الله أم النّبي وفي هذه الآية دلالة علىٰ أنّ المخاطبين كـانوا مسلمين وأيضاً دلالة علىٰ أنّ الكفر ملّة واحدة اذا الّذين إتّخذوا الملائكة أرباباً هم الصّائبة وعبدة الأوثان والذّين إتَّخذوا النّبيين أرباباً هم اليهود، والنّصاري و المجوس ومع هذا الإختلاف سمّىٰ الله الجميع كفراً و قال البيضاوي هو دليل علىٰ أنَّ الخطاب للمسلمين والأمر سهل بعد وضوح المعنىٰ في تفسير علَّى بن إبراهيم قوله: وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ٱلْمَلاَئِكَةَ وَ ٱلنَّبِيِّنَ أَرْبابًا قال كانَ قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النّصاريٰ زعموا أنّ عيسيٰ رّب، واليهود قالوا عزيز ابن الله فقال: لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ٱلْمَلاَّئِكَةَ وَ ٱلنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا انتهى. و في عيون الأحبار في باب ما جاء من الرّضا عليُّا في وجه دلائل الأئمّة والرَّد على الغلاة والمفوّضة لعنهم اللَّه حديث طويل وفيه، فقال المأمون يا أبا الحسن بلغنى أنّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ فقال الرّضـا لْمَالِيَّالِا حدّثني أبي موسىٰ بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن علّى عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن علّى بن أبي طالب قال قال رسول الله عَيْمَا للهِ لا ترفعوني فوق حقىٰ فأنَّ اللَّه تعالىٰ إتَّخذني عبداً قبل أن تتَّخذني نبّياً قال اللّه تعالىٰ: هَا كَانَ لِـبَشَوٍ أَنْ يُـؤْتِيَهُ ٱللّٰـهُ ٱلْحِتَابَ الىٰ قـوله مُسْلمُونَ.

#### √ اللّغة

ميثاقَ آلنبَينَ: الميثاق بكسر الميم عقد مؤكدٌ بيمين وعهدٍ. أَقْرُرْتُمْ: الإقرار مصدر أقرَّ يُقرِّ إقراراً وهو ضدَّ الإنكار.

إِصْرِيْ: الإِصر عقد الشّئ وحبسُه يقال أصرته فهو مأصور والمأصر حبس السّفينة.

#### ⊳ الإعراب

لَمَا آتَيْتُكُمْ يقرأ بكسر اللاّم أيضاً، وما، بمعنى الذّي أو نكرة موصوفة والعائد محذوف ومِنْ كِتَابِ حال من المحذوف أو من، الذّي وفي تخفيف، ما، في، لما، وجهان: أحدهما، أنّ، ما، بمعنى الّذي وموضعها رفع على الإبتداء و اللاّم لام الإبتداء دخلت لتوكيد معنى القسم وفي الخبر وجهان:

أحدهما: من كتاب و حكمة.

الثّاني: الخبر لتؤمّنن به والهاء عائدة على المبتدأ واللاّم جواب القسم لأنّ أخذ الميثاق قسم في المعنى.

ثُمَّ جْآءَ كُمْ معطوف علىٰ ما آتيتكم والعائد علىٰ، ما، من هذا المعطوف، فيه وجهان:

أحدهما: تقديره ثمّ جاءكم به.

الثَّاني: أنَّ قوله: لِمْا مَعَكُمْ في موضع الضّمير تقديره مصّدق له.

كى. ضياء الفرقان فى نفسير القرآن 🔻 🕻 ئېخ

#### ⊳ التّفسير

## وَ إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مَيْثَاقَ ٱلنَّبِيِّنَ لَمْ ٓ الْتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ

أي أذكر يا محمد اذ أخذ الله ميثاق النبيين لأن، أذ، لما مضى ومعنى أخذ الميثاق من النبيين بنصرة من لم يلقوه ولم يدركوا زمانه هو أنهم ينصرونه بتصديقه عند قومهم ويأمرونهم بالإقرار به لما روي عن أمير المؤمنين وابن عبّاس وقتادة أنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبّينا محمد عَيَيْوَاللهُ أن يخبروا أممهم بمبعثه ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه، و قال طاووس أخذ الله ميثاق على الأنبياء على الأول والأخر فأخذ الله ميثاق الأول لتؤمنن بما جاء به الأخر وعن الصّادق عليه الأول والأخر فأخذ الله ميثاق الأول لتؤمنن بتصديق الأخر وعن الصّادق عليه وأنهم خالفوهم فما بعد وما وفوا به وتركواكثيراً من شريعته و حرّفواكثيراً منه وفي قوله: لَما التَيتُكُم مِن كِتابٍ و حِكْمةٍ وجهان المحدها: أنّ ما، بمعنى الذي وتقدير الكلام الذي آتيتكموه من كتابٍ وحكمةٍ لتفعلن لأجله كذا.

الثّاني: أنّها بمعنى الجزاء وتقديره لأن آتيتكم شيئاً من كتابٍ وحكمةٍ ثمّ جاءكم رسول لتُؤمنّن به لأجله وتقديره، أيّ شيئ آتيتكم ومهما آتيتكم ويكفي جواب القسم من جواب الجزاء كقوله: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ (١) وفي معنى، مِن، قو لان:

أحدهما: أنّها للتّبيين، لما، كقولك ما عندك من ورق و عين.

الثّانى: أن تكون زائدة وتقدير الكلام الّذي آتيتكم، كتابٌ و حكمة ثُممَّ جُآءَكُمْ رَسُولٌ مُصدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَـتَنْصُرُنَّهُ الرّسول هنا محمّد عَيَيْ اللهُ واللّفظ وأن كان نكرة فالإشارة الى معيّن كقوله تعالى: وَضَرَبَ اللّهُ



ضياء الفرقان في تفسير القرآن <

مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أُمِنَةً مُطْمَئِنَّةً الىٰ قوله: وَ لَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِـنْهُمْ فَكَـذَّبُوهُ<sup>(١)</sup> فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمّد عَلَيْوَاللهُ وينصروه ومعنى النَّصرة تصديقه عند قومهم وأمرهم إيّاهم بالإقرار به و قيل أنّ اللَّه أمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم واللام في قوله لتؤمنَّن به، جواب القسم الَّذي هو أخذ الميثاق اذ هو بمنزلة الإستحلاف وفصّل بين القسم وجوابه بحرف الجرّ الَّذي هو، لما، في قراءة ابن كثير ومَن فتحها جعلها متلَّقية للقسم الذِّي هو أخذ الميثاق، و اللاّم في **لَتُؤْمِنُنَّ** علىٰ قراءة الفتح جواب قسم محذوف أي والله، لتؤمنِّن به، قال بعض المفسّرين مناسبة هذه الآية لما قبلهاً أنّه تعالىٰ لمّا نفيٰ عن أهل الكتاب قبائح أقوالهم و أفعالهم وكان ممّا ذكر أخيراً اشتراءهم بأيات اللَّه ثمناً قليلاً وما يؤل أمرهم اليه في الأخرة و أنَّ منهم من بدّل في كتابه و غيّر وصف رسول الله ونزّه رسوله بأن يعبد هو أو غيره بل تفّرد الله تعالىٰ بالعبادة أخذ تعالىٰ يقيم الحجّة علىٰ أهل الكتاب و غيرهم ممّن أنكر نبّوته ودينه فذكر أخذ الميثاق علىٰ أنبيائهم بالإيمان برسول اللّه عَلَيْظِاللَّهُ و التّصديق له والقيام بنصرته: فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفاسِقُونَ (٢).

و إقرارهم بذلك وشهادتهم على أنفسهم وشهادته تعالى عليهم بذلك وهذا العهد مذكور في كتبهم وشاهد بذلك أنبياءهم و قد روي عن ابن عبّاس أنّه قال أخذ الله ميثاق النّبيين وأممهم على الإيمان بمحمّد عَيْرُالله ونصره واجتزأ بذكر النّبيين من ذكر أممها لأنّ الأمم أتباع للأنبياء.

أقول و يدّل عليه قول أمير المؤمنين التَّالِا في كتاب نهج البلاغة حيث فال التَّلِا:

وَاصْطَفٰى سُبْحٰانَهُ مِنْ وُلْدِهِ اَنبِياءَ (أي من وُلد آدم) اَخَذَ عَلَى الْوَحِي مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلٰى تَبْلِيغِ الرِّسٰالَةِ اَمٰانَتَهُمْ و قال في موضع أخر إلىٰ أن بَعَثَ الله مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ لِاِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَإِتْمَامَ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ،كَرِيماً مِّيلاًدُهُالِيْ أخر كلامه.

و قال عَلَيْكِذِ: ما بعث الله نبّياً إلاّ أخذ عليه العهد لمحمّد عَلَيْكِللهُ وأمرِه بأخذ العهد على قومه فيه بأن يؤمنوا به وينصروه أن أدركوا زمانه قال: قالَ عَ أَقْرَرْ تُمْ وَ أَخَذْ تُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدينَ.

الظّاهر أنّ الضّمير في، قال، عائد على اللّه وفي أقررتم خوطب به الأنبياء المأخوذ عليهم الميثاق و عليه فالمعنى قال اللّه تعالىٰ لأنبياءه ءَأقررتم وأخذتم علىٰ ذلك إصري أي عهدي الموتّق قالوا أي الأنبياء أقرنا، قال، أي قال الله فأشهدوا و، قيل أي أعلموا، و قيل بيّنوا و قيل معناه أشهدوا أنتم علىٰ أنفسكم وعلىٰ أتباعكم، وأنا معكم من الشّاهدين، عليكم وعليهم وكفىٰ بالله شهيداً.



فَمَنْ تَوَلِّي بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفٰاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دينِ ٱللَّهِ يَـبْغُونَ وَ لَـهٌ أَسْـلَمَ مَـنْ فِـي ٱلسَّـــــمُواْتِ وَ ٱلْأَرْضِ طَـــوْعًا وَكَـــرْهًا وَ إِلَيْدِيُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ أُمَنًّا بِاللَّهِ وَ مَاۤ أَنْزِلَ عَلَيْنَا وَ مٰآ أَنْزِلَ عَلٰيَ إِبْراٰهيمَ وَ إِسْمٰاعيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ ٱلْأَسْبَاطِ وَ مَا آوتِيَ مُوسَى وَ عيسَى وَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِـنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۸۴)

### اللَّغة اللَّغة

تَوَلِّي: أي أعرض. يَبُغُونَ: البَغي الطّلب. أَسْلَمَ: أي إستسلم وإنقاد.

# ⊳ الإعراب

فَمَنْ تَوَلَّى من، مبتدأ و يجوز أن تكون بمعنىٰ، الذِّي، وأن تكـون شـرطاً فَأُولَٰئِكَ مبتدأ ثان وهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ مبتدأ وخبره و يجوز أن يكون، هم، فصلاً أَفَغَيْرُ منصوب يَبَغُونَ وطوعاً وكرهاً، مصدران في موضع الحال ويجور أن جزء ٣ كا يكونا مصدرين علىٰ غير الصّدر لأنّ، أسلم، بمعنىٰ أطاع وإنقاد.

# ∕> التّفسير

فَمَنْ تَوَلِّي بَعْدَ ذٰلِكَ أي ومن أعرض عن الإيمان من أِمم الأنبياء بعد أخذ الميثاق فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفاسِقُونَالخارجون عن الإيمان أَفَعَيْرَ دينِ ٱللَّهِ لقرآن

يَبْغُونَ الهَمزة في أفغير، للإنكار والتنبيه على الخطأ في التولي والإعراض وأضيف الدين الى الله لأنه تعالى هو الذي شرعه وتعبّد به الخلق ومعنى تبغون تطلبون و قيل معناه هنا، تدينون، لأنهم متلبسون بدين غير دين الله لا طالبوه وعبَّر بالطَّلب إشعاراً بأنهم في كلّ وقت باحثون عنه ومستخرجوه ومبتغوه، رُوي عن ابن عبّاس أنه قال إختصم أهل الكتاب فزعمت كلّ فرقة أنها أولى بدين إبراهيم من الأخرى فقال النبي عَلَيْ الله كلا الفريقين بريٍّ من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضاءك ولا نأخذ بدينك فنزلت هذه الأية قال الماتريدي، فأن قيل، كلّ عاقل، يبتغي دين الله ويدّعي أنّ الذّي هو عليه دين الله، قيل الجواب من وجهين:

أحدهما: أنّه لما قصّر في الطّلب جعل في المعنىٰ كأنّه باغ غير دين اللّه اذ لو كان باغياً طالباً له لبالغ في الطّلب من الوجه الذّي يوصل اليّه فكأنّه ليس باغياً من حيث المعنىٰ ولكّنه باغ من حيث الصّورة.

الثانى: أنّه قد ظهر للبعض في الإبتغاء وما هو الحقّ لظهور الحجج والأيات ولكّن، أبي، من قبوله لأجل العناد فهو في الحقيقة باغ لغير دين اللّه فتكون الأية في المعاندين، قال البيضاوي قوله: أَفَغَيْرَ دينِ ٱللّهِ عطف على الجُّملة المتقدمة والهمزة متوسّطة بينهما للإنكار أو محذوف تقديره، أيتولون فغير دين اللّه يبغون، وتقديم المفعول لأنّه المقصود بالإنكار، والفعل بلفظ الغيبة عند عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب، و بالتّاء عند الباقين على تقدير وقل لهم إنتهى.

وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ فِي السَّمُ مَنْ فِي ٱلسَّمُ مَنْ فِي السَّمَ مَنْ فَي السَّمَ مَنْ فِي السَّمَ مَنْ فَي السَمَا مَا السَّمَ مَنْ فَي السَّمَ السَلَمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَلَمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَلْمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السُمِي السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَلَمَ السَّمَ السَلَمَ السَلَمَ السَلَمَ السَّمَ السَّمَ السَلَمَ السَّمَ السَلَمَ السَلَمَ السَلَمَ السَلَمَ السَلَمَ السَلَمَ السَ

الثَّاني: في قوله: وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ.

أمّا الأوّل: فنقول ، إختلفوا في المراد بقوله: أَسْلَمَ أي إسلام هو على قولين فمنهم من ذهب الى أنّ المراد به الدّين:

قال الله تعالى: إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلامُ.

قال الله تعالى: و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْاِسْلامِ دبِنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي اللهِ تعالى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْاِسْلامِ دبِنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي اللهَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ ا

و قال الأخرون المراد به الطّاعة والإنقياد و بعبارةٍ أُخرى الإسلام هنا بمعنى الاستسلام و هو الإنقياد تكويناً لا تشريعاً و ذلك لأنّ الإنقياد تارةً يكون بحسب العقيدة و هو المعبّر عنه بالدّين وأُخرى بحسب الخلقة والوجود و بهذا المعنى جميع الموجودات منقادون مطيعون مستسلمون له تعالى.

قال الزّمخشري في الكشّاف، طوعاً بالنّظر الى الأدّلة والإنصاف من نفسه و كرها، بالسّيف أو بمعاينة ما يلجئ الى الإسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل و إدراك الغرق، فرعون، والإشفاء على الموت، فلمّا رأوا بأسنا قالوا امنّا بالله وحده، قال وإنتصب طوعاً وكرها، على الحال بمعنى طائعين ومكرهين انتهى ما ذكره.

و أنت ترىٰ أنّ كلامه صريح في أنّ المراد بالإسلام هو الدّين طوعاً وكرهاً. و قال البيضاوي و هو من أتباعه وأشياعه ، أي طائعين بالنّظر وإتّباع الحجّة و كارهين بالسّيف ومعاينة ما يلجئ الىٰ الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق و الإشراف علىٰ الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين أو مسخّرين كالكفرة فأنّهم لا يقدرون أن يمتنعوا عمّا قضى عليهم انتهىٰ.

و قال الألوسي في روح المعاني في معنىٰ الآية أقوال:

الأول: أنّ المراد بالإسلام طوعاً، الإسلام النّاشئ عن العلم مطلقاً سواء كان

م اء الفرقان في تفسير القرآن كالمجلد النا حاصلاً للإستدلال كما في الكثير منا، أو بدون الإستدلال وإعمال فكر كما في الملائكة ومن الإسلام بالكره ما كان حاصلاً بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الإسلام.

الثّاني: أنّ المراد إنقادوا له تعالى مختارين لأمره كالملائكة والمؤمنين، و مسخّرين لأرادته كالكفرة فأنّهم مسّخرون لإرادة كفرهم اذ لا يقع ما لا يريده تعالى.

الثالث: ما أشار اليه بعض ساداتنا الصوفية و هو أنّ الإسلام طوعاً هو الإنقياد لما أمر الله تعالى من غير معارضة ظلمة نفسانية وحيلولة حجب الأنّانية، والإسلام كرهاً، هو الإنقياد مع توسط المعارضات والوساوس وحيلولة الحجب.

الأول: مثل إسلام الملاتكة وبعض من في الأرض من المصطفين الأخيار. التّانى: مثل إسلام الكثير ممّن تقلّبه الشّكوك جنباً الى جنب حتى غدا يقول:

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلّها وسَرَّحتُ في بين تلك المعالم في الله المعالم في الله واضعاً كف حائدٍ على ذَقن أو قارعاً سنّ نادم

قال والكفّار من القسم الثّاني عند أهل الله لأنّهم أثبتوا صانعاً أيضاً إلاّ أنّ ظلمة أنفسهم حالت بينهم وبين الوقوف على الحقّ ثمّ نقل عن أبي العالية أنّه قال كلّ آدّمي أقَّر على نفسه بأنّ الله تعالى ربّي وأنا عبده فمن أشرك في عبادته فهذا الّذي أسلم كرهاً ومن أخلص لله تعالى العبودية فهو الذّي أسلم طوعاً انتهيز.

و قال الطّبري أسلم لله طائعاً من كان اسلامه منهم له طائعاً كالملائكة والأنبياء و المرسلين فأنّهم أسلموا لله طائعين.

وكرهاً من كان منهم كارهاً ثمّ قال إختلف أهل التّأويل في معنىٰ إســــلام

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\langle \begin{array}{c} x \\ x \\ y \end{array} \right\rangle$  ا

الكاره فقال بعضهم إسلامه إقراره بأنّ اللّه خلقه وأن أشرك معه في العبادة غيره ثمّ نقل بأسناده عن مجاهد عن قوله تعالىٰ: وَ لَـهُ أَسْلَمَ مَـنْ فِـى غيره ثمّ نقل بأسناده عن مجاهد عن قوله تعالىٰ: وَ لَـهُ أَسْلَمَ مَـنْ فِـى السَّمُواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا قال هو كقوله: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُواتِ وَ الأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ (١) ثمّ نقل حديث أبي العالية الذي نقله الألوسي و قد نقلناه قال أخرون بل إسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فأقر به ونقل عن ابن عبّاس حديثاً فيه.

قال و قال أخرون عني بإسلام الكاره منهم سجود ظلّه ونقل بأسناده عن مجاهد أنّه قال في الأية، الطّائع، المؤمن، وكرهاً، ظلّ الكافر وفي حديث أخر عن مجاهد أنّه قال سجود المؤمن طائعاً وسجود ظلّ الكافر كرهاً وفي حديث أخر قال سجود وجهه وظلّه طائعاً وكارهاً الى أخر ما قال بطوله وبه قال السّيوطي في الدّر المنثور ونقل من الأخبار ما نقله الطّبري إلاّ أنّه زاد في الطّنبور نغمة أخرى وهي أنّه روى عن أنس عن رسول الله عَلَيْظِهُ أنّه قال في هذه الآية ولم أسلم من في السّموات والأرض طوعاً وكرها، قال عليه الملائكة أطاعوه في السّماء والأنصار وعبد القيسي أطاعوه في الأرض وفي حديث أخر عن مطر الوّراق في هذه الآية قال:

الملائكة طوعاً والأنصار طوعاً وبنو سليم وعبد القيسي طوعاً والنّاس كلّهم كرهاً انتهي.

أقول و أنّما نقلنا أقوالهم في تفاسيرهم بعين عباراتها وألفاظها حفظاً للأمانة ولئلاً يظنّ ظانٌ أنا ننسب اليهم ما لم يقولوا به كما أنّهم ينسبون الينا ما لم نقله أصلاً فظهر ممّا ذكرناه أنّهم حملوا الإسلام في الآية على الدّين تارةً وعلى معرفة اللّه تارةً أخرى.

و أمّا الثّاني، و هو أن يكون المراد بالإسلام في الآية الإنقياد التّكويني لا

التّشريعي فمنهم القرطبي و هو من أكابر مفسّري العامّة قال في قوله تعالىٰ: وَ لَهُ أَسْلُمَ أي إستسلم وإنقاد وخضع وذلّ وكلّ مخلوقٍ فهو منقاد مستسلم لأنّه مجبولٌ علىٰ ما لا يقدر أن يخرج عنه.

و قال في قوله: طُوعًا وَكُرهًا نقلاً عن قتادة، أسلم المؤمن طوعاً والكافر عند موته كرهاً ولا ينفعه ذلك ونقل عن مجاهد أنّه قال إسلام الكافر كرهاً بسجوده لغير اللّه وسجود ظلّه للّه، ونقل عن رسول اللّه عَلَيْمُوللهُ أنّه قال لا تسبوا أصحابي فأنّ أصحابي أسلموا من خوف اللّه وأسلم النّاس من خوف السيف وأطال الكلام بذكر هذه الأقاويل التّي يستحي القلم عن نقلها.

فالقرطبي خالف القوم في المعنى المراد بالإسلام و وافقهم في قوله تعالى: طَوْعًا وَكُرْهًا فتّحصل ممّا ذكرناه أنّ جميع العامّة أو قاطبتهم إختاروا في تفسير الآية ما نقلناه عنهم.

و أمّا الشّيعة فأكثرهم نقلوا في تفاسيرهم بعض هذه الأقوال أوكلّها لم يأتوا في تفسير الآية بشئ غير ما ذكره أهل السنّة و هو عجيب وليت شعري كيف غفلوا عن انّ الآية غير مرتبطة بالدّين أعني به الإسلام بحسب التّشريع بل المراد بها شئ أخر.

قال الرّاغب في المفردات السَّلم والسّلامة التَّعري من الأفات الظّاهرة والباطنة، قال تعالى: بِقَلْبٍ سَليمٍ أي متَّعرٍ من الدَّغل فهذا في الباطن تعالى: مُسَلَّمة لاشِية فيها فهذا في الظّاهر وأطال الكلام في هذه اللّغة الى أن قال والسّلام والسّلم الصلّح و قيل السّلم إسم بأزاء حرب والإسلام الدّخول في السّلم والإسلام في الشّرع على ضربين أحدهما دون الإيمان الإعتراف باللّسان وبه يحقن الدم حصل معه الإعتقاد أو لم يحصل.

الثّاني: فوق الإيمان و هو أن يكون مع الإعتراف إعتقادٌ بالقلب و وفاء بالله على الله على الله

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

جزء٣ً

أي أجعلني ممّن إستسلم لرضاك وقوله: إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُـؤْمِنُ بِايَاتِنَا فَـهُمْ مُسْلِمُونَ (١) أي منقادون للحقّ، وقوله: يَحْكُمُ بِهَا ٱلتَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا (٢) أي النّدين إنقادوا من الأنبياء الّذي ليسوا من أولي العزم لأولي العزم انتهىٰ.

وقال في المنجد، أسلم أي إنقاد، تدَّين بالإسلام وقال في مجمع البحرين في قوله تعالى: وَأَجْعَلنا مُسلِمِينَ لَكَ أي منقادين لأوامرك ونواهيك وقال في قوله تعالى فلمّا أسلما، أي إستسلما وسلَّما لأمر الله تعالى وفي قوله: وَ سَلِّمُوا تَسْلَيمًا المراد به الإنقياد له اذا عرفت هذا فنقول يستفاد من كلمات أرباب اللغة أنّ الإسلام في الأصل الإنقياد والطّاعة إلاّ أنّ هذا الإنقياد والطّاعة أن كان بحسب الإعتقاد والفعل في أوامر الله ونواهيه يعبر عنه بالدّين والشّريعة وأن كان بحسب الإجبار والإكراه في أصل الوجود فليس من الدّين والشّريع بل يعبر عنه بالإنقياد التّكويني و بعبارةٍ أُخرى الإنقياد للمخلوق على قسمين تشريعي وتكوّيني، و ذلك لأنّ الإنقياد والطّاعة تارةً يكون على وجه الإختيار وأخرى على وجه الإختيار والإكراه، والأوّل يسمّى بالدّين و قد يعبر عنه بالطّاعة التّشريعية.

الثّاني: يعبّر عنه بالطّاعة التّكوينية ومنشأ هذا التّقسيم هو أنّ أمره تعالىٰ علىٰ قسمين: تشرّيعي، وتكوّيني.

فالأوّل: مثل أمره بالصّلاة والصّوم والزّكاة و غيرها.

الثّانى: هو قوله كُن فيكون ففي الأوّل قد يتّخلف المراد عن الإرادة وفي الثّاني لا يتّخلف وأن شئت قلت في الأوامر التّشريعية قد يتّحقق العصيان والمخالفة للأمركما ترىٰ أنّ المكّلف بالصّلاة والصّوم لا يصّلي ولا يصوم مثلاً و امّا الأوامر التّكوينية فلا يمكن لأحد المعصية والتّخلف عنها، لأنّ التّخلف يوجب عدم وجوده بعد إرادة الإيجاد و هو محال اذكيف يعقل أن لا يوجد

اء الفرقان في نفسير القرآن  $\left\{ egin{array}{c} F_{ij} \\ \vdots \\ iv. \end{array} 
ight\}$ ال

المخلوق بعد تعلق أمر الإيجادي به و لكن يُعقل أن لا يُصلي ولا يصوم بعد تعلق أمر التّشريعي به اذا عرفت هذا فلنرجع الى تفسير الآية ونقول.

قوله تعالىٰ: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي ٱلسَّمْواتِ وَ ٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَـرْهًا معناه إنقاد وأطاع له بـالإنقياد التّكويني من في السّموات والأرض من الموجودات، شاء أو لم يشاء رضى لأنّه تعالىٰ اذا أراد شيئاً فيقول له كُن فيكون، ولا إختيار للمخلوق في هذا المقام حتّىٰ يعصي فلا عصيان أصلاً ولا يتّخلف المراد عن الإرادة أبداً اذ أساس هذا الأمر علىٰ الجبر المحض بخلاف الأمر التّشريعي حيث أنّ أساسه علىٰ الإختيار الّذي هو واسطة بـين الإرادة والمراد لمّا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فلا محالة أسلم له وأطاع الأمر تكويناً كلّ موجود في السّموات والأرض و امّا قوله: طَوْعًا وَكُرْهًا فليس معناه أن بعض المخلوق كان مطيعاً وبعضهم كان مكرهاً في إجابة الأمر والإنقياد له بل قوله هذا كناية عن سلب الإختيار عن الخلق في هذا المقام اذ لا يسأل عن المخلوق هل هو طائعٌ أوكاره و عليه فلا حكم للموجود من جهة كونه مطيعاً أوكارهاً بل هو في مقام الخلق عارِ عن الطّاعة والكراهة لأنّ أمره بيد الغير و الطَوع والكره لا يعقلان الىٰ في مقام الشّعور والإختيار وهما مفقودان هناك و أنَّما قلنا كذلك لأنَّ قوله طوعاً وكرهاً من أدَّل الدَّليل على أنَّ المراد بالإسلام في الآية هو الإستسلام أعني به الإنقياد لا الدّين والشّريعة اذ لو كان المراد بقوله: أَسَلَم، أي تديّن وتشرّع كما فسرّوه فيكون قوله: طَوْعًا وَكُرْهًا بعد ذلك دليلاً علىٰ الجبر فأنَّ المعنىٰ له أسلم أي تديّن بالشرّع من في السّموات و الأرض طوعاً أي إختياراً وكرهاً أي إضطراراً وهو كما ترى صريحٌ في الجبر قال اللّه تعالىٰ: لآ إِكْراٰهَ فِي ٱلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ (١) فما ذهب اليه صاحب الكشَّاف وتبعه غير واحدٍ من المفسّرين فيه حيث قال، طوعاً، بالنَّظر اليُّ

الأدلّة والإنصاف من نفسه، وكرهاً بالسّيف أو بمعاينة ما يلجئ الني الإسلام يدّل علىٰ عدم تدبّره في الأية، أو قصور فهمه عن درك المراد منها و هكذا سائر المفسّرين ألم يعلم صاحب الكشّاف و غيره أنّ الإسلام لا يكون بالكره و الجَبر فأن علم ذلك فما معنى قوله: وَكُرْهًا بالسّيف أو بمعاينة ما يلجئ الى الإسلام أليس قوله هذا مخالفاً لقوله تعالى: لآ إِكْراهَ فِي ٱلدِّينِ.

وأظنّ أنّ ما أوقعهم في هذه الورطة هو قوله تعالىٰ في صدر الأية، أَفَغَيْرَ دين ٱللهِ يَبْغُونَ ثَمَّ قال: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي ٱلسَّمْواٰتِ (١) فحَمَلُوا الإسلام أعنى قوله: أَسْلَمَ على الدّين ولم يعلموا أنّ الدّين في الآية ليس بمعنىٰ الدّين المصطلح في عرف المتشرعة أعنى به الشّريعة بل المراد بالدّين هنا التّوحيد فالمعني يصير هكذا.

أفغير توحيد الله يطلبون وله أسلم أي إنقاد كلّ من في السّموات والأرض الأية والمراد بالإنقياد إنقياد المخلوق للخالق و هو لا يتّحقق بدون المعرفة و معرفة الله بأنَّه الخالق لا غيره هو توحيده فالإنقياد ملازمٌ للتَّوحيد:

قال الله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَييْءِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (٢).

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صِٰآقُاتِ<sup>(٣)</sup>.

و من المعلوم أن التّسبيح فرعٌ علىٰ المعرفة فمن لم يعرف اللّه كيف سبَّحه و معرفته توحيده ومثل هذه الآية في كون الذِّين بمعنىٰ التّوحيد قوله: إِنَّ ٱلدِّينَ جزء ٣ ﴾ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلامُ يعني أنَّ التَّوحيد عند اللَّه الإسلام و قوله: فَإِذا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ (<sup>۴)</sup> يعنى له التّوحيد وقوله (فأعبد الله مخلصاً له الدّين) يعني له التّوحيد و هذا أي كون الدّين بمعنىٰ التّوحيد في الآية قرينة

٢- الإسراء=٢۴

۱- پ ج ۳ ٣- النّور=٣

أُخرىٰ علىٰ أنّ المراد بقوله أسلم، ليس الإسلام المصطلح وملخّص الكلام أنّ الأية لابحث فيها من الدّين والشّريعة وأنّما هي حاثّة علىٰ التّوحيد وأنّ المخلوق علىٰ أيّ حالٍ مطيعٌ و منقادٌ لخالقه تكويناً و اذاكان منقاداً كذلك فلا محالة يعرفه ما بالخالقية و ليس لم حالقاً آخر حتّىٰ يطلب ولأجل هذا صدر الأية بالإستفهام الإنكاري و قال أفغير دين اللّه يبغون وله أسلم الآية أي كلّ من يطلبونه فهو أيضاً داخل في قوله: و لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمُواٰتِ و اذاكان كذلك فهو مخلوق مثلكم لا يكون خالقاً فالمطلوب واحد و هو اللّه تعالىٰ.

أمّا البحث الثّاني: و هو قوله: وَ إِلَـيْهِ يُرْجَعُونَ فهو إشارة الىٰ أنّ الكلّ مخلوق له تعالىٰ إذ كلّ مخلوق يرجع اليٰ خالقه بمعنىٰ أنّ سلسلة الموجودات تنتهي بالأخرة اليه تعالىٰ لأنَّ كلِّ ما وجد بالغير ينتهي اليِّ الموجود بالذَّات وحيث أنَّ ما سوىٰ اللَّه موجود مخلوق له تعالىٰ فرجوعه اليه ممّا لا ينكر وليس المراد بالرّجوع في الآية الرّجوع اليه لأجل الحساب يوم القيامة فأنّ الرّجوع بهذا المعنىٰ يخّتص بالمكّلفين والأية عامّة لأنّ قوله: وَ لَهُّ أَ سْلَمَ مَنْ فِي ٱلسَّمُواتِ والأرض، يشمل كلِّ المخلوق من الجماد والنبات والحيوان والملائكة والجنّ وبالجملة كلّ الموجودات كقولك رأيتُ من في الدَّار، من النَّاس والبهائم والطَّيور وغيرها نعم كلمة، من، إذا أستعملت في غير مقام الجمع بين النّاطقين و غيرهم فهي مختّصة بالنّاطقين كما إذا أستعملت منفردة و ما نحن فيه من مقام الجمع لقوله تعالى: طَوعاً وكرهاً لا من مقام الإنفراد و عليه فرجوع الجمادات والنباتّات اليه تعالىٰ للحساب لا معنىٰ له و اذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال أي يرجع وجود الكلّ اليٰ وجوده تعالىٰ فهو الخالق المعبود وحده لا شريك له في ذاته وصفاته فمن طلب في عالم الوجود غيره كائناً من كان فقد أخطأ لأنّ غيره مخلوق مثله سواءكان المطلوب عيسىٰ أو عزيراً أو غيرهما من المخلوق وهذا السِّر في التَّعبير بـالإستفهام الإنكاري المفيد للتّعجب أيضاً هذا ما فهمنا من الآية.

# قُلْ اٰمَنَّا بِاللَّهِ وَ مٰآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَ مٰآ أُنْزِلَ عَلَىٓ إِبْراٰهيمَ.

الظّاهر أنّ المخاطب بقوله، قُل، هو رسول الإسلام عَلَيْكِاللهُ أي قل يا محمّد، آمنًا بالله و ما أنزل علينا من الشّريعة المقدّسة والكتاب الإلهي أي آمنت أنا ومن إتّبعني من المؤمنين، بما أنزل علينا من التّوحيد والدّين، و يمكن أن يكون المراد من ضمير الجمع في قوله آمنًا وعلينا، أيضاً نفسه الشّريفة إذ يجوز أن يؤمر أن يتّكلم عن نفسه كما يتّكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبّيه وعليه فالمعنىٰ قل يا محمّد آمنت بالله وما أنزل علّى من القرآن والدّين وما أنزل من الله تعالىٰ علىٰ إبراهيم من الصُّحف وعلىٰ موسىٰ من التّوراة وعلىٰ عيسىٰ من الإنجيل وبالجملة آمنت بجميع ما أنزل علىٰ الأنبياء من ربّهم لانفّرق بين أحدٍ منهم أي من الأنبياء من هذه الجهة و نحن له، أي له تعالى، مسلمون، أي مستسلمون منقادون مطيعون لله تعالى وفي الآية دلالة على أنّ المؤمن الحقيقي مؤمن بجميع الأنبياء والكتب السّماوية الّتي أنزلت كما قال تعالى: وَ ٱلَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (١) والوجه فيه واضح فأنّ حكم الأمثال واحد والّذي حصل لنا من الأيتين هو التّوحيد والنبّوة.



# وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْاِسْلاٰمِ دينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِــنْهُ وَ هُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرينَ (٨٥)

#### ∕> اللّغة

يبَتَّغ: الإبتغاء الطّلب.

#### ⊳ الإعراب

دينًا نصب على التّمييز و يجوز أن يكون مفعول، يبتغ غَيْرُ صفة قدّمت عليه فصارت حالاً.

### ⊳ التّفسير

الظّاهر أنّ اللاّم في الإسلام للعهد أي ومن يطلب غير الإسلام المعهود الذي لما قال الله لإبراهيم أسلم: قال أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١).

و قال الله: و مَنْ أَحْسَنُ دينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنُ (٢).

وهذا الإسلام هو الذي أتى به نببينا عَلَيْ و قال بعثت الى الحنفية السّهلة و يمكن أن يكون المراد به في الآية الإسلام المعروف بين النّاس بعد ظهوره و طلوعه بواسطة النّبي عَلَيْ الله في أمّ القرى فأنّ النّاس يفهمون من لفظ الإسلام هذا الدّين وكيف كان يقول الله تعالى: و مَنْ يَبْتَغ أي يطلب غيره فلن يقبل منه، أتى بكلمة، لن، الّتي لنفي الأبد إشعاراً بأنّ هذا الدّين باق الى يوم القيامة و أنّه غير قابل للنسخ كما قال علي الإجلال محمد حلال الى يوم القيامة و حرامه حرام الى يوم القيامة وقوله : و هُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخاسِرينَ أي من يبتغ غيره فهو من الخاسرين يوم القيامة والخسران إنتقاص رأس المال ويُنسب ذلك الى الإنسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ثمّ أنّه

يستعمل في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدّنيا و هو الأكثر و قد يستعمل في المقتنيات النّفسية كالصّحة والسّلامة والعقل الإيمان والثّواب و هو الّذي جعله اللّه تعالىٰ في كتابه من الخسران المبين والخسران في الآية من هذا القبيل لأنّه خسران الدّين لا خسران الدّنيا وأن أردت التّوضيح أكثر من ذلك فنقول هذه الكلمة استعملت في القرآن علىٰ وجوهٍ خمسة.

أحدهما: بمعنى العجز ومنه قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف:

قال اللّه تعالى: قُالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ اَلذِّنْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةً إِنَّا إِذًا لَا اللّهِ لَا يَكُونُ اللّهُ الدِّنْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةً إِنَّا إِذًا لَعَاجِزُونَ.

ثانيها: بمعنىٰ الغبن و منه:

قال الله تعالى: قُلْ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوۤ اَلْنُفُسَهُمْ (٢) يعنِي غُبنُوا أنفسهم فصاروا الى النّار.

ثالثها: بمعنى الضّلالة و منه:

قال الله تعالىٰ: وَ مَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِنَ خُسْرانًا مُبِينًا. خُسْرانًا مُبِينًا (٣) يعنى فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

قال الله تعالى: و العصر، إنَّ الإنسان لفي خُسْرٍ (٢) يعني لفي ضلال. رابعها: بمعنى النقصان في الكيل والوزن و منه:

قال الله تعالىٰ: أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (۵) يعني من المُنقصين.

قال اللّه تعالىٰ: وَ أَقْيِمُوا اَلْوَرْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا اَلْمَيْزِانَ (٤) أي ولا تنقصوا الميزان.

خامسها: بمعنىٰ الخسران بعينه و أن شئت قلت بمعنىٰ الضّرر و منه:

٣- النَّساء = ١١٩

۵- الشعراء = ۱۸۱

الفرقان في تفسير القرآن للمسيح الم

ياء الغرقان في تفسير القرآن كرنج العا

قال الله تعالىٰ: وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (١). قال الله تعالىٰ: لَــئِنْ أَشْـرَكْتَ لَـيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَـتَكُونَنَّ مِنَ النَّـه تعالىٰ: لَــئِنْ أَشْـرَكْتَ لَـيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَـتَكُونَنَّ مِنَ النَّاسِرِينَ (٢). الْخَاسِرِينَ (٢).

يعنى الخسران بعينه إذا عرفت الخسران وأقسامه ومعانيه فقوله تعالىٰ: وَ هُوَ فِي آلْأُخِرَةِ مِنَ ٱلْخُاسِرِينَ يمكن حَمل الخسران علىٰ العجز، والغَبن، والضِّلالة، والضِّرر والأولىٰ حمله علىٰ الجميع فأن خسران الدّين عجزٌ وغبنٌ و ضلالة وضرر أعاذنا اللَّه منه، وفي قوله تعالىٰ ومن يبتغ، أي من يطلب إشارة الىٰ أنّ الإنسان مختار في دينه الّذي إرتضاه لنفسه لأنّ الطّلب لا يكون إلاّ من المختار فهذه الأيات أيضاً قرينة على أنّ المراد بالإسلام في الآية المتقدّمة ليس هو الَّدين المصطلح لمنافاته لقوله وكرهاً و قد مرَّ الكلام فيه، أن قلت لو كان الإنسان مختاراً في الدّين فلم قال اللّه تعالىٰ: فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي ٱلْأُخِرَةِ مِنَ ٱلْخُاسِرِينَ أليس هذا التّهديد والوعيد دّالاً علىٰ أنّ الإنسان ليس بمختار بل هو مجبورٌ في هذا المقام، قلت لا، لأنَّ الآية تدُّل علىٰ أنَّ الَّدين المرّضي عند الله الإسلام و من يبتغ غيره فهو خاسر في الدّنيا والأخرة، وهذا من إرائة الطّريق وكمال اللّطف في حقّ عبده كما يقول الطّبيب أن أكلت السّم تموتُ، والإنسان مختار في أكله وعدم أكله فمن كان محبًّا لبقاءه وحياته لا يأكل منه و من كان محبّاً لموته يأكل منه فالطّبيب وظيفته الإعلام ليهلك من هلك عن بيّنة و يحييٰ من حيّ عنها و ما نحن فيه من هذا القبيل و امّا العلّة في هذا الحكم فلأنّ الإسلام أكمل الأديان و لذلك نسخت الأديان بــه فــمن تـرك الكـامل بــل الأكمل وأخذ بأنقص منه فهو من الخاسرين وهذا الّذي ذكرناه من كون الإسلام أكمل لا ينافي أن يكون كلّ دين في عصره كاملاً إلا أنّه بإعتبار مقايسته الى الإسلام يتّصف بالنّقص لا في حدّ نفسه و هو واضح وسيأتي تفصيل الكلام فيه. كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ ايسْمَانِهِمْ وَ شَهِدُوۤا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقُّ وَ جَآءَهُمُ ٱلْبَيّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (٩٨) أُولٰيَّكَ جَزٰ آوُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَ اللَّهِ وَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَ اللَّاسِ أَجْمَعِينَ (٩٨) خَالِدينَ فيها لَا يُخَفَّفُ اللَّاسِ أَجْمَعِينَ (٩٨) خَالِدينَ فيها لَا يُخفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٨)

# ⊳ اللّغة

آلْبَيَّنَاتُ: جمع بَيِّنة وهي الشَّاهد أو كل إمارةٍ وعلامة دلّت على إثبات المدّعيٰ. ثَابُوا: تاب يتُوب تَوباً وتَوبةً أي رجع. وَ أَصْلَحُوا: الإصلاح ضدّ الفساد.

### ⊳ الإعراب

كَيْفَ يَهْدِى آلله حال أو ظرف والعامل فيها، يهدي وَ شَهدُوّا حال من الضّمير في كفروا و، قد، معه مقدرة و يجوز أن يكون معطوفاً على، كفروا أُولٰئِكَ مبتدأ و جَزْآؤُهُم مبتدأ ثانِ أَنَّ عَلَيْهِم لَعْنَةَ آلله أَنَّ إسمها وخَبَرها، خبر جزاء، أي جزاءهم اللَّعنة خالدين فيها حال من الهاء و الميم في عليهم، والعامل فيها الجارِّ أو ما يتّعلق به و فيها يعني اللّعنة.

# ⊳ التّفسير

كَيْفَ يَهْدِى ٱلله تَوْمًا كَفَرُوا إختلفوا في سبب نزولها فقيل أنّ رجلاً من الأنصار أسلم ثمّ إرتَّد ولحق بالشّرك ثمّ ندم فأرسل الى قومه سلوا رسول

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كريم.

الله عَيَّالِيْهُ هل لي من توبة فجاء قومه الى رسول الله عَيَّالِيْهُ فقالوا هل له من توبة فنزلت كَيْفُ أَيْ يَعْدَى الله عَلَيْهِمُ الى قوله: غَفُورٌ رَحيمٌ فنزلت كَيْفَ يَهْدِى ٱلله قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمُ الى قوله: غَفُورٌ رَحيمٌ فأرسل اليه فأسلم.

وقيل أنّ رجلاً من الأنصار إرتَّد فلحق بالمشركين فأنزل الله، كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا الله قوله: إِلَّا ٱلَّذِينَ تُأْبُوا فبعث بها قومه اليه فلمّا قرأت عليه ما كذَّبني قومي على رسول الله عَلَيْظِهُ ولا أكذبت رسول الله عَلَيْظِهُ عن الله عزّ و جلّ والله عزّ وجلّ أصدق الثّلاثة فرجع تائباً فقبل منه رسول الله عَلَيْظِهُ و تركه.

و قيل نزلت في اليهود لأنهم كانوا يبشّرون بالنّبي عَلَيْوَاللهُ وستفتحون علىٰ الّذين كفروا فلمّا بعث عاندوا وكفروا فأنزل اللّه عزّ وجلّ:

أُولٰئِكَ جَزْ آؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللهِ وَ ٱلْمَلاّئِكَةِ وَ ٱلنَّاسِ أَجْمَعينَ.

ثمّ قيل، كيف، لفظة إستفهام ومعناه الجحدي لا يهدي الله ونظيره قوله تعالىٰ: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ (١) قال الشّاعر:

يشمل القوم غارة شعواء

كيف نَومي علىٰ الفراش ولَمّا

أي لا نوم لي و قال الأخر:

كثيرُ و لكن أينَ بالسَّيف ضاربُ

فهذي سُيوفُ يا صُدّي بن مالكِ

ولنرجع الى تفسير ألفاظ الأيات كَيْفَ يَهْدِى ٱللّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ المِانِهِمْ أي لا يهديهم لأنّ الكفر بعد الإيمان يعبّر عنه بالإرتداد وَ شَهِدُوٓا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقُّ بعث من عند اللّه وَ جَآءَهُمُ ٱلْبَيّنَاتُ الدّالات على حقانية الرّسول وَ ٱللّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلطّالِمِينَ أي الكافرين بعد الإسلام وأي ظلم أفحش منه، قال صاحب الكشّاف في قوله: يَفْ يَهْدِى ٱللهُ قَوْمًا أي كيف ألطف بهم وليسوا من أهل اللّه لما علم الله من تصميمهم على كفرهم لأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأنّ الرّسول حقّ الى أنّ قال وهم

اليهود كفروا بالنّبي عَلَيْمُولَهُ بعد أن كانوا مؤمنين به و قيل نزلت في رهطٍ كانوا أسلموا ثمّ رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكّة الي أخر ما قال و قال المراد بالظَّالمين المعاندين الَّذين علم اللَّه أنَّ اللَّطف لا ينفعهم، و قال بعض المفسّرين من العامّة في قوله: و الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ أي لا يخلق في قلوبهم الهداية والظَّالمين عامّ معناه الخصوص أي لا يهدي من قضيٰ عليه بأنّه يموت علىٰ الكفر انتهيٰ.

أقول ما ذكره في تفسير الآية لا يستقيم لأنّه جبرٌ محض و ذلك لأنّ من قضيٰ عليه بأنّه يموت علىٰ الكفر، أو أنّ اللّه لا يخلق في قلوبهم الهداية، يوجب سلب الإختيار عن المخلوق وأنّه مجبور في كفره لأنّه قضي عليه بالكفر، أو لم يخلق في قلبه الهداية ولو كان كذلك فما ذنب المخلوق ثمّ كيف يعقل عقاب من قضي عليه بالكفر حتّىٰ يموت أليس عقابه هذا منه تعالىٰ ظلماً علىٰ عبده ثمّ أنّ الهداية ليست ممّا يخلق في القلب لأنّها من المعانى الإضافية الإعتبارية فكيف يعقل خلقها في القلب فالحقّ في المقام للزّمخشري و هو أن يكون المراد بالظّالمين المعاندين الذّين لا يقبلون الحقّ وأن كان واضحاً ظاهراً لعنادهم ولجاجهم و امّا أنّ اللّه تعالىٰ لا يـلطف بـهم لعلمه بأنَّه لا ينفعهم، ففيه أنَّ إللَّه تعالىٰ لا يمنع اللَّطف عن عبده أبداً وفائدته إتمام الحجّة عليه وَ شَهِدُوٓا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ جُآءَهُمُ ٱلْبَيّناتُ وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ أي كيف يهديهم الله وأنَّهم كفروا بعد إيمانهم وبعد شهادتهم بأنّ الرّسول حقّ وبعد أن جاءهم البيّنات، وهي المعجزات وخوارق جزء ٣ العادات التّي أجراها الله على أيدي الأنبياء كما قال تعالّي: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلْنًا رُسُلْنًا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْميزانَ (١) و قوله: وَ ٱللَّهُ لا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ **ٱلظَّالِمينَ** معناه أنّ الله تعالىٰ يكلهم الىٰ أنفسهم ومن وكله الله الىٰ نفسِه وسلب عنه التَّوفيق فمصيره الى جهنَّم وبئس المصير أُولَيِّكَ جَزْآؤُهُمْ أُنَّ

ياء الفرقان في تفسير القرآن بجب العبعا عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللهِ وَ ٱلْمَلآئِكَةِ وَ ٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ أي أنّ جزاء الكافر المعاند للحقّ بعد ظهوره له هو لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين هذا في الدّنيا، و امّا في الأخرة فهو قوله:

خْالِدينَ فيها أي في جهنّم لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَدْاٰبُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ أي لا يُؤخّرون ولا يُؤجّلُون.

إِلَّا ٱلَّذَبِنَ تَابُوا أي رجعوا عن كفرهم مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ الكفر وَ أَصْلَحُوا أي تجنبوا عن الفساد، أو دخلوا في الصّلاح، و قيل معناه أظهروا أنّهم كانوا على ضلالٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ يغفر الذّنوب جميعاً ورَحيمٌ بعباده بل هو أرحم الرّاحمين.

يستفاد من الأيات أنّ توبة المرّتد تقبل، لقوله: إِلاَّ ٱلّذين تٰابُوا وهو كذلك في المرّتد الملّي وهو الّذي لم تنعقد نطفته على الإسلام بل إنعقدت على الكفر ثمّ أسلم ثمّ كفر بعد إسلامه فهو الّذي يستتاب بعد الكفر فأن تاب قبل منه وما نحن فيه من هذا القبيل و لذلك قبلت توبتهم على أساس حيث قال: إلاَّ ٱلّذين تٰابُوا و امّا المرّتد الفطّري وهو الّذي إنعقدت نطفته على الإسلام ثمّ كفروا فهذا لا تقبل توبته على المشهور بين الفقهاء بل هو مجمع عليه بل يقبل بعد ثبوت إرتداده و قيل تقبل توبته بالنسّبة الى الأخرة و لا إشكال فيه فأنّ الله تعالى أعلم بعباده و مع ذلك لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، ثمّ أنّ الإرتداد يثبت بإنكار أصل من أصول الدّين مثل التّوحيد و النّبوة والمعاد، أو إنكار ضرّوريٌ من ضرّورياته كالصّلاة والصّوم والحجّ و الزّكاة و غيرها من الضّروريات النّي أطبق المسلمون على وجوبها و أمّا إنكار غير الضّروري من الدّين كصلاة الجمعة في زمان الغيبة أو الجهاد كذلك فلا و بالجملة كلّ واجب الدّين كصلاة الجمعة في زمان الغيبة أو الجهاد كذلك فلا و بالجملة كلّ واجب لا يعد منها يوجب الإرتداد وتفصيل الكلام في الفقه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمْ ثُمَّ ٱزْداْدُوا كُـفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أُحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَـو ٱفْتَدى بِـة أُولْــيِّكَ لَـهُمْ عَـذاب أَليه و ما لَـهُمْ مِـنْ نٰاصِرينَ (٩١)

### ا> اللّغة

مِلْءُ ٱلْأَرْضِ: المِلُ بكسر الميم مقدار ما يملُ الشَّئ وبالفتح مصدركات

### ⊳ الإعراب

ذَهَبًا تمييزه، والهاء في به، تعود علىٰ المل أو علىٰ ذَهب.

# ⊳ التّفسير

قال كثير من المفسّرين أنّها نزلت في اليهود كفروا بعيسي والإنجيل ثمّ إزدادوا كفراً بمحمّدٍ عَلَيْمِاللهُ والقرآن قاله القرطبي ونقل عن أبي العالية أنّه قال نزلت في اليهود والنّصاري كفروا بمحمّد عَلَيْكِاللهُ بعد إيمانهم بنعته وصفته ثمّ جزء٣ ۗ إزدادواكفراً بإقامتهم علىٰ كفرهم و قيل إزدادواكفراً بالذُّنوب الَّتي إكتسبوها وهذا مختار الطّبري و هي عنده في ايهود، و قال الشّيخ في التّبيان في هذه الأية أي قوله: إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمْ ثُمَّ ٱزْدادُوا كُفْرًا الى آخر الأية، أربعة أقوال.

أحدها: قال إبن عبّاس هي فرقة إرتدّت ثمّ عزمت على إظهار التّوبة على

جهة التُّورية فإطِّلع اللَّه نبيَّه علىٰ ذلك بإنزال هذه الآية.

ثانيها: قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ثمّ إزدادوا كفراً بمحمّدٍ عَلَيْمِاللهُ فلن تقبل توبتهم عند حضور موتهم.

ثالثها: قال الحسن هم اليهود والنصارى كفروا بالنبي، فلن تقبل توبتهم، التي كانت في حال إيمانهم، فأن قيل لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة، قيل لأنها كفرت بعد إيمانها ثمّ إزدادت كفراً الى إنقضاء أجلها فحصلت على ضلالتها الى أن قال و قيل أنما لم تقبل توبتهم لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله أُولِيِّكَ هُمُ ٱلضَّآلُونَ.

رابعها: قال الطّبري أنّه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم قال لأنّه لا خلاف بين الأمة أنّ الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين في أنّ حكمه حكم المسلمين في وجوب الصّلاة عليه و مواريثه و دفنه في مقام المسلمين و إجراء جميع أحكام الإسلام عليه ولوكان إسلامه غير صحيح لما جاز ذلك انتهى.

ثمّ إعترض الشّيخ عليه بأنّه لا يمتنع أن نتّعبد بإجراء أحكام الإسلام عليه و إن كان إسلامه على وجه من الإلجاء لا يثبت معه إستحقاق الثّواب عليه كما إنّا تعبد نا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين وأن كانوا كفّاراً و أنّما لم يجز قبول التّوبة في حال الإلجاء اليه لأنّ فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط المدح والذّم:

قال الله تعالىٰ: وَ لَيْسَتِ اَلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ اَلسَّيِاٰتِ حَتَّى إِذاْ حَضَرَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ اَلْأَنَ (١).

قال الله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكينَ،فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ايمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا (٢).

فأمّا إذا عاد في الذّنب فلا يعود اليه العقاب الّذي سقط بالتوّبة لأنّه إذا تابّ منه صار بمنزلة ما لم يعلمه فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعلمه سواء قلنا أنّ سقوط العقاب عند التّوبة كان تفّضلاً أو واجباً و قـد دلّ السّمع على وجوب قبول التّوبة و عليه إجماع الأمّة.

قال الله تعالىٰ: وَ هُوَ الَّذِي يَـقْبَلُ ٱلتَّـوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَـعْفُوا عَـنِ اَلسَّيِئَات $^{(1)}$ .

قال الله تعالىٰ: غافِر ٱلذَّنْبِ وَ قَابِلِ ٱلتَّوْبِ(٢) أنتهىٰ.

ما ذكره الشّيخ في المقام وتبعه الطّبرسي تَنْخُ في المجمع فأنّه نـقل في سبب نزول الآية ما نقله القوم ثمّ قال قد ذكرنا الإختلاف في سبب نزوله وعلىٰ ذلك يدور معناه و قيل كلمًا نزلت آية كفروا بها ثمّ إزدادوا كفراً الي كفرهم لَنْ تُقْبَلَ ۚ تَوْبَتُهُمْ لأنّه لم تقع علىٰ وجه الإخلاص ويدّل عليه قوله: أُولٰتِكَ هُمُّ ٱلظُّآلَّهِ نَ.

أقول ما ذكروه في تفسير الآية لايرجع الى محصّل فلاينبغي الإعتماد عليه. أمّا الوجه الأوّل: و هو ما ذكره إبن عبّاس حيث قال هي فرقة إرتدّت ثمّ عزمت على التّوبة الخ ففيه أنّ الإرتداد على قسمين، فطّريّ و ملّى.

والأوّل: لا تقبل توبته في الدّنيا ويقتل بمجرّد ظهور الكفر منه و لا يشترط فيه إزديادٌ في الكفر فهو خارج عن الآية لأنّها دلّت بظاهرها علىٰ عدم قبول التّوبة لمن إزداد في كفره والفطري ليس كذلك، وأن كان مراده من الإرتداد الإرتداد عن ملّةٍ كما ظاهر الآية بمعنىٰ أنّه آمن ثمّ كفر ثمّ إزداد في كفره علىٰ ما جزء ٧ بيّنوه في معنى الإزدياد فهو تقبل توبته في المرحلة الأوّليٰ على المشهور بين علماء المسلمين ولا يقتل، و امّا قوله عزمت على إظهار التّوبة على جهة التّورية فإطّلع الله نبّيه على ذلك بإنزال هذه الآية فكلام لا يساعده العقل ولا النّقل.

أمّا العقل فمعلوم و امّا النّقل فلأن الإسلام يحكم بظاهر الأمر فأن كان المرتّد ممّن يستتاب شرعاً فأن تاب قبلت توبته سواء كانت على وجه التّورية أم لم يكن و امّا تفتيش القلوب فهو على خلاف القواعد فقوله فأطّلع نبّيه على ذلك كلام لا طائل تحته وقول أبي العالية، لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الإقامة على كفرهم، لا نفهم معناه و ذلك لأنّ التّوبة أن قبلت قبلت وإلاّ فلا فأن لم تقبل توبته من الذّنوب التي أصابها في حال كفره، فمن أيّ شئ تاب وأيّ فائدة في هذه التّوبة.

أمّا الوجه الثّانى: وهو ما ذكره قتادة و قال هم اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ثمّ إزدادواكفراً بمحمّد عَيَكُولُهُ فلن تقبل توبتهم عند حضور موتهم، فهو أيضاً كلام بلا محصّل إذ لازم ذلك القول أنّ اليهود أو كلّ كافر لو آمن بالله ويرسوله قبل موته بالطّوع والرغبة لا بالجبر والكراهة والإلجاء أن نقول بعدم قبولها و هو ممّا لا يقبله الشّرع قطعاً.

أمّا الوجه الثّالث: وهو ما قاله الحسن، هم اليهود والنّصاري كفروا بالنّبي فلن تقبل توبتهم الّتي كانت في حال إيمانهم الى آخر ما قال فهو أيضاً باطل لأنّه مستخرجٌ من ظنّه الفاسد و لا دليل عليه و ذلك لأنّ اليهود والنّصاري في عهد النّبي كانوا داخلين في المرّتد الملّي وقد قلنا أنّ المرتّد الملّي تقبل توبته في الرّدة الأولى بالإتفاق وقوله في آخر كلامه لأنّهم لم يكونوا فيها مخلصين شطط من الكلام لأنّ الإسلام تجري أحكامه على الظّواهر لا على البواطن إذ لو كان كذلك فأكثر المسلمين في زمان النّبي لم يكونوا مخلصين في قبولهم الإسلام وهو ظاهر.

أمّا الوجه الرّابع: و هو قول الطّبري فهو أيضاً لا يصّح على إطلاقه و ذلك لأنّ الكافر إذا أسلم قبل موته فهو على أقسام.

أحدها: أن يكون كافراً من حين ولادته الى وقت حضور موته ثمّ آمن قبل

الموت علىٰ أساس الميل والإختيار من غير إكراهٍ ولا إلجاءٍ فهو مـمن تـقبل توبته قطعاً.

ثانيها: أن يكون كافراً ثمّ آمن ثمّ كفر وبقى علىٰ كفره الىٰ وقت حضور موته ثمّ آمن قبل الموت لا عن إلجاء واضطرارِ فهو أيضاً تقبل توبته لأنّه كفر بـعد إيمانه مرّةً واحدة لأنّه بقي عليه الي حضور أجله ثمّ ندم وتاب فهو مرتّد ملّى و قد قلنا أنّ توبة المرّتد اذا كان الإرتداد عن ملّةٍ في المرتبة الأولىٰ تقبل و لا يقتل وما نحن فيه كذلك.

ثالثها: أن يكون مؤمناً مسلماً عن فطرةٍ ثمّ كفر و إرتَّد و بقى على كفره الى حضور أجله ثمّ ندم وتاب، فالظّاهر أنّ توبته لا تقبل عند النّاس و بحسب موازين الشّرع لأنّه كان محكوماً بالقتل بمجّرد إرتداده إلاّ أنّه لم يقتل وبقي حيّاً بأيّ سببٍ كان ففي هذه الصُّورة أن كـان إرتـداده مـعلوماً للـنّاس بـمعنىٰ أنّ المسلمين كانوا عالمين بإرتداده إلا أنّه كان في مكانٍ أو وضع لم يقدروا على إجراء حكم القتل عليه فالقاً عدة تقتضي عدم قبول توبته في الظّاهر فلا يجوز إجراء أحكام الإسلام عليه بعد موته و امّا في الواقع و نفس الأمر فالله أعلم بقبول توبته و عدمه و امّا أن لم يكن إرتداده معلوماً لهم فالظّاهر إجراء أحكام الإسلام عليه لأنّه أمن قبل موته ولم يكن مرّتداً بالإرتداد الفطري على الظّاهر فلامانع في عدّه من المسلمين بعد موته فقول الطّبري على الإطلاق لا يصّح و أمًا ما ذكره الشّيخ وَلَيْنُ ردّاً على الطّبري فهو أيضاً على إطلاقه لا يصّح كما جزء ٣ كوفت من أقسام الكافر و امّا إستدلاله مَنْ أَنَّ بالأية و هي و ليست التّوبة للّذين يعملون السّيئات حتّىٰ اذا حضر أحدهم الموت الآية فسيأتي الكلام فيه عند البحث في الآية إن شناء الله في سورة النساء.

و أمَّا ما ذكره الطَّبرسي في عدم قبول التَّوبة و هو أنَّها لم تقع علىٰ وجه الإخلاص منهم، ففيه أن كان المراد بعدم قبول توبته عدمه في الواقع عند الله

تعالى فلا علم لنا به لا نفياً ولا إثباتاً، وأن كان مراده بعدم قبولها في الدنيا عند الحاكم أو عند المسلمين فلا دليل عليه ومجّرد القول بأنها لم تقع على وجه الإخلاص، لا يكفي في الرّد لأنّ الله تعالى هو العالم بالضّمائر والأسرار وليس شرط قبول التّوبة من التّائب العلم بكونها على وجه الإخلاص و هو ظاهر.

و قال البيضاوي في تفسير الآية إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمْ ثُمَّ آزْدادوا كُفُرًا كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ثمّ إزدادوا كفراً بمحمّد والقرأن وكفروا بمحمّد عَلَيْظَ بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثمّ إزدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصَّد عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم إرتدوا ولحقوا بمكة ثمّ إزدادوا كفراً بقولهم نتربص بمحمّد ريب المنون أو نرجع اليه وننافقه بإظهاره انتهى.

أقول ما ذكرهالبيضاوي أخذه من الكشّاف كما هو دأبه ودأب كثير من مُفسري العامّة بعد الزّمخشري وقس على ما ذكرناه من أقوالهم ما لم نذكره حذراً من الإطناب فأنّك اذا تفحّصت التّفاسير تجدها على وتيرة واحدة في تفسير الآية مع إختلاف في الألفاظ والعبارات فأنّا لم نجد في تفاسير العامّة و الخاصّة ما يرفع الإشكال أو الإبهام عن الآية والذي جعل الآية من المشكلات أم ان:

أحدهما: قوله: ثُمَّ آزْداْدُواكُفْرًا مامعناه وما المراد بإزدياد الكفر.

ثانيهما: قوله: لَنْ تُقْبَلَ تَوْيَتُهُمْ هل هو في الدّنيا أو في الأخرة وعلىٰ التّقديرين لم لا تقبل فالبحث في مقامين:

المقام الأوّل: في المراد بقوله ثُمَّ آزْدادُوا كُفْرًا فنقول ما ذكروه في معناه على مامرّت الإشارة اليه لا يساعده العقل و لا اللّفظ.

أمّا العقل فلأنّ الكفر عبارة عن إنكار الحقّ من التّوحيد والنّبوة والمعاد أو ضرّوري من الضّروريات فهو من الأُمور العدّمية التّي لا تقبل الزّيادة والنّقصان في حدّ نفسه فلا يقال زيد أكفر من عمرو اذا كانا كافرين، إلاّ بضربٍ من المسامحة وبعبارةٍ أوضح من كان منكراً لِلّه تعالىٰ وحده فهو كافر ومن منكراً له تعالىٰ و لرسوله فهو أيضاً كافر و من كان منكراً لهما و للمعاد فهو أيضاً كافر و هكذا ويطلق لفظ الكافر علىٰ الأوّل و الثّاني و الثّالث علىٰ سبيل التّواطئ لا علىٰ سبيل التّشكيك حتّىٰ يقال الأوّلكافر والثّاني أكفر منه والثّالث أكفر منهما بل يقال هذا كافر سواء أنكر الله وحده أم أنكره والرّسالة والمعاد، والسِّر فيه هو أنّ الزّيادة والنّقصان والشّدة والضّعف وأمثالهما من شئون الموجو دالعدم فلا يعقل فيه منها شئ ، اذ لا ميز في الإعدام من حيث العدم، والكفر عدم لأنَّه عدم إظهار الحقّ فليس فيه شئ منها عقلاً.

و أمّا اللّفظ فلأنّ قوله تعالىٰ: آزْدادُوا كُفْرًا بمعنىٰ طلب الزّيادة قال في المنجد إزادادوا بمعنىٰ زاد لازماً ومتّعدياً طلب الزّيادة ويظهر من كلام الرّاغب في المفردات أنّه بمعنىٰ قبلو الزّيادة، قال الزّيادة أن ينّضم الىٰ ما عليه الشّي في نفسه شئ أخر يقال زدته فإزداد، أي قبل الزّيادة و قال إزددت فضلاً أي إزداد فضلى انتهيٰ و عليه فقوله: ثُمَّ ٱزْدادُوا كُفْرًا أي ثمّ زادواً كفراً، فليس هناك شيئاً أخر ينضّم الى ما عليه الشّي و بعبارةٍ أُخرى ليس هناك كفراً أخر غير الأوّل لينضّم اليه حتّى يصدق الإزدياد فمن كان مؤمناً بموسى ثمّ كفر بعيسىٰ صاركافراً فاذاكفر بمحمّدٍ عَلَيْكِاللهُ أيضاً لم يزد علىٰ كفره شيئاً وهكذا من كان كافراً بالله ثمّ كفر برسوله أيضاً، لم يزد علىٰ كفره لأنّه كافر بالأصل سواء جزء ٣ كل كفر بالفرع أيضاً أم لم يكفر و محصّل الكلام هو أنّه اذا ثبت الكفر فهو كافر من غير فرقي بين الكفر بواحدٍ أو أثنين أو ثلاث أو مائة أصَّر علىٰ كفره أو لا كفر بجميع الأنبياء أو بواحد منهم، لا فرق بين هذه الموارد من حيث الكفر و لا يعقل الإزدياد فيه، ولا اللَّفظ يساعده اذ ليس هناك غمّ شيّ الي شيّ فما ذكروه في معنىٰ ثُمَّ آزْدادُواكُفْرًا لا يصّح.

والّذي نفهم من هذا الكلام هو أنّ الكفر هنا بمعنىٰ الإرتداد وأن شئت قلت المراد به الكفر الحاصل من الإرتداد لا مطلق الكفر والدَّليل على المدَّعيٰ هو أنَّه قال: إنَّ ٱلَّذينَ كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمْ ثُمَّ ٱزْداْدُوا كُفْرًا فقوله كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهم معناه أنّهم إرتّدوا عن إيمانهم الي الكفر فصاروا كافرين بعد ما كانوا مؤمنين فيصير معنىٰ قوله: إنَّ ٱلَّذينَ كَفَرُوا أنَّ الّذين إرتّدوا، و اذاكان الكفر الأوّل بمعنىٰ الإرتداد أو ناشئاً منه فالكفر الثّاني و هو قوله ثمّ إزدادواكفراً أيضاً يكون بهذا المعنىٰ وعلىٰ هذا يصير المعنىٰ أنَّ الَّذين كفروا بـالإرتداد بـعد إيمانهم ثمّ إزدادوا على الإرتداد الأوّل إرتداداً وكفراً ثانياً، ولازم ذلك أن يكون بين الكفرين أو الإرتدادين رجوع الى الإيمان اذ لولا ذلك لا يتّحقق الإرتداد ثانياً واذاكان كذلك أي اذا صدر عنه إرتدادين فلن تقبل توبته بالإتّفاق و ذلك لأن المرتد عن ملّةٍ في المرتبة الأولى يستتاب فاذا تاب ورجع الي الإيمان ثمّ صدر عنه الإرتداد ثانياً فلا يستتاب على المشهور ولا تقبل توبته بل يقتل و لذلك قال الله تعالى: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُونَ وأنَّما قلنا ذلك لأنَّ الكفَّار في عهد الرَّسول كانوا صنفين صنفٌّ منهم كانوا كـافرين بــه عُلِّيْكِاللَّهُ مطلقاً وصنف كانوا كافرين ثمّ آمنوا به ثمّ كفروا والأية نزلت في هذا الصَّنف لا في الصّنف الأوّل لقوله: إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ ايمانِهِمْ و اذا كان كذلك فكانوا مرّتدين عن ملّةٍ لا عن فطرةٍ لإنعقاد نطفتهم على الكفر فصّح أن يقال أنّ الّذين كفروا بعد إيمانهم بالرّسول ِثمّ إزدادوا كفراً، أي إرتـداداً و ثـانياً **لَـنْ تُــقْبَلَ** تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰنَّكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ.

أن قُلت يلزم ممّا ذكرته في تفسير الآية أن يكون كفراً أوّلاً وكُفراً ثانياً أمّا الأوّل فمعلومٌ و أمّا الثّاني فليس بمعلوم.

قلت أمّا الكفر الأوّل مُصَرح به في الآية في قوله: إِنَّ ٱلَّذَيِنَ كَفَرُوا بَعْدَ اينَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ اينانِهِمْ وأمّا النّاني فيستفاد من قوله: ثُمَّ ٱزْدادُواكُفْرًا فأنّ الإزدياد ضمّ شئ

الىٰ شئ وفي المقام ضمّ كفر الىٰ كفر فلو كان الكفر الثّاني في الآية هو الكفر الأوِّل كما زعموا فلم يزد شئياً علىٰ شئ وقلنا أنَّ الكفر من حيث أنَّه أمرٌ عدَّمي لا يقبل الشُّدة والضَّعف والكمال والنَّقصان فما معنىٰ قوله: ثُمَّ ٱزْدادُوا كُفْرًا هذا كلُّه في المقام الأوّل.

وأمّا المقام النّاني و هو قوله: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ فقد ظهر معناه ممّا ذكرناه والحمد لله ربّ العالمين.

# إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تُوا وَ هُمْ كُفًّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْ ءُ ٱلْأَرْض

أي أنّ الّذين ماتوا على الكفر فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهباً أي مقدار ما يملاً الأرض من الذّهب وَ لَوِ أَفْتَدٰى بِهِ الإِفتداء، البدل من الشّيّ في إزالة الأذية، والمعنى ولو إفتدى به نفسه من العذاب قيل تقديره فلن يقبل من أحدهم فدية ولو إفتدي بملأ الأرض ذهباً ويحتمل أن يكون المراد فلن يقبل من أحدهم إنفاقه في سبيل الله بملأ الأرض ذهباً في الدّنيا ولو كان على وجه الإفتداء من عذاب الأخرة من دون توّقع ثوابِ أخر.

قال صاحب الكشّاف فأن قلت كيف موقع قوله: وَ لُو أَفْتَدٰى بِهِ قلت هو كلامٌ محمول على المعنىٰ كأنّه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو إفتدىٰ بملّ الأرض ذهباً و يجوز أن يراد ولو إفتدىٰ بمثله كقوله ولو أنَّ للَّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه، والمثل يحذف كثيراً في كلامهم كقولك ضربته جزء ٣ خرب زيد تريد مثل ضربه، و يجوز أن يقال، فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهباً كان قد نصّدق به ولو إفتدىٰ به أيضاً لن يقبل منه انتهىٰ كلامه ومنهم من قال أنّ الواو في قوله: وَ لَوِ ٱفْتَدٰى هي مقمحة زائدة والمعنى فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهباً لو إفتدىٰ به، و قال أهل النَّظر من النّحويين لا يجوز أن تكون الواو مقحمة لأنّها تدّل على معنى.

أن قلت أليس هذا منافياً لقانون العدل من حيث أنَّ عدم القبول من الكافر تضييعٌ لحقّه و قد قال الله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(١) قلت قوله تعالىٰ في الآية لا يدّل علىٰ أنّه مثل من لَم ينفق بل يدِّل علىٰ أنَّه تعالىٰ لن يقبل الإنفاق منه بحيث كان مُوجباً لرفع العذاب عنه يوم القيامة و بعبارة أخرىٰ أنَّ الآية قد دلَّت عـلميٰ أنَّ الكـافر لا يمكن له التّخلص من عذاب اللّه لأجل العّامة أو أنّ المال لا يخلصه من عذاب اللَّه وَ لَوِ أَفْتَدُى بِهِ من نفسه و هو عين العدل فأنَّ اللَّه تعالىٰ بعد إتمامه الحجّة علىٰ عباده بالعقل الدّين جعل الجنّة للمطيع المؤمن والنّار لعاصى الكافر فمن أطاعه على أساسي المعرفة فله روحٌ وريحان وجنّة نعيم، ومن عصاه علىٰ أساس الكفر به فله عذاب جهنّم ويئس المصير، ثمّ أنّ في قوله تعالىٰ: وهُم كُفارإشارة الىٰ أنّ الكافر لو آمن باللّه ورجع عن كفره قبل موته فليس من مصاديق الآية لأنّ الإسلام يجب ما قبله، و امّا إذا بقيٰ علىٰ كـفره حتّىٰ مات عليه فلا ينجو من عـذابـه بـوجهِ مـن الوجـوه فأنّ النّـار أعـدّت للكافرين، و في قوله: وَ مَا لَهُمْ مِنْ نُاصِرِينَ دليل على ذلك أي على خلودهم في النّار.

# لَنْ تَنْالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِـمَّا تُحِبُّونَ وَ مُـا تُنْفِقُوا مِـمَّا تُحبُّونَ وَ مُـا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَليمٌ (٩٢)

### ⊘ اللّغة

ٱلْبِرُّ: بكسر الباء علىٰ ما قيل إسمّ جامع للخير كلِّه والمراد به هنا الجنّة.

# ⊳ الإعراب

مِمْا تُحِبُّونَ ما بمعنىٰ الّذي أو نكرة موصوفة (والهاء) في، به، تعود علىٰ، ما، أو علىٰ، شئ.

# ⊳ التّفسير

لَنْ تَنْالُوا الْبِرَّ أي لن تصلوا الخير أو الجنّة حَتَّى تُنْفِقُوا في سبيل الله مِمَّا تُحِبُّونَ أي حتّى تنفقوا في سبيله أحبّ الأشياء وأعزّها عندكم من المال والجاه وغيرها في طاعة الله وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ أي شيّ كان ولهذا نكره فَإِنَّ ٱلله بِه عَليمٌ جميلاً كان الشّئ أو رديئاً.



ولا يحجب دُعاءنا عن الله إقتصروا على حلالكم وحرامكم فأسألوا عنه، وإياكم أن تسألُوا أحَداً من الفُقهاء عمّا لا يُغنيكم وممّا سَتر الله عنكم انتهى.

محمّد بن يعقوب بأسناده عن أبي عبد الله عليه أنه كان يتصدق بالسّكر فقيل له أيتصدق بالسّكر فقال عليه انه ليس شئ أحَبّ إليّ منه فأنا أحّبُ أن أتصدق بأحَبّ الأشياء إلي وعن تفسير علي بن إبراهيم - أي لن تنالوا الثّواب حتى تردُوا الى آل محمّد حقّهم من الخُمس والأنفال والفئ انتهى.

و روي أبو علي الطبرسي عن إبن عمر أنّ النبي عَيَّانَ أن من هذه الأية فقال: هو أن يُنفق العبد المال و هو شحيح بأمل الدّنيا و يرجو الغنى و يخاف الفقر انتهى (١).

تمَ الجزء الثّالث بعون اللّه و توفيقه ويتلوه الجزء الرّابع أوّله كلّ الطّعام كان حلاً لبني إسرائيل.

# الفهرست

	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	سوره البعره.
	٩	الأية ٢٥٣
	٩	اللّغة
	<b>1.</b>	الإعراب
	W	التّفسير .
	۲۳	الآية ٢٥۴
	YT	اللّغة
<u>.j</u> .	YT	الإعراب
الفرقان	YT	التّفسير .
ضياء الفرقان فى تفسير القرآز	۲۶	الآية ٢٥٥
ير القرآ	۲۶	اللّغة
<b>ا</b> راء	YV	الإعراب
<b>حزء</b> ۳}	YV	التَّفسير .
<u>_</u>	۴۶	الآية ۲۵۶
كم المجلد الثالث	۴۶	اللّغة
ই	۴٧	الإعراب
	۴٧	التّفسير .

۵۱	تنبية
۵۵	الآية ۲۵۷
۵۵	اللّغة
راب	الإعر
مير	التّف
۵۷	الآية ٢٥٨
۵۷	اللّغة
راب	الإعر
مير	التَّف
9	الآية ٢٥٩
۶۰	اللّغة
راب	الإع
سير	التّف
99	الآية ۲۶۰
99	وز اللّغا
راب	الجيا الخرقان في نفسير ما الغرقان في نفسير ما الغرقان في الم
سير	الله الله الله الله الله الله الله الله
V9	الأية ٢۶١.
٧۶	اللَّغ
راب	﴿جزء٣ۗ الإء
سير	الله
الى ۲۶۴	الأيات ٢٩٢
V9	اللغ
رراب	الإء

	A1	التَّفسير .
	۸۵	الآية ۲۶۵
	۸۵	اللغّة
	۸۵	الإعراب
	۸۶	التّفسير .
	A9	الآية ۲۶۶
	A9	اللّغة
	A9	الإعراب
	٩٠	التَّفسير
	97	الآية ۲۶۷
	٩٣	اللّغة
	٩٣	الإعراب .
	9*	التّفسير
	99	الآية ۲۶۸
٠٩.	99	اللغّة
ضياء الفرقان في تفسير	99	الإعراب .
ان <b>ن</b> ی	99	التّفسير
سير القرآن	1.5	الآية ٢۶٩
رخ آخ	1.5	اللّغة
ر جزء۳	1.7	الإعراب .
<b>~</b>	١٠٣	
المجلد الثالث	١٠٨	الأية ۲۷۰
a T	1.4	
	\•A	

١٠٨	التّفسير
117	الاَية ٢٧١
117	اللغّة
117	الإعراب
117	التّفسير
119	الآية ۲۷۲
119	اللّغة
119	الإعراب
119	التّفسير
171	الآية ۲۷۳
171	اللّغة
171	الإعراب
177	التّفسير
170	الآية ۲۷۴
١٢٥	.ون اللّغة
١٢٥	باله على المنطقة ا
170	ري التَفسير
١٣٠	الم جمال الكيات ٢٧٥ الى ٢٧٩
18	ـــــــــ اللّغة
187	<b>جزء٣ ا</b> لإعراب الإعراب الإعراب
17Y	التّفسيرالتّفسير
144	· <u> </u>
144	اللغّة
144	الاعلى

نفسير	<b>ી</b>
۴۷	الأية ٢٨١
غَة۴۷	וע
(عراب	الإ
فسير	الد
۵۱	الآية ٢٨٢
غة	اللّ
إعراب	الإ
فسير	الدّ
99	الآية ٢٨٣
غة	اللّ
عراب	الإ
فسير	الدّ
v•	الآية ٢٨۴
فة	اللّ
عراب	וע
فسير	الدّ
۷۶	الأيات ٨٥
V9	اللّ
عراب	וּצִ
فسير	الدَّ



ة آل عمران	سور
ت ۱ الی ۴ ۴	الأراد-
اللّغة	
الإعراب	
التّفسير	. 5
ت ۵ و ۶	الاياد
الإعراب	
التّفسير	
1 q v	الآية
اللّغة	
الأعراب	
ـر ت ۸ و ۹ ۲۱۸	<b>.د</b> الأيار
اللّغةاللّغة.	امانها نطح الفرقان فعی مانها نظیاء الفرقان
الإعراب	نطسير
التَفسير	يقر
اللّغة	ر کے زء۳>
الإعراب	ك المجلد
التَّفسيرالتَّفسير	3
۲۲۶ ١٣ اللّغة	الايه

	779	الإعراب
	779	التّفسير
	779	الأية ١۴
	779	اللّغة
	779	الإعراب
	۲۳	التَّفسير
	٢٣٥	الأيات ١٥ الى ١٧
	٢٣٥	اللّغة
	۲۳۵	الإعراب
	Υ٣۶	التّفسير
	٢٣٩	الآية ١٨
	Ymq	اللّغة
	Ymq	الإعراب
	٢٣٩	التّفسير
· <b>'</b> .	749	لأية ١٩
ضياء الفرقان في تفسير القرآن	749	اللّغة
ن فی تف	749	الإعراب
ia(	۲۵۰	التّفسير
<b>-</b> ∕~	۲۵۸	لآية ۲۰
<b>حزء</b> ۳}	۲۵۸	اللّغة
	۲۵۸	الإعراب
العجلد الثالث	۲۵۸	التَّفسير
2	79	لاًیات ۲۱ و ۲۲
	w.c	7.11

۲۶.	الإعراب	
۲۶.	التَّفسيرالتَّغسيرالتَّغسير	
754	ات ۲۳ الی ۲۵	الآي
454	اللّغة	
757	الإعراب	
754	التَّفسير	
757	ات ۲۶ و ۲۷	الآي
750	اللّغة	
750	الإعراب	
481	التَّفسير	
774	YA =	الأي
774	اللّغةاللّغة	
774	الإعراب	
777	التَّفسير	
79.	بات ۲۹ و ۳۰	,و الأ
79.	اللّغةاللّغة	کا ضیاء الفرقان فی تفسیر
۲٩.	الإعراب	نظ نوک
79.	التَّفسير	ير القرآن
797	بات ۳۱ و ۳۲	مم الأ
	اللّغة	<b>جزء</b> ۳}
	الإعراب	
	التَّفسير	؟ العجلد الثالث
	يات ٣٣ و ٣٣	الاً
۳.,	اللّغةاللّغة	

۳۵۹								 •										 	٠.		٠.		اب	عرا	الإ				
۳۵۹														 									یر		التّف				
٣۶١														 				 				۵۱	١,	لى	14/	ت ۱	لآيار	١	
٣۶١						 								 				 						. ة	اللَّغ				
<b>7</b> 57						 								 				 					اب	عوا	الإ				
٣۶٣						 								 				 					یر		التّف				
٣٧٨						 					 			 				 				۵۱	٠,	لى	۱۵۱	ت '	لآياه	1	
٣٧٨						 					 			 				 						نة	اللَّهٰ				
٣٧٨						 					 			 				 					اب	عوا	الإ				
٣٧٩				. :		 		 			 			 				 					یر		التَّف				
۳۸۱						 		 			 			 				 				۵/	١,	لى	۱۵۵	ت د	لآياه	١	
۳۸۱								 			 			 				 						نة	اللَّهٰ				
۳۸۱								 			 			 									اب	عوا	الإ				
۳۸۲								 			 			 				 					یر		التَّف				
494								 			 			 				 				9	٠,	J	۰۵۹	ت	لآياه	1	
۳۹۴								 			 			 				 						نة	اللَّ				
494								 			 			 				 					اب	عر	الإ				
494								 						 				 				٠.,	یر		التَّه				
4.7								 						 								۶۲		الح	۶۱	ت	الآيا		_
4.7		 						 						 				 						نة	اللّ			•	Ź١
4.1	,	 						 						 									إب	عر	الإ				_
4.4	•	 						 	•					 								٠.	ير		التَّه				
470	)	 						 						 											5	*	الآية		
440	)													 								 		نة	اللّ				

راب	الإء
سير۴۲۵	التّف
ی ۶۸	الآيات 60 ال
fmy	اللّغ
راب	الأع
سير	التَّف
ی ۷۱۷۱	الأيات ۶۹ ال
¥ΨΛ	اللغا
راب	الإع
سير	التّف
ر ۲۴۲ ۷۴ ر	الأيات ٧٢ ال
<del>*</del> ***	اللّغة
راب	الإع
مير	التّف
**V	الأيات ٧٥ و
¥¥V	اللّغة
راب	الإعر
مير	التّف
۴۵۱	الأيات ٧٧ و
<b>FOI</b>	اللّغة
اِبا	الإعر
بير	التّف
fov	لأية ٩∨ …
W.A.V	الأخة

ضياء القرقان في تفسير القرآن كريم العجلد الثالث

الإعرابا	
التّفسير	
¥8Y	الآية
اللّغة	
الإعرابا	
التَّفسيرالتَّفسير	
*F\$*	الأية
اللُّغةاللُّغة	
الإعراب	
التُفسير	
ه ۸۲ الی ۸۴۸۴ الی ۴۶۸	الأيان
اللّغة	
الإعراب	
التَفسير	
۴۷۹۸۵	،و الآية
اللّغة	اخ! کیا ضیاء الفرقان فی تفسیر
الإعراب	نظ نوم
التَّفسير	سير القرآن
ت ۸۶ الی ۸۹۸۹ الی ۴۸۲	الأيار
اللّغة	{جزء٣}
الإعراب	<u></u>
التَّفسير	المجلد الثالث
ت ۹۰ و ۹۱	الأياد
اللّغةا ۴۸۶	

011